إتحاف الأحبة

بخطب الجمعة

تأليف

سعد بن عبد الله العجمة الغامدي

إمام وخطيب سابق لجامع الجندول بالطائف

المجموعة الثانية

الطبعة الثانية

إتحاف الأحبة بخطب الجمعة

٢

سعد ابن عبد الله العجمة الغامدي

المجموعة الثانية

ح سعد بن عبدالله العجمة الغامدي ، ١٤٢٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الغامدي ، سعد بن عبدالله العجمة
إتحاف الأحبة بخطب الجمعة./سعد بن عبدالله العجمة الغامدي.
ط٢. - الطائف ، ١٤٢٨هـ
٢مج ، ٤٩٠ ص ، ١٧×٢٤سم
ردمك: ٠- ٢٣٢-٥٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨ (مجموعة)
٤- ٢٣٤- ٥٨ - ٩٩٦٠-٩٧٨ (ج٢)
١- خطبة الجمعة ٢- الوعظ والإرشاد أ- العنوان
ديوي ٢١٣ ١٤٢٨/٤٧٧٩

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٤٧٧٩هـ
ردمك : ٠- ٢٣٢-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨(مجموعة)
٤-٢٣٤-٥٨-٩٩٦٠-٩٧٨(ج٢)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مُراجَعَةٌ وَمُصَحَّحَةٌ

فهرس المجموعة الثانية من إتحاف الأحبة بخطب الجمعة للشيخ/ سعد العجمة الغامدي

الرقم	عنـــــــوان الخطـــــــبة	رقم الصفحة	تـــــــاريخ الإلقـــــــاء
1	مفهوم العبادة (1)	1	1405/10/11هـ
2	العبـادة (2)	6	1405/10/18هـ
3	صفة الصلاة وما يتعلق بها	14	1405/6/9هـ
4	صلاة الرجال جماعة	33	1405/6/2هـ
5	تسوية الصفوف في الصلاة	45	1410/10/9هـ، 1415/1/22هـ
6	الخشوع في الصلاة	59	1413/4/13هـ، 1422/3/16هـ
7	الأذكار بعد الصلاة	72	1409/2/19هـ
8	الـدعـاء	80	1411/7/3هـ، 1425/2/5هـ
9	الـزكاة	97	1421/9/12هـ
10	الترهيب من المسألة	108	1414/9/8هـ، 1422/9/8هـ
11	صـفة الحـج	118	1405/11/30هـ
12	خطبة العيد	130	1404/12/10هـ ،1413/10/1هـ
13	القرآن وفضله	147	1405/9/12هـ ، 1415/9/11هـ
14	احترام القرآن وأسماء الله	158	1410/7/14هـ، 1414/6/20هـ
15	سورة التكوير	168	1410/6/15هـ
16	القضاء والقدر	176	1407/7/6هـ
17	الخوف والرجاء	188	1407/4/25هـ، 1425/1/14هـ
18	التوبـة	200	1405/9/26هـ، 1424/12/29هـ
19	وبالوالدين إحساناً	223	1419/3/23هـ
20	من أسباب منع نزول المطر	239	1425/1/21هـ

21	الخسوف والكسوف	250	1420/5/2هـ
22	زواج زينب بنت جحش	268	1408/5/2هـ
23	حـادثـة الإفـك	278	1405/6/24هـ
24	قذف المؤمنين والمؤمنات	287	1405/7/1هـ
25	الحجاب (1)	296	1409/6/6هـ، 1411/5/13هـ
26	تكملة عن الحجاب (2)	307	1409/7/4هـ ،1411/5/20هـ
27	فتنة الـنساء	318	1411/5/27هـ
28	الـزنـا	329	1405/7/8هـ، 1411/6/4هـ
29	تحريم سماع الأغاني	342	1411/8/22هـ، 1423/5/16هـ
30	الـتصـويـر	356	1410/11/1هـ
31	الخِـطـبـة	367	1410/11/22هـ
32	الـنـكاح	378	1407/10/9هـ
33	تكملة عن النكاح (2)	388	1407/10/16هـ
34	نـكاح الشغار	399	1413/2/9هـ
35	الإسراف والتـبـذيـر	407	1409/3/25هـ
36	شكر النعمة وكـفـرانـها	416	1405/4/6هـ، 1423/4/24هـ
37	الحث على الصدق	425	1405/12/21هـ
38	تابع حول الصدق	434	1405/12/28هـ
39	الغيـبـة(1)	443	1405/10/25هـ، 1412/7/6هـ
40	الغيـبـة(2)	450	1412/7/13هـ
41	الإصلاح بين الناس	457	1412/5/2هـ ،1424/6/3هـ

مفهوم العبادة في الإسلام 1/

الخطبة الأولى **1405/10/11هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد: فإن بعض المسلمين لا يفهم من كلمة العبادة إذا ذكرت إلا الصلاة والصيام والصدقة والحج والعمرة ونحو ذلك من الأدعية والأذكار ولا يحسب أن لها علاقة بالأخلاق والآداب أو النظم والقوانين أو العادات والتقاليد حسب المتداول من التعبيرات وكل حياة المسلم ، وإذا سألت أحدهم لأي شيء خلق الله الخلق ؟ قال: لعبادته سبحانه وتعالى ، وما هي العبادة ؟ قال:اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، إنه كلام جيد وتعريف يحفظه الطالب والمعلم في المرحلة الابتدائية، ولكن هل يعرف ويعلم تماماً بأن مفهوم العبادة في الإسلام أشمل مما يتصوره هوَ ؟ وَهُوَ على حسب هذا التعريف فعلاً ، هل يعلم معنى قول الله تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦].على الحقيقة فعلاً وأنها تشمل جميع مناحي حياته وكل حركة له في هذه الحياة بحيث يجب أن يتحقق فيها معنى العبودية لله؟

إنَّ قَصْرَ مفهوم العبادة على الصلاة والزكاة والحج والعمرة والصوم وبعض الأدعية والأذكار مفهوم خاطئ يجب أن يُصَحَّحَ ، فالصلاة لا تستغرق في اليوم والليلة إلا قرابة ساعة ، فأين تذهب الساعات الباقية من حياة المسلم إذا لم تكن في العبودية الصحيحة وفي المفهوم الصحيح لمعنى العبادة ؟ والصوم شهر واحد في العام ، فكيف يقضي المسلم بقية أشهر العام إذا لم

يعلم ويعمل بمعنى العبودية الحقة لله تعالى ، والحج والعمرة لا تجب إلا مرة واحدة في العمر ، والزكاة مرة واحدة في السنة ، فهؤلاء الذين يفهمون أو يعتقدون بأن العبادة في الإسلام مقصورة على هذه الشعائر التعبدية أو أنه يجب أن تقتصر على المسجد قد جانبوا الصواب ، ويجب عليهم أن يعلموا معنى العبادة الصادقة لله تعالى وأنها شاملة لحياتهم كلها، في النوم واليقظة ودخول المسجد والبيت والخروج منهما والبيع والشراء والعمل والتعامل مع الناس والكلام والضحك والأكل والشرب وركوب الدابة ونزول أي منزل وحتى إتيان الرجل شهوته ودخوله الخلاء والخروج منه ،كل هذه وغيرها للإسلام فيها توجيه ، فبذلك يتحقق معنى العبودية لله رب العالمين وأن العبادة شاملة فعلاً لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. لقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن قول الله تعالى((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ)) [البقرة:21].ما العبادة ؟ وما فروعها؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟ فأجاب رحمه الله إجابة مبسوطة مفصلة وقد بدأها بقوله : العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة . فالصلاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة ، ثم قال: وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك هي من العبادة لله. انتهى كلامه رحمه الله . وهكذا نجد أن للعبادة ـ كما شرحها ابن تيمية رحمه الله ـ أفقاً رحباً ودائرة واسعة

فهي تشمل الفرائض والأركان فيما يسمى بالشعائر التعبدية من الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وتشمل ما زاد عن الفرائض من ألوان التعبد التطوعي من ذكر وتلاوة ودعاء واستغفار وتسبيح وتهليل وتكبير وتحميد ، وحسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد والأخلاق والفضائل الإنسانية كلها، وحب الله ورسوله ، وتوحيد الله وإفراده بالعبادة وخشيته والإنابة إليه وإخلاص الدين له ، وتشمل العبادة كذلك الفريضتين الكبيرتين اللتين هما سياج ذلك كله وملاكه وهما: 1- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، 2- وجهاد الكفار والمنافقين في سبيل الله ، كما تشمل العبادة أمراً له أهميته في الحياة المادية للناس ، وهو الأخذ بالأسباب ومراعاة السنن التي أقام الله عليها الكون. ثم قال رحمه الله: فكل ما أمر الله به عِبَادَةُ من الأسباب فهو عِبَادَةٌ . بهذا نعرف ونعلم أن دين الإسلام كله عبادة ، وأنه جاء ليرسم للإنسان منهج حياته الظاهرة والباطنة ، ويحدد سلوكه وعلاقاته وفقاً لما جاء في الكتاب والسنة ، إذاً فعبادة الله تَسَعُ الحياةَ كلَّها وتنظم أمورها قاطبة:من أدب الأكل والشرب وقضاء الحاجة ، إلى بناء الدولة وسياسة الحكم وسياسة المال وشئون المعاملات والعقوبات وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب .

إن هذه الشعائر العظيمة والأركان الأساسية في الإسلام . على منزلتها وأهميتها . إنما هي جزء من العبادة لله ، وليست هي كل العبادة التي يريدها الله من عباده . والحق الذي لا شك فيه أن دائرة العبادة التي خلق الله لها الجن والإنس وجعلها غاية للإنسان في الحياة ومهمة في الأرض دائرة رحبة واسعة تشمل شؤونه كلها ، وتستوعب حياته جميعاً .

وبذلك تتحقق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ

أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢ ، ١٦٣] .

عن مفهوم العبادة /1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأسأله المزيد من فضله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد: فإن مقتضى عبادة المسلم لله وحده: أن يُخضع أموره كلها لما يحبه الله تعالى ويرضاه في الاعتقاد والأقوال والأعمال ، وأن يكيّف حياته وسلوكه وفقاً لهداية الله وشرعه ، فإذا أمره الله تعالى أو نهاه أو أحلَّ له أو حرم عليه كان موقفه في ذلك كله:سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فَفَرْقُ ما بين المؤمن وغيره: أن المؤمن خرج من العبودية لنفسه وللمخلوقين إلى العبودية لله رب العالمين ، خرج من طاعة هواه إلى طاعة الله ، ليس المؤمن سائباً ولا هملاً يفعل ما تهوى نفسه أو يهوى له غيره من الخلق ، إنما هو ملتزم بعهد يجب أن يَفِيَ به وميثاق يجب أن يحترمه ومنهج يجب أن يتبعه ، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الأحزاب:٣٦]. ويقول عز وجل: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور:٥١] .

ليس بعابد لله إذاً من قال: أصلي وأصوم وأحج ولكني حرٌّ في أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر والمسكرات أو أكل الربا أو الزنا أو رفض ما لا يصلح لي من أحكام الشريعة فأحكم فيه بغير ما أنزل الله ؛ وليس بعابد لله أيضاً من أدى الشعائر ولكنه لم يخضع لآداب الإسلام وما جاء به في نفسه أو أهله ، كالرجل الذي يلبس الحرير ويتحلى بالذهب ويتشبه بالنساء ، والمرأة التي تلبس ما يبرز مفاتنها ولا يغطي جسدها ولا تضرب بخمارها على جيبها وتتشبه بالرجال ، ليس بعابد لله من ظن أن عبوديته لله لا تعدو جدران المسجد، فإذا انطلق في ميادين الحياة المتشعبة فهو حرٌّ في إعطاء نفسه هواها أو إتباع أهواء عبيدِ أنفسِهم من المخلوقين.

على المسلم أن يعلم أن كل عمل اجتماعي نافع فهو في الإسلام عبادة ما دام قَصْدُ فاعله الخير لا تصيُّد الثناء واكتساب السمعة الزائفة عند الناس،كل عمل يمسح به المسلمُ دمعةَ محزون ، أو يخفف به كربة مكروب أو يضمِّد به جراح منكوب أو يسدُّ به رمق محروم، أو يشد به أزر مظلوم أو يقيل به عثرة مغلوب أو يقضي به دَيْنَ غَارِمٍ مثقل ، أو يأخذ بيد فقير متعفف ذي عيال ، أو يهدي حائراً أو يعلم جاهلاً أو يؤوي غريباً، أو يدفع شراً عن مخلوق أو يُميط أذىً عن طريق أو يسوق نفعاً إلى ذي كبدٍ رطبة أو يسعى لإصلاح ذات البين ،كل ذلك وغيره إذا صحت وصلحت فيه النية فهو عبادة وقربة إلى الله تعالى.ولقد كانت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها عبادة لله عز وجل وذكراً لله جل جلاله ، وأيضاً كانت توجيهاته لأمته عليه الصلاة والسلام عبادة لله عز وجل. فعلى المسلمين الإتباع والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يحققوا معنى العبودية لله تعالى

في حياتهم كلها. قال تعالى:((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾)) [الأحزاب:21].وقال عز وجل((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾))[آل عمران:31 ، 32].

مفهوم العبادة /2

الخطبة الأولى **1405/10/18هـ**

الحمد لله أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً، أحمده سبحانه وتعالى وأشكره فقد أسبغ علينا النعم ،ومن أجلِّها نعمة الإسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله لهداية الخلق فبلغ وبشر وأنذر ، فلا خير إلا دلَّ الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه ،اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه .

أما بعد:فلقد تعرفنا في الخطبة السابقة على مفهوم العبادة في الإسلام وأن العبادة تشمل حياة المسلم كلها وليست محصورة في الصلاة والصيام والزكاة والحج، مع ما لهذه الشعائر العظيمة وغيرها من أركان الإيمان والإسلام من منزلة وأهمية ، ومع أنها هذه تمثل القاعدة الأساسية في الإسلام من غير شك ، فليست العبادة محصورة فيها ولا بين جدران المسجد ، وإنما هي كما عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وأَتْبَعَ هذا التعريف

بما يُعَدُّ في الإسلام عبادة وأن للعبادة أفقاً رحباً ودائرة واسعة ، وهذا ما فهمه وعرفه هو وغيره من العلماء الأقدمين والمعاصرين وفهموا معنى قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]. ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ [الذاريات:٥٦]. إن في استطاعة كل مسلم ومسلمة في كل لحظة وساعة من ساعات الليل والنهار أن يعمل عملاً من الأعمال المشروعة يكتب له بها حسنات كثيرة تضاف إلى رصيد عبادته وحسناته ، فمنها:ما يقتصر على نفس العامل المسلم ومنها: ما يتعدى نفعه إلى غيره من الآدميين والحيوانات والطيور وغيرها، فأما أنواع الأعمال والأقوال التي تقتصر فائدتها ويعود نفعها إليه وبها يكسب حسنات لشخصه فمثل: أنواع الذكر من التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والأذكار عند دخول المسجد والخروج منه ودخول البيت والخروج منه عموماً لصلاة أو لغيرها، والخلاء ونزول أي منزل كان وركوب الدابة وأذكار الصباح والمساء وبعد الصلوات المفروضة وعند النوم والاستيقاظ منه وعند الوضوء وسماع الآذان وعند الأكل والشرب وعند الجماع ، وكذلك تلاوة القرآن الكريم والاستماع له والمشي إلى المساجد والجلوس فيها لانتظار الصلاة أو لاستماع الذكرى والموعظة، ومنها أيضاً:التواضع في اللباس والمشي وعدم التبختر والكبر والخيلاء والإعجاب بالنفس وابتعاد الرجال عن الإسبال في الثياب وعدم التختم بالذهب أو التشبه بالنساء ، أو تشبه الجنسين بأعداء الله ، والمحافظة على الوضوء والسواك والنظافة والتطيب والاكتحال وسنن الفطرة الأخرى ، ومنها:اكتساب الحلال والسعي في مناكب الأرض لطلب الرزق الحلال والابتعاد عن الحرام والتحري في طلب الحلال واتقاء الشبهات ، ومنها

أيضاً: محاسبة النفس على ما سلف من أعمالها والتوبة من الذنوب السالفة والإقلاع عنها وعدم العودة إليها ، والبكاء من خشية الله تعالى ، والتفكر في ملكوت السماوات والأرض وفي أمور الآخرة وما فيها من الوعد والوعيد ونحو ذلك مما يزيد الإيمان في القلب وينشأ عنه كثير من أعمال القلوب كالخشية والمحبة والرجاء والتوكل وغير ذلك ، وقد قيل إن هذا التفكر أفضل من النوافل البدنية.قال تعالى:((إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾))[آل عمران:١٩٠، ١٩١]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال:((وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية . ثم قال: ((ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)).وقال تعالى:﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾[يونس:١٠١]. وكذلك خلق الإنسان وفي نفسه ومن أي شيء خُلق وإلى أي شيء ينتهي في هذه الحياة وكيف يكون بعد الموت والبعث والنشور ، والآيات الموجودة فيه وخاصة ممن أوتي علماً في هذا المجال ، وكذلك من لم يكن لديه علم باستطاعته التفكر في نفسه ، وكم من الآيات في الأرض وما فيها كذلك ، قال تعالى:﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[الذاريات:٢٠، ٢١].

فهذه الأعمال التي سبق ذكرها فإن نفعها وفائدتها للشخص نفسه ، أما التي يتعدى نفعها إلى الآخرين إما لشخص بعينه أو للمجتمع ، وتعتبر في الإسلام عبادة ويستطيع المسلم أن يضيف الشيء الكثير من الأجر إلى رصيده من الحسنات بعد توفيق الله له وقبول العمل متى صلحت النية وخلصت له سبحانه ووافقت السنة فتبدأ من بيت المسلم وأسرته بتعليم الزوجة أمور دينها وإرشادها وتوجيهها والإحسان إليها في المعاشرة والنفقة

وإعفافها من التطلع إلى الحرام وقضاء الشهوة التي تعتبر صدقة وعبادة متى أراد أن يعفَّ نفسه وزوجته وأن يخرج من صلبه الذرية الصالحة التي تعبد الله في الأرض ويقول الدعاء المأثور في ذلك ، ثم مع أولاده في تربيتهم وتوجيههم وتعليمهم والعدل والمساواة بينهم وتنشئتهم التنشئة الإسلامية وحثهم على الالتزام بتعاليم الإسلام في الصلاة والصيام والزكاة والحج وجميع أركان الإيمان والإحسان ، وتعليمهم كيفية التأدب في الحديث مع الناس ومعاملتهم الصغير والكبير وأدب الأكل والشرب وذكر الله في البداية والنهاية وعند النوم واليقظة ودخول المسجد والخروج منه ودخول البيت والخروج منه والخلاء وركوب السيارة وغيرها وجميع أنواع الذكر المأثورة والصحيحة، كل ذكر في موضعه إتباعاً للسنة وابتعاداً عن البدعة ، مع تلقينهم ما أمكن من التعاليم الإسلامية التي تسير في عروقهم ودمائهم حتى يكونوا أعضاء صالحين مصلحين في المجتمع بإذن الله ، وكذلك سعيه عليهم لطلب الرزق يعتبر عبادة ، وإحسانه وبره لوالديه إن كانا أو أحدهما على قيد الحياة ومواصلة أصدقائهما وإنفاذ عهدهما بعد موتهما، كل ذلك من العبادة ، وصلة الأرحام عبادة والإحسان إليهم وتحمل أذاهم والتصدق عليهم صلة وصدقة والإحسان إلى الجار وكف الأذى عنه والهدية له وتفقد أحواله،والإحسان إلى اليتيم وخاصة إن كان تحت يديه هو أو ماله وحتى المسح على رأسه يعتبر صدقة وعبادة .

ومن أنواع العبادة:ردُّ السلام وغضُّ البصر وتشميت العاطس وكف الأذى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإماطة الأذى عن الطريق، وحتى صلة الحبل وما كان في معناه في هذا الزمن وشسْع النَّعْلِ والإفراغ من الدَّلْوِ في إناء المستسقي وإن كان هذا غير موجود في المدن ولكن قد يكون في أي مكان وقد يُحتاج لاستعمال الأباريق وأي إناء آخر ، فالإفراغ منها يعتبر

صدقة وعبادة ، وتَبَسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة ، والوجه المنطلق وكف الأذى عن الناس عموماً باليد أو باللسان، والعدل بين الناس وإصلاح ذات البين ، وإعانة الرجل على دابته وسيارته ومساعدته في أي عمل مباح ، والكلمة الطيبة ، كل ذلك من العبادة ، وإخراج الأذى من المسجد وتنظيفه وتبخيره وتجميره ، وإعانة ذي الحاجة الملهوف ، وإسماع الأصم وتبصيرُ المنقوصِ بَصَرُهُ وهداية الأعمى أو غيره الطريقَ ، والبيان عمَّن لا يطيق الكلام فيما يحتاج لبيانه لوجود آفة في لسانه أو لِعُجْمَةٍ في لغته ، وزيارة المريض واتباع الجنازة والصلاة على الميت وإجابة الدعوة ما لم يكن فيها محرّم ، وبذل النصيحة ، إبرار القسم، الكف عن الظلم ونصرة المظلوم ، إرشاد الضال ، تعليم الجاهل ، إيواء الغريب ، إهداء الحائر، الإحسان إلى كل ذي كبد رطبة من البهائم والحيوانات، إنظار المعسر وإقراض المسلم، المشي مع المسلم لقضاء حاجة بحق ، الصدق والأمانة والإخلاص والوفاء بالعهد والوعود والإيثار والمواساة والحلم والأناة والرفق واحتمال الأذى والصبر والعفو والإعراض عن الجاهلين والوقار والسكينة وإكرام الضيف والورع وترك الشبهات ، وكل ما له علاقة بخلق المؤمن من صفات محمودة مع الابتعاد عن المذموم من صفات وأخلاق المنافقين والفاسقين وغيرهم، كل ذلك يعتبر من العبادة ، والابتعاد أيضاً عن الغيبة والنميمة والتجسس وشهادة الزور وسوء الظن والكذب والافتراء والبهتان واللعن والسب الشتم والمنّ بالعطية والحسد واحتقار المسلمين وإظهار الشماتة بهم والطعن في الأنساب وسماع الأغاني ، وحبس اللسان والسمع والنظر وجميع الجوارح والابتعاد عن ذلك يعتبر عبادة وقربة إلى الله عز وجل ، والابتعاد عن الربا وجميع المعاملات المحرمة في البيع والشراء وأكل أموال الناس بالباطل وعن اللواط والنظر المحرم والاختلاط وشرب الخمور وعن الشفاعة في الحدود وحبس النفس وكبح

جماحها وعدم ترك العنان لها وكل محرم من المحرمات، الابتعاد عنها يعتبر عبادة . وأعجب من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بأن الأعمال الدنيوية التي يقوم بها المسلم لمعيشته والسعي على نفسه وأهله تعتبر من أبواب العبادة والقربات إلى الله تعالى ، فالزارع في حقله والعامل في مصنعه والتاجر في متجره ، والسائق في سيارته، والجندي في حراسته، والطالب في مدرسته ومعمله ، والمعلم في قاعته وفصله، والموظف في مكتبه ، وكل ذي حرفة في حرفته ، كل هؤلاء وغيرهم في استطاعتهم أن يجعلوا من أعمالهم المعيشية عبادة وجهاداً في سبيل الله ويحوّلوها من العادة إلى العبادة إذا التزموا الشروط التالية : 1- أن يكون العمل مشروعاً في الإسلام لا أن يكون محرماً كالعمل في الربا والحانات والمراقص ونحوها. 2- أن تصحبه النية الصالحة ، ونية المسلم إعفاف نفسه وإغناء أسرته ونفع أمته وعمارة الأرض كما أمر الله. 3- أنْ يُؤَدِّيَ المسلمُ العملَ بإتقان وإحسان وأمانة وإخلاص. 4-أن يلتزم فيه حدود الله فلا يظلم ولا يغش ولا يخون ولا يجور على غيره وأن يلتزم العدل والمساواة بين الناس في المعاملة . 5- ألا يشغله عمله الدنيوي عن واجباته الدينية الأخرى مثل الصلاة ، ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ...﴾ الآية [النور:٣٧]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾

[المنافقون:٩]. عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مَرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مِنْ جَلَدِهِ ونشاطه فقالوا: يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله ؟ ـ أي في الجهاد لأنه من أفضل العبادات وهو ذروة سنام الإسلام ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى**

على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان)).أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل:٢٠] . ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ . . .﴾ [الجمعة:١٠] ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٨].

عن العبادة 2/

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي فطر الخلق على الدين القيم ملة محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ووفق من شاء برحمته فاستقام على هدي النبيين والمرسلين وخذل من شاء بحكمته فَرَغِبَ عن هديهم وسنتهم فكان من الخاسرين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوز بدار النعيم والنجاة من العذاب الأليم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الخلق طريقة وأقومهم شريعة وأقربهم إلى الخير العميم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .

أما بعد:فإن خير الحديث كلام الله وكتابه وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، فخير الهدي هدي رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والهدي هو الطريقة والشريعة والسنة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في العبادات والمعاملات والأخلاق الظاهرة والباطنة .

فعلى المسلم أن يهتدي بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن العمل لا يقبل إلا إذا كان خالصاً لله تعالى وصواباً على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام:((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ**)).أي مردود عليه . لقد ذكر ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه

المشهور المسمى:زاد المعاد في هدي خير العباد، ذكر هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مجالات الحياة وطريقة عبادته لله رب العالمين، وكيفية تعامله مع الخلق أجمعين ، المسلم والكافر، المؤمن والمنافق، اليهودي والنصراني ، الإنس والجن ، الطير والحيوان، الحجر والشجر والمدر، السحاب والرياح والمطر، الشمس والقمر، كل شيء في الكون كيف كان يتعامل معه في عبودية كاملة لله رب العالمين ، وكيف كان هديه صلى الله عليه وسلم في كل أموره وشئونه الخاصة والعامة، ومما قاله رحمه الله تعالى حول هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم:لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق ذكراً وعبادة لله عز وجل ، بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه ، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكراً منه وعبادة لله عز وجل، وإخباره عن أسماء الرب وصفاته وأحكامه وأفعاله ووعده ووعيده ذكراً منه له سبحانه وتعالى، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وتحميده وتسبيحه ذكراً منه لله تعالى. وسؤاله ودعاؤه إياه ورغبته ورهبته ذكراً منه له جل جلاله ، وسكوته وصمته ذكراً منه له بقلبه . فكان ذاكراً لله في كل أحيانه وعلى جميع أحواله ، وكان ذكره لله يجري مع أنفاسه قائماً وقاعداً وعلى جنبه ، وفي مشيه وركوبه ، وسيره ونزوله ، وظعنه وإقامته، وعند نومه ويقظته، وعند دخوله وخروجه ، هكذا كانت عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعلى المسلم أن يتبع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الابتعاد عن البدع، فكتب الحديث الصحيحة زاخرة بالكثير والكثير بما يفيد المسلم ويستطيع معه أن يضيف إلى رصيده من الحسنات الشيء الكثير في كل وقت من الأوقات آناء الليل وأطراف النهار دون رسوم ودون مراسيم معتادة ، بل الكل في ذلك سواء ، ولن يأتي أحد بأفضل مما أتى به غيره إلا إذا سبقه ونافسه بكثرة الحسنات في مجاله ، ولكن كما سبق يجب أن يضع المسلمُ نصْبَ

عينيه إخلاصَ العمل لله تعالى وصوابَه بأن يكون على ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله جل جلاله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وصواباً،والأدلة على إخلاص العمل وصوابه معلومة لدى كل مسلم ولا يتسع المقام لذكرها.((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾))[الأنعام:162، 163].وصلى الله وسلم على رسولنا محمد وآله.

صفة الصلاة وما يتعلق بها

الخطبة الأولى 1405/6/9هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فلقد تعرفنا على بعض أحكام الصلاة من حيث تركها ووجوب أدائها جماعة في المساجد بالنسبة للرجال الذين ليس لهم عذر شرعي ، ولا زلنا مع بعض ما يتعلق بالصلاة، وفي هذه الخطبة أورد كلمات موجزة في

بيان صفة الصلاة مقتبسة من كتب بعض أهل العلم ومُلَخِّصَةً لصفة صلاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليجتهد كل مسلم ومسلمة في التأسي والاقتداء به صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام:((**صلوا كما رأيتموني أصلي**)). فيبدأ المسلم بإسباغ الوضوء وإتمامه، وإسباغه بأن يتوضأ كما أمره الله عملاً بقوله سبحانه وتعالى:((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ**))[المائدة:6]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم:((**لا يقبل الله صلاة بغير طهور**)).رواه مسلم،وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**)). قالوا:بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم:((**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**)).رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة، وقوله صلى الله عليه وسلم:((**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**)).رواه مسلم وأحمد والترمذي رحمهم الله. فالشاهد هو إسباغ الوضوء والإتيان فيه بالمشروع والبعد عن الابتداع والوساوس، حيث يبدأ المسلم الوضوء بالتسمية وقبل ذلك السواك،وإذا لم يجد السواك فيستعمل فرشاة الأسنان خاصة عند القيام من النوم وبعد الطعام حتى لا يبقى في الفم وبين الأسنان شيء مما يُكره ويُستقذر من بقايا الطعام وخلاف ذلك، ولا ينبغي للمسلم أن يتهاون بالسواك قبل الوضوء والصلاة لما ورد من أحاديث عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم:((**لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة**)).رواه البخاري واللفظ له،ومسلم إلا أنه قال:((**عند كل صلاة**)). وأحمد وابن خزيمة وعندهما:((**لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء**)).والوضوء معروف لدى جميع المسلمين ولكن يغيب عن بعضهم تخليل أصابع الكفين والقدمين للرجال والنساء ، أي غسل ما بين الأصابع، وكذلك تخليل اللحية بالنسبة للرجال أي إدخال شيء من الماء مما في أصابع الكفين بين شعر اللحية مع وجوب غسل ظاهر الشعر مع الوجه في كل مرة، قال صلى الله عليه وسلم:((**وخلّل بين الأصابع**)).رواه أبو داوود وصححه الألباني رحمهما الله تعالى، ويغيب عن بعضهم أيضاً كيفية المسح المشروع للرأس، وصفته بأن يأخذ المسلم الماء في باطن كفيه ثم ينفضهما لإفراغ الماء منهما ثم يقابل بين رؤوس أصابعهما حيث تلتقي الأصابع الوسطى أما البقية فليست كالوسطى في التقارب ثم يبدأ المسح من مقدمة شعر الرأس إلى مؤخرة الرأس وبداية الرقبة من القفاة ويعيدهما إلى مقدمة شعر الرأس يفعل ذلك مرة واحدة فقط أي ذهاباً وإياباً، ثم إدخال السبابتين في صمام الأذنين – أي وسطيهما- وإدارة الإبهامين من خلف الأذنين ومسحهما. ويغيب عن بعض المسلمين الاهتمام بغسل عقبي القدمين- أي مؤخرتهما- وخاصة أسفلهما من المؤخرة وتحت وحول الكعبين العظمين الناشزين البارزين فوق كل قدم مع ورود الوعيد الشديد لمن يتهاون بعدم غسلهما بالكامل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء**)).رواه مسلم وأبو داوود واللفظ له، والنسائي وابن ماجة

ورواه البخاري بنحوه. وبعد الانتهاء من الوضوء يرفع المسلم بصره إلى السماء ويرفع سبابة اليمنى مشيراً بها إلى توحيد الله جل جلاله قائلاً: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ،اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ما منكم من أحد يتوضأ فيُبْلِغُ – أو فيسبغ – الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**)).رواه مسلم وأبو داوود وابن ماجة وقالا:((**فيحسن الوضوء**)).وزاد أبو داوود:((**ثم يرفع طرفه إلى السماء ثم يقول...**)). أما لفظ((**اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**)).فرواه الترمذي وصححه الألباني. ثم يتوجه المصلي لصلاته التي يريدها فرضاً أو نفلاً ويتجه إلى القبلة وهي الكعبة أينما كان بجميع بدنه قاصداً بقلبه فعل الصلاة التي يريدها من فريضة أو نافلة، ولا ينطق بلسانه بالنية لأن النطق باللسان غير مشروع بل بدعة لكون النبي صلى الله عليه وسلم لم ينطق بالنية ولا أصحابه رضي الله عنهم،قال الله تعالى: ((**قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾**)).[الحجرات:16]، ويجعل له سترة يصلي إليها إن كان إماماً أو منفرداً، واستقبال القبلة شرط في الصلاة إلا في مسائل مستثناة معلومة وموضحة في كتب أهل العلم، واستقبال القبلة يكون بالوجه والصدر ومقدمة البدن حتى بالرجلين ومنها القدمان بحيث تكون أصابعهما إلى القبلة من غير اعوجاج وليس كما يفعله بعض المتنطعين الذين يلاحقون مَنْ بجوارهم بأقدامهم لإلزاقها بأقدام

المجاورين مع أن الله جل جلاله خلق جميع أقدام البشر عريضة من مقدمتها جهة الأصابع، ومن الخلف أقل من ذلك بكثير، فلا يمكن أن تُلْزَقَ الأقدام بتلك الكيفية التي يفعلونها بإلزاق الكعبين من المؤخرة حتى تعوجّ المقدمة، وليس ذلك الفعل هو المقصود من الحديث بسدّ الخلل إنما هو عدم ترك فرجة بين المتجاورين، ويصل التنطع ببعضهم في مضايقة من يجاورونهم إلى أن أحدهم يحرف صدره وبعض جسمه عن القبلة من شدة الزحام ولا يبقى إلا وجهه ورقبته يستقبل بهما القبلة وقد لا يكونان أيضاً إلى القبلة، لدرجة أنه يضع عضده وكتفه الأيمن على صدر المجاور له يميناً ويضع بعض عظام صدره مع العضد الأيسر خلف المجاور له في اليسار، وهذا خلاف السنة والمشروع والمندوب فعله في سد الفرج والخلل في الصف واستقبال القبلة والخشوع المأمور بها جميعاً في الشرع المطهر.

فعلى المصلي حال وقوفه في الصف إذا أراد الانضباط والوقوف الصحيح أن يفتح رجليه بحيث تكونان متناسبتين ومتناسقتين مع عضديه مع زيادة بسيطة لبروز المرفقين عندما يضع يديه على صدره حال القيام قبل الركوع وبعده، ولا يفرّج بين قدميه كما يفعل بعض المصلين من أخذ مسافة كبيرة بينهما، ولا يلصقهما أيضاً بحيث يترك فرجة في الجهتين، ولا يضع القدمين كرقم سبعة كما يفعله الجنود في صفوفهم العسكرية والطلاب في مدارسهم بل عليهم أن يوجهوا أقدامهم باستقامة جهة القبلة مع سد الفرج وعدم التعدي والتجاوز على المجاورين وأذيتهم بذلك حتى يصل الوسواس ببعضهم إلى حدّ أنه يتحسّس كل لحظة بقدمه وخاصة الأصبع الصغيرة وما جاورها

يتحسّس قدم المجاور له، وبعضهم لا يكتفي حتى بهذا مع خشونة أرجلهم وأذيتهم للمجاورين بل يخفض رأسه ويحني جسمه ليصل بصرُه إلى قدميه وقدمي المجاورين له حتى يتأكد من عدم وجود خلل وذلك كل دقيقة أو أقل من ذلك في كل ركعة، وهذا كله من الشيطان حتى يبعد المصلي عن الخشوع وحضوره في صلاته و استمتاعه بلذة الخشوع والوقوف بين يدي رب العالمين، أعود للقول بأن على المصلي أن يكبر تكبيرة الإحرام قائلاً: الله أكبر غير ممدودة عن المدِّ المعلوم ولا مُمَطَّطَة، ناظراً ببصره إلى محل السجود،رافعاً كفيه عند التكبير حذو منكبيه أو إلى حيال أذنيه تكون الأصابع مبسوطة غير متفرقة عن بعضها مستقبلاً براحة الكفين القبلة وهكذا في كل رفع لليدين، وينبغي ملاحظة أن السنة في رفع اليدين حذو المنكبين مستقبلاً براحتيهما القبلة في أربعة مواضع فقط عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع والرفع منه في كل ركعة وعند القيام للركعة الثالثة في الثلاثية كالمغرب والرباعية كالظهر والعصر والعشاء، ثم يضع يديه على صدره، اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد، لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يكون النطق بالتكبير موافقاً للفعل ومقروناً به، وهذا هو الأكمل سواء في تكبيرة الإحرام أو تكبيرات الانتقال بحيث يكون رفع الكفين وضمّهما ووضع اليدين على بعضهما على الصدر في تكبيرة الإحرام موافقاً للنطق بقول:الله أكبر في لحظة واحدة، وليس كما يفعله كثير من المصلين اليوم من تأخير أو تقديم بعضهما عن الأخرى، أو في تكبيرات الانتقال والتهاون بذلك وعدم العناية بها، وقد لا ينطق كثير من المصلين

بالتكبير وخاصة من المأمومين فينتقل أحدهم من ركن إلى آخر دون تكبير ونطقٍ به حتى ولو كان يصلي منفرداً فيجب الانتباه لذلك من جميع المصلين، وكذلك التمطيط في التكبير ومَدِّهِ أكثر من اللازم وعدم موافقته للفعل في ركوع أو سجود أو اعتدال وخاصة من بعض الأئمة حيث يَمُدُّ بعضُهم التكبيرَ أو قول:سمع الله لمن حمده أكثر من اللازم ويُلجِئُون من خلفهم للموافقة لهم إذا لم تكن المسابقة عند بعض المأمومين مع ما في ذلك من النهي الشديد خاصة المسابقة، وسبب الموافقة خاصة هم الأئمة حيث لا يفقه بعضهم هذا الجانبَ المهمَّ في الانتقال بين الأركان، لذلك فهم يتحملون إثماً بسبب المدّ الزائد والتمطيط أو عدم اقتران القول بالفعل حيث يسبق انتقالُه التكبيرَ أو العكس من ذلك، مع أن المأموم لذي يوافق الإمام يتحمل إثماً، أما الذي يسابق الإمام فناصيته بيد شيطان كما ورد في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم، وبعض أهل العلم الذين يقولون بأن جلسة الاستراحة ليست مسنونة ولا مشروعة خاصة في حق الإمام هو لعدم توافق تكبيرة الانتقال مع الجلوس وهذا الانتقال، يقولون متى يكبر؟ إن كبّر وجلس فإن كثيراً من المصلين سوف يقومون، وإن انتقل إلى الجلوس دون تكبير ثم كبّر عند قيامه كانت مخالفة شرعية في صلاته، لذلك لا يرون فعلها إلا للكبير أو للمنفرد مع أنها لم ترد فيما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم أي في السنة القولية للصلاة وإنما كانت في قول الصحابي للصفة الفعلية، ويعزوها بعضهم إلى أنه في حال كبره وآخر حياته صلى الله عليه وسلم. فوجب التنبيه عليها هنا، وليس فيها ذكر ولا دعاء، ولا حرج على من

تركها، ولا يجوز أن تكون محل خلاف ونزاع بين المسلمين مثل الذي نشاهده ونسمعه من وصول ذلك إلى الولاء والبراء في هذه المسألة وأشباهها، ومن السنة أن يقرأ دعاء الاستفتاح وهو:((**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد**)).رواه البخاري، وإن شاء قال بدلاً من ذلك:((**سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك**)).رواه أبو داوود والحاكم. وإن أتى بغيرهما من الاستفتاحات الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا بأس، والأفضل أن يفعل هذا تارة وهذا تارة،لأن ذلك أكمل في الإتباع ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ويقرأ سورة الفاتحة لقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:((**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**)). ويقول بعدها _آمين _ جهراً في الصلاة الجهرية، وسرّاً في الصلاة السرية، ثم يقرأ ما تيسر له من القرآن، والأفضل أن يقرأ بعد الفاتحة في الظهر والعصر والعشاء من أوساط المفَصَّل، وفي الفجر من طواله، وفي المغرب من طواله تارة ومن قصاره تارة أخرى عملاً بالأحاديث الواردة في ذلك والمفصَّل من: ق~ والقرآن المجيد إلى آخر سورة الناس، وطواله من: ق~ إلى المرسلات، وأوساطه من: النبأ إلى الليل، وقصاره من: الضحى إلى الناس، ثم يركع مكبراً رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه جاعلاً رأسه حيال ظهره واضعاً يديه على ركبتيه مفرِّقاً أصابعه عليهما، وينبغي ملاحظة وضع الرأس حيال الظهر في مستوى واحد وليس كما يفعله بعض المصلين من خفض الرأس حتى

يصل قريباً من الركبتين، وعليه أن يطمئن في ركوعه ويقول: سبحان ربي العظيم.أو يزيد عليها وبحمده، والأفضل أن يكررها ثلاثاً أو أكثر، ويستحب أن يقول مع ذلك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، ثم يرفع رأسه من الركوع رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه قائلاً: سمع الله لمن حمده– إن كان إماماً أو منفرداً – ويقول حال قيامه:ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيءٍ بعد ... أما إن كان مأموماً فإنه يقول عند الرفع: ربنا لك الحمد إلى آخر ما تقدم، وإن زاد كل واحد منهم أي الإمام والمأموم والمنفرد –على ذلك –أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، فهو حسنٌ لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويستحب أن يضع يديه على صدره كما فعل في قيامه قبل الركوع لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث وائل بن حجر وسهل بن سعد رضي الله عنهما. وينبغي ملاحظة المصلي لاعتداله التام في القيام بعد الرفع من الركوع وكذلك الرفع من السجود للجلسة بين السجدتين حتى ترجع عظام الفقرات في اعتدال للظهر وطمأنينة في الفعل لأن بعض المصلين ينقر صلاته ويسرع فيها خاصة في الرفع من الركوع والسجود والانتقال إلى الركن الذي بعد ذلك بسرعة متناهية. ثم يسجد مكبّراً واضعاً ركبتيه قبل يديه إذا تيسّر له ذلك، فإن شقّ عليه قدّم يديه قبل ركبتيه مستقبلاً بأصابع يديه ورجليه القبلة ، ضامّاً أصابع يديه مادّاً لها ويكون على أعضائه السبعة لقول رسول

الله صلى الله عليه وسلم:((**أُمرت أن أسجد على سبعة أعظم**)).وفي رواية:((**على سبع، الجبهة مع الأنف، واليدين، والركبتين، والقدمين**)).والأعضاء السبعة:الجبهة مع الأنف حيث لا بدّ من إلزاق الأنف بالأرض كالجبهة، وراحة الكفين أي بطونهما، والركبتان، وبطون أصابع الرجلين، ويجافي عضديه عن جنبيه، وبطنه عن فخذيه، وفخذيه عن ساقيه، ويرفع ذراعيه عن الأرض لقول النبي صلى الله عليه وسلم:((**اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب**)).وسبب بسط الذراعين هو تقديم وضع الكفين إلى مقدمة الرأس، فهذا الوضع لبطن الكفين يجعل المصلي يبسط الذراعين، وبعضهم يؤخر كفيه إلى محاذاة الركبتين أو الفخذين، وكلا الوضعين ليسا بصحيحين، وإنما الوضع السليم هو مقابل المنكبين مع الرقبة بحيث تصل الأصابع بمحاذاة الأذنين، ويقول في السجود:سبحان ربي الأعلى أو يزيد عليها وبحمده، ويُسنّ أن يقول ذلك ثلاثاً أو أكثر، ويستحبّ أن يقول مع ذلك: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، ويكثر من الدعاء لقول النبي صلى الله عليه وسلم:((**أما الركوع فعظّموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يُستجاب لكم**)). ويسأل الله من خير الدنيا والآخرة، سواء كانت الصلاة فرضاً أو نفلاً، وينبغي للمسلم ملاحظة أن مجافاة العضدين عن الجنبين يمكن فعلها للإمام والمنفرد بكل سهولة ولكنها مؤذية في الصفوف للمجاورين فليتنبه كل مسلم لهذه وغيرها بحيث لا يؤذي من يجاوره بأي فعل من أفعال الصلاة وإن كانت مسنونة ولكنها ليست على إطلاقها، فبعض المصلين يؤذي من يجاوره في كل سجود

في المجافاة عن العضدين بحيث يضعهما تحت صدر من في اليمين واليسار حتى يضطرهما لإبعاد عضديه حيث التقاء المفاصل للساعدين والعضدين في كل سجود، وهذا من قلة الفقه في الدين، مع أن كثيراً من المسلمين يعلمون نص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه:((**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**)). ثم يرفع رأسه مكبراً ويفرش قدمه اليسرى ويجلس عليها وينصب رجله اليمنى ويضع يديه على فخذيه وركبتيه ويقول:رب اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني واجبرني، ويطمئن في هذا الجلوس.وينبغي أن يعرف المصلي هيئة الجلوس السابقة مع ملاحظة عدم إبعاد ما بين الركبتين حيث يفرّق بعض المصلين ما بين الفخذين حتى تبتعد مقدمة الفخذين من جهة الركبتين ويؤذي بهما المجاورين له في الصف مع أنه بهذا الفعل الأناني يقلّص المسافة من مؤخرته جهة رجليه ويباعد المقدمة في منظر غير لائق بمصلٍّ يقف بين يدي ربه يرجو رحمته ويخشى عذابه، فليتنبه المسلم لذلك وغيره من أنواع الأذى للمصلين، وليضع نصب عينيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال:((**إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**)) عندما نهى عن أكل الثوم والبصل ونحوهما ونهى عن إتيان المساجد لمن أكلها حتى لا يتأذى المصلون منه، فكيف بمن يؤذيهم بالأفعال في كل ركوع وسجود واعتدال ووقوف وجلوس للتشهد أو بين السجدتين، وهذا الأمر يغيب عن كثير من المسلمين حتى من الملتزمين أنفسهم، وما أجمل المصلي الذي يوافق السنة ويطبقها في هيئة وصفة الوقوف حال القيام والركوع والسجود والجلوس بين السجدتين أو للتشهد، ما أجمله وأروعه متى طبّق

السنة كما وردت لا كما يفهمها كثير من المسلمين على غير حقيقتها ويطبقها كل واحد حسب فهمه وإدراكه القاصر حيث لا يأخذها غالبية المسلمين عن العلماء تطبيقاً عملياً بل يأخذونها نظرياً، إما من الكتب أو ممن يتلقّون عنهم العلم، وهذا هو الذي جعل كثيراً من المسلمين بل الكثرة الكاثرة لا تعرف كيفية الصلاة وصفتها وهيئاتها المتنوعة لا يعرفون ذلك ولا يطبقونه كما ينبغي، ثم يسجد المصلي السجدة الثانية مكبراً ويفعل فيها كما فعل في السجدة الأولى. ثم يرفع رأسه مكبراً قائماً إلى الركعة الثانية معتمداً على ركبتيه إن تيسر له ذلك، وإن شقّ عليه اعتمد على الأرض بوضع يديه عليها، ثم يقرأ الفاتحة وما تيسّر له من القرآن بعد الفاتحة ثم يفعل كما فعل في الركعة الأولى. فإذا كانت الصلاة ثنائية – أي ركعتين – كصلاة الفجر والجمعة والعيد جلس بعد رفعه من السجدة الثانية ناصباً رجله اليمنى مفترشاً رجله اليسرى، واضعاً يده اليمنى على فخذه اليمنى قابضاً أصابعه كلها إلا السبابة ليشير بها إلى التوحيد في التشهد، وإن قبض الخنصر والبنصر من يده وحلّق إبهامها مع الوسطى وأشار بالسبابة فحسنٌ، لثبوت الصفتين عن النبي صلى الله عليه وسلم، والأفضل أن يفعل هذا تارة وهذا تارة، ويضع يده اليسرى على فخذه اليسرى وركبته، ثم يقرأ التشهد في هذا الجلوس وهو:((**التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**)). ثم يقول: ((**اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد**

وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد)). ويستعيذ بالله من أربع فيقول:((**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجّال))**. ثم يدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة، فإذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين فلا بأس ــ سواء كانت الصلاة فريضة أو نافلة ــ لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود لما علّمه التشهد:((ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو)). وفي لفظ آخر:((**ثم ليختر من المسألة ما شاء**)).وهذا يعمّ جميع ما ينفع العبد في الدنيا والآخرة، ثم يسلم عن يمينه وشماله قائلاً: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، وإن زاد كلمة وبركاته فلا بأس لورود ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. وإن كانت الصلاة ثلاثية كالمغرب أو رباعية كالظهر والعصر والعشاء يقرأ التشهد المذكور آنفاً مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من غير الدعاء الأخير، ثم ينهض قائماً معتمداً على ركبتيه رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه قائلاً: الله أكبر، ويضعهما ــ أي يديه ــ على صدره كما تقدم، ويقرأ الفاتحة فقط، وإن قرأ في الثالثة والرابعة من الظهر زيادة عن الفاتحة في بعض الأحيان فلا بأس لثبوت ما يدلّ على ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

صفة الصلاة

الخطبة الثانية

الحمد لله وعد المحافظين على الصلاة أجراً عظيماً وأعدّ لهم في جنات الفردوس نعيماً مقيماً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد

أن محمداً عبده ورسوله أفضل المصلين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجلين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد: ففي الجلوس بعد الثالثة من المغرب وبعد الرابعة من الظهر والعصر والعشاء يجلس كجلسته في الثانية من حيث الصفة، وأحياناً يتورك أي يعتمد على وركه أي فخذه الأيسر مخرجاً قدمه اليسرى من تحت قدمه اليمنى وجهة القدم، ويتشهد كما تقدم في الصلاة الثنائية يقرأ التشهد مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والاستعاذة بالله من الأربع الواردة في الحديث،ثم الدعاء وسؤال الله بما يختاره المصلي ويريده، ثم يسلّم عن يمينه وعن شماله، ويستغفر الله ثلاثاً، ثم يقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام قبل أن ينصرف جهة المأمومين إن كان إماماً. ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن،لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ،ثم يسبح الله ثلاثاً وثلاثين ويحمده ثلاثاً وثلاثين ويكبره مثل ذلك، ويقول تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ويقرأ آية الكرسي، وقل هو الله أحد،وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس بعد كل صلاة فرض، ويستحبّ تكرار هذه السور الثلاث الإخلاص والمعوذتين **ثلاث مرات** ، وقَوْل لا إله إلا الله

وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير يرددها **عشر مرات بعد صلاتي الفجر والمغرب** لورود الأحاديث بها عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا ينسى المسلم أن يقول بعد كل صلاة:اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وهذه من ضمن وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه عندما عبر له عن محبته له وقال:((**لا تَدَعَنَّ دبر كل صلاة أن تقول:اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**)).وكل هذه الأذكار وغيرها سنة وليست بفريضة ولكن ينبغي المحافظة عليها هي وغيرها مما لم أورده هنا والتي ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم ليحوز المسلم على الأجر العظيم الذي وعد به الرسول صلى الله عليه وسلم حيث تزيد عدد الحسنات عن خمس وثلاثين ألف حسنة بعد الصلوات الخمس في كل يوم وليلة، فإذا حافظ عليها المسلم فكم يكسب من الحسنات التي يجدها في ميزانه يوم القيامة،والأفضل في عدّ التسبيح أن يكون على أصابع اليد اليمنى، ويُشرع لكل مسلم ومسلمة أن يصلي قبل الظهر أربع ركعات وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين وبعد العشاء ركعتين وقبل صلاة الفجر ركعتين، الجميع اثنتا عشرة ركعة، وهذه الركعات تسمى الرواتب لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحافظ عليها في الحضر، أما في السفر فكانت المحافظة منه على سنّة الفجر والوتر فإنه كان عليه الصلاة والسلام يحافظ عليهما حضراً وسفراً، والأفضل أن تُصلى الرواتب التي بعد صلاة الفريضة والوتر في البيت، فإن صلاها في المسجد فلا بأس، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:((**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**)). والمحافظة على هذه الركعات

من أسباب دخول الجنة لقول النبي صلى الله عليه وسلم:((**من صلى اثنتي عشرة ركعة في يومه وليلته تطوعاً بنى الله له بيتاً في الجنة**)).رواه مسلم في صحيحه. وإن صلى أربعاً قبل العصر واثنتين قبل صلاة المغرب واثنتين قبل صلاة العشاء فحسنٌ لأنه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك وعلى ركعتين أخريين بعد الظهر غير الركعتين الوارد مجموعهما ضمن اثنتي عشرة ركعة. والمحافظة على النوافل ومن قبلها السنن من أفضل القربات والطاعات بعد الفرائض. فليحرص المسلم على كل ما يقربه إلى الله عز وجل ليحوز على الأجر العظيم في يوم هو أحوج لحسنة واحدة يوم الجزاء والحساب، في يوم ليس فيه إلا الحسنات والسيئات.

هذا ملخص لصفة الصلاة ولم أورد الأدلة على كل قول أو فعل لأن خطبة الجمعة لا تحتمل الإطالة، والمهم في ذلك هو الخروج بالنتائج المبنية على الدليل الشرعي، ولم أتطرق إلى البدع والأمور المنهي عنها في الصلاة التي يفعلها بعض المصلين لأنها غالباً معلومة لدى كل مسلم مثل رفع البصر إلى السماء والالتفات في الصلاة والإقعاء والتخصر وفرقعة الأصابع داخل الصلاة وخارجها وغير ذلك من المنهيات، أما البدع فيطول الكلام عنها، وقد أكتفيت بهذا الملخص الذي رأيت كفايته في التطبيق للسنة ويؤدي المطلوب بإذن الله عز وجل، وأود التنبيه إلى أمور شاهدتها وعاصرتها حول بعض الأفعال أو الأقوال في الصلاة حيث بلغ الأمر عند بعض المتحمِّسين والمندفعين من الشباب وغيرهم إلى حَدِّ الموالاة والمعاداة، الموالاة لمن سلك طريقهم واتبعهم سواء على علم أو بدون علم، والمعاداة لمن خالفهم أو

ناقشهم ولم يستجب لآرائهم وأفكارهم، مع أن الأمر في غاية السعة والمرونة والسهولة ولا يجوز أن يصل بهم الأمر إلى العداوة وتلك التصرفات التي لا ترضي الله عز وجل بل يرضى بها الشيطان وأتباعه حينما يصل النزاع والخلاف بين المسلمين إلى هذا الحد عند أمور لا يترتب عليها بطلان صلاة أو عمل أو قول من أقوالها، ومنها جلسة الاستراحة عند القيام للركعة الثانية أو الرابعة، أو وضع اليدين وإرجاعهما على الصدر بعد الرفع من الركوع، أو مكان وضعهما على الصدر أو تحت السرة أو سدلهما أي مدّهما ووضعهما في الجانبين دون ضمّ لهما. وأيضاً تقديم اليدين على الركبتين أو العكس عند النزول من القيام إلى السجود أو عند النهوض والرفع من السجود إلى القيام أيهما يتم تقديمه، وهل يُسار حسب ظاهر الحديث وهل فيه قَلْبٌ للجمع بينه وبين حديث آخر بنفس المعنى، وكذلك الإشارة بالسبابة في التشهد هل تكون الإشارة عند النطق بعبارة:أشهد أن لا إله إلا الله، أو الإشارة عند الابتداء في كل جملة، أو عند الدعاء وقول: اللهم صَلِّ... إلى آخره، اللهم إني أعوذ بك من...،أو الإشارة المستمرة دون تحريك من أول التشهد إلى آخره، أو الإشارة مع عدم توقف الإصبع ثانيةً واحدةً، وهذا النوع من المصلين قد لا يفقه أحدهم مما يقول شيئاً إن كان ينطق بشيء مع أنه يُشغل الذين بجواره بتلك الحركات المتناهية في السرعة المؤدية إلى ذهاب الخشوع عن المصلين المجاورين له، وغالباً ما يكون هو فاقداً لذلك نظراً لاشتغاله بتلك الحركة الرهيبة السريعة التي تتحرك معها يده بكاملها وليس إصبع السبابة فقط، ومن الحركات التي ينبغي التنبيه إليها ملاحقة بعض

المتحمسين بأقدامهم من يجاورهم يميناً وشمالاً لسد الخلل في كل ركعة وبحركات هي في غاية ذهاب الخشوع وإشغال المصلين سواء من يقوم بها أو من يلاحقونه بأقدامهم لتتبع سد الخلل، أو التورك في المغرب والعشاء والظهر والعصر وهو بين المصلين في الصف خاصة عندما يكون سميناً ويؤذي بفعله هذا من يجاوره، وكذلك عندما يسمع أحدهم يزيد الواو في قول ربنا لك الحمد أو يزيد عليها الشكر كيف ينفعل بعد الصلاة على من قالها وقد يصل الأمر إلى مشادات كلامية، مع أن زيادة الواو وردت في حديث صحيح، وغير ذلك مما هو معلوم في الدعاء في السجود أو نهاية التشهد أو بعد صلاة الفريضة أو النافلة وغير ذلك مما يطول الكلام حوله، وأطلب من المسلمين أن يتفقهوا في دينهم سواء ذلك المنفعل المتحمّس أو ذلك الذي لا يعرف السنة أو لا يعمل بها جهلاً أو تساهلاً، وألا يصل بهم الأمر إلى القطيعة والجدل والخصومة والولاء والبراء على هذا الأساس وهذه الأمور البسيطة الخلافية إما في الكيفية والصفة أو في فهم المعاني والمقصود من الكلام الوارد حولها، عليهم وعلينا جميعاً أن نتفقه في دين الله ونتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الإخلاص أولاً وآخراً حتى يقبل الله منا أعمالنا حيث لا يقبل الله من الاعتقاد والأعمال والأقوال إلا ما كان خالصاً وصواباً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**)). وقال صلى الله عليه وسلم: ((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)).وفي رواية:((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)).أي مردود عليه. قال تعالى:((**أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ**ۚ

وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾)).[الشورى:21]، وقال عز وجل:((وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾)). [الحشر:7]،وقال تعالى:((فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾)).[النور:63]، وقال سبحانه:((قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾)).[آل عمران:31]، وقال الله جل جلاله:((فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾)).[الكهف:110].

اللهم فقهنا في ديننا وزدنا علماً وأعمالاً خالصة صواباً متقبلة يا رب العالمين وردنا إلى إسلامنا رداً جميلاً وألّف بين قلوب المسلمين وردّ كيد أعداء الإسلام والمسلمين في نحورهم يا ذا الجلال والإكرام، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد وآله وصحبه.

صلاة الرجال جماعة في المساجد

الخطبة الأولى **1405/6/2هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:فعلينا أن نقيم صلاتنا ونؤديها مع جماعة المسلمين في بيوت الله وحيث ينادى بها ما دمنا في زمن المهلة، ولنتعرف إلى الله في الرخاء لنجد المخرج في الشدة فإن من نسي الله نسيه، ومن أضاع أمره أضاعه.

يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم من منا عنده أمان من الموت حتى يتوب ويصلي ويركع مع الراكعين؟ أليس كل منا يخشى الموت ولا يدري متى يأتيه وهل يصبّحه أم يمسّيه؟ ألم يكن الموت يأخذ الناس بغتة وهم لا يشعرون؟ أما هجم على أناس في دنياهم وهم غافلون؟ أما بغت وفاجأ أناساً خرجوا من بيوتهم فما استطاعوا مضياً ولم يرجعوا إلى أهليهم؟ فمن منا أُعطي أماناً أن لا تكون حاله كحال هؤلاء؟

أيها المسلمون:وماذا بعد الموت الذي لا ندري متى يفاجئنا ؟ إنه ليس بعده عمل ولا استعتاب، ليس بعده سوى الجزاء على العمل الذي عملناه في هذه الدنيا.((**فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨**)).[الزلزلة:7، 8]. تذكروا قول الله تعالى:((**أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ**

وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾)).[فاطر:37]، لنغتنم المهلة والوقت والعمر الذي أعطاه الله لكل شخص منا وليعمل كل منا ويقدّم لنفسه قبل أن تأتي ساعة الندم ولات ساعة مندم.ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:((**تنقض عرى الإسلام عروة عروة وأول ما تضيع الأمانة وآخرها الصلاة**)).فالأمانة قد ضيعت حقاً ولا يَكاد يجد الناس إلا أشخاصاً معدودين في كل مكان يشار إليهم بالبنان لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبر عن علامات الساعة حيث لا يَكاد يوجد في القبيلة بأكملها غير شخصٍ واحدٍ،وها هي الصلاة نجد التهاونَ بها وتضْيِيعَها سواء بتركها بالكلية أو بعدم أدائها في جماعة، وإن مما يؤسف له ما نراه من حالنا في هذه الأيام حيث نجد المساجد في آخر صلاة الجمعة مملوءة ومزدحمة بالمصلين وليس في بداية الخطبة أو الصلاة، وفي الصلوات الخمس لا نجد إلا أعداداً قليلة من المصلين، من الطاعنين في السن وقلة من الشباب ومن المغتربين.

وأورد أدلة على وجوب صلاة الجماعة على الرجال في بيوت الله حيث يُنادى لها، أداءً للواجب وبراءة للذمة وإبلاغاً للحجة وخروجاً من الإثم، نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً ويوفقنا لطاعته، ويجنبنا جميع سخطه، ونسأله تعالى أن يحسن لنا جميعاً الخاتمة.

أيها المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من ربه إن مما أوجب الله على الرجال في صلاتهم أن يؤدوها مع جماعة المسلمين في المساجد،قال تعالى:((**وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾**

)).[البقرة:43]، وقال تعالى:((فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾)). [النور36-38]، فهذه طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهديه وتوجيهه للصحابة رضي الله عنهم. قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ((**من سرّه أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف**)).رواه مسلم رحمه الله.

إن المصلي مع الجماعة قائم بما فرض الله عليه، والمتخلف عن الجماعة بلا عذر عاصٍ لربه مخاطرٌ بصلاته، وإن من علماء المسلمين من يقول أن من ترك الصلاة مع الجماعة بدون عذر فلا صلاة له، مستدلّين بأحاديث صحيحة، منها: عن أبي بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال:قال رسول الله عليه وسلم:((**من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلم يجب فلا صلاة له**)).الحاكم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر**)).رواه ابن ماجة،وابن حبان في

صحيحه، والحاكم وقال:صحيح على شرطهما.ومعلوم العذر الشرعي الذي يباح معه للمسلم أن يتخلف عن صلاة الجماعة من مرض أو خوف أو مطر أو غلبة نوم أو حراسة ونحو ذلك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر . قالوا:وما العذر؟ قال: خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلّى**)).رواه أبو داود،وابن حبان في صحيحه،وابن ماجة بنحوه.ولنتأمل قول الله عز وجل في صفة صلاة الخوف حين لقاء العدو والتي فيها صفة صلاة الخوف جماعة، ولم يُعذر المسلمون في حال الخوف عن إقامتها جماعة، فكيف بالآمنين المطمئنين القابعين في بيوتهم هل يجدون عذراً بعد ذلك مع ورود الأحاديث الصحيحة الدالة على وجوب أداء الرجال لها في جماعة؟ قال تعالى:((**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾**))[النساء:102].وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**ما من ثلاثة في قرية ولا بدوٍ لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**)).رواه أحمد وأبو داوود والنسائي،وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم:((**لقد هممت أن آمر فتيتي فيجمعوا لي حزماً من حطب ثم آتي قوماً يصلّون في بيوتهم ليست بهم عِلَّةٌ فأحرقها عليهم**)).فقيل ليزيد بن الأصم:الجمعةَ عَنَى أو غيرها، قال:صُمَّتْ أُذُنَايَ إنْ لم أكنْ سمعتُ أبا هريرة يَأْثُرَهُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يَذْكُرْ جمعةً ولا غيرها.رواه مسلم وأبو داوود وابن ماجة،والترمذي مختصراً.وعن عمرو بن أم مكتوم رضي الله عنه قال: قلت:يا رسول الله، أنا ضرير شاسع الدار، ولي قائد لا يُلائِمني، فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟قال:((**أتسمع النداء؟**))قال:نعم، قال:((**ما أجد لك رخصة**)).رواه أحمد وأبو داوود وابن ماجة ،وابن خزيمة في صحيحه،والحاكم.وروى الإمام أحمد بإسناد جيد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المسجد فرأى في القوم رقةً فقال:((**إني لأَهُمُّ أن أجعل للناس إماماً ثم أخرج فلا أقدر على إنسان يتخلف عن الصلاة في بيته إلا أحرقته عليه**)) فقال ابن أم مكتوم يا رسول الله: إن بيني وبين المسجد نخلاً وشجراً ولا أقدر على قائد كل ساعة، أيسعني أن أصلي في بيتي؟ قال: ((**أتسمع الإقامة؟**)).قال:نعم.قال:((**فأتها**)).قال الخطابي بعد ذكر حديث ابن أم مكتوم:وفي هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب، ولو كان ذلك ندباً لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرورة والضعف ومن كان في مثل حال ابن أم مكتوم ، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أقبل ابن أم مكتوم– وهو أعمى وهو الذي أُنزل فيه:(**عبس وتولى، أن جاءه الأعمى**) وكان رجلاً من قريش– إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له:يا رسول الله بأبي وأمي أنا كما تراني قد دَبَرَتْ سِنِّي، ورقَّ

عظمي، وذهب بصري، ولي قائد لا يلائمني قياده إياي؛ فهل تجد لي رخصة أصلي في بيتي الصلوات؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**هل تسمع المؤذن في البيت الذي أنت فيه؟**)) قال:نعم يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ما أجد لك رخصة، ولو يعلم هذا المتخلف عن الصلاة في الجماعة ما لهذا الماشي إليها لأتاها ولو حبواً على يديه ورجليه**)).رواه الطبراني، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لينتهين رجال عن ترك الجماعة،أو لأحرقنّ بيوتهم**)).رواه ابن ماجة. إن الحجج قائمة وكثيرة في هذا الزمان على ابن آدم، فالساعات في الأيدي وعلى الجدران في كل غرفة من المنزل، والتقويم، وسماع الأذان، والتذكير بأوقات الصلاة في الإذاعة والتلفاز، عدا مكبرات الأصوات التي هي من أكبر الحجج القائمة عليه. إن الصلاة مع الجماعة نشاط وطمأنينة، والتخلف عنها كسل وإسراع بها غالباً بدون طمأنينة ينقرها المصلي نقر الغراب وربما أخّرها عن وقتها، إن صلاة الجماعة تجلب المودة والألفة وتنير المساجد بذكر الله وتَظْهَرُ بها شعائرُ الإسلام، وبها يحصل التعارف بين كثير من المسلمين، وفيها تعليم الجاهل وتذكير الغافل ومصالح كثيرة، أرأيتم لو لم تكن الجماعة مشروعة فماذا تكون حال المسلمين؟ الأمة متفرقة، والمساجد مغلقة، وليس للأمة مظهر جماعي في دينهم، ومن أجل ذلك كان من حكمة الله ورحمته أن أوجبها على الرجال جماعة في المساجد،فاشكروا الله أيها المسلمون على هذه النعمة، وقوموا بهذا الواجب واستحيوا من ربكم أن يفقدكم حيث أمركم واحذروا عقابه ونقمته أن يجدكم حيث نهاكم.

صلاة الرجال جماعة في المساجد

الخطبة الثانية

الحمد لله شرع لعباده الشرائع وأكملها وبين حدودها وفروضها وسننها ولم يترك عباده في حيرة من دينهم ولا في نقص من عباداتهم بل بيّن لهم الدين وأكمله فلم يمت نبيّه حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فلله الحمد والنعمة وله الشكر والفضل والمنة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعد:فلقد وردت أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم ترغّب في صلاة العشاء والصبح خاصة في جماعة وكذلك الترهيب من التأخّر عنهما أذكرها لعل القلوب المؤمنة تصحو وتنتبه من غفلتها ويرجع المسلمون إلى ربهم ويستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم ويعمروا مساجد الله بالصلوات المفروضة ويتأملوا قول الله تعالى:((**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾**)).[النور36-38]. عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله**)).رواه مسلم، وفي

رواية أبي داوود والترمذي:((**من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة**)).وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرّق عليهم بيوتهم بالنار**)).رواه البخاري ومسلم وفي آخر رواية مسلم:((**ولو علم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً لشهدها، يعني صلاة العشاء**)).وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:((**كنّا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن**)). وذلك من أجل أن صلاتي الفجر والعشاء هي أثقل صلاة على المنافقين كما أخبر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم. وعن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال:صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً الصبح فقال:((**أشاهدٌ فلان؟**)) قالوا: لا، قال:((**أشاهد فلان؟**)) قالوا: لا، قال: ((**إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبواً على الركب**...))الحديث رواه أحمد وأبو داوود والنسائي ،وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم. وعن سمرة ابن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله**)).رواه مالك،ومسلم واللفظ له.وعن سمرة بن جندب أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله تعالى**)).رواه ابن ماجة بإسناد صحيح، ورواه أيضاً من حديث

أبي بكر الصديق رضي الله عنه وزاد فيه:((**فلا تخفروا الله في عهده، فمن قتله طلبه الله حتى يكبه في النار على وجهه**)).رواه مسلم أيضاً من حديث جندب، وعن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثْمة: ذكَرَ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح، وأن عمراً غدا إلى السوق، ومسكن سليمان بين المسجد والسوق، فمرّ على الشِّفاء أمّ سليمان فقال لها:لم أَرَ سليمان في الصبح ؟ فقالت له:إنه بات يصلي فغلبته عيناه ، قال عمر:(لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إليّ من أن أقوم ليلة).رواه مالك.لأن الفريضة أهم من النوافل، فالمحافظة على صلاة الجماعة وخاصة الصبح أفضل من التطوع، هكذا تعلم الخلفاء الراشدون والصحابة رضي الله عنهم أجمعين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفتقدون ويسألون عمن يتخلف عن صلاة الجماعة كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبلهم. والذي يعتاد المساجد ويشهد الصلاة جماعة ويحافظ عليها فهو مؤمن حقاً بإذن الله كما ورد ذلك من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان)).قال الله عز وجل:(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**))).رواه الترمذي. فعندما يتخلف هذا المؤمن عن الصلاة يعلمون أنه لم يتخلف إلا لعذر من مرض أو سفر أو نحوهما فيسألون عنه ليقوموا بالواجب نحوه في مرضه أو سفره، وإذا ما تخلف رجل وكثر تخلّفه عن الصلاة وخاصة العشاء والفجر ولم يكن له عذر المرض أو السفر أو الخوف وغيره فيعلمون أنه منافق يجب الحذر منه والابتعاد عنه إن هو أصرّ على

ذلك بعد بذل النصيحة له، والصلاة مع الجماعة مظهر من مظاهر شعائر الدين الإسلامي الذي يكشف المؤمن من المنافق في أي زمان ومكان.علماً بأن المريض أو المسافر يُكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل في حال إقامته وصحته سواء في حضور صلاة الجماعة أو السنن أو النوافل الأخرى أو الصيام أو قراءة القرآن أو غير ذلك من أنواع القرب والطاعات،وهذا يشمل الذكر والأنثى وإنما ذكرت هذا هنا للاستشهاد به على الحضور إلى المساجد والصلاة فيها والذكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً**)).البخاري. وليبشر المسلم بالأجر العظيم لخروجه لصلاة الجماعة وخاصة مع المشقة ومن كان منزله بعيداً عن المسجد وفي الظلام إشارة لصلاتي العشاء والفجر وإن كان المغرب يدخل في الظلام بعد الصلاة وفي بداية الليل قبلها لأن عموم الظلام يدخل فيه الصلوات الثلاث المغرب والعشاء والفجر وقيام الليل في رمضان والخسوف أو صلاة الليل منفرداً في الأماكن التي تكون فيها المساجد مفتوحة للعبادة، مع أن المشقة والظلام في أكثر بلادنا معدومة إلا ما ندر لوجود الإنارة والسيارات والشوارع والطرق الممهدة، وإن وجد ذلك في بعض ديار المسلمين الآن، وقد يوجد الظلام والمشقة حتى في المدن لمن تأمل ذلك. عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**من مشى في ظلمة الليل إلى المساجد لقي الله عز وجل بنور يوم القيامة**)) الطبراني وابن حبان.وعن سهل بن سعد الساعديِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**بشّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور**

التام يوم القيامة)).رواه ابن ماجة وابن خزيمة، والحاكم واللفظ له وقال صحيح على شرط الشيخين. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم:((**إنه قد بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد**)) فقالوا: نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك،فقال:((**بني سلمة ديارَكم تُكتب آثارُكم، دياركم تكتب آثاركم**)).**وفي رواية**:((**إن بكل خطوة درجة**)).رواه مسلم رحمه الله ورواه البخاري رحمه الله بمعناه من رواية أنس رضي الله عنه، بنو سَلِمَةَ: بكسر اللام قبيلة معروفة من الأنصار رضي الله عنهم، وآثارهم: خُطَاهم، ديارَكم:بفتح الراء أي إلزموا مساكنكم التي أنتم فيها وابقوا فيها ولا تنتقلوا. وعن أبي المنذر أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال:كان رجل من الأنصار لا أعلم أحداً أبعد من المسجد منه وكانت لا تخطئه صلاة، فقيل له أو فقلت له: لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء؟ فقال: ما يَسُرُّني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**قد جمع الله لك ذلك كله**)).رواه مسلم،وفي رواية: ((**إن لك ما احتسبت**)).الرمضاء:الأرض التي أصابها الحر الشديد، ومعلوم حرّ المدينة النبوية في الصيف. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد،فأرادوا أن يقتربوا فنزلت:((**ونكتب ما قدموا وآثارهم**)).فثبتوا.رواه ابن ماجة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً**)). رواه أحمد

وأبو داوود وابن ماجة والحاكم. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها مَمْشىً فأبعد**)).جزء من حديث رواه البخاري ومسلم. ويُكتب الأجر حتى لذلك الذي خرج إلى الصلاة ووجد الناس قد انتهوا من صلاة الجماعة فبذلك ورد الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم وهذا من فضل الله وكرمه على عباده المؤمنين ورحمته بهم حيث تكتب للمصلي كل خطوة بحسنة والحسنة بعشر أمثالها ويحط بها سيئة ويرفع له بها درجة.عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من توضأ فأحسن وضوءه ثم راح فوجد الناس قد صلوا أعطاه الله مثل أجر من صلاها وحضرها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**)). رواه أبو داوود والنسائي والحاكم وقال:صحيح على شرط مسلم.

فيا أيها الرجال من المسلمين ارجعوا إلى ربكم وتوبوا إليه واعمروا مساجد الله بدلاً من الجلوس أمام القنوات الفضائية والاشتغال باللهو واللعب وعدم الحضور لصلاة الجماعة أو التأخر عنها حتى من الحريصين على أدائها بحيث تفوتهم لانشغالهم بشبكة المعلومات لئلا يفوتهم ما يريدون من خير أو شرّ، فقد دخل الشيطان حتى على الحريصين على صلاة الجماعة فتجد أحدهم لا يلحق إلا آخر الصلاة وقد تفوته في أغلب الأحيان، فما بالنا ببقية الناس وعامتهم من الذين لا يأتون المساجد إلا في رمضان أو في الجمع أو في المناسبات أو كما يفعل الطلاب أيام الاختبارات. فاتقوا الله أيها المسلمون واعلموا أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً، وحافظوا على صلاة الجماعة

على الدوام وليس في المناسبات ووقت الأزمات قبل أن تأتي ساعات الندامة والحسرات. فالتوبة التوبة والله يقبل توبة التائبين ويغفر ذنوب المذنبين ويبدل التائبين الصادقين حسنات عن إساءاتهم السابقة إن هم صدقوا في توبتهم.قال تعالى:((إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾)).[الفرقان:70]، وقال عز وجل:((قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾)).[الزمر 53-59].

تسوية الصفوف في الصلاة ووقوف المأموم

الخطبة الأولى 1410/10/9هـ ، 1415/1/22هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبدالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله.

أما بعد: فإنه مما ينبغي أن يعلمه المسلم ويعمل به في أمور الصلاة تسوية الصفوف وإتمامها والمحافظة على ذلك، ومما يؤسف له في الآونة الأخيرة وفي واقع المسلمين هو التهاون في هذا الأمر. ومن الواجب في النصيحة للمسلمين عامة إبراء الذمة بإبلاغ الحجة وقيامها على من أراد العمل ومن لم يرد. ومن إتمام الصلاة وإقامتها تسويةُ الصفوف والتَّرَاصُّ فيها وإتمامُ الصفوف الأول وسدُّ الفرج، وبذلك وردت أحاديث عن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم. منها ما يلي:عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**)).رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، أي لو يعلمون ما في ذلك من الأجر العظيم لكان ذلك قرعة بينهم، لأن الأذان مرة واحدة لكل صلاة، والصف الأول لا يتسع لكل من في المسجد، فلو يعلمون حقيقة ما فيهما من الأجر والثواب لجرت بينهم القرعة والمداولة لينال كل منهم نصيبه وحظه الأوفر، ولكن الجهل بما فيهما من الأجر جعل أكثر الرجال من المسلمين يزهدون فيها ويتأخرون عن الحضور إلى المساجد في وقت مبكر ليحجز أحدهم مكانه ويجلس فيه ينتظر أداء الصلاة مع الجماعة ويؤدي السُّنَّة سواء كانت تحيةً للمسجد أو سنةً مؤكدةً أو مستحبةً قبل الصلاة ويقرأ القرآن الكريم فله بكل حرف عشر حسنات أو يذكر الله عز وجل ويستغفره ويتوب إليه بما يعرف ويعلم مما ورد في الأحاديث الصحيحة. وفي الحديث الصحيح الآخر يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها**

، **وشرها أولها**)).رواه مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة رحمهم الله جميعاً، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول، أو الصفوف الأُوَل**)).رواه أحمد رحمه الله. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**)).قالوا:يا رسول الله: وعلى الثاني؟ قال صلى الله عليه وسلم:((**إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول**)).قالوا: يا رسول الله: وعلى الثاني ؟ قال: ((**وعلى الثاني**)).رواه أحمد والطبراني وغيرهما.

ونجد بعض المسلمين هداهم الله يأتون في اللحظات الأخيرة وحين إقامة الصلاة ويدفع أحدهم هذا ويؤذي ذاك ويتخطى رقاب الناس خاصة في صلاة الجمعة ليصل إلى الصف الأول بعد أن يؤذي عباد الله إما بتخطي الرقاب المنهي عنه أو بمزاحمة من يقف بجانبه في الصف خاصة إن كان المكان لا يتسع له ويعتقد أنه يحصل على الأجر مثل الذي قد حضر من ساعات ينتظر الصلاة، والحقُّ أنهما لا يستويان ، وفضل الله يؤتيه من يشاء، فمن كان متأخراً فعليه أن يسعى لسدّ خلل أي صف من الصفوف وأي فرجة يراها ليحصل على الأجر في ذلك إن شاء الله إذا كانت هناك فرجة تكفيه دون مزاحمة ، أما إن كان يريد أجر الصف الأول فعليه المبادرة في وقت مبكر إن كان لصلاة الجمعة أو للفروض الأخرى. وعلى العكس من ذلك نجد بعض المصلين يحضرون في وقت مبكر ويوجد الفراغ في الصف الأول والثاني ويجلس في مؤخرة المسجد إما ليكون أول الخارجين من المسجد

أو لجهله بفضل الصف الأَوَّلِ والصفوف الأُوَلِ عموماً أو لعدم رغبته في الأجر، وهذا حرمان والعياذ بالله ، وقد يكون ذلك من طلبة العلم حيث يتركون الصفوف الأول وخلف الإمام للأطفال وصغار السن أو للعامة من الناس الذين لا يُفيدون الإمام شيئاً فيما لو أراد استنابة أحدهم لأمرٍ ما ، أو للردّ عليه والفتح في القراءة أو السهو في الصلاة بل قد يُشَوِّشُون عليه ويَتَسَرَّعُون في الرَّدِّ والفتح وغير ذلك مما هو معلوم.وحالةٌ بين الإفراط والتفريط ولم أَرَ القصدَ فيها إلى الآن في واقع المصلين وهي تسوية الصفوف وكيفية الوقوف في الصف وتطبيق المسلمين وفهمهم لذلك وتفريقهم بين صلاة وأخرى أو مجتمع الرجال والنساء . فنجد أنهم يقفون زمراً أو مجموعات منفردة في صلاة العيدين،وكل مجموعة يكوِّنُون لأنفسهم صفاً متقدماً أو متأخراً عمَّن يجاورهم، وقد يكونون هم على اختلاف وقد ينحرف بعضهم عن اتجاه القبلة ولا يبالون أو يصفون بمحاذاة الإمام من جهة اليسار أو متقدمين عنه من الناحيتين ، وبلغ بهم الأمر إلى أن يُصَلُّوا على الرصيف الأمامي قبل الإمام أو تَصُفَّ النساء قبل الرجال ويصلي الرجال خلفهن في مصليات العيد وحتى في المسجد الحرام وفي نمرة يوم عرفة وفي مسجد الخَيْفِ في منى وغيرها من أماكن التجمعات الكبيرة ، وهذا العمل منهم في غاية التهاون في دين الله خاصة في مصليات العيد في المدن ، وقد يكون لبعضهم العذر في الحرم في الحج وأواخر رمضان ، مع أن المشروع هو التمسك بالسنة ، ونرى أيضاً عدم المبالاة من بعض الناس في تسوية الصفوف عندما يحضرون صلاة الجمعة والجماعة فنجد أحدهم ينظر

إلى السقف أو الجدار الأمامي وما فيه وعليه أو ينظر خلفه ولا يعلم عن تقدمه أو تأخره هو في الصف ولا يلين في يد أخيه عندما يجرّه إليه ويرشده إلى تسوية الصف ، وكذلك الحال في صفوف النساء عندما يحضرن المساجد ، ومن المصلين من يجعل المسافة بين رجليه قدر متر أو أكثر أو ما يساوي عرض كتفيه مرتين أو ثلاثاً لئلا يقرب أحد منه وليترك فرجة للشيطان يريد السعة له والبحبوحة في المكان، وهذا خلاف السنة ومنهم من يضمّ رجليه وقدميه ولا يلزقهما بمن يجاوره ، ومنهم من يلاحقك برجله لسد الفرجة إن أبعدتها عنه لأمرٍ ما، فلا هو يعقل صلاته ولا المجاور له أيضاً حتى يذهب الخشوع عن الجميع بهذا الصنيع ، ومنهم من يُفَرِّجُ بين ركبتيه في الجلسة بين السجدتين أو للتشهد مرتين أو ثلاثاً عن عرض كتفيه ومنكبيه ومكانه الواقف فيه ويؤذي من يجاوره في اليمين والشمال ، ومن يقع بين اثنين من هذا الصنف إن كان في الجلوس أو الوقوف لا يكاد يصدق بانقضاء الصلاة وهو سَالِمٌ من أمور يعرفها هو وغيره وخاصة إن كان مريضاً أو يتأذى من ذلك ويحتاج هو إلى توسعة في مكانه. وفي الركوع أيضاً لا يعرف بعض المسلمين أن عليه أن يحاذي بين رأسه وظهره بحيث يكونان في مستوى واحد، فنجد أحدهم يخفض رأسه مما يضطره إلى جعل المرفقين في صدر من يجاوره يميناً وشِمَالاً ، وكذلك الحال في السجود يجافي عَضُدَيْهِ عن جسده بحيث يؤذي المجاوريْن له ، أو يتورَّك أي يُخرج قدمه اليسرى من تحت ساقه اليمنى جهة ظهر القدم الأيمن ويجلس على فخذه الأيسر في التشهد الأخير، وإن كان ذلك من السنة في الركعة الأخيرة من الرباعية أو الثلاثية

للإمام والمنفرد ومن كان في طرف الصف من المأمومين وله سعة ، أما المأموم الذي يتأذى به من يجاوره فلا يُشْرع فعلُه هذا، وقد يتكئ ويضغط على من يجاوره من الناحية اليسرى ويؤذيه خاصة إذا لم يكن في الصف سعة أو كان هو سميناً وبديناً ، فهذه الأمور التي ذكرت وغيرها مما ينبغي للمسلم مراعاتها في الصلاة سواء فيما يتعلق بإتمام الصلاة وإقامتها أو ما كان ضرراً ومضارة للآخرين وهي في الحقيقة مُذْهِبةٌ لإتمام الصلاة وإقامتها حيث يذهب معها الخشوع في الصلاة ، ويوسوس الشيطان للمجاور طوال الصلاة ماذا يفعل مع هذا الشخص؟ وأقلّ ما فيه أنه يفكّر كيف ينصحه في ذلك العمل إن لم يصل الأمر بعد الصلاة إلى المشَادَّات الكلامية كما سمعنا مرات ومرات.

ومن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعلقة بتسوية الصفوف وسد الفرج وغيرها ما ورد في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**سوّوا صفوفكم ، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة**)).رواه البخاري ومسلم، وفي رواية للبخاري:((**فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة**)).وإقامة الصلاة تشتمل على أمور عدة منها تسوية الصفوف لأن الله عز وجل لم يقل: صَلُّوا،أو يُصلُّون بل جاء في القرآن إقامتها:كما قال تعالى:((وأقيموا الصلاة)).((ويقيمون الصلاة)).((وأقاموا الصلاة)). وقال صلى الله عليه وسلم:((**سوّوا صفوفكم، وحاذوا بين مناكبكم، ولينوا في أيدي إخوانكم، وسددوا الخلل، فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف**)).رواه أحمد والطبراني وغيرهما، والحذف أولاد الضأن الصغار.وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي

ناحية الصف ويسوّي بين صدور القوم ومناكبهم ويقول:((**لا تختلفوا فتختلف قلـوبكم، إن الله وملائكتـه يصـلون علـى الصـف الأول**)).رواه ابـن خزيمـة في صحيحه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: ((**أقيمـوا الصـفوف، وحـاذوا بـين المناكـب وسـدوا الخلـل، ولينـوا بأيـدي إخوانكم، ولا تذروا فرجات الشيطان، ومن وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفاً قطعه الله**)).رواه أحمد وأبو داوود والنسائي وابن خزيمة، الفرجات: جمع فُرْجَة، وهـي المكـان الخـالي بـين الاثـنين ولـيس قـدر الأصـبع أو أقـل كمـا يعتقـده المتنطعون.ويُعَادُون ويكرهون من يخالفهم أو يناقشهم في ذلك. وعن جابر ابـن سمرة رضـي الله عنـه قـال: خـرج علينـا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فقـال:((**ألا تَصُفُّون كما تصف الملائكة عند ربها؟**)) فقلنا: يا رسول الله وكيف تصـف الملائكـة عنـد ربهـا؟ قـال:((**يُـتِمُّ ّون الصـفوفَ الأُوَلَ، ويَتَرَاصُّـون في الصـف**)).رواه مسلم وأبو داوود والنسائي وابـن ماجـة، وقـال عليـه الصلاة والسلام:((**أحسنوا إقامة الصفوف في الصلاة**)).رواه أحمد، وكما جاء الترغيب في تسـوية الصـفوف وإتمامهـا فقـد جـاء الترهيـب أيضـاً في عـدم التسـوية ، ومنهـا:عن النعمـان بـن بشـير رضـي الله عنهمـا قـال: سمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسلم يقول:((**لَتُسَوُّونَّ صفوفكم، أو لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بين وجوهكم**)).رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة.وفي رواية لأبي داوود وابـن حبـان في صـحيحه قـال: أقبـل رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم علـى النـاس بوجهـه فقـال:((**أقيمـوا صـفوفكم، أو ليخـالفن الله بـين قلوبكم**)).وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال:قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم:((**خياركم ألينكم مناكب في الصلاة، وما من خطوة أعظم أجراً من خطوة مشاها رجل إلى فرجة في الصف فَسَدَّها**)).رواه البزار بإسناد حسن،وابن حبان في صحيحه كلاهما بالشطر الأول، ورواه الطبراني في الأوسط. وليتنبه لهذا الحديث أولئك الذين يغرزون مناكبهم عند مفصل المرفقين كأنها الرماح في جنوب من يجاورهم في الصلاة وقوفاً وركوعاً وسجوداً، وسدُّ الفُرَجِ والخَلَلِ ووصْلُ الصفوف لا يعني مضايقة الآخرين وأذيتهم والتسبب في عدم الخشوع لدى الجميع خاصة ممن يجاورهم بمناكبهم ومرافقهم أو بملاحقتهم بأقدامهم لإلصاقها بأقدام المجاورين وتحسّسها كل لحظة كما يفهمه من قلَّ فِقْهُهُ في الدين وأشغل نفسه في صلاته وأشغل غيره، وقد أشرتُ إلى هذا في صفة الصلاة وهيئتها وأورد هذا الحديث التالي لكي يتعلم منه ومن غيره من الأحاديث قليلو الفقه في الدين ليعلموا الحكمة من وراء كل حديث ويجمعوا بين الأحاديث ويعلموا المقصود منها ويطبقوها بحكمة ورويّة وفقهٍ مصحوبٍ بحسن النية عند تطبيق السنة مع الإخلاص لله رب العالمين وطلب القبول من الله جل جلاله. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عيه وسلم:((**من ترك الصف الأول مخافة أن يؤذي أحداً أضعف الله له أجر الصف الأول**)).رواه الطبراني في الأوسط.فهل يفهم أحد من هذا الحديث أو من الحديث السابق((**خياركم ألينكم مناكب في الصلاة**)).هل يفهم منهما أو من أحاديث أخرى بأنها الشدة والغلظة والمضايقة وأذية الآخرين وإذهاب الخشوع عنهم وإشغالهم بهذه المفاهيم الخاطئة التي لا تدل على أي فقه في دين الله ؟ وهل ورد نص صريح واضح فيما يُقدمون عليه؟ أم أنها

تفسيرات خاطئة لنصوص واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار وبلغة عربية فصحى لا تحتاج إلى هذه التفسيرات والتأويلات البعيدة كل البعد عن المقصود منها، ولم أجد حديثاً صريحاً صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤيد ما ذهبتْ إليه تلك الأفهامُ أو تلك الاجتهاداتُ التي ألزمت الناس بإلزاق الأقدام من المقدمة والمؤخرة والأكعب ومعها الركب والمناكب في وقت واحد حال الوقوف في الصلاة ، فهذا مفهوم خاطئ لمن أوّل بعض ألفاظ الأحاديث حتى قالوا: يلزق الرجل منكبه بمنكب صاحبه، وركبته بركبته، وكعبه بكعبه ، فإذا كان إلزاق القدم بالقدم ممكناً مع ما فيه من التكلف لأنه لا يمكن أن يلزق قدميه بقدمي المجاوريْن له إلا مع إعوجاج للقدمين لأنَّ مؤخرةَ القدم ليست كمقدمته فلا يمكن مطابقتهما وتساويهما في وقت واحد، فأقول إذا كان ذلك الإلزاقُ ممكناً فإنه لا يمكن أن يحصلَ إلْزَاقُ الكعبين في نفس الوقت إلا مع رفع بعض باطن القدمين عن الأرض هذا إذا كان قَدَمَا المجَاوِرَيْنِ بنفس الطول، فكيف إذا كان هذا الشخص الذي في الوسط كبيراً وعريضاً في جسمه والذي عن يساره في العاشرة من عمره ، والذي في اليمين قصير القامة وإن كان مثله في العمر، فهل يمكن أن تنطبق قدماه مع من في يمينه وشِمَالِهِ من أولها إلى آخرها؟ وهل يمكن إلزاق كعبيه بكعبي المجاوِرَيْن له، إنه لا يمكن أن يلزق الكعبين مع كعبي من يجاوره بأي حال من الأحوال لأن الكعبين الواردين في الآية هما العظمان الناشزان فوق القدمين وليسا أسفل القدمين مما يلي الأرض. فليحذر المسلم من الإفراط أو التفريط وعليه بالاعتدال والوسطية في الأمور كلها دون تكلف

لفهم المعاني التي تبعدها عن مقاصدها، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

سدُّ الفُرَجِ وإتْمَامُ الصفوف

الخطبة الثانية

الحمد لله والشكر له عز وجل على آلائه ونعمائه الظاهرة والباطنة أحمده سبحانه وأشكره حمداً وشكراً يليقان بجلاله وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال:كنا إذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه فسمعته يقول:((**رب قني عذابك يوم تبعث عبادك**)).رواه مسلم، وعن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف**)).رواه أبو داوود وابن ماجة بإسناد حسن. وعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**إن الله وملائكته يُصَلُّونَ على الذين يَصِلُونَ الصفوف**)).رواه أحمد وابن ماجة، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما،والحاكم وقال:صحيح على شرط مسلم، وزاد ابن ماجة:((**ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة**)). وقد تقدم الحديث الذي فيه قوله صلى الله عليه وسلم:((**من وصل صفاً وصله الله، ومن قطع صفا قطعه الله**)).رواه أحمد وأبو داوود والنسائي وابن خزيمة، وعن البراء بن عازب

رضي الله عنه قال:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف الأول، وما من خطوة أحب إلى الله من خطوة يمشيها العبد يصل بها صفاً**)).رواه أبو داوود وابن خزيمة ، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**خطوتان إحداهما أحبُّ الخطا إلى الله، والأخرى أبغض الخطا إلى الله ، فأما التي يحبها الله عز وجل فرجل نظر إلى خلل في الصف فسدّه، وأما التي يبغضها الله فإذا أراد الرجل أن يقوم مدّ رجله اليمنى ووضع يده عليها وأثبت اليسرى ثم قام**)).رواه الحاكم، وقال:صحيح على شرط مسلم. ومن الأمور التي ينبغي ملاحظتها والفقه فيها الصلاة في مَيْسَرَةِ الصفوف حيث زَهِدَ ورَغِبَ بعض المسلمين عن ذلك ويصلون في اليمين دائماً، ومما لا شك فيه أن الصلاة في اليمين أفضل وخاصة لمن يبادر بالحضور المبكر ليحوز على الأجر العظيم، وميسرة الصف الأول خير من يمين الصف الثاني لورود ما يدل على ذلك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كانت ميامن الصفوف حتى وإن كانت متأخرة خيراً من الميسرة وإن كانت متقدمة لما وردت الأحاديث بالترغيب في الصفوف الأول للرجال والترهيب من التأخر في الصفوف، ولكانت المساجد مبنية ومصممة على أن يكون الصف عن يمين الإمام وهو في آخر الصف من اليسار، ولما كان هناك معنى من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والتي سبق ذكر بعضها، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم:((**وَسِّطُوا الإمام**)).والحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**مَنْ عَمَّرَ جانب المسجد الأيسر لقلة أهله فله أجران**)).رواه الطبراني في الكبير. وعن الذين يكونون في الصفوف

الأولى وخاصة وراء الإمام والترهيب من تأخر الرجال في الصفوف وردت أحاديث منها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: ((**اسْتَوُوا ولا تختلفوا فتختلفَ قلوبُكم، لِيَلِيَنِي منكم أُولوا الأحلام والنُّهَى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**)).رواه مسلم وغيره، فمما ينبغي مراعاته لمن يُحْضِر أبناءَه الصغار إلى المسجد وخاصة مَنْ كان دون سِنِّ التمييز أن يعلمهم آداب الصلاة والحضور إلى المساجد وأين يقفون في الصفوف ، فعلى الأبناء أن يتأخروا خلف صفوف الرجال لما سبق ذكره في الحديث السابق، وإن كان لا بُدَّ لأحدهم أن يوقف ابنه بجانبه فعليه أن يكون هو في طرف الصف من جهة اليمين أو اليسار ويوقف ابنه بجانبه جهة الجدار لئلا يُشْغِلَ المأمومين بجانبه يميناً وشمالاً ويُذْهِبَ عنهم الخشوع في صلاتهم لما يحدثه من حركات وغيرها، وليكون الاشتغال به من جانب الأب فقط وليلاحظ ما يحصل منه من أجل توجيهه وإرشاده. عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في أصحابه تَأَخُّراً فقال لهم:((**تقدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، ولْيأتَمَّ بكم مَنْ بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يُؤَخِّرَهُمُ الله**)).ولْيَفْهَم هذا الحديث من يصلي في مؤخرة المسجد في الجمعة ويكون متقدماً حتى يخرج مبكراً قبل غيره ويرغب عن الأجر في الصفوف الأول. ولننظر إلى صفوف الجنود والعسكريين في أي قطاع عندما يقفون صفوفاً أو يمشون وهم يقفون أمام البشر وحسب تنظيماتهم وإن كان قد وردت تسوية صفوف الجنود المجاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقول إن اهتمامهم بتسوية

الصفوف وعدم خروج أي شخص عن الصف وهم يقفون ويمشون ويتدرّبون أو يؤدّون عروضاً عسكرية أمام البشر إن ذلك الاهتمام وأكثر منه يجب أن يكون من المسلم عندما يقف بين يدي ربه عز وجل في الصلاة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسبب الحقيقي وراء هذه الاختلافات والمفاهيم هو أنه لم توجد أي جهة فيما أعلم من مجتمعات المسلمين مدرسة أو مسجد أو وسيلة إعلامية تطبق ذلك عملياً أمام أعين الناس وترشدهم وتوجههم حتى في الفصول الدراسية في المدارس الحكومية أو الأهلية الخاصة أو الخيرية، فلا زال الأمر من القديم إلى الحديث نظرياً على كل المستويات، ويتوارثه الأفراد عن الآباء والأجداد من الناحية العملية ، هذا إن قاموا به أمام أولادهم الذكور والإناث ، أما العملي في المساجد فلا يتعدى أن يقول الإمام وهو في المحراب: استووا، اعتدلوا، وقليل من يقول: أتِمُّوا الصفوف، وسُدُّوا الخَلَلَ، وكثير من الأئمة يقول أحدهم هذه العبارات وهو مستقبل القبلة ولا يلتفت بل يتكلم عبر لاقط الصوت ثم يكبر تكبيرة الإحرام، وقليل من يلتفت إلى المأمومين ويرشدهم ويوجههم، وقد يتذمّر بعض المصلين من هذا الصنف من الأئمة، فعلى الجهات المسؤولة عن توجيه الناس وإرشادهم في كل بلد إسلامي في المدارس والمعاهد والجامعات ووسائل الإعلام، عليها أن تولي الصلاة جُلَّ عنايتها واهتمامها من ناحية التطبيق العملي صفةً وهيئةً وقوفاً وركوعاً وجلوساً وقراءةً وخشوعاً للمنفرد وللإمام والمأموم وخاصة كيفية الوقوف في الصفوف وتسويتها وإتمامها وسدّ الخلل فيها مع عدم أذية الآخرين الواقفين ضمن تلك الصفوف في أي هيئة وكيفية وصفة للصلاة،

وإني لآمل وأنتظر من الفضائيات في بلاد المسلمين أنْ تهتمَّ بهذا الجانب المهِمّ في حياة المسلمين كما أنهم تفضلوا بنقل شعائر صلاة التراويح من الحرمين الشريفين أو تلك الفضائيات التي تنقل الصلاة الجهرية يومياً منهما والجمعة خطبة وصلاة ، أو تلك التي تقوم بتعليم الناس القرآن الكريم عن بُعْدٍ تطبيقاً عملياً ، وهذا أمر محمود وخطوة مباركة كما ينقلون هذا للعالم بأسره ولهم من الله الأجر والمثوبة إني لأتطلع لليوم الذي تنقل فيه الفضائيات تطبيق الصلاة العملي والوضوء مع الدليل الصحيح لكل فعل وقول، وكما أدّت وسائل الإعلام بعضاً من دورها الإسلامي في الجوانب السابقة وقامت بذلك فإن الأمل معقود على شبابها ودعاتها المخلصين أن يقوموا بدورهم في هذا وأَخُصُّ القنوات الإسلامية، وكذلك في الحج والعمرة حتى يتمَّ البَثُّ عَبْرَ الفضائيات للتطبيق العملي لكي يستفيد الناس قبل أن يأتوا إلى المشاعر المقدسة وحتى تسهل عليهم أعمال الحج والعمرة لأنهم بذلك قد أخذوا فكرة واضحة متكررة أمام أعينهم في جميع بقاع الأرض ثم يأتون وقد تيسّر عليهم التطبيق العملي بإذن الله عز وجل، وخلاصة القول فعلينا معرفة وتطبيق آداب الصلاة عند دخول المسجد واختيار الصّف ومروراً بالقيام في الصلاة تسويةً للصفوف وقوفاً وركوعاً وسجوداً وجلوساً حتى انتهاء الصلاة والخروج من المسجد والمرور بين يدي المصلي وغيره والذي يأتي في حينه إن شاء الله تعالى. وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد وآله

.

الخشوع في الصلاة

الخطبة الأولى 1413/4/13هـ ، 1422/3/16هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد:فإن الخشوع أمر مطلوب من المسلم في مقامات العبودية المتعددة في الصلاة والصيام والحج والعمرة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والصدقة وغير ذلك من المقامات التي ينبغي أن يكون الخشوع ملازماً لها، الخشوع بمعناه الشرعي الواسع المصاحب للأمور التعبدية التي يُظهر فيها العبدُ المسلمُ الذلَّ والانكسارَ والخضوعَ والتواضعَ والاستكانةَ والتطامنَ، وليس كما يفهمه بعض الناس ويقصرونه على الخشوع الظاهر على الشخص في الصلاة، إنما هو أوسع من ذلك، وأصلُ الخشوع لينُ القلب ورقَّتُه وسكونُه وخضوعُه وانكسارُه وحرقتُه، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء مثل السمع والبصر واللسان وغيرها من الجوارح والأعضاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب**)).البخاري ومسلم وابن ماجة والدارمي. والناس في مقامات متعددة يخشعون ويذلون وينكسرون

وينيبون إلى ربهم سواء اختاروا ذلك لأنفسهم وهو الأجدر بهم أو عَرَض لهم وقُدِّر عليهم في أزمنة وأمكنة ومواقف معينة وخاصة يوم القيامة يوم البعث والنشور والجزاء والحساب ونصب الموازين يخشع البَرُّ والفاجر والرئيس والمرؤوس والظالم والمظلوم والغني والفقير ،كما قال تعالى:((يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾)).[طه:108]. من هول ذلك اليوم العظيم لا ترى إلا الأبصار شاخصة إلى السماء ، ولا تسمع إلا صوت الأقدام الخفية الخافتة كل ينتظر كتابه وما قدمت يداه.

والصلاة قد أمرنا الله عز وجل بالاستعانة بها على أمور الحياة ومشاقِّها إضافة إلى الصبر، والصلاة شاقة ثقيلة إلا على الخاشعين من المؤمنين فإنها سهلة ميسرة على نفوسهم لا يجدون الأنس والراحة والطمأنينة إلا فيها وبها، لا تنقضي صلاة فرض إلا وقلوبهم معلقة بالتي تليها ولا ينتهون من فريضة إلا وينتقلون إلى نافلة، جُعلت قُرَّةُ عيونهم في الصلاة كما أمرهم الله بذلك وكما سنّ لهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعله وقوله وإقراره. قال تعالى:((وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾)).[البقرة:45، 46]. وقد جاء الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم بالسنة القولية والفعلية بأن قُرَّةَ عينه صلى الله عليه وسلم كانت في الصلاة ، فقال صلى الله عليه وسلم:((**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)).وكان صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ أمرٌ فَزِعَ إلى الصلاة وكان يقول عليه الصلاة والسلام:((**أَرِحْنَا بالصلاة يا**

بلال)). ولم يقل أرحنا من الصلاة كما هو حال بعض المسلمين اليوم ، فالفرق واضح بين منها وبها، ولا أعتقد أن المعنى غامض بعد هذا ولا حتى عند الذين يريدون أن يرتاحوا منها بسرعة أدائها والخروج منها وثقلها عليهم عندما يقرأ الإمام آيات أطول مما اعتاده كثير من المسلمين اليوم ، أو أولئك الذين ما إن يدخل أحدهم من باب المسجد إلا ويلتفت يميناً وشمالاً يريد إقامة الصلاة للتخلص منها بسرعة ثم يخرج منها بعد السلام كأنه كان في سجن أو قد رُبط وقُيّدَ بالأغلال، مع علمه بأن الخشوع في الصلاة هو روحُها ولبّها، والصلاة بلا خشوع في القلب كالقشور بلا لُبٍّ،وكالجسد بلا روح، وقد وصف الله المؤمنين المفلحين الفائزين بالخشوع في الصلاة وكذلك وصف رسلَه وعبادَه الصالحين وكذلك أهل العلم الذين هم أكثر الناس خشية لله عز وجل خاصة عندما يسمعون كلام الله يُتلى عليهم. قال تعالى:((إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾)).[الأنبياء:90]،وقال عز وجل: ((قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾)).[المؤمنون:1، 2]، وقال تبارك وتعالى:((إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟)).[فاطر:28]،وقال عَزَّ شَأْنُه: ((قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾)).[الإسراء:107-109]، ويجب أن يكون الخشوع نابعاً من القلب لا يريد به العبد إلا وجه الله تعالى والإخلاص له والتقرب إليه عز وجل وفْقَ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أن يكون الخشوع متكلفاً في الجوارح

والأطرافِ والقلبُ منه خاوٍ، فمتى تكلَّف الإنسانُ الخشوعَ في جوارحه وأطرافه وفي حركاته وذكره وقراءته للقرآن أثناء الصلاة حتى يظهر أمام الناس خاشعاً وقلبه وفكره وعقله ليس موافقاً وشاهداً على ذلك فإن ذلك رياء وسمعة، بل قد يكون نفاقاً أو شركاً عياذاً بالله من ذلك، وليس الخشوع في انحناء الرقبة وتنكيس الرأس في الصلاة وخلافها،ولقد رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاباً ناكساً رأسه ورقبته، فقال له:يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع ليس في الرقاب. وقيل بأنه قال: ارفع رأسك لا تُمِتْ علينا ديننا. والخشوع الحاصل في القلب إنما يحصل من معرفة الله عز وجل ومعرفة عظمته، فمن كان بالله أعرف كان له أخشع، ومن أعظم الأسباب لحصول الخشوع تدبر كلام الله عز وجل.قال الله تعالى:((لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ)).[الحشر:21]، وكما ورد في الآية السابق ذكرها عن المؤمنين من علماء أهل الكتاب الذين يخشعون عند سماع هذا القرآن، كما ذم الله عز وجل من لا يخشع عند سماع كلامه تعالى وذكره ونهى المؤمنين عن سلوك طريق القاسية قلوبهم. قال تعالى:((أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾)).[الحديد:16]، قال ابن مسعود رضي الله عنه:(ما كان بين إسلامنا وبين أنْ عُوتِبْنَا بهذه الآية إلا أربع سنين)رواه مسلم. وتوعد الله أصحاب القلوب القاسية بقوله:((فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾)).[الزمر:22]، وذكر من أوصاف الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من العذاب أو النعيم

بأن قلوبهم تشمئز عندما يسمعون ذكر الله عز وجل في القرآن والمواعظ التي فيها قال الله وقال رسوله، ولكن عندما يُذكر ما دون ذلك من لغو الحديث ولهوه والغناء وما إلى ذلك تنشرح صدورهم، نعوذ بالله من حالهم الذي هو حال المنافقين. قال تعالى: ((**وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾**)).[الزمر:45]، أما المؤمنون الذين شرح الله صدورهم للإسلام ونوّر قلوبهم فإن جلودهم تقشعر وتلين هي وقلوبهم عند ذكر الله أو سماع كلامه عز وجل. قال تعالى:((**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾**)). [الزمر:23]، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه يستعيذ بالله من قلب لا يخشع كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في قوله:((**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**)).وكان يقول صلى الله عليه وسلم في ركوعه في الصلاة:((**خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وما استقلّ به قدمي**)).رواه مسلم وأبو داوود والترمذي وأحمد، وروى الإمام مسلم رحمه الله من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**)).أحمد والترمذي. فالشاهد قوله:((وخشوعها)). فللخشوع في الصلاة أسباب، من أعظمها:استحضار

عظمة الله تبارك وتعالى حيث يشعر المصلي بأنه واقف بين يديه عز وجل وأن الله قريب منه محيط بجميع عباده بعلمه وقدرته وتدبيره وسمعه وبصره وغير ذلك من معاني الربوبية وإن كان مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله سبحانه وتعالى، فإذا استشعر العبد المسلم أن الله يسمعه ويراه ويطلع على ما في قلبه وضميره واستحيا من الله عز وجل حق الحياء فإنه يخشع قلبه وجوارحه ويكبّر ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق الصدر ويذل وينكسر بين يدي الله تبارك وتعالى ويلزم السكون ويترك الحركة والعبث في الثوب والعمامة والبشت واللحية والأنف والساعة وغيرها من الحركات التي تُعَدُّ بالعشرات وقد تتجاوز مائة حركة عند بعض المصلين، تلك الحركات التي تَبْطُلُ الصلاةُ بكثرتها ويذهب معها الخشوع الذي هو لبُّ الصلاة وروحُها، وقد يتدهده بعض الناس ويتحرك يميناً وشمالاً وإلى الأمام والخلف ويحرك يديه ورجليه ورقبته ورأسه أيضاً كالصوفية ويؤذي من يجاوره ويشغله، وأحياناً يرفع صوته بالقراءة والأذكار ويحرك شفتيه ولسانه ويشغل غيره إما لوسواس به أو ليُظهر الخشوع وحضور القلب والجوارح أمام الناس،وهذا من الشيطان ونزغاته التي يدخلها على الشخص ليورده المهالك وليفسد عليه وعلى غيره الصلاة، وأقل ما هناك إشغال المصلين من حوله ليذهب عنهم الخشوع بتفكيرهم في حاله واهتمام بعضهم بنصحه وإرشاده بعد الصلاة،ولو خشع قلبه حقاً لخشعت جوارحه وسكنت.

الخشوع في الصلاة

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده سبحانه وبحمده وأشكره وأؤمن به وأتوكل عليه وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبدالله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فمن أسباب الخشوع في الصلاة وحضور القلب فيها:عدمُ الانشغال بهموم الدنيا وأعمالها وإن كان لا يسلم من ذلك أحد إلا من شاء الله ، وأن يُقْبِلَ المسلمُ بقلبه على الله وكذلك بأعضائه وجوارحه، ومنها: النظرُ إلى موضع السجود وعدمُ الالتفات وألا يشتغل بغير الصلاة، ولنتذكر جميعاً حال كثير من الناس خاصة في هذه الأيام عندما يقفون أو يجلسون أمام رئيس أو ملك أو أمير أو غيرهم سواء هم يتكلمون معهم أو يسمعون وينصتون إلى كلامهم وحديثهم كيف يُطْرِقُ ذلك السامعُ ويكون في غاية من الخشوع والإنصات وذلِّ العبد للعبد ومسكنته، ولا يلتفت يميناً أو شمالاً ولا يحرك ساكناً ولا يعبث بشيء من ملابسه أو أطرافه ولا يكثر حتى الحركات التي قد يحتاج إليها ضرورة لإصلاح ملابسه أو هيئته في الجلوس أو الوقوف خوفاً من العبد المسكين الذي أمامه وقد يكون إجلالاً واحتراماً له، هذا وأكثر هو حال كثير من الناس مع العبيد أمثالهم، ولو فعل أحد غير ذلك لم يستمع وينصت ويطرق ويَكُنْ حاضراً بجميع حواسه وجوارحه

لحصل أمر لا تُحمد عقباه ، فلله المثل الأعلى وتعالى الله سبحانه وعز شأنه وعظم سلطانه، أليس الله بأحق أن يكون له الذل والانكسار وإظهار الحاجة والفقر والخضوع والسكون وحضور القلب والجوارح وعدم العبث وكثرة الحركات والالتفات في الصلاة، إن ذلك وغيره مما يقرب إلى الله جدير بكل مسلم أن يفعله وأن يراقب الله في سره وعلانيته، إن الالتفات في الصلاة نوعان: أحدهما التفات القلب عن الله جلّ جلاله بالانصراف إلى الدنيا وأشغالها وعدم التفرغ لله عزّ شأنه وتعالى سلطانه ، جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في فضل الوضوء وثوابه بعد أن ذكره وقال:((**فإن هو قام وصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجَّده بالذي هو أهله وفرّغ قلبه انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه**)). والنوع الثاني من الالتفات في الصلاة: الالتفات بالنظر يميناً وشمالاً، وكذلك الجوارح والحواس والأعضاء الأخرى إنما يحدث لها الالتفات عندما يلتفت القلب والفكر والعقل وتنشغل بغير الله، أو يلتفت الشخص ببصره ثم يتبعه القلب والعقل للتفكير فيما انصرف إليه وعندها تنشغل الأعضاء الأخرى بالحركات وكثرتها. والمشروع للمصلي أن يقصر نظره على موضع سجوده ولا يلتفت يميناً أو شمالاً ولا يرفع بصره إلى السماء ولا ينظر فيما هو أعلى من موضع السجود لأن ذلك من لوازم الخشوع وقطع الاشتغال بالمناظر والأشياء التي حوله وأَدْعَى إلى كمال الصلاة ونفعها للعبد وانتفاعه بها أجراً وسلوكاً وتأثراً في العاجل والآجل وتأثيراً في غيره أيضاً، وهذا من ثمرات الخشوع في الصلاة التي يجنيها المسلم ويجدها جزاءً من جنس العمل، ويكثر بعض المصلين

الالتفات بالبصر يميناً وشمالاً ورفعاً إلى السماء وخفضاً إلى المقصود رؤيته، وقد يكون الالتفاف بالرأس أو بعض أجزاء الجسم مع البصر، وقد يُصْلِحُ أحدهم عمامته وعقاله في الصلاة أمام الزجاج العاكس الموجود في نوافذ بعض المساجد وأبوابه التي أمامه أو البلاط اللامع الذي يعكس صورته، فمن كان هذا حاله فليس في قلبه شيء من الخشوع ، روى الإمام البخاري رحمه الله من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة، فقال:((**هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**)).البخاري وأبو داوود والترمذي والنسائي وأحمد رحمهم الله، وقال صلى الله عليه وسلم:((**لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا التفت انصرف عنه**)).رواه أحمد وأبو داوود والنسائي والدارمي، وقد سبقت الإشارة إلى بعض أنواع الحركات وكثرتها والاشتغال بها في الملابس وبعض أجزاء الجسم حتى من الذين يُرى عليهم الصلاح واهتمامهم بالصلاة حيث يقومون بحركات تتعدى العشرات وأصبحت روتيناً في صلاتهم تعلموها من غيرهم تقليداً وأخذها عنهم غيرهم كذلك، ومنها إصلاح العمامة من الجوانب ووضعها على بعض وفوق الرأس بعد تكبيرة الإحرام وقبل أن يضع أحدهم يده اليمنى على اليسرى، وبعد القيام من الركوع في كل ركعة، وبعد الاعتدال للجلسة بين السجدتين وعند التشهد، ويعتبرونها من مكملات الصلاة وهيئتها، ومن الأسباب المذهبة للخشوع أيضاً لهم ولغيرهم: كثرة حركات إصبع السبابة اليمنى عندهم بسرعة متناهية في التشهد، فَلا هُمْ عرفوا السنة وطبقوا الحديث في وضع اليد اليمنى على

الفخذ، ولا التزموا الرفع والتحريك للإصبع بعد انتهاء الجُمَل لعدم معرفتهم بنهاية كل جُمْلة وبداية الجملة الأخرى في الدعاء الوارد في جمل التشهد وبعده، ومنها تَتَبُّعُ أحدهم بقدميه مَنْ بجانبه وإشغاله غيره بذلك حتى يذهب الخشوع عن الجميع، وكذلك مضايقة الآخرين يميناً وشمالاً بالتوسع في الفتحة فيما بين القدمين في الوقوف كأن أحدهم يمارس ألعاباً رياضية ولا يكتفي بما يقابل عرض منكبيه في مكان وقوفه بل يتعدى ويظلم غيره ويضايقه، وأيضاً يمدُّ أحدُهم جسمَه في السجود ويفرده حتى يكوِّنَ زاوية قائمة لفخذيه من الخلف ويؤذي من أمامه في الصف برأسه ومن خلفه بقدميه خاصة عندما يكون طويلَ القامة، والمسافةُ بين الصفين لا تتعدى المتر والرُّبْع غالباً، وكذلك الحال في الجلسة بين السجدتين وعند التشهد وفي السجود أيضاً حيث يفتح أحدهم ما بين ركبتيه وفخذيه حتى تكون كالعدد سبعة ويضايق جَارَيْه في اليمين والشمال، وكذلك وضع المنكبين والمرفقين كالحربة لمضايقة المجَاوِرَيْنِ بهما أثناء الوقوف والسجود ، ويمارس ذلك فعلاً بعضُ المصلين، فهذه الحركات والهيئات والأنانية الممقوتة التي تزعج المصلين وتضايقهم وتؤذيهم هي من الأسباب المذْهِبَةِ للخشوع في الصلاة والمنْهِيِّ عنها، ومنها أيضاً: إحضار بعض المصلين للأطفال الصغار وإيقافهم بين كبار السن وقد يكون ذلك خلف الإمام، ثم يقوم أولئك الأطفال بالعبث والحركات الكثيرة في الصلاة والتي تسبب ذهاب الخشوع عن المصلين في اليمين والشمال والخلف، ولو كان أولياؤهم الذين أحضروهم أو الذين أرسلوهم للمسجد حريصين حقاً على تعليمهم وتعويدهم الصلاة لعلموهم

أولاً آداب الصلاة والجلوس في المسجد واحترامه ثم جعلوهم في طرف الصف إلى الجدار وهم بجوارهم حتى يعلِّموهم ويوجّهوهم بعد ملاحظة ما يَبْدُرُ منهم من حركات وعبث في الصلاة، وثانياً لو كان ذلك حرصاً حقيقياً لاصطحبوا أبناءهم الذكور البالغين إلى المساجد وَلَمَا تركوهم في البيوت أو في الشوارع والطرقات، ومن الأسباب المذهبة للخشوع أيضاً في الصلاة هو عدم إغلاق أجهزة الهاتف المحمول قبل الدخول في الصلاة خاصة تلك الأجهزة المحمَّل عليها النغمات الموسيقية المحرمة والتي يتسابق التافهون إلى تغييرها واستبدالها بين حين وآخر، وبعضهم لا يعرف كيف يُقْفل الهاتف عندما يتم الاتصال عليه، ثم يعيد المتَّصِلُ الاتصالَ مرات ومرات وهو في الصلاة، فيشغل مَنْ في المسجد ويذهب عنهم الخشوع بسبب عدم إقفال الجهاز ولصدور تلك الأصوات المؤذية سواء المحرمة كالموسيقى أو المباحة كالمنبهات العادية أو تلك المقاطع الممتهنة وإن كانت من القرآن أو الأذان أو الدعاء والأذكار لأنها تُقْطَعُ وليس هذا مكانها، فصاحب الهاتف يتحمل إثماً خاصة عندما يتعمد تحميل جهازه المقاطع الموسيقية وتشغيلها وخاصة في المساجد وأماكن الطاعات وإن كانت محرمة في كل الأوقات، والمتصل أيضاً يتحمل إثمَ الاتصال خاصة إن كان رجلاً وفي نفس المدينة لأنه من المفْتَرَضِ عليه أن يحضر الصلاة جماعة في المسجد، أما إن كان الاتصال من امرأة وليس لديها ما يمنعها من الصلاة فإنها تكون راكعة ساجدة مؤدية للصلاة في بيتها، وإن كان المتصل في مدينة أخرى فالمتعين عليه أن يعرف فوارق التوقيت بين المدن ومواعيد الصلاة قبل أن يتصل، وإن كان الذي

ذكرته آنفاً من الآداب المرعية التي ينبغي للمسلم أن يتحلّى بها ويمارسها ولكنها تلاقي الاستهتار وعدم المبالاة بين كثير من المسلمين لأنها أمور صعبة المنال في نظر أصحاب المظاهر الزائفة والغرور الزائد عند بعض الناس الذين يهمُّ بعضُهم بالردِّ على المتصل وهو في الصلاة، وأقلُّهم من يخرج الهاتف من جيبه وينظر إليه ليعرف المتصل ورقمه ثم يقفله، أما مَنْ كان مِنْ هذا النوع في المسجد ولم يدخل في الصلاة أو بعدها فإنه يقوم بالردّ أو الاتصال بصوت مرتفع يشغل المصلين والذاكرين الله، ولو عرف هذا الصنف من المصلين معنى الصلاة والخشوع لغيّروا هذا السلوك وكل سلوك خاطئ دون تردد، والحقيقة أنه لن يُوقِفَ هذه الأصنافَ من الناس إلا قوَّةُ النظام والعقاب الذي طُبِّقَ في الطائرات وسمعنا عن العزم على تطبيقه على قائدي السيارات، أو تعطيل شبكة الإرسال للهواتف المحمولة كما هو معمول به في المستشفيات، فعسى أن يعمم ذلك على المساجد ، وإني لأتمنى أن يكون كل مسلم مستشعراً عظمة الوقوف بين يدي الله عز وجل ويبتعد عن كل ما يسيء لغيره ويؤذيه وينقص من أجره أو يذهبه ويراقب ربه تبارك وتعالى ويخاف منه بدلاً من الخوف من البشر ، ومن أسباب ذهاب الخشوع أيضاً الصادر ممن هم خارج المسجد:ما يسمعه المصلون في بعض المساجد من وصول قراءة الأئمة في الصلاة الجهرية عبر مكبرات الصوت في مساجد قد تبعد عن المسجد المسموع فيه القراءة عدة كيلومترات بحيث لا يستطيع المصلون في هذا المسجد متابعة قراءة إمامهم ولا تمكين أحدهم من قول الأذكار في الركوع والسجود والاعتدال والتشهد لانشغالهم بما يصلهم

من أصوات والتشويش عليهم، فهذا يعتبر في الحكم بالقياس من الجهر بالقراءة المنهي عنه في الصلاة الوارد في الحديث النبوي الشريف حيث نهى عن ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصحابةَ الذين يُصَلُّون النافلةَ في المسجد وسمع رَفْعَ أصواتهم بالقراءة، فقال صلى الله عليه وسلم:((**لا يَجْهَرْ بعضُكم على بعض بالقراءة في الصلاة فكلٌّ يُنَاجِي رَبَّهُ**)).وأيضاً من الأسباب:ما يصدر من بعض العمال منهم أو من الآلات التي يستخدمونها في العمارات التي تحت الإنشاء أو الترميم المجاورة للمسجد أو في الحفريات لأي تمديدات مجاورة ممن لا يحضرون الصلاة مع أنه من المفترض إلزامهم بالحضور للصلاة في المسجد إن كانوا مسلمين أو التوقف عن العمل إن كانوا غير ذلك احتراماً لشعيرة الصلاة ولمشاعر المسلمين،ومن الأسباب أيضاً:كثرة الزخارف الموجودة في جدران المساجد وفرشها والتي تشغل المصلين وتلهيهم عن صلاتهم وقد نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنبجانية التي لبسها في الصلاة وقال عليه الصلاة والسلام:((**إنها أَلْهَتْنِي آنفاً عن صلاتي**)).رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى. فكل ما ذُكِرَ ومما لم يُذْكَرْ ومما هو سبب في عدم الخشوع في الصلاة منذر بالخطر ووقوع صدق الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم حيث نعيش ما أخبرنا به رسولنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم:((**أولُ ما يُرفع من الناس الخشوعُ**)).رواه الطبراني، وله شاهد في المسند عند أحمد رحمه الله، قال صلى الله عليه وسلم:((**تنقض عرى الإسلام عروة عروة، وأول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدونه الصلاة**)). فالأمانة قد ذهبت من

سنين عديدة عند كثير من الناس، والصلاة والخشوع فيها كما نعلمه ونشاهده، وليتأملْ كلٌّ مِنَّا حَالَهُ وحالَ غيرِهِ ليرى صِدْقَ ما أخبر به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الأذكار بعد الصلاة المفروضة

الخطبة الأولى **1409/2/19هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة،وكل ضلالة في النار.

إن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بذكره وعلَّق الفلاح في الدنيا والآخرة بالمداومة على ذلك والإكثار منه ، وقد ورد ذلك كثيراً في القرآن الكريم وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١، ٤٢]. وقال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وقال عز وجل: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:١٠]. وأثنى سبحانه على عباده المسلمين والمسلمات من الجنسين الذكور والإناث وفي نهاية الآية الكريمة قال تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥]. فهنا وعدهم أحسن الجزاء على ذكرهم له تعالى كثيراً كما توعد

سبحانه في المقابل مَنْ لَهَى عن ذكره بأشد الوعيد فقال جل وعلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون:9]. إن ذكر الله تعالى أكبر من كل شيء فبعد أن ذكر إقامة الصلاة أخبر تعالى بأن المقصود من العبادات والطاعات على اختلاف أنواعها هو إقامة ذكره تعالى:﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [العنكبوت:45] ولو تتبعنا الآيات الواردة في الذكر عموماً لطال بنا المقام حيث المقصود هنا هو إثبات الذكر عقب العبادة بأنه أمر مطلوب ومندوب ، فعلى المسلم ألاَّ يغفله وألاَّ يتهاون به وخاصة بعد الصلوات وهو موضوع خطبتنا هذه ، فالدليل على الذكر في ختام الصيام قوله تعالى بعد ذكر الصوم : ﴿ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة:185]. وفي ختام الحج قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ ﴾[البقرة:200].والذكر ختام الصلاة وبعد الانتهاء منها قول الله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾[ق~:40]، فالذكر يختم به المسلم صلاتَه حتى في حالة الحرب مع العدو بعد صلاة الخوف على أي حال يكون عليه قائماً أو قاعداً أو على جنب وعند الاطمئنان عليه أن يقيم الصلاة حق الإقامة ومنها ذكره سبحانه وتعالى ، فقال عز وجل بعد ذكره صلاة الخوف حال الحرب مع العدو : ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾[النساء:103]. وأمر الله المؤمنين المقاتلين بذكره عز وجل كثيراً عند لقاء العدو فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الأنفال:45].والذكر

أيضاً هو ختام صلاة الجمعة فقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة:١٠]. فذكر الله تعالى عقب الصلاة المفروضة مطلوب من المسلم أن يفعله ليحوز بذلك على الأجر العظيم في الوقت الذي يحرص الشيطان الرجيم على تذكير المصلي حاجته واستعجاله له لِيُفَوِّتَ عليه الفرصة ليكون المسلم هو الخاسر في هذه الحال في الظاهر والشيطان هو الرابح مع أنه صاحب الخسران المبين لأنه استطاع أن يبعده عن ذكر الله تعالى.

وأورد بعض الأحاديث في الأذكار المشروعة عقب الصلوات ليحافظ عليها المسلم من أجل أن يضيف رصيداً عظيماً من الحسنات إلى أعماله الصالحة في كل يوم ليغفر الله ذنوبه ويرفع درجته في الجنة إن شاء الله ، عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. قيل للأوزاعي وهو أحد رواة الحديث: كيف الاستغفار؟ قال: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أستغفر الله ، أستغفر الله. وعن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: ((**لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**)). وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة حين يسلم: ((**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**)). قال ابن الزبير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلل بهن دبر كل صلاة. وعن كعب بن عجرة

رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه سلم قال:((**مُعَقِّبَاتٌ لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وثلاثاً وثلاثين تحميدة وأربعاً وثلاثين تكبيرة**)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غُفِرَتْ خطاياه وإن كانت مثلَ زبد البحر**)). وقد وردت عدة أحاديث في التسبيح والتحميد والتكبير بروايات عِدَّة وعَدَدٍ مُغَايِرٍ فيعمل بما تيسر منها، وكذلك العمل بها ولو مرة ، واتباع الأكمل في العدد هو الأفضل عندما يكون الخبر في ذلك صحيحاً. عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**من قرأ آية الكرسي دبرَ كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت**))، وعن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**من قرأ آية الكرسي في دُبرِ الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى**)). وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال:((**أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقرأ بالمعوذتين دُبرَ كل صلاة**)).وفي رواية لأحمد وأبي داوود:((**بالمعوذات**)). وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده يوماً ثم قال: ((**يا معاذ، والله إني لأحبك**)) فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله إني لأحبك،**قال**:((**أوصيك يا معاذ لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كل صلاة أن تقول:اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**)).رواه أبو داوود، والنسائي واللفظ له،وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما،والحاكم وقال:صحيح على شرط الشيخين.هذا الذكر للصلوات الخمس ولكن هناك زيادة في صلاتي الفجر والمغرب وهي: قراءة المعوذات ثلاث مرات بدلاً من مرة واحدة ، وقَوْل: **لا إله إلا الله وحده لا**

شريك له يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير . عشر مرات . ، وقول:اللهم أجرني من النار ، اللهم إني أسألك الجنة . ثلاث أو سبع مرات . بعد صلاتي الفجر والمغرب كما ورد تحديدها في الحديث التالي ذكره ، أو قولها في غير هذين الوقتين كما ورد في إطلاق نص الحديث.

عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **((من قال قبل أن ينصرف ويثني رجليه من صلاة المغرب والصبح ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له بكل واحدة عشر حسنات ، ومحيت عنه عشر سيئات ، ورفع عشر درجات ، وكانت له حِرْزاً من كل مكروه ، وحِرْزاً من الشيطان الرجيم، ولم يَحِلَّ لذنب أن يدركه إلا الشرك، وكان من أفضل الناس عملاً إلا رجل يفضله يقول أفضل مما قال))**. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**((ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار : يا رب إن عبدك فلاناً استجار مني فأجره، ولا سأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة : يا رب إن عبدك فلاناً سألني فأدخله الجنة))**.رواه أبو يعلى بإسناد على شرط البخاري ومسلم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة : اللهم أدخله الجنة ، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار : اللهم أجره من النار))**.رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وورد من حديث مسلم بن الحارث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**((إذا انْصَرَفْتَ من صلاة المغرب فقل:اللهم أجرني من النار سبع مرات، فإنك إذا قلت ذلك ثم مِتَّ من ليلتك كتب لك جوار منها،وإذا صليت الصبح فقل كذلك فإنك إن مِتَّ من يومك كتب لك جوار منها))**.وورد من حديث أبي

سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من صلاته يقول:((**سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**)). وهذا الذكر أيضاً وارد في ختام المجلس الذي يذكر الله تعالى فيه وهو عام ، ويكون بهذا خاتماً وطابعاً على الذكر بعد الصلاة إن شاء الله .

الذكر عقب الصلوات المفروضة

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده تعالى وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه .

أما بعد: فتعميماً للفائدة وتذكيراً بما سبق عن الذكر بعد الصلاة فألخصه فيما يلي: **أولاً** :الاستغفار ثلاثاً ، ثم قول:اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، ثم قول:لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. إلى آخر ما ورد في الحديث.

ثانياً : التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين ـ وتمام المائة قول ـ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. **ثالثاً:** قراءة آية الكرسي ثم سورة الإخلاص والفلق والناس مرة واحدة. وقول:اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، كلٌّ ما تقدم ذكره بعد كل صلاة مفروضة. **رابعاً:** أما بعد صلاة الصبح والمغرب فيُقال ـ **عشر مرات** ـ زيادة على ما تقدم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي

ويميت[بيده الخير] وهو على كل شيء قدير ، **وثلاث مرات** للمعوذات أي الإخلاص والفلق والناس .

أما قول:اللهم أجرني من النار ، اللهم إني أسألك الجنة . سبع أو ثلاث مرات . بعد المغرب والصبح فَإِنْ حافظ عليها المسلم فلا بأس بذلك إن شاء الله كما ورد في الحديث السابق ذكره في الخطبة الأولى، وإن قالها في ليل أو نهار يحصل على الأجر الموعود بإذن الله عز وجل ، وكذلك دعاء ختام المجلس بعد كل صلاة ، والله أعلم ، أما عَقْدُ وَعَدُّ التسبيح باليمنى أو باليسرى أو باليمنى واليسرى ، أو قول التسبيح والتحميد والتكبير معاً أو مفَرَّقاً ، وعن رفع الصوت بالتكبير أو خفضه ، والسرعة في التسبيح ، وكذلك الصمت ، فأقول: بأن عَدَّ التسبيح باليمنى أفضل، وإن سبح بهما معاً فلا حرج. وكذلك التسبيح والتحميد والتكبير مرة واحدة ثم يعقبه بالثانية مثلاً وهكذا إلى أن يكمل ثلاثاً وثلاثين أو يقول التسبيح ثم التحميد ثم التكبير فقد ورد في الأحاديث ذكر الحالتين ، والأمر في هذا واسع ولله الحمد، وعن رفع الصوت في حالة متوسطة دون ذِكْرٍ جماعي بل كل شخص بمفرده خاصة في الاستغفار والتهليل وتعليم الجاهل فهذا هو الأفضل من خفض الصوت في هذا الموضع دون بقية الذكر ليعلم انقضاء الصلاة وليتعلم الذي لا يعلم كيفية الذكر. وأما السرعة في عَدِّ التسبيح كأنَّ أحدَهم حاسبٌ آليٌّ يحسب في أصابعه اليمنى واليسرى في وقت واحد وبسرعة متناهية فهذا غير محمود وهو عبث واستهتار ، وضحك من الشيطان على صاحبه ذلك الذي يفعله ، فالمسلم الذي يسبِّح الله حقّاً ويقدِّسُه ويكبره ويذكره لا يليق به هذا الفعل والعبث والاستهتار. وأما عن الصمت وعُجْمَةِ اللسان وعدم تحريكه فإن ذلك من تغرير الشيطان بالعبد لئلا يذكر الله تعالى فتجده بعد الصلاة جالساً مع الذاكرين ولكنه لا يحرك

شفتيه ولا ينطق بلسانه بل الشيطان جاثمٌ على قلبه وعاقد لسانه ورابط أصابع يديه ، نعوذ بالله من قسوة القلب . فعلى المسلم أن يحرص على الذكر بعد الصلوات المفروضة ويفصل بين صلاة الفرض والسنة بالذكر، ولا يستخفَّنَّه الشيطانُ ويستعجله ويذكّره حاجاته وأموره الدنيوية ويفوّت عليه الأجر العظيم والحسنات الكثيرة ومغفرة الذنوب ، وليتذكر كل منا أن الشيطان له عدو فليتخذه عدواً ولا يطيعه، بل علينا أن نطيع أمر ربنا تبارك وتعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر:٦]. وهل يعلم المسلم أن هذه الأذكار القليلة في كل صلاة من غير المكرر منها تزيد على خمسة آلاف حسنة في كل صلاة، ففي اليوم الواحد إذا حافظ العبد عليها مع تكرار المعوذات في المغرب والفجر وقول:لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له إلى آخرها عشر مرات فإنه في كل يوم يحوز على أكثر من تسع وثلاثين ألف حسنة؟ وهذا فضل من الله عظيم ، وقليل من يدركه ، وإذا أراد المسلم بعد الصلاة أن يدعو الله عز وجل ويسأله ما يريد من خيري الدنيا والآخرة فذلك الوقت بعد الفراغ من الصلاة من أسباب استجابة الدعاء إن شاء الله تعالى كما ورد بذلك الحديث ، والأوقات التي هي مظنة لقبول الدعاء واستجابته متعددة منها: بعد الصلاة سواء الفريضة أو النافلة، وإن كان بعض العلماء عَدَّهُ بعد الفريضة من البدع، وبين الآذان والإقامة ، وفي آخر الليل، وعند إفطار الصائم، وعند نزول المطر، ودعوة المسافر وغير ذلك من الأوقات. والدليل على الدعاء عقب الصلاة المفروضة وفي جوف الليل الحديثُ المرويُّ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيُّ الدعاء أسمع ؟ قال:((**جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبة**)).وقد قال بعضهم بأن المقصود بدبر الصلاة آخرها بعد التشهد

وقبل السلام، ولكنه يُرَدُّ عليهم بأحاديث واضحة وصريحة منها: الأحاديث التي سبق ذكرها في الخطبة الأولى ولا نحتاج لإعادتها إلى جانب الآية القرآنية الواضحة الجلية للمراد بأدبار السجود بأنه بعد الانتهاء من الصلاة، والله أعلم. وينبغي للمسلم المحافظة والالتزام بالسنة في الأذكار عموماً وفي هذا الموطن خصوصاً ولا يأتي بزيادة أو ابتداع من نفسه أو من غيره ، وخاصة الذين يَقْرَؤُونَ المعوذات وينفثون في أيديهم ويمسحون بها على أجسادهم ووجوههم عقب الصلوات المفروضة ، فقراءة المعوذات أو المعوذتين والإخلاص أمر مشروع في هذا الوقت ، أما النَّفْثُ في اليدين والمسح فموضعه عند النوم، والخير والبركة في اتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم الإحداث في دين الله وشرعه ما لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليتنبه المسلم لهذا ولغيره ولا يستحسن شيئاً أو يفعله وهو غير مشروع. قال صلى الله وسلم:((**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)).وفي رواية أخرى:((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)).

الدعاء

الخطبة الأولى 1411/7/3هـ ، 1425/2/5هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد:فقد أمر الله عباده المسلمين بالدعاء ووعدهم بالاستجابة لهم وسمى الدعاء عبادة ، وتوعد المعرضين عن عبادته التي فيها الدعاء بدخول نار

جهنم بسبب إعراضهم وكفرهم. قال تعالى:((**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**)). [غافر:60]. وقد صَحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**الدعاء هو العبادة**)) ثم قرأ:((**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ...**)).الآية.رواه أبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**ليس شيءٌ أكرم على الله سبحانه من الدعاء في الرخاء**)).رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم والطبراني والبخاري في الأدب المفرد، وورد أيضاً عنه رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**مَنْ لَمْ يَدْعُ الله سبحانه غضب عليه**)).أخرجه الإمام أحمد رحمه الله ، وقال الإمام ابن كثير: إسناده لا بأس به، وهذا موافق لآخر الآية التي تبين عقاب المستكبرين عن عبادة الله ودعائه حيث قال عز وجل:((**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**)).[غافر60]. وهو سبحانه يستجيب للمسلم دعوته أو يصرف عنه من السوء مثلها أو يدخرها عنده عز وجل ، فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء وقت الرخاء ووقت الشدة ولا يملّ ولا ييأس ، وإكثار المسلم الدعاء وقت الرخاء يدل على صدقه في عبوديته والتجائه إلى ربه في جميع أحواله لأنه يشكر الله سبحانه في الرخاء كما يشكره في الشدة ويتوجه إليه بكُلِّيته ليكون له عوناً ونجاة مما ألَمّ به واستحكم من الملمّات والنوازل. روى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من سرّه أن يستجيب**

الله تعالى له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء)).رواه الترمذي والحاكم، وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما دليل واضح على ذلك عندما علمه كلمات موجزات في منتهى البلاغة والإعجاز وهي للمسلمين عامة ومنها: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ...**)). فعلى المسلم أن يستمرَّ في الدعاء ولا يملَّ للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم:((**يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يُستجب لي**)).رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يستعجل**)).قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال:((**يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويَدَعَ الدعاء**)).رواه مسلم. يَدَع: أي يترك الدعاء.وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاثٍ: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الأخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**)). قالوا: إذاً نكثر،قال:((**الله أكثر**)).رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والحاكم، قال تعالى:((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾)).[البقرة:186]. فعلى المسلم أن يدعو الله عز وجل سراً وعلانية رغبة ورهبة ، وعليه ألاَّ يعتدي في الدعاء ولا يتجاوز المشروع، قال تعالى:((ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا

وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾)).[الأعراف:55، 56]. وقال سبحانه بعد أن ذكر استجابته لدعاء الأنبياء:((إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾)).[الأنبياء:90]. وقال صلى الله عليه وسلم:((**سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء**)).رواه أبو داوود والطبراني وابن ماجة، وهذه حال بعض الناس اليوم خاصة في القنوت في شهر رمضان، فبعض أئمة المساجد هدانا الله وإياهم يتجاوز أحدهم في الدعاء ويشرح الأحوال لرب العالمين وهو الذي يعلم السِرَّ وأخْفَى ويستعرض في سَجع من الجمل والعبارات ويطيل إطالة خارجة بل بعيدة عن السنة والمباح، بل هو التجاوز والتعدي المنهي عنه ، وكذلك كثير من المأمومين لا تطيب لهم الصلاة إلا خلف أولئك الذين فتنوا الناس حتى أصبح القوم لا يَلْتَذُّونَ بسماع القرآن الكريم ولا يخشعون عندما يُتلى عليهم القرآن الكريم في صلاة التراويح أو خارجها ولكنهم يبكون ويتباكون ويُظهرون الخشوع والبكاء والخشية عند الدعاء في القنوت وخاصة عند استعراض أولئك الفاتنين والمفتونين لبعض الجمل والعبارات. وهذا التعدي والتجاوز يوصل الإمام والمأمومين إلى باب خطير من الشرك وهو الرياء والسمعة، ولا شك في ذلك أبداً ممن يسمع ويرى أحوالهم سواء حضرهم أو سمعه مسجلاً على الأشرطة ، وهذا المدخل الشيطاني الذي استشرى في زماننا وهو من علامات الساعة التي أخبر عنها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يجب الابتعاد والحذر منه لئلا تحبط الأعمال الصالحة عن طريق الرياء والسمعة، وقد جاء في الحديث عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم قوله:((**من سمّع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به**)).
ومن الجهل بأحكام الصلاة والتهاون في إقامتها على الوجه المشروع هو قيام بعض أئمة المساجد بالدعاء جهراً في الصلوات الجهرية المغرب والعشاء والفجر يومياً وطوال خمسة أشهر لنازلة نزلت بالمسلمين في أرض فلسطين ، وألزموا أنفسهم بالدعاء الجهري المستمر حتى غدا لديهم كأنه من صلب الفريضة وأنه من الواجب الذي لا بُدَّ أن يستمروا عليه حتى تنكشف تلك النازلة وفتنوا أنفسهم وأفتتن بهم غيرهم من المصلين الذين يصلون خلفهم أو يسمعونهم عن بُعْدٍ عبر مكبرات الصوت، وبعض الأئمة كان يدعو بناءً على رغبة بعض المأمومين أو صاحب المسجد ، أي أنه أصبح الدعاء حسب الطلب في الصلاة التي أوشكت على ذهاب معالمها الصحيحة في الأداء والقيام بالواجب فيها، فبعض المسْتَأْجَرِينَ للصلاة والتغني بالقرآن يُقَدِّمون الصلاة حسب الطلب في الجَمْعِ عندما تنزل قطرات من المطر، أو تقصير الصلاة في القيام في رمضان أو غيره ورفع الصوت بالقرآن ليسمعه الساكنون في الأحياء القريبة والبعيدة والنَّوْح بذلك أو الدعاء عندما يقال لهم ذلك حسب رغبة المسْتَأجِر إنْ صَحَّ التعبيرُ بهذا وهو أقرب إلى ما أقدموا عليه، لأنها أصبحت صلاةً حسب الطلب ، والذي لا يسلك مسلك هؤلاء ولا أولئك يُستنكر عليه عدم إقدامه على ما أقدم عليه أولئك. ألا فليتّقِ اللهَ من يقوم بإمامة المسلمين ويلتزم شرع الله ويقوم بالواجب عليه، ويهتم برضا الله عز وجل ويتّبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبتعد عن إرضاء كل شخص بعينه في أداء الصلوات المفروضة بل هو الالتزام بما ورد عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم للجميع من حيث التخفيف الذي لا يُخِلُّ بالصلاة مراعاةً للمريض والضعيف وصاحب الحاجة ، أما الصلاة على طلب المأموم والدعاء الجهري في الفريضة حسب الطلب فعلى الجميع أن يتقوا الله تعالى ويلتزموا بأوامر الشرع المطهر، ولا أحد يمنعهم من الدعاء كل بمفرده في صلاة الفريضة أو النافلة في السجود وقبل السلام وخارج الصلاة متى أرادوا ذلك ، ولا أدخل في التفاصيل حول دعاء النوازل ، وممن يكون ، ومن يأمر به ، ومُدَّته ، إلى غير ذلك ، فهذا يحتاج إلى تفصيل وإنما هو التنبيه للجميع حيث افتتن كثير بما هو حاصل في هذه الأيام والذي تجاوز فيه بعضهم الحد ليُفْسِدَ صلاتَه وصلاةَ مَنْ خلفه. فعلى كل مسلم: أن يبتعد عن التعدي ومجاوزة الحد في الدعاء ويلتزم أوامر الشرع في الدعاء وفي غيره.قال تعالى:((وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ)).[المائدة:87]. قال الله عز وجل:((ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾)). [الأعراف:55]، عن عائشة رضي الله عنها قالت:((**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الجوامع من الدعاء ويَدَع ما سِوَى ذلك**)).أبو داوود والطبراني وصححه الألباني رحم الله الجميع. ولو أن أئمة المساجد وعامة المسلمين اكتفوا بما ورد في الأدعية والأذكار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان خيراً لهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، لأنه قد أُوتي جوامع الكلم عليه الصلاة والسلام ، وعلى المسلم أن يطلع على الأحاديث الواردة في أحواله عليه الصلاة والسلام ويأخذ بالصحيح منها في جميع أدعيته إلا إذا كانت له مسألة وطلب ودعاء في وقت وساعة من الساعات يرجوها

ويطلب قضاءها والاستجابة لها من الله جل جلاله في أمرٍ معينٍ يخُصُّه أو مظلمة أو دعاء لأولاده وأهله ونفسه فعليه بالإيجاز والله يعلم السر وأخفى، فنسأل الله التوفيق والهداية والاتباع وعدم الابتداع. وللدعاء آداب منها: أنْ يَتَحَيَّنَ المسلم **الأزمان والأوقات الشريفة**: كيوم عرفة، وليلة القدر، وشهر رمضان كله، وحال الصيام في رمضان أو في غيره وخاصة عند الإفطار، ويوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل، ووقت الأسحار، وفي السفر، ويغتنمَ **الأحوالَ الشريفةَ**: كحالة السجود، والتقاء الجيوش، وعند نزول المطر، وبين الأذان والإقامة، وبعد الصلوات سواء المكتوبة أو النافلة. وإذا أراد المسلمُ أنْ يستجيبَ اللهُ دعاءَه فعليه أن يطيب مطعمه بأن يكون كسبه حلالاً كما قال عليه الصلاة والسلام لسعد رضي الله عنه: ((**أَطِبْ مطعمَك تَكُنْ مُسْتجابَ الدعوة**)). وللدعاء آداب أخرى منها: حضور القلب ورقته والخشوع ورفع اليدين في أماكن دلّت عليها السنة، وعدم التكلف في الدعاء بالسجع ونحوه، ودعاء الله باسمه الأعظم، فَحَرِيٌّ بمن سأل الله به أن يستجيب له. عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: ((**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب**)). رواه أبو داوود والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم إلا أنه قال فيه: ((**لقد سألت الله باسمه الأعظم**)). وقال صلى الله عليه وسلم: ((**اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ((وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)) وفاتحة سورة آل عمران**

التي تشير إلى ذكر الحي القيوم وهي قوله: ((**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢**)).[آل عمران:2]. قال الله جل جلاله:((**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٨٠**)).[الأعراف:180].وقال سبحانه وبحمده:((**قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠**)).[الإسراء:110]. وعلى المسلم أنْ يَعْزِمَ في دعائه ولا يُلْحِقه بالمشيئة كما هو ملاحظ عند بعض المسلمين حيث انتشر إِلْحَاقُ المشيئة بعد كل دعاء حتى بين المتدينين في هذا الزمان وخاصة عند دعاء أحدهم لغيره في وجهه أو في غيبته، يقول بعضهم: الله يهديك إن شاء الله ، الله يوفقك إن شاء الله ، وما أشبهها، وانتشار هذا كثير بين المسلمين في هذه الأيام لجهلهم بالدعاء المشروع، ولأنهم كلما سمعوا شيئاً تمسكوا به سواء كان مشروعاً أو مخالفاً للكتاب والسنة ، فينبغي للمسلم أن يحرص على التمسك بالكتاب والسنة. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا يقولنَّ أحدُكم:اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت، ولْيَعْزِمِ المسألةَ فإن الله لا مُكْرِهَ له**)).رواه البخاري ومسلم رحمهما الله.

ومن آداب الدعاء: رفع اليدين في أكثر الأحوال ، ومنها:القنوت وبعد الصلوات أحياناً وعند التقاء الجيوش ، وقد وردت بذلك الأدلة في أحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**إن ربكم حَيِيٌّ كريم يَسْتَحْيِي من عبده إذا رفع إليه يديه أنْ يردَّهما صِفْراً، أو قال خائبتين**)).رواه أبو داوود والترمذي وابن ماجة وابن حبان

والحاكم، ولا يرفع المسلمُ بصرَه إلى السماء حال الدعاء وإن كان رافعاً يديه حيث ورد النهي عن ذلك خاصة في الصلاة لما ورد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء في الصلاة أو لَتُخْطَفَنَّ أبصارُهم**)).رواه مسلم والنسائي، لقد ورد النهي في هذا الحديث تصريحاً وتحديداً بالدعاء في الصلاة وإن كانت هناك أحاديث عدة في النهي عن رفع البصر إلى السماء عموماً وليست خاصة بالدعاء ولكن هذا حديث صحيح صريح خاص بالنهي عن رفع البصر إلى السماء حال الدعاء في الصلاة . ويستجيب الله للمظلوم وينصره ولو بعد حين ، وللمسافر، وللوالد لولده أو عليه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ثلاث دعوات يستجاب لهن لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده**)). ومما ينبغي ملاحظته والعناية به هو عدم الدعاء على الأولاد من قبل الوالدين حيث قد توافق الدعوة على الأولاد وقت استجابة فتقع الكارثة عليهم جميعاً، فعلى الوالِدين الآباء والأمهات أن يتجنبوا الدعاء على أولادهم ويكثروا من الدعاء لهم بدلاً من الدعاء عليهم.

ويستجيب الله لمن يدعوه مضطراً منيباً إليه توجَّه بقلبه وقالبه إليه في حال شدته فالله سبحانه يجيبه ويكشف السوء عنه بفضله وكرمه، وهذا مما ذكَّر الله به عباده في معرض البيان والتوضيح بنعمه وآلائه الكثيرة التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى ، ذكَّر الله العباد بذلك ليعبدوه ويوحدوه سبحانه، قال تعالى:((**أَمَّن**

يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾)).[النمل:62].فالمضطر في حال الكربة والضيق لا يجد ملجأ إلا إلى الله وحده يدعوه ليكشف عنه الضر والسوء وذلك حين تضيق الحلقة ويشتد الخناق وتستحكم عليه الشدائد وتتخاذل القُوَى فينظر الإنسان حواليه فيجد نفسه مجرداً من وسائل النصرة وأسباب الخلاص لا قوته ولا أي قوة في الأرض تنجده وتخلّصه مما ألمَّ به، في تلك اللحظة الحرجة تستيقظ الفطرة ليس في المسلمين فحسب بل في الكفار والملحدين فتلجأ إلى القادر وحده، فيلجأ الإنسان إلى الله القوي العزيز ولو أنه قد نسي الله في ساعات الرخاء ولكن الله عز وجل برحمته وعفوه وإحسانه ومنّه وكرمه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف عنه السوء وينجّيه مما حلّ به من الكُرَب والمصائب إذا دعاه وهو موقن بالإجابة وأخلص الدعاء له سبحانه، والناس يغفلون عن هذه الحقيقة في ساعات الرخاء وفترات الغفلة حتى المسلمين الموحدين مع الأسف الشديد يغفلون عن ذلك فيتلمسون القوة والنصرة والحماية في قوى الأرض الهزيلة ويعلِّقون عليها الآمال العظيمة في نصرتهم سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو دولاً ، وحين تلجئهم الشِّدَّةُ ويضطرهم الكرب ويجدون ألاَّ ملجأ من الله إلا إليه عند ذلك تزول الغشاوة والغفلة عن فطرتهم السليمة التي فطرهم الله عليها ويرجعون إلى ربهم منيبين إليه مهما كانوا من قبل غافلين أو مكابرين ، وما أجمل ألفاظ القرآن الكريم حين يتدبرها المؤمن ويطبقها على الواقع وكأنها نزلت اليوم غَضَّة طريّة ، ففي نهاية الآية يذكِّر اللهُ سبحانه عبادَه الضعفاءَ الذين لا حول لهم ولا قوة بعد أن

استجاب لهم عند اضطرارهم في الدعاء وكشف السوء عنهم فيذكرهم بحقائق منها قوله:((**ويجعلكم خلفاء الأرض**)). أليس الله هو الذي استخلف الجنس البشري في الأرض يخلف بعضهم بعضاً، فلو تذكر الإنسان المسلم وغيره وتدبر مثل هذه الحقائق لبقي موصولاً بالله ولما غفل عن ربه سبحانه وتعالى ولا أشرك معه أحداً في العبادة ، ومنها قوله عز وجل:((**وإله مع الله**)).ومنها قوله جل وعلا:((**قليلاً ما تذكرون**)).إن العباد يغفلون ويَنْسَوْن ، ولكنَّ هذه الحقائق الكامنة في أعماق النفوس تتحرك حين تشعر بالخطر وتحيط بها الضرورة وتلجئها إلى طريق الخلاص والنجاة إلى الطريق المستقيم، قال تعالى:((**أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾**)).[النمل:62].

والدعاء حال الصيام في رمضان أو غيره مستجاب بإذن الله عز وجل بنص القرآن الكريم وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولنتأمل إلى هذه الآية الكريمة عن الدعاء واستجابة الله لعباده المستجيبين له المؤمنين به عز وجل ، والآية موجودة بين آيات الصيام ليعتبر من له أدنى بصيرة وتَفَكُّرٍ، وهي قول الله عز وجل:((**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾**)).[البقرة:186].قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ثلاثة لا ترد دعوتهم:الصائم حين يفطر– وفي رواية– حتى يفطر، والإمام العادل،ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب:وعزتي**

لأنصرنك ولو بعد حين)).الترمذي وابن ماجة والطبراني ، وقال صلى الله عليه وسلم:((**إن للصائم دعوة عند فطره لا ترد**)).

الدعاء

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده عز وجل وأشكره وأثني عليه الخير كله وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإذا كان المسلمون مأمورين بدعاء الله والتضرع إليه وسؤاله عز وجل في حال البأس ونزول البلاء بهم وعليهم فإنه مطلوب منهم الاستمرار على ذلك وعدم الإعراض عن الله وعن منهجه الذي هو متمثل في التمسك والعمل بالقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعليهم ألا يكون حالهم كحال المشركين الذين يخلصون الدعاء والعبادة لله وقت الشدة

فإذا كشف الله عنهم ما هم فيه من بلاء ونجّاهم مما حلّ بهم إذا هم يشركون ويرجعون إلى ما كانوا عليه، وهذه عدة آيات توضح ذلك وغيره مما غفل عنه المسلمون ويغفلون عنه لعل في الاستماع والإصغاء والتدبر ما يجعلهم يفيقون من غفلتهم ويرجعون إلى ربهم عز وجل ويقلعون عما كانوا عليه ويتوبون توبة صادقة ويعودون إلى الله عوداً حميداً في جميع أمورهم ويعملون بعقيدتهم التي تخلخلت وضعفت وبَانَ مَخْبُوءُهَا حين الشدة. قال تعالى:((فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾)). [الأنعام43-45]. وقال سبحانه:((فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)).[العنكبوت65، 66]. وقال عز وجل:((وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاًۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾)).[الزمر:8]. وقال عز وجل:((وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴿٥١﴾)).[فصلت:51]. وقال تعالى:((۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾)).[يونس11، 12]. إن كلام الله عز وجل لا يحتاج إلى

توضيح وبيان مني ومن أمثالي بل على كل مسلم أن يربط نفسه بالقرآن الكريم ويجعل له وقتاً كل يوم يرجع فيه إلى كتب التفسير المشهورة التي توضح الغامض وخاصة الذين يستدلون بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المسلمين أن يعتبروا ويتّعظوا ولا تمرّ بهم الأحداث والنوازل دون إحداث تغيير في حياتهم وسلوكهم ورجوعهم إلى الله عز وجل وتمسكهم بكتاب الله وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم.((**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾**)).[ق~: 37]. ((**فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾**)).[الحشر: 2]. هل فكرنا في عدم استجابة الله لدعائنا بإنزال المطر رغم خروج بعضنا للاستسقاء ودعاء آخرين في خطب الجمعة؟ لماذا هذا الجفاف في الآبار ومنابع الماء في الأودية والجبال؟ كيف استجاب الله لدعاء الآباء والأجداد عندما يخرجون في أي قرية أو قبيلة ولا يخيّب اللهُ آمالَهم ورجاءَهم ودعاءَهم؟ ونحن في هذا العصر رغم تكرار ذلك الدعاء من الذين يدعون به لا يُستجاب لنا؟بل عندما تكون السماء ملبّدة بالغيوم والسحاب المحمّل بالماء إذا بنا بعد لحظات لا نرى إلا زُرْقَةَ السماء بعد أنْ تَهَيَّأَت الرحمةُ وأسبابُها، إن أسباب امتناع نزول المطر هو لدينا في عدة أشياء وموانع في عدم استجابة الدعاء ، ومنها: عدم طيب الكسب للمآكل والمشارب لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق ذكره: ((**أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**)). فقد دخلت علينا المكاسب الخبيثة بالطرق المحرمة المتعددة عن طريق الربا الذي فَشَا في المجتمع بشكل مخيف وبطرقٍ ملتويةٍ وتحايلٍ واضحٍ لإدخاله في باب الحلال،مع أن الغرض من تلك المعاملات

الملفوفة هو الحصول على المال من الطرفين، ولكن حتى يهرب الطرفان من الربا الواضح أوجدوا طرقاً للتحايل بأضعاف أضعاف الربا الواضح التحريم، ولكن لن تنطلي تلك الطرق على رب العالمين العالِمِ بالمقاصد والنوايا؟ وكيف يحصل ذلك بين المسلمين ويرتكبون طرق اليهود في التحايل على ما حرم الله عليهم وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ومن أفعالهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا ما حرم الله بأدنى الحيل**)).وثاني أسباب الكسب الخبيث هو:الغش في المعاملات والمنتشر بشكل فظيع في أسواق المسلمين ومعاملاتهم اليومية،وكلٌّ يتعرف بنفسه هل اشترى بضاعة صغرت أو كبرت دون غشّ من بائعها أو الوسيط فيها أو منتجها ؟ كل شخص يفكّر في ذلك جيداً، إلى جانب الغش والخداع والتعامل بالطرق الشيطانية المحرمة التي يُتْبِعُهَا كثيرٌ من البائعين بالأيمان الكاذبة التي تمحق بركة البيع والشراء. ولا يتسع المقام لذكر أنواع المعاملات المحرمة التي خَبُثَ معها الكسب حتى في الوظائف وعدم الأمانة في القيام بالواجب فيها إلى أنْ خَبُثَ المطعمُ والمشربُ، هذه بعض طرق المكاسب الخبيثة مما تعتبر لدى الكثيرين من الحلال وهي مشتبهة في حقيقتها لا يعلمها كثير من الناس فضلاً عن المكاسب المحرمة المعلوم تحريمُها للجميع مثل:الربا الواضح والمتاجرة في الخمور والمخدرات وسرقات الأموال واختلاسها بأي طريقة من الطرق إلى غير ذلك مما هو معروف للجميع. ومن أسباب عدم استجابة دعائنا هو: عدم الإضطرار أصلاً ، والدعاء بقلوب غافلة وعقول ساهية لاهية، قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم:((**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ**)). رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني رحمهم الله جميعاً، فالملايين الذين يعيشون في المدن وكثير من القرى يأتيهم الماء عبر الأنابيب إلى منازلهم أو في الصهاريج ولا يعرفون من أين أتى؟ وماذا أُنْفِقَ عليه حتى وصل إليهم؟ فلذلك لا يَأْبَهُون به ولا يُلقون له بالاً ولا يحسبون له حساباً، علماً بأن الغش والخيانة وصلت إليه أيضاً ، إذاً هذا الغش التابع للأسباب الأولى في عدم إطابة الكسب يدخل أيضاً لكثير من الناس في عدم الاضطرار عند الدعاء، فالفرق بيننا وبين الأولين هو الاضطرار من عدمه، وهذا أحد الشروط المهمة في تخلف الشرط لعدم وجود المشروط ، وهذا واضح في قول الله تبارك وتعالى:((**أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ**)). [النمل:62]. إنه الله عز وجل الذي يكشف السوء ويجيب دعوة الداعي المضطر وإن كان لديه خلل سابق قبل إخلاصه الحالي في الدعاء وتَوَجُّهِهِ لله العلي العظيم سبحانه وبحمده. فعلى المسلم في أي دعاء أن يكون موقناً بالإجابة من الله العليم الحكيم ولا يحمل همَّ الاستجابة لدعائه، ولكن عليه أن يحمل همَّ الدعاء ولوازمه وآدابه وشروطه التي منها بعض ما تقدم، ومن لوازم الدعاء: حمدُ الله جل جلاله والثناء عليه بما هو أهله، وفي نهايته: ختمُه بالصلاة والسلام على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَوْسِيِّ رضي الله عنه قال: سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يُمَجِّدِ الله ولم يُصَلِّ على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**عجلت أيها المصلي**)). وسمع رسول الله

صلى الله عليه وسلم رجلاً يصلي فمجّد الله وحمده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ادْعُ تُجَبْ وَسَلْ تُعْطَ**)).رواه أبو داوود والترمذي وذكره الألباني في صحيح النسائي.

وإلى جانب ما تقدم وإن كانت تلك تدخل في عموم هذا الأخير ألا وهو كثرة الذنوب والمعاصي التي نبارز بها رب العالمين في كل حين ولحظة حتى تلوّثت الأجواء مما نعمل أو نستقبل عبر الفضائيات والشبكات من كل أنواع المخْزِيَات التي تُنْشَرُ من خلال ما يُعِدُّهُ أعداءُ الإسلام والمسلمين حتى يوقعوهم في المعاصي والآثام على أقل تقدير أو يخرجوهم ويسلخوهم من عقيدتهم الإسلامية،سواء كان ذلك عن طريق وسائل الأعداء وأموالهم أو عن طريق وسائل المنتسبين للإسلام وأموالهم التي سوف يُسألون عنها يوم القيامة والتي هي مع كل أسف تهدم أخلاق المسلمين وتشوّه سمعتَهم وصورتَهم الناصعةَ التي عرفها عنهم أعداء الإسلام فيما خلا من العصور والأزمان ، إذَا بأصحاب رؤوس الأموال يوجِّهُونَ ضربةً قاصمةً للإسلام وأهله من خلال استعمالهم لأموالهم فيما لا يرضي الله بما يَبُثُّونَهُ مما يندى له الجبين ويخاف من عواقبه كلُّ غيور على الإسلام والمسلمين من خلال وسائلهم الإعلامية وتسابقهم المحموم للمساعدة على نشر الفواحش في المجتمعات جميعها ومجتمعات المسلمين على وجه الخصوص، وإننا لنخاف من انتقام الله عز وجل من الجميع حيث لم يأخذ العقلاء على أيدي السفهاء، فلذلك ليس الجميع بمأمنٍ من العقاب العاجل إذا لم يتّقوا الله ويحرصوا على الركوب في سفينة المجتمع بشروطها حتى لا يغرق الجميع في

يوم من الأيام، قال تعالى:((وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾)).[الأنفال:25]، فعلينا أن ندعوا الله ونحن موقنون بالإجابة ، قال تعالى:((وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾)).[غافر60]، وعلينا أن نستجيب لأمر الله عز وجل باتباع أوامره واجتناب نواهيه حتى يستجيب الله دعاءنا، قال تعالى:((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾)).[البقرة:186]. إذاً علينا أن نقلع عن الذنوب والمعاصي ونفتش أنفسنا وأموالنا ومكاسبنا ونطهرها من الكسب الخبيث ونستغفر الله ونتوب إليه ونطلب منه المغفرة والعفو عما سلف وكان من الذنوب والآثام، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله،وارض اللهم عن الصحابة وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بمنك وكرمك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

الـزكـاة

الخطبة الأولى 1421/9/12هـ

الحمد لله الذي أنعم علينا بالأموال وبجميع النعم وأباح لنا التكسب عن طريق الحلال وشرع لنا تصريفها فيما يرضيه عز وجل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أَزْهَدُ الناس في الدنيا وأكرمهم في بذلها على الإسلام وأهله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد:فعلينا أن نتقي الله ونؤدي ما أوجب الله علينا في أموالنا التي رزقنا الله سبحانه فقد أخرجنا الله من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً ولا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا نملك ديناراً ولا درهماً، ثم يسَّر لنا الرزق وأعطانا ما ليس في حسابنا كما رزق جميع الدواب على هذه الأرض، قال تعالى:((**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا**)).[هود:6]، وقال عز وجل :((**وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾**)).[الذاريات22، 23]، فعلينا أنْ نشكرَ الله على نعمه ونؤدي ما أوجب الله علينا لإبراء ذممنا وتطهير أموالنا، ونحْذرَ الشُّحَّ والبخلَ بما أوجب الله علينا فإنَّ فيهما هلاكَنا ونَزْعَ بركة أموالنا، ونعلم أن أعظم ما أوجب الله علينا في الأموال الزكاة التي هي ثالث أركان الإسلام وقرينة الصلاة في محكم القرآن، وجاء في منعها والبخل بها الوعيد بالعذاب الأليم،قال الله تعالى:((**وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾**)).[آل عمران:180]، وقال تعالى:((**وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾**)).[التوبة34، 35]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الآية الأولى:((**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له شجاعاً أَقْرَعَ**- وهي الحية الخالي رأسها من الشعر لكثرة سمّها- **له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزميته**- يعني شدقيه- **يقول أنا مالك أنا كنزك**)).رواه البخاري. وقال صلى

الله عليه وسلم في تفسير الآية الثانية:((**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيُكْوَى بها جنبُه وجبينُه وظهرُه كلما بردت أُعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقْضَى بين العباد**)).رواه مسلم. وحَقُّ المال هو الزكاةُ، فيا أيها المسلمون:إنه لا يُحْمَى على الذهب والفضة في نار كنار الدنيا إنما يحمى عليها في نار أعظم من نار الدنيا كلها ضوعفت عليها بتسعة وستين جزءاً. إذا أُحمي عليها لا يُكوى بها طرفٌ من الجسم متطرف وإنما يكوى بها الجسم من كل ناحية، الجباه من الأمام، والجنوب من الجوانب، والظهور من الخلف، وإذا كُوِيَ بها الجسمُ أُعيدتْ فأُحميتْ في نار جهنم ويكوى بها الجسم مرة ثانية، وهكذا كلما بَرَدَتْ أعيدت حتى يُقضى بين العباد أعاذنا الله منها.

أيها المسلمون: إن ذلك العذاب ليس في يوم أو شهر أو سنة ولكن في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فما قيمة الأموال التي نبخل بزكاتها وما فائدتها إذا كانت نقمة علينا وثمرتها لغيرنا؟ إنه لا يطيق أحدٌ الصبرَ على وهج النار في الدنيا فكيف يستطيع الصبر على نار جهنم ؟ نعوذ بالله من النار ونسأله سبحانه أن يجيرنا من عذابها، فعلى المسلم أن يتقي الله ويؤدي الزكاة طيبة بها نفسه معتقداً فرضيتها ويؤديها لمستحقيها. إنّ الزكاة واجبة في الذهب والفضة على أي حال كانت، سواء كانت جنيهات أو ريالات أو قطعاً من الذهب والفضة أم حُلِيّاً من الذهب أو الفضة للبيع أو للتأجير أو للاقتناء، أما الحلي الملبوس من قبل النساء

فالخلاف في زكاته معلومة، فالذهب والفضة جاءت نصوص القرآن والسنة بوجوب الزكاة فيهما عموماً بدون تفصيل، وقد جاءت نصوص من السنة خاصة في إيجاب الزكاة في الحلي الذي تلبسه النساء على الذين يجمعون الأموال لشراء ذهب النساء ليكنزوها إلى وقت الحاجة وليتهربوا بذلك من الزكاة بحجة أنه للنساء وللبسهن وليس للادخار مع أنه احتيال في طريقة الادخار والاكتناز يدّخرونه لليوم الأسود على حدّ زعمهم وطريقة بخلهم وشحّهم وتهربهم من إخراج الزكاة ودفعها لمستحقيها، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها وفي يدها مسكتان غليظتان من ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أتعطين زكاة هذا ؟**)) قالت: لا، قال: ((**أَيَسُرُّكِ أنْ يُسَوِّرَكِ اللهُ بهما يوم القيامة سِوَارَيْن من نار؟**)) فخلعتهما فألقتهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: هما لله ورسوله، وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت تلبس أوضاحاً من ذهب فقالت: يا رسول الله: أَكَنْزٌ هو؟ فقال صلى الله عليه وسلم:((**ما بلغ أن يُزَكَّى فزكِّي فليس بكنز**)). وزكاة الحلي الذي تلبسه المرأة أو تدخره مع الخلاف المعلوم في وجوبه يجب أن تؤديه المرأة بنفسها، وإذا أراد الزكاةَ عنها زوجُها أو ولدُها أو أبوها أو غيرُهم من أقاربها فلا بأس ، ولكن لا تجب عليهم كما يعتقده بعض المسلمين، بل الواجب على المالك نفسه وهو المرأة. ولا تجب الزكاة في الذهب والفضة حتى يبلغا النصاب. فنصاب الذهب عشرون مثقالاً، ومقداره من الجنيهات السعودية أحد عشر جنيهاً وثلاثة أسباع الجنيه، وبالجرام اثنان وتسعون جراماً،

والأحـوط خمسة وثمانون جراماً ، وقيل:خمسة وسبعون جراماً، أما نصاب الفضة فمائة وأربعون مثقالاً، ومقداره بالدراهم السعودية ستة وخمسون ريالاً من الفضة، وما دون ذلك لا زكاة فيه. والواجب فيهما ربع العشر على من ملك نصاباً منهما أو من أحدهما وحال عليه الحول، والربح تابع للأصل فلا يحتاج إلى حول جديد، وتجب الزكاة أيضاً في الأوراق النقدية التي يتعامل بها الناس اليوم سواء سُمِّيت درهماً أو ديناراً أو دولاراً أو غير ذلك من الأسماء إذا بلغت قيمتها نصاب الذهب أو الفضة وحال عليها الحول.

كما تجب الزكاة في الديون التي للمسلم على الناس إذا كانت من الذهب أو الفضة أو الأوراق النقدية وبلغت نصاباً بنفسها أو بضمّها إلى ما عنده من جنسها سواء كانت حَالَّةً أو مُؤَجَّلةً، فيزكِّيها كلَّ سنة إن كانت على غني، فإن شاء أدى زكاتها قبل قبضها من ماله، وإن شاء انتظر حتى يقبضها فيزكيها عن المدة التي مضت مهما كان عدد السنوات ، أما إن كانت الديون على فقير فلا زكاة على من هي له حتى يقبضها فيزكيها سنة واحدة عما مضى لأنها قبل قبضها في حكم المعدوم.

وتجب الزكاة في عروض التجارة إذا بلغت قيمتها نصاباً بنفسها أو بضمّها إلى ما عنده من الدراهم أو العروض، وهي كل مال أعده مالكه للبيع تكسباً وانتظاراً للربح من عقار وأثاث وسيارات ومكائن وأطعمة وأقمشة وغيرها فتجب عليه الزكاة فيها، وهي ربع عشر قيمتها عند تمام الحول، فإذا تم الحول يجب عليه أن يُثمِّن ما عنده من العروض ويخرج ربع عشر قيمتها سواء كانت القيمة مثل الثمن أو أقل أو أكثر، فإذا اشترى سلعة بألف ريال

مثلاً وكانت عند الحول تساوي ألفين وجب عليه زكاة ألفين، وإن كانت لا تساوي إلا خمسمائة ريال لم يجب عليه إلا زكاة خمسمائة فقط. ولا زكاة في المال الواجب زكاته حتى يحول عليه الحول مثل النقدَيْن وعروض التجارة والسائمة ، فإذا كان عند المسلم دراهم بلغت النصاب وحال عليها الحول في رمضان فيجب أن يزكيها في رمضان ، ويجوز أن يقدم الزكاة قبل أن يحول الحول على المال الواجب زكاته ، أما ما يقع فيه بعض الناس من تأخير الزكاة عن وقت وجوبها وهو تمام الحول فهذا لا يجوز، أي تأخير الأداء عن وقت الوجوب ، فبعضهم يكون تمام الحول عنده في محرم أو صفر أو غير ذلك من الشهور المتقدمة عن رمضان فيؤخر الزكاة إلى رمضان فهذا الفعل لا يجوز ويجب التنبه له ، أما تقديم الزكاة فلا بأس به وهو الأفضل خاصة إن قدمها في شهر رمضان عن وقت وجوبها الذي يحل بعد شهرين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك طلباً لزيادة الأجر في رمضان حيث مضاعفة الأجر كما ورد بذلك الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الزكاة

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى أحمده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإذا كان المسلم يملك المال شيئاً فشيئاً كالرواتب الشهرية فلا زكاة على شيء منه حتى يحول عليه الحول، وإذا كان يشق ملاحظة ذلك فيزكي الجميع في الشهر الأول من السنة، الشهر الأول بالنسبة له وادِّخاره وحساباته وما يملك هو، فقد يكون أول شهر هو رجب، وقد يكون ربيع الأول أو رمضان كل بحسبه، فما تم حوله فقد زُكِّي في وقته، وما لمْ يتمَّ حولُه فقد أُدِّيَتْ زكاتُه، ولا يضرُّ تعجيلُ الزكاة بل هو أربح وأسلم من الاضطراب، وإذا كان للمسلم عقار يسكنه أو سيارة يركبها أو آلات ومكائن لفلاحته وصناعته فلا زكاة عليه في ذلك لقول النبي صلى الله عليه وسلم:((**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة**)).

وإذا كان له عقار يُؤَجِّرُه أو سيارة يكدُّها في الأجرة أو معدات يؤجرها فلا زكاة عليه فيها،وإنما الزكاة فيما يحصل فيها من الأجرة إذا حال عليها الحول وهي في حوزته، والخلاف إنما هو في أجرة العقارات والمعدات وغيرها مما لم يتم عليها الحول وهي في حوزته وعند استلامه لها، أما ما حال عليها الحول فلا خلاف عليها، والأحوط للمسلم أن يخرج الزكاة خروجاً من أي خلاف محتاطاً لنفسه وسوف يخلف الله عليه وينمّي له المال:((**ما نقص مال من صدقة بل تزده**)).كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى كل مسلم أن يعلم أن الزكاة لا تبرأ منها الذمة حتى تُوضع في الموضع الذي عيّنه الله عز وجل في كتابه الكريم في الأصناف الثمانية، فلا يجوز للمسلم أن يحابي ويجامل فيها أحداً ممن لا يستحقها، فهي كفريضة الصلاة أو الصوم أو الحج كما يُحافظ على الشروط والواجبات والأركان فيها يكون ذلك في

الزكاة أيضاً لأنها أحد أركان الإسلام فلا بُدَّ فيها من الإخلاص لله رب العالمين فلا يكون فيها رياء ولا سمعة ولا منّة ولا أذىً وترفّعٍ على الفقراء والمساكين، بل هي حَقٌّ لهم في ذلك المال، يجب على المسلم أن يدفعها لهم بدون منٍّ ولا أذىً خالصة لله من كل شائبة تشوبها لئلا يحبط عمل المسلم بذلك. بل عليه أن يؤديها معتقداً فرضيتها ووجوبها عليه وأنها حق لأولئك الأصناف في ذلك المال ليس له في ذلك فضل ولا منة، ولا بد لدافع الزكاة أن يكون متبعاً لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في دفعه الزكاة لمستحقيها، فالإخلاص والصواب شرطان أساسيان في قبول العمل، وبعدها يسأل الله عز وجل أن يتقبل منه ذلك العمل وأداءه لتلك الزكاة المفروضة عليه في ماله، لأن كثيراً من المسلمين لم يقدروا لتلك الشعيرة الإسلامية العظيمة قدرها، فتراهم يجاملون ويحابون أشخاصاً يدفعون لهم الزكاة وليسوا من أهلها أو يدفعونها لأشخاص رجاء مصلحة من ورائهم بِجَلْبِ نَفْعٍ أو دفع مضرة فيما يظهر مع أن ذلك بيد الله عز وجل وغير ذلك مما هم يعلمونه، ولا تحل الزكاة لغني ولا لقوي مكتسب، وإذا أعطاها المسلم شخصاً غلب على ظنه أنه مستحق وتبين أنه غير مستحق أجزأت عنه والإثم يكون على ذلك الذي لا يستحقها. ويجوز أن يدفعها المسلم إلى أقاربه الذين لا تجب نفقتهم عليه إن كانوا مستحقين لها، ولا يجوز للشخص أنْ يَقِيَ بها مَالَهُ أو يدفع بها عنه مذمَّةَ الآخرين، ولا يجوز أن يصرفها في شراء مصاحف أو أثاث للمساجد أو في عمارتها أو لإصلاح طرق أو غيرها من المشاريع الخيرية العامة أو الخاصة أو للمساهمة في أعمال تطلبها

جهات رسمية أو غير رسمية يظهر للناس منها بأنها تبرع ولكنها مدفوعة من صاحب المال بِنيَّةِ الزكاة.ولا يجوز دفعها للدعايات والإعلانات التجارية وغيرها وجوائز المسابقات في رمضان أو غيره في الإذاعة أو التلفاز أو الصحافة أو غيرها، فلا يجوز التحايل والإقدام على هذه الطرق الملتوية التي ظاهرها الإحسان والإنفاق والإقدام على فعل الخير بالبذل والعطاء من مال الشخص ولكنها في الحقيقة والنية المبَيَّتَةِ هي فريضة الزكاة التي أوجبها الله عليه. فلا تبرأ ذمة من يفعل ذلك وسوف يحاسب على فعله كما يحاسب على فريضة الصلاة أداءً أو ضياعاً أو إهمالاً أو تكاسلاً يوم القيامة:((**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾**))[الشعراء: 88، 89].

فالواجب على المسلم أن يدفع زكاة ماله إلى مستحقيها لكونهم من أهلها الذين وضّح وحدّد أصنافَهم ربُّ العزة والجلال في كتابه الكريم، ولو أن الزكاة تؤدى في مجتمع المسلمين حقيقة وتدفع لمستحقيها لأصبح الفقراء أغنياء بإذن الله.ولكن التفريط حاصل ومشاهده الآن في المجتمعات الإسلامية، وزكاة أموال المسلمين بالمليارات وليست بالملايين ولا زال الفقراء والمحتاجون في زيادة وحاجتهم لم تُسدّ ، فيا تُرى ما هو السبب ؟ إن السبب وراء ذلك هو عدم دفع لزكاة لمستحقيها أولاً فتذهب هنا وهناك، فذلك يحابي فيها ويجامل، وفلان لا يؤديها أو يتحايل على أدائها ولم يعلم حكم الله فيها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تلك الجهود المبعثرة التي نشاهدها في أعمال الخير في البلد الواحد من انتشار عشرات الجمعيات والهيئات المتعددة والأشخاص الذين يتجمع حولهم أصحاب الحاجة والفقر،

فلو توحّدت هذه الطاقاتُ المبَدَّدَةُ والجهود المبعثرة التي قُصد من ورائها الخير وأوصلت إلى الفقراء والمساكين النقود ليتصرفوا فيها ويقضوا حاجاتهم بأنفسهم لكان ذلك أَسْلَمَ وأَفْضَلَ من حرمان كثير من الناس من تلك الخيرات أو حجزهم على أنواع معينة من المأكولات والمطعومات التي قد دخل السُّوسُ بعضَها أو انتهت صلاحيتها أو أُرْغِمَ صاحبُ الحاجة بفرض ذلك عليه وليس على ما يرغب في المأكل والمشرب والملبس، ولا أدلَّ على ذلك مما يُفعل في مشروعات إفطار الصائمين وإن كان لا يدخل في الزكاة ولا يجوز أن يَدفع أحدٌ الزكاةَ إلى هذه المشاريع، لأن المستفيدين هم أصحاب المطاعم والمحلات التجارية بأنواعها، والضحية هو ذلك المسمى بالصائم المستفيد من تلك الوجبات المسماة باسمه وحقيقتها المفروضة على الصائمين أكلاً وشرباً قد لا يرغبونها حيث يُفرضُ عليهم اللبن والعصير والسمبوسة والأرز وغيرها مما قد تكون باردة أو غير جيدة في تحضيرها مع ما يصاحبها من جهود وأوقات لو استثمرت في غير ذلك لكان أولى، ولو دُفع لكل صائم مائة وخمسون ريالاً كُلْفة تلك الوجبات واشترى بها الصائم لنفسه ما يريد من أكل وشرب لكان أولى من هذه الجهود المبعثرة والطاقات المهدرة والأموال التي فُرضت على الصائمين واستفاد منها غيرهم. فهذه إشارة أردت منها توحيد الجهود والسير المحمود في الطريق الصحيح وتنبيه كل مسلم ليعرف عظم الأمانة الملقاة على عاتقه سواء كان قائماً على مشروع خيري أو صاحب مال يؤدي زكاة ماله فعليه أن يعرف أين يضعه؟ وهل وضعه في المكان الصحيح ، وهل أداه كما أمر الله عز وجل ورسوله أم

لا؟ لأنه سوف يحاسب على هذه الأموال الحلال منها والحرام، وأداء الزكاة من عدمها وهذه الصناديق التي توضع عند أبواب المساجد هي لِتُلْقِيَ التبرعات من مالك الخاص وليس من الواجب في مالك الذي لا بد أن تؤديه للأصناف الثمانية أو أي واحد منهم، ولو فُرض أنك تريد وضع الزكاة فيها فلا بد من الكتابة على المظروف الذي تضع فيه النقود بأنها من الزكاة وعَدَد تلك النقود ، لئلا توضع في مشاريع أو أعمال أخرى ليس لها صلة بمصارف الزكاة، وليس كل مشروع خيري تدفع له الزكاة، فليتنبه كل مسلم إلى ذلك حتى تبرأ ذمته من مسؤولية هذه الفريضة العظيمة التي دخلتها هذه الأيام وهذا الزمان عدة عوامل أفقدتها مكانتها العظيمة في الإسلام، وأصبح التهاون بها بين المسلمين الآخذ والمعطي سمة وعلامة بارزة تدل على عدم الاهتمام وقلة المبالاة والخوف من عاقبة ذلك في الدنيا قبل الآخرة. ولا يفهم أحد من كلامي هذا غير ما أردته ولا يحمله على غير المحمل الحسن إن كنا نريد الخير لا غير، فما أردت إلا الخير من حيث توحيد الجهود في جهة واحدة في كل بلدة ومدينة والاهتمام بأمر الزكاة والعناية بذلك والتفريق بينها وبين عموم الصدقات والهبات.قال الله تعالى:((۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾)).[التوبة:60]، وفي ختم هذه الآية بهذين الاسمين العظيمين تنبيه من الله جل جلاله لعباده على أنه سبحانه وتعالى هو العليم بأحوال عباده ومن يستحق منهم للصدقة ومن لا يستحق، وهو الحكيم في شرعه وقدره فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها

اللائقة بها وإن خفي على بعض الناس أسرار حكمته ليطمئن العباد لشرعه ويسلّموا لحكمه. وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله.

الترهيب من المسألة وتحريمها مع الغنى

الخطبة الأولى 1414/9/8هـ ، 8 /1422/9هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فمن حكمة الله عز وجل أن جعل الناس درجات متفاوتين في الأرزاق والأعمال وغيرها في الدنيا وفي الآخرة ، ومن ذلك: التفاوت في الأرزاق ليخدم بعضهم بعضاً وإن لم يشعروا بهذا، ومن أجل الامتحان والابتلاء والاختبار لكيلا يطغى صاحب المال، وليستعف المحروم، ولولا ذلك لما نجح أحد في الامتحان الذي فيه ومعه وبعده رفع الدرجات أو هبوط الدركات. قال تعالى:((وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾)).[الأنعام:165].ولكي يتربى المسلم على الطاعات وفعل الخيرات فتح الله له أبواباً كثيرة من الخير وإن كان فقيراً، ويتساوى فيها الفقير مع الغني ،وقد يسبق الفقيرُ الغنيَّ وينافسه ويكون أعلى منه درجة في كل أبواب الخير والعمل الصالح إلا عندما يكون مُعْدَماً لا مال له وسبقه الغني بإنفاق المال سواء كان فرضاً أو نفلاً زكاة أو

صدقة عامة إلى جانب أعماله الصالحة ، عندها يدرك المسلمُ الحكمةَ من وجود المال في يده أو عدمه.

والإسلام لا يحب لأهله الذلة والخضوع والمسكنة لغير الله والهوان ومسألة الناس ، وإنما حَثَّ على التكسب والسعي في الأرض لطلب الرزق الحلال وجَعَلَ السعي على الأهل والأولاد والعيال من أفضل الأعمال التي يُثاب عليها المسلم وتعتبر عبادة متى نوى بذلك التقرب إلى الله عز وجل ممتثلاً أمر الله جل جلاله في طلب الحلال والإنفاق منه في الحلال أيضاً وأداء ما أوجب الله فيه من حق لأهله المستحقين له، قال تعالى:((**هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ**)). [الملك:15]. وقال سبحانه:((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**)). [المؤمنون:51]. وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال عز وجل: ((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**)).[البقرة:172]. وقال تعالى: ((**فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلاً طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**)).[النحل:114]. وقال صلى الله عليه وسلم مرغباً في النفقة على أهل الشخص ومن يعول:((**دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**)).رواه مسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على دابته في سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه في سبيل الله**)).رواه مسلم. ووردت أحاديث كثيرة في الترهيب من المسألة وتحريمها مع

الغنى كما جاءت بالترغيب في التعفف والقناعة والأكل من كسب اليد ليرتفع المسلم عن كل ما يشِينُهُ أو يَحُطُّ من كرامته وليبقى عزيزاً رافع الرأس ، ولكن مع تغافل الناس وغفلتهم وقلة عنايتهم بإسلامهم وعدم معرفتهم لأحكام دينهم أو لتهاونهم في التطبيق يكون الإفراط أو التفريط، وكلا الأمرين مذمومٌ سلوكُ طريقِهِما وغير محمود ، فلا أصحاب المال يؤدون ما أوجب الله عليهم في الوجوه التي أُمروا بأدائها فيها أَيْ في الأصناف الثمانية ، لم يُؤَدُّوا زكاة أموالهم في مصارفها الشرعية ولم يتصدقوا من فضول أموالهم وإلا لما بقي سائل يسأل أو فقير في مجتمعات المسلمين لو أديت الزكاة كما يجب، ولا الفقير أو صاحب الحاجة يعرف المسألة الشرعية ويكف عما زاد عن ذلك، وأَخُصُّ بالذكر أولئك الذين اتخذوا المسألة مهنة شَبُّوا وشابوا عليها ورَبَّوْا أولادَهم ومن تحت أيديهم على ذلك حتى صارت تلك عادتهم التي لا يستطيعون الخلاص منها. وأذكر ما تيسر من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حول ذلك. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مُزْعَةُ لحم**)).رواه البخاري ومسلم والنسائي ، مزعة: قطعة. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**إنما المسائل كُدُوحٌ يكدح بها الرجل وجهه ، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء ترك إلا أن يسأل ذا سلطان أو في أمر لا يجد منه بُدّاً**)).رواه أبو داوود والنسائي والترمذي. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من فتح على نفسه باب مسألة من غير فاقة نزلت به أو عيال لا يطيقهم فتح الله عليه**

باب فاقة من حيث لا يحتسب)).رواه البيهقي، وقال صلى الله عليه وسلم:((**من سأل مسألة وهو عنها غني كانت شَيْناً في وجهه يوم القيامة**)).رواه أحمد والبزار والطبراني. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من سأل الناس تكثّراً فإنما يسأل جمراً فَلْيَسْتقِلَّ أو لِيَسْتكثرْ**)).رواه مسلم وابن ماجة. وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من سأل الناس عن ظَهْرِ غِنَىً استكثر بها من رَضْف جهنم**)) قالوا: وما ظهر غنى؟ قال: ((**عشاء ليلة**)). رواه عبدالله ابن أحمد في زوائده على المسند، والطبراني في الأوسط، وإسناده جيد. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من سأل الناس لِيُثْرِيَ مالَه فإنما هي رَضْفٌ من النار مُلْهَبَةٌ ، فمن شاء فَلْيُقِلَّ، ومن شاء فَلْيُكْثِرْ**)).رواه ابن حبان في صحيحه.الرضف:الحجارة المحْمَاة. وقد أثَّرَتْ تلك التربية النبوية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ بهم الأمر إلى أبعد من ذلك مع الحاجة إلى المال والنفقة في ضروريات الحياة أو المسألة التي نراها عادية لدينا وهي كذلك. عن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنهما قال:كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال:((**ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟**)) وكنا حديثي عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله، فقال: ((**ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم؟**)) فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله فَعَلَامَ نبايعك؟ قال:((**أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا، وأَسَرَّ كلمة خفية، ولا تسألوا الناس**)). فلقد رأيت بعض

أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه.رواه مسلم والترمذي والنسائي. وفي إحدى الروايات عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذَرٍّ ما يُقال لك بَعْدُ، فلما كان اليوم السابع قال: أوصيك بتقوى الله في سرّ أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن، ولا تسألن أحداً شيئاً وإن سقط سوطك ولا تقبضنّ أمانة**)).رواه أحمد ، ورواته ثقات.لا تقبضن أمانة: أي لا تحجبها ولا تمنعها صاحبها، ووصل الأمر بأبي بكر رضي الله عنه إلى أنه ربما يسقط خطام الناقة من يده فيضرب ذراع الناقة فيُنِيخُهَا فيأخذه لئلا يطلب من أحدٍ أن يناوله إياه فيقولون له:أفلا أمرتنا فَنُنَاوِلَكَهُ ؟ قال:إن حِبِّي صلى الله عليه وسلم أمرني ألاَّ أسال الناس شيئاً وهذا حكيم بن حزام رضي الله عنه يروي ما جرى له فيقول: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال:((**يا حكيم إن هذا المال خَضِرٌ حُلْوٌ، فمن أخذه بسخاوة نفس بُورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى**)). قال حكيم: فقلت يا رسول الله: والذي بعثك بالحق لا أَرْزَأُ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين أُشهدكم على حكيم أني أَعْرِضُ عليه حقه الذي قسم الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، ولم يَرْزَأ حكيمٌ أحداً من الناس بعد النبي صلى

الله عليه وسلم حتى توفي رضي الله عنه. رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي رحمهم الله. يرزأ: يأخذ.

وعن قبيصة بن المخارق رضي الله عنه أنه قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله فيها ؟ فقال:((**أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها، ثم قال: يا قبيصة: إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمَّل حَمَالَةً فحلّت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش. أو قال : سداداً من عيش. ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِْجَى من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقةٌ، فحلّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش. أو قال : سداداً من عيش. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُحْتٌ يأكلها صاحبُها سحتاً**)).رواه مسلم وأبو داوود والنسائي. الحمالة:الدية يتحملها قومٌ عن قومٍ، وقيل:هي ما يتحمله المصلح بين فئتين في ماله ليرتفع بينهم القتال والفتنة، والجائحة: الآفة تصيب الإنسان في ماله، والفاقة: الفقر والحاجة، والسِداد: بكسر السين ما يسد حاجة المعُوِن ويكفيه. والقِوام: بكسر القاف وفتحها، ما يقوم به حال الإنسان من مال غيره ، والحِجَى: بكسر الحاء هو العقل.

الترهيب من المسألة والترغيب في التعفف

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده عز وجل وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد: فلقد جاء الترغيب في التعفف عما في أيدي الناس والقناعة بالرزق الحلال مهما كان قليلاً، ورفع الإسلام من مكانة ودرجة من كانت القناعة والتعفف وغنى النفس خلقاً له، ولقد رأينا في الأحاديث السابقة كيف كان حال الصحابة رضي الله عنهم في الابتعاد عن سؤال الناس ليس المال وإنما سقوط سوط أحدهم على الأرض أو خِطَام الدابة وهو عليها فينزل ليأخذه لئلا يسأل أحداً ويطلبه ليرفعه له، وأذكر عدة أحاديث متنوعة في هذا الباب للانتفاع ونشرها بين عامة المسلمين وإن كانت معلومة لدى بعضهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لأَنْ يأخذَ أحدُكم أَحْبُلَه فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكفَّ بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أَعْطَوْهُ أَمْ مَنَعُوه**)).رواه البخاري وابن ماجة وغيرهما. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل**)).رواه أبو داوود والترمذي. وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:((**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**)).رواه مسلم وغيره. وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابْدَأْ بمن تَعُول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ الله**)).رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى**

يغنيه، ولا يُفْطَنُ له فَيُتَصَدَّق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس)).رواه البخاري ومسلم.وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا تُلْحِفُوا في المسألة ، فوالله لا يسألني أحد منكم شيئاً فَتُخْرِجَ له مسألتُه مني شيئاً وأنا له كاره فيُبارك له فيما أعطيتُهُ))**.رواه مسلم والنسائي،والحاكم وقال: صحيح على شرطهما. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول: أَعْطِهِ من هو إليه أفقر مني، قال: فقال:((**خُذْهُ ، إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مُشْرِفٍ ولا سائل فَخُذْهُ فتَمَوَّله، فإن شئتَ كُلْهُ، وإن شئت تصدق به، ومَالاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نفسَك))**.قال سالم بن عبد الله: فَلأَجْلِ ذلك كان عبد الله لا يسأل أحداً شيئاً ولا يردُّ شيئاً أُعْطِيَهُ، رواه البخاري ومسلم والنسائي. وقال صلى الله عليه وسلم:((**من عُرِض له من هذا الرزق شيء من غير مسألة ولا إشراف نفس فليتوسع به في رزقه، فإن كان غنياً فليوجهه إلى من هو أحوج إليه منه))**.رواه أحمد والطبراني والبيهقي رحمهم الله تعالى.

فعلى المسلمين القيام بالواجب عليهم في هذا الباب وغيره من دين الإسلام، على الأغنياء سواء كانوا أصحاب أموال كثيرة أو قليلة أن يُؤَدُّوا زكاةَ أموالهم في مصارفها الشرعية طيبةً بها نفوسُهم ولا يتركوا الفقراء والمساكين والمحتاجين يتخدّعونهم ويستخرجون منهم حقوقهم وهم في غاية الذلة والمسكنة، عليهم أن يتقوا الله تعالى ويرفعوا من قدر إخوانهم المحتاجين المستحقين لها دون إلحاق الحرج والضرر بهم، وعليهم الابتعاد عن الحِيَلِ الشيطانية والفتاوى التي لا تستند إلى دليل شرعي. كما أنَّ عليهم أنْ يتصدقوا من فضول أموالهم غير الزكاة الواجبة التي ليس لهم فيها فضل ولا منّة ليفوزوا بِرِفْعَةِ الدرجات في الجنة، ولِيَقُوا بها أنفسهم من عذاب النار، قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم:((**اتقوا النار ولو بشق تمرة**)). عليهم أولاً وأخيراً أن يؤدوا الزكاة الواجبة في أموالهم لأن كثيراً من المسلمين يبخلون بها ولا يؤدونها إما بالتحايل في إيجاد الطرق الملتوية لئلا يدفع أحدهم الزكاة كما هو الحال فيمن له ديْن على شخص أو أشخاص أو أي جهة أخرى ثم لا يدفع الزكاة بحجة هذا الدين وبحجة أن له ديناً على الناس تهرُّباً أو تحايلاً لئلا يدفعها لأهلها المستحقين لها، وقد يأخذ بعضهم بقولٍ لا يستند على دليل صحيح ، فيجب على صاحب الدَّيْنِ أن يُخرج الزكاةَ عن دَيْنه الذي له على أي شخص أو أي جهة كانت، وعلى أصحاب الديون التي لهم عليه أو على غيره أن يؤدوا زكاة ديونهم ويدفعوها للأصناف الثمانية الذين ورد ذكرهم في الكتاب والسنة.ومنها قول الله جل جلاله:((**۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**)).[التوبة :60]. وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه لليمن من ضمن وصاياه له:((**فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم صدقة في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم**)). كما أن على الفقراء والمساكين ومن نزلت بهم حاجة وفاقة أن يلتزموا حدود الله ويعلموا حرمة المسألة من غير حاجة،وعليهم القناعة والتعفف عما في أيدي الناس ولا يذلوا أنفسهم فتكون أيديهم السفلى، بل عليهم السعي للتكسب والعمل من الحلال، وخاصة من يقدر على العمل فإنه لا تحل له المسألة كما ورد بذلك الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم بأنها((**لا تحل لقوي مكتسب**)).

وعلى المسلمين عموماً في أي بلد أن يَتَفَقَّدُوا الفقراء منهم لأنهم في ازدياد وكثرة، وحاجتهم وفاقتهم أكثر نظراً لمتطلبات العصر الذي نعيشه ومواجهة نفقاته، فقضاء حاجاتهم والاهتمام بهم وبشؤونهم خير للجميع في الدنيا والآخرة بدلاً من تركهم وإهمالهم الذي قد يؤدي بهم إلى الكفر والعياذ بالله كما هو الحال في استغلال النصارى لحاجات الفقراء في كثير من الدول والوقوف إلى جانبهم ومن ثم دخولهم في النصرانية، ولا يظن أحدٌ أنَّ الفقرَ خاصٌّ بالدول الفقيرة التي ظاهرها الفقر بل هو موجود في كل بلاد المسلمين بدون استثناء، ولا أدخل في التفاصيل ولكن اللبيب بالإشارة يفهم، فواجب الأغنياء أن يتقوا الله تعالى في إخوانهم الفقراء والمساكين من المسلمين ويعطوهم الزكاة المفروضة عليهم في أموالهم ويسدوا حاجتهم حتى لو أدى الأمر إلى الصدقة من فضول أموالهم، قال تعالى:((**وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝٢٥**)).[المعارج24، 25]. وقال عز وجل:((**وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝١٩**)).[الذاريات:19]. وعلى المسلمين عموماً أن يساعدوا إخوانهم بكل طريقة ممكنة وتفقد أحوالهم، وعلى الحكومات أياً كانت تفقّد حال شعوبها ومواطنيها وخاصة الفقراء والمساكين، ولا يتركونهم لذل الحاجة والمسألة أو العيش في الفقر والمسكنة، فالجميع مسؤولون أمام الله عز وجل عن هذا وغيره، فلنتق الله ونحذره ونعدّ العدة يوم العرض عليه، فَالْعَقَبَةُ كَؤُودٌ، والصعود إلى أعلاها صعب المنال، والخروج من مغاراتها وكهوفها في غاية الشدة والكرب والهمّ يوم الفزع الأكبر. ((**يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ۝١٨**)).[الحاقة:18].

صفة الحج

الخطبة الأولى 1405/11/30هـ

الحمد لله الذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وقدوة للعاملين وحجة على العباد أجمعين وجعل دينه مبنياً على تحقيق العبادة لله رب العالمين ديناً ميسراً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا مشقة ولا تضييق ولا تعسير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي القدير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً.

أما بعد: فإن الواجب على المسلم أن يعبد الله على علم وبصيرة لا أن يعبده على جهل وضلال، يجب عليه التعرف والسؤال عن أحكام دين الإسلام مما هو معلوم من الدين بالضرورة مما يجب عليه تعلمه ومعرفته والعمل به ويعمل بذلك مخلصاً العبادة لله رب العالمين، لأن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً له سبحانه وصواباً على سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ومما يؤسف له في هذا الزمن الذي كثر فيه العلم الدنيوي والديني أيضاً نجد التطبيق العملي لبعض شعائر الإسلام من الصعوبة بمكان لدى كثير من المسلمين، وأكبر دليل على ذلك تلك الأخطاء والإشكالات التي تقع في مناسك الحج لكثير من الحجاج الذين لو اتبعوا المنهج القويم وسلكوا الطريق المشروع لما وقعوا فيما وقعوا فيه ولما صعب عليهم أداء ذلك النسك وتلك العبادة المفروضة على من دخل فيها وعلى المستطيع إليها سبيلاً. إذاً فالحج

عبادة مفروضة كَأَيٍّ عبادة أخرى يجب على المسلم أن يتعلمها قبل الشروع والدخول فيها وهي في غاية اليسر والسهولة ، فعلى المسلمين أن يعرفوا ويتعلموا أحكام الحج أحد أركان الإسلام الخمسة الذي يجب على كل مسلم ومسلمة أداؤه مع الاستطاعة ، وحتى يقوموا بأدائه على أكمل وجه وأفضله بإذن الله عز وجل فعليهم أن يعلموا ذلك ابتداءً ليسيروا على علم وبصيرة ، وبذلك يكونون قد أراحوا أنفسهم وأراحوا غيرهم وعلموا معنى قول الله عز وجل في آخر سورة الحج :((**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**)).[الحج :78].

فعلى المسلم أن يتعلم ذلك وغيره ، ومتى لم يعلم أي أمرٍ من أمور دينه فعليه أن يسأل أهل العلم امتثالاً لقول الله عز وجل: ((**فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾**)).[الأنبياء :7]، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج عند كل منسك:((**خذوا عني مناسككم**)).وأورد أعمال الحج مُلَخَّصَةً ومُنْتَقَاةً من كتب أهل العلم مع ذكر بعض الأدلة وليس كلها لأن زمن خطبة جمعة واحدة لا يتسع لها. فإذا عزم المسلم على السفر للحج يستحب له أن يوصي أهله وأصحابه وأقاربه ومن يودّعه من المسلمين بتقوى الله عَزَّ وجلَّ كما هي الوصية بالتقوى أيضاً لنفسه في أي مكان وزمان وهي وصية الله للأولين والآخرين بفعل الأوامر وترك النواهي واجتنابها ، قال تعالى:((**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ**)).[النساء:131]. ويجب عليه أنْ يكتبَ مَا لَهُ ومَا عَلَيْهِ من الدَّيْن ويُشْهِدَ على ذلك إذا كان الدين لم يحلَّ موعدُه أو حلَّ وسمح له صاحب الدين

بالتأجيل، والسماح المقصود هنا والذي يتعلّق به كثير من الناس حسب مفهومهم هو للديْن الذي حلَّ موعدُه أو قَرُبَ وليس له مالٌ يُسَدِّدُ منه صاحبُ الدين، أو أن نفقة الحج كثيرة على الحاج لا يطيق بعدها أو معها سدادَ الدين، ففي هذه الأحوال هي التي لا بُدَّ أنْ يَتِمَّ استئذان صاحب الدين، أما إذا كانت نفقةُ الحج قليلةً أو أن المدين لديه أموال سوف تسدد منها الديون أو أنَّ موعد سداد الدين بعد أشهر أو سنوات فهذا لا يمنع أي مسلم من أداء الحج كما اتخذ ذلك كثير من المسلمين حجةً لعدم تأديتهم الحج لدرجة أن بعضهم بلغ الستين والسبعين من عمره وهو لم يحج مع الاستطاعة وهو قريب من مكة المكرمة بحجة الدين القليل الذي عليه مع أنه يسافر الأسفار الطويلة والبعيدة ويصرف فيها أضعاف ما يصرف في الحج ولا يسأل عن ذلك ولا يحتجّ بالدين الذي عليه ولا يستأذن صاحب الدين كما يدعي ويزعم ، والمقصود بالدين في الحج والجهاد في سبيل الله وغيرهما هو الاهتمام بأمر الدين وقضاؤه لأن الميت يبقى معلقاً به حتى يُقضى عنه، والشهيد يُغفر له عند أول قطرة تُهراق من دمه كلُّ شيء من الذنوب إلا الدين، وليس المقصود عدم جواز حج من كان عليه دين بل هو لتعظيم شأن الدين ووجوب المبادرة بقضائه والوفاء به وتقديمه على فريضة الحج في الأداء والقضاء. وأعود للقول بأن على الحاج المبادرة إلى التوبة النصوح من جميع الذنوب واختيار الرفقة الصالحة، وكذلك اختيار النفقة الطيبة من المال الحلال للحج أو العمرة كما هو الحال في حياته كلها لما صحَّ عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في قوله:((**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً**)).

وللحديث الوارد في ذلك أيضاً:((**إذا خرج الرجل حاجاً بنفقة طيبة ووضع رجله في الغَرْزِ فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء، لبيك وسعديك، زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك غير مبرور**)). والحج المبرور جزاؤه الجنة كما جاء ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال صلى الله عليه وسلم:((**الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**)).

وإذا وصل الحاج إلى الميقات يُسَنُّ له قبل الإحرام الأخْذُ من مشاربه وقَلْمُ أظفاره وحَلْقُ عَانَتِهِ ونَتْفُ إِبْطَيْهِ والاغتسال والتطيب، وإن فعل ذلك في منزله وخاصة مَنْ منزلُه قريب من الميقات فلا بأس لئلا يعطّل رُفْقَتَهُ أو لقرب الوقت كالمسافر في الطائرة أو الذي لا يسير ليالي وأياماً حتى يصل الميقات، ثم يلبس الرجل إزاراً ورداءً أبيضين نظيفين بعد أن يتجرَّدَ من المخِيط، والمخيط:هو ما يُخَاطُ للبدن أو بعضه كالفلينة والسروال والثوب وما شابه ذلك، وليس من المخيط الحزام والساعة والحذاء التي فيها خيوط فليس هذا هو المقصود والمنهي عنه بل هو الأول. أما المرأة فتلبس المخيط وتحرم فيما شاءت من الثياب السوداء أو الحمراء أو الخضراء أو غيرها بعيدة عن الزينة وفتنة الرجال ودون التشبه بالرجال في اللباس الأبيض أو الأخضر كما هو الحال فيمن يتقيّدن بلباس معيّن لهن في الإحرام كما تفعله بعض النساء ويُقِرُّهُنَّ الرجالُ على ذلك . والحاج مُخَيَّرٌ بين أنواع النسك الثلاثة: الإفراد، أو التمتع، أو القِران، ويجب على الحاج أن ينوي الدخول في النسك الذي يريده ويحدده من عمرة أو حج، ويشرع له التلفظ بما ينوي، فإن كانت نيته

الحج قال:لبيك حجاً، أو اللهم لبيك حجاً (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك). وإن كانت نيته العمرة قال: لبيك عمرة، أو اللهم لبيك عمرة:(لبيك اللهم لبيك) ... إلى نهاية التلبية، وله أن يشترط في حجه أو عمرته خاصة من كان له عذر كالمريض أو الخائف من الحَصْرِ وعدم إكمال نسك الحج أو العمرة وذلك بقوله بعد التلبية:(فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني). فبهذا الاشتراط إن حصل له ما يعوقه عن إتمام النسك جاز له التحلل.

ولا يجوز للمحرم بعد نية الإحرام من الميقات أن يأخذ شيئاً من شعره أو أظفاره ولا يمسّ طيباً ولا يلبس مخيطاً بالنسبة للرجال، ومن الواجب عليه أن يترك الرفث والفسوق والجدال في الحج امتثالاً لقول الله جل جلاله :((**ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ**)).[البقرة:197]، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**)).وينبغي الإكثار من التلبية في الطريق إلى مكة، فإذا وصل المسجد الحرام ورأى الكعبة قطع التلبية قبل أن يشرع في الطواف، ويضطبع الرجل أي يجعل وسط الرداء تحت منكبه الأيمن وطرفيه على عاتقه الأيسر، وهذا هو المشروع في الاضطباع من حين يرى الكعبة حتى ينتهي من الطواف فقط ، وعندما يريد أداء ركعتي الطواف فعليه أن يعيد الرداء على كتفيه ويسترهما في الصلاة ، وليس كما يفعله معظم المسلمين من الاضطباع وإبداء الكتف الأيمن من حين لبس ملابس الإحرام حتى الانتهاء من أعمال العمرة أو الحج وعدم سَتْر الكتف الأيمن حتى في

الصلاة فهذا خلاف المشروع، ثم يطوف بالبيت ابتداءً من الحجر الأسود أو ما يوازيه من المسجد وانتهاءً بنفس المكان من كل شوط، سبعة أشواط يرمل الرجل في الثلاثة الأولى إن تيسر له ذلك ويمشي في الأربعة الباقية، ويدعو الله بما شاء إلا أنه بين الركن اليماني والحجر الأسود يُشرع له أن يقول عند نهاية كل شوط:((رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾)).[البقرة :201]، وهذا الدعاء هو الذي ثبت قولُه في الطواف قبل نهاية كل شوط ، فإذا فرغ من الطواف أعاد الرداء على كتفيه ثم يصلي ركعتين خلف المقام أو في أي ناحية من المسجد الحرام لا سيما في الزحام، وتبتعد المرأة عن الرجال والاختلاط بهم خاصة في الصلاة. ويقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة بـ ((قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾))وفي الثانية بعد الفاتحة بـ((قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾)). ويدعو بما تيسر له من الدعاء النافع سواء بعد صلاة الركعتين أو بعد الشرب من ماء زمزم والتَّضَلُّع منه، ثم يخرج إلى الصفا من بابه ويرقى عليه ويستقبل القبلة ويوحّد الله ويثني عليه ثلاث مرات، هذا هو الأفضل، ويدعو بما شاء ، ثم ينحدر إلى المروة ويفعل كما فعل على الصفا، ومن السنة أن يُسْرِعَ الرجلُ في المشي الإسراعَ المسمى بالخَبَبِ فيما بين العلمين الأخضرين في الأشواط السبعة كلها، وأما المرأة فلا يُشرع لها الإسراعُ لأنها عورة ، وإنما المشروع لها المشْيُ العاديُّ في السعي وكذلك الطواف، وبعد السعي يقصّر أو يحلق وبذلك تتم عمرته إن كان متمتعاً، والتقصير هنا أولى إذا كان قريباً من الحج ليترك الحلق للحج حتى يتوفَّرَ شعرُه، أما المرأة فتأخذ قدر أَنْمُلَةٍ من طرف شعرها في هذا أو غيره من حج أو عمرة مفردة بسفر

خاص، وهذا الحلق أو التقصير في الحج للمتمتع، وإن كان الحاج مفرداً أو قارناً فلا يحلق ولا يقصّر بل يبقى على إحرامه حتى يُتِمَّ أعمالَ يوم النحر، وإن كان المشروع للمفرد أن يجعلها عمرة حتى يكون متمتعاً وكذلك القارن إذا لم يَسُقِ الهديَ معه، وإذا أراد المفرد والقارن تقديم سعي الحج بعد الطواف الأول للقدوم فلا بأس، وإلا فلا سعي عليهما بعد طواف القدوم إلا بعد طواف الإفاضة فيَسْعَيَا سعي الحج إذا لم يُقدِّماه.وفي اليوم الثامن يُهلّ بالحج من كان متمتعاً لأنه قد حلّ من إحرامه، أما من كان قارناً أو مفرداً فإنه باقٍ على إحرامه بالحج ولم يحلّ منه، ثم يتّجه الحاج إلى منى ويصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفجر اليوم التاسع كل صلاة في وقتها يقصر الرباعية فقط الظهر والعصر والعشاء، ثم بعد طلوع الشمس يوم عرفة يتوجه من منى إلى عرفة ويُسَنّ له النزول بنَمِرَةَ إن تيسر له ذلك حتى زوال الشمس ثم يصلي الظهر والعصر قصراً وجمعاً في وقت الظهر بأذان واحد وإقامتين ، ثم يقف بعرفة ويتنبه لمكان وقوفه وبقائه من بعد الصلاة حتى غروب الشمس بألاَّ يكون خارج حدود عرفة لأن بعض الحجاج لا يقفون داخل عرفة خاصة من يُصَلُّون في مسجد نمرة أو أمامه وبجوانبه ، علماً بأن مقدمة المسجد واقعة في بطن وادي عُرَنَة وليس في عرفة فليتنبه الحجاج لذلك ومن يقوم على شؤونهم لإرشادهم وتوجيههم وعدم تركهم خاصة وهم يجهلون المواقع. ويكثر الحاج من الدعاء والتلبية والتهليل والتكبير وذكر الله عموماً وخاصة كلمة التوحيد والإخلاص(لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير)حتى

غروب الشمس وينبغي للمسلم في هذا الموقف العظيم أن يكون مخبتاً لله متواضعاً خائفاً وجلاً منكسراً بين يدي الله يرجو رحمته ومغفرته ورضوانه،ويخاف ويخشى الله وغضبه ومقته وأليم عقابه، وعليه أن يحاسب نفسه ويجدّد التوبة النصوح ليجود الله عليه ويغفر ذنبه ويعتق رقبته من النار ويباهي به الله ملائكته، فإذا غربت الشمس ينصرف إلى مزدلفة ويصلي بها المغرب والعشاء جمعاً، وقصراً للعشاء ، بأذان واحد وإقامتين من حين وصوله، والمبيت بمزدلفة واجب إلا في حق الضعفة من النساء والصبيان ونحوهم فيجوز لهم أن يدفعوا إلى منى في آخر الليل، أما من هو متعيّن عليه المبيت فبعد صلاة الفجر بمزدلفة يقف عند المشعر الحرام ويستقبل القبلة ويكثر من ذكر الله وتكبيره والدعاء مع رفع اليدين حال الدعاء، وحيثما وقف من مزدلفة أجزأه، ويجب على الحاج أن يعلم أنه داخل حدود مزدلفة إلا من لم يجد مكاناً بعد اجتهاده في ذلك أو من كان له عذر، ويكون الذكر والدعاء حتى يُسْفِرَ ويظهرَ الضوءُ جلياً بعد صلاة الفجر وقبل طلوع الشمس ، لقول الله عز وجل:((فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾)) [البقرة: 198، 199]، والسنة لَقْطُ سبع حَصَيَاتٍ فقط لرمي جمرة العقبة بعد أن يدفع من مزدلفة إلى منى، وفي الأيام الباقية يلتقط كل يوم إحدى وعشرين حصاة من منى لرمي الجمرات الثلاث، وإذا وصل الحاج إلى منى قطع التلبية عند جمرة العقبة التي يجب رميُها في هذا اليوم، يرميها بسبع

حصيات يكبر مع كل حصاة، وبعد الرمي ينحر هديه أو يذبحه إن كان متمتعاً أو قارناً، ثم يحلق الرجل رأسه أو يقصره،والحلق أفضل لأن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا بالرحمة للمحلقين وردّد ذلك ثلاث مرات وللمقصرين واحدة، ولا يكفي تقصير بعض الرأس بل لا بد من تقصيره كله كالحلق، والمرأة تقصّر من كل ظفيرة قدر أنملة فأقل، وبعد رمي جمرة العقبة والحلق أو التقصير للمفرد أو الذبح للقارن والمتمتع يُباح للمحرم بفعل اثنين كلُّ شيء حَرُمَ عليه إلا الزوجة ، ويسمى هذا التحلل الأول. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:((فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾)).[البقرة:200-202].

صفة الحج

الخطبة الثانية

الحمد لله العظيم القهار القوي القدير الجبار فرض الفرائض وحدّ الحدود وأمر بتعظيم شعائره وجعل ذلك من تقوى القلوب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المطّلع على الظواهر والبواطن وهو علام الغيوب وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى وخليله المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيُسنُّ بعد التحلل الأول أن يتطيب الحاج ويتوجه إلى مكة ليطوف طواف الإفاضة وهذا الطواف ركن من أركان الحج لا يتمّ الحج إلا به ، ثمّ بعد الطواف وصلاة الركعتين يسعى بين الصفا والمروة إن كان متمتعاً فهذا السعي لحجه والأول لعمرته، وكذلك إن كان مفرداً ولم يسبق له أن قدّم السعي في قدومه، أما القارن بين الحج والعمرة فليس عليه إلا سعيٌّ واحد، فإن كان قد سعى بعد طواف القدوم كفاه ذلك عن السعي بعد طواف الإفاضة، وإن لم يَسْعَ بعد طواف القدوم فعليه أن يسعى بعد طواف الإفاضة،والأفضل للحاج أن يرتِّب يوم النحر هذه الأمور الأربعة: فيبدأ أولاً برمي جمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق أو التقصير ثم الطواف بالبيت والسعي بعده للمتمتع، وكذلك للمفرد والقارن إذا لم يسعيا بعد طواف القدوم. وإن قدّم بعض هذه الأمور على بعض أجزأه ذلك ولا حرج عليه لثبوت الرخصة عن النبي صلى الله عليه وسلم لمن قدم أو أخّر في ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لكل من سأله:((**افعل ولاحرج**)). ثم يرجع الحاج إلى منى ويقيم بها ثلاثة أيام بلياليها أي يوم النحر اليوم العاشر ويومي الحادي عشر والثاني عشر لمن أراد التعجل، والثالث عشر لمن أراد أن يتأخر، يرمي الجمار الثلاث بعد زوال الشمس في كل يوم من الأيام الثلاثة غير يوم النحر، ويجب الترتيب في رميها فيبدأ بالجمرة الأولى وهي التي تلي مسجد الخَيْفِ ثم يرمي الجمرة الثانية ثم الثالثة وهي جمرة العقبة، ويجوز لمن كان له عذر يمنعه عن مباشرة الرمي بنفسه أن يستنيب من يرمي عنه، والذي يُسْتَناب في هذا يرمي عن نفسه أولاً ثم يرمي عمّن استنابه وفي مكانه دون أن يرجع مرة

أخرى، سواء كان الحجُّ فرضاً أو نفلاً، ومن تعجل في يومين بعد يوم النحر فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى، قال تعالى:((۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ)). [البقرة:203]، ثم على الحاج بعد أن ينزل من منى ويريد مغادرة مكة عليه أن يطوف طواف الوداع وهذا واجب ، وبهذا يتم حجه، ولا يسقط طواف الوداع إلا عن الحائض والنفساء حيث ورد الترخيص لهما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولنتدبر هذه الآيات المتتابعة والموضحة لأعمال الحج وأحكامه وإن كان هناك آيات غيرها في مواضع أخرى، قال الله عزَّ شأنُه وجلَّ جلالُه:((وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ

مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾)) [البقرة : 196. 203]. أما المقيمون في بلادهم من المسلمين ولم يحجوا فقد جعل الله لهم أبواباً من الخير ينبغي لهم أن يسارعوا إليها ويغتنموها بالعمل الصالح في أيام العشر من ذي الحجة من صيام وصدقة واستغفار وتكبير وذكر لله عز وجل وقراءة القرآن وجميع أنواع القربات، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام** – يعني أيام العشر– قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال:**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**)).البخاري وأبو داوود والترمذي وغيرهم.

ومن أعظم الأعمال في أيام العشر:الصوم وخاصة صوم يوم عرفة للمقيمين وليس للحجاج فلقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة: قال:((**يكفر السنة الماضية والباقية**)).رواه مسلم.

عباد الله: أحيوا رحمكم الله سنة التكبير المطلق في كل وقت في هذه الأيام من أيام العشر في الأسواق والطرقات والمساجد والبيوت، وكذلك المقيد بعد الصلوات المكتوبة من فجر يوم عرفة إلى آخر أيام التشريق ، فمن أحيا سنة قد أماتها الناس أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب، **وصفة التكبير**: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله ، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

وإذا دخلت عشر ذي الحجة فلا يجوز أخذ شيء من الشعر والأظفار لمن أراد أن يضحي حتى يذبح أضحيته، للأحاديث الواردة في ذلك ومنها ما ورد في صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من كان له ذبح يذبحه فإذا أهلَّ هلال ذي الحجة فلا يأخذن من شعره، ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحي**)).مسلم، وفي الحديث الآخر:((**إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يأخذنَّ من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحي**)).رواه مسلم.

خطبة العيد

الخطبة الأولى 1404/12/10هـ ، 1413/10/1هـ

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، **الله أكبر ، الله أكبر** عدد ما صام صائم وأفطر، الله أكبر عدد ما هلل مهلل وكبر، الله أكبر عدد ما طاف الطائفون بالبيت الحرام وسعوا بين الصفا والمروة وذكروا الله عند المشعر الحرام وسكبوا الدموع بين المقام والملتزم .

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، أحمده سبحانه وهو للحمد أهل وأشكره عز وجل على نعمه وأسأله المزيد منها، سهّل سبحانه للعباد طريق العبادة ويسّر وأفاض عليهم من خزائن جوده ، وجعل لهم عيداً يعود عليهم في كل عام ويتكرر، وجعل لهم مواسم

وأزمنة للطاعة والعبادة ينقِّيهم فيها وبسببها من دَرَنِ الذنوب والآثام، فما إن ينتهي شهر الصيام إلا ويعقبه الحج الأكبر إلى البيت المطهر. وكذلك الصلوات الخمس في كل يوم وليلة، والجمعة في كل أسبوع، فله الحمد وله الشكر على جميع آلائه ونعمه التي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى:((وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾)). [إبراهيم :34]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبدالله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن التمسك بالإسلام يكفل للمسلمين السعادة والسيادة والعز والتمكين والنصر المبين والرفعة والكرامة، وحظُّهم من ذلك وغيره بقدر تمسكهم أو تفريطهم. فبالإسلام الصحيح وتطبيقه في حياة الأفراد والجماعات تصفو النفوس وتتحد القلوب وتقوى الأمة وتُهاب بين الأمم وينتشر الأمن ويعم الرخاء ، ويسعد الجميع بتطبيق شرع الله في أرض الله على عباد الله ، وعندما يتخلى الجميع أو الأفراد أو الحكومات يكون العكس من ذلك. قال الله عز وجل:((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ)). [الرعد :11]. وقال تعالى:((ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾)). [الأنفال :53]. إن الله تعالى يذكِّر عباده المؤمنين بنعمه عليهم الظاهرة والباطنة، ومنها: نعمة الهداية للإسلام واجتماع الكلمة وعدم الاختلاف والتفرق حيث كانوا قبل الإسلام ضُلاَّلاً وأعداءً متفرقين ثم صاروا بالإسلام إخوة متحابين ، آمنوا بالله رباً وإلهاً معبوداً وبِنَبِيِّهِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولاً مطاعاً وقدوة

متبعاً، وبالإسلام ديناً وشريعة ومنهجاً وطريق حياة حقيقية في الدنيا والآخرة ، قَبِلُوا نعمة الإسلام التي أنعم الله بها عليهم وشكروه عليها وعلى جميع النعم الأخرى، وامتثلوا أمر الإسلام وعملوا به دين توحيد وفطرة وتعاون على الخير والهدى والمحبة وعلى البر والتقوى عموماً، عرفوه وطبَّقوا أوامرَه ، وابتعدوا عن نواهيه واتخذوها حدوداً لا تُنتهك ، فيه كل شيء وكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:((**مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ**)).[الأنعام: 38]. فالإسلام دين ودولة ، عقيدة وشريعة ، مصحف وسيف ، إسلام قائم في كل زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولو كره الكافرون، الإسلام هو دين الله عز وجل، قال تعالى:((**إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ**)). [آل عمران :19]. إسلام لن يقبل الله من أحد ديناً سواه بعد أن بلغته رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:((**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴿٨٥﴾)).[آل عمران :85]. فالإسلام محفوظ في كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، قال تعالى:((**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**)).[الحجر:9]. فلله سبحانه وتعالى الحمد والشكر، وله الفضل والمنّة ، ومنه الرحمة والمغفرة .

عندما فهم الإسلامَ سلفُنا الصالحُ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم على نهجهم واقتفى أثرهم الفهم الصحيح والإيمان العميق والتطبيق السليم والدعوة الصادقة عندها انشرحت صدورُهم هُمْ أنفسُهم قبل غيرهم وفتح الله لهم القلوب والأمصار، وقَبِلَ الإسلامَ خلقٌ كثير ودخلوا في دين الله أفواجاً.وزكت نفوس الجميع عندما آمنت فكانت لها العزة بالإسلام

والإيمان الصادق،قال الله تعالى:((وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾)).[المنافقون:8]. فحينما مَنَّ الله على السلف الصالح بالتمسك بدين الإسلام وقاموا بواجبه خير قيام وطبقوه على أنفسهم وعلى غيرهم لا فرق بين الفقير والغني والشريف والوضيع والحاكم والمحكوم عندها شرفهم الله عز وجل فأصبحوا قادة العالم في العز والكرامة والعلم والحضارة والأمن والسعادة والأخلاق السامية والقيم الرفيعة، وصاروا أهل السيادة على العالم بعدلهم وإنصافهم للمظلوم من الظالم مهما علا شأن الظالم وتسلطه،ونالوا الخيرية الموعودة عندما قاموا بالواجب عليهم في كل شؤونهم، ومن ذلك قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله عموماً مع الإيمان بالله أولاً وآخراً ، قال الله تعالى:((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ)).[آل عمران:110].ونالوا الخيرية المذكورة في هذه الآية الكريمة عندما اعتصموا بحبل الله جميعاً ولم يتفرقوا وقاموا بالواجب عليهم في ذلك وفي غيره ، وقد جاء هذا في الآيات التي سبقت هذه الآية السابق ذكرها في قول الله جل جلاله:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾)).[آل

عمران 102-105]. عندما قاموا بالواجب عليهم مَكَّنَ الله لهم في الأرض ونصرهم وحقق لهم الأمن ولشعوبهم ومن تحت رعايتهم،وحكموا الممالك والشعوب بصدق ووفاء وعِفَّةٍ وأمانة وعدل وإنصاف فنصرهم الله عز وجل كما قال تعالى: ((وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾)).[الحج:40،41]. وقال عز وجل:((وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾)).[النور:55،56].وقال سبحانه وبحمده: ((فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾)).[الأنعام:81، 82].وقال تعالى: ((إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾)). [الأعراف:128].وقال تعالى:((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾)).[الأنبياء:105].وقال عز وجل:((وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾)).[إبراهيم:14]. فهذه سنة كونية قائمة عندما أقامت الأمةُ وقادتُها العدلَ وامتثالَ أمر الله جل جلاله كانت لها السيادة والريادة في العالم لأنها حَكَمَتْ بشرع الله عز وجل، ولكن عندما انحرفت أكثر القيادات وجمهرة الشعوب في الماضي والحاضر في البلاد الإسلامية عن

حقيقة الإسلام وعن المنهج النّبوي والهدي المحمدي أصبح واقع المسلمين في غاية الألم والحسرة بسبب الإعراض عن حقيقة الإسلام ونهج سلف هذه الأمة في تطبيق شرع الله،وخاصة في هذا الزمان حيث اكتفى كثير من المسلمين بالتَّسَمِّي بالإسلام وقد لا يؤدي كثير منهم الصلاة فضلاً عن الشعائر الأخرى ، والانتسابُ للإسلام لا يُسْمِنُ ولا يغني من جوع ، والأسماء لا تُجْدِي شيئاً عن الحقائق ولا تغير من الواقع شيئاً، والله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم السِّرَّ وأخفى . فلما عدلت تلك القيادات عن تحكيم شريعة الله ولما أُلْجِمَ العلماءُ وأُخْرِسُوا عن بيان الحق أو داهنوا وكتموا ورضوا بالحياة الدنيا نتج التفكك في قيادة الأمة الإسلامية وشعوبها وأصبح بَأْسُهم بينهم لعدم الوِئَام بين الحكام والمحكومين ولعدم تطبيق تعاليم الإسلام وشريعته في المجتمع،فانتشر بينهم التفرق والاختلاف والعداوة والبغضاء وكلُّ ما ينْدى له الجبين ويحزن له الصديق ويرضى به العدوُّ ويَشْمت ، وهذه سنة الله في خلقه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما:(ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم).قال تعالى:((**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ**)).[المائدة:44].((**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ**)).[المائدة:45].((**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ**)) [المائدة :47]. وقال تعالى:((**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾**)).[البقرة :159، 160]. وقال صلى الله عليه وسلم:((**من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام**

من نار)).رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم.ولو أن أولئك أصحاب آراءٍ سديدةٍ وعقول مفكرة وقلوب واعية لأخذوا المثل القائم أمام أعينهم في تطبيق الإسلام وتعاليمه على تَقْصِيرٍ في ذلك ، لأخذوا المثل من هذا البلد المبارك، البلد الآمن الذي منّ الله عليه بقادة وعلماء وأمة راضية بالشرع الحنيف والدين القويم حيث قام كلٌّ بدوره،ونريد المزيد إن شاء الله تعالى، فعندما حكَّم ولاةُ الأمر شرعَ الله وتمّ تطبيقه على الشعب المسلم المغتبط بذلك انتشر العدل في ربوع البلاد وعمّ الأمنُ أرجاءَ الوطن وارتاحت النفوس المؤمنة واطمأنت، وسكنت النفوس الشريرة التي تسوّل لها شياطين الإنس والجن بإحداث الفتن حتى لو كان المرضُ حالاًّ بها فإنها ترتدع عن الإقدام على أي جريمة لما تعلمه من العواقب المؤلمة التي هي حدود الله التي وضعها لتستقيم حياة العباد في الأوطان والبلاد. وساق الله لبلاد الحرمين الأرزاق والخيرات من كل أقطار الدنيا التي معظم شعوبها محرومون من خيراتها، وإن في ذلك لعبرة حيث هذه النعم والخيرات تأتي من عشرات الدول من العالم وتُساق إلى هذه الأرض الطيبة المباركة وخاصة تلك الخيرات والثمار والفواكه المستمرة طوال العام،وتحققت دعوة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في جلب الأرزاق والثمرات لمكة وما حولها، وأصبحت المملكة عامة تتمتع وتنعم ببركة ذلك،المسلمُ والكافرُ في ذلك على حد سواء من حيث النعمة والمقام، كما قال تعالى عن دعاء إبراهيم عليه وعلى رسولنا وجميع الأنبياء والرسل الصلاة والسلام:**((وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا**

ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾)). [البقرة:126].وكما ورد في سورة إبراهيم:((رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾)).[إبراهيم :37]. إننا نحمد الله عز وجل على ما مَنَّ به على هذه البلاد وعلى حكامها وعلمائها ومحكوميها على اختلاف أجناسهم من تطبيقٍ لشرع الله وإننا لنرجوا الله عز وجل أن يوفق الجميع إلى المزيد من التطبيق الأمثل والتحقيق الأصْوَب لتعاليم الإسلام في جميع مجالات الحياة ، إن الله على كل شيء قدير. إن المسلمين اليوم في كل المجتمعات والبقاع في أمَسِّ الحاجة إلى إيمان كإيمان السلف الصالح ، إيمانٍ واعٍ متكامل لهذا الدين الإلهي والتشريع الحكيم وبحاجة إلى روابط متينة تربط بينهم وتشدّ وثاق تفككهم وانحرافهم عن النهج القويم من أجل أن يحفظ الله عليهم حياتهم ويحميهم من العبث والفوضى والفساد ليعيشوا في دنياهم في سلام وأمن واطمئنان ولتتحقق لهم السعادة الحقيقية في الآخرة بإذن الله عز وجل. إن الأمل والرجاء أن نكون شيباً وشباناً ذكوراً وإناثاً على الفهم الصحيح للإسلام والتطبيق الشامل لتعاليم الإسلام إيماناً وعملاً ودعوة وصبراً وصدقاً وإخلاصاً ومتابعة.وعلينا أن نعلم بأن المحرمات والوقوع فيها يضعف الإيمان ويُمرض النفوس فتفسق عن طاعة الله وعندها تكون المخالفة والضعف والفساد والضلال. إنه لا مخرج ولا نجاة من الضياع والفساد في العقيدة والسلوك إلا بتطبيق الإسلام قولاً وعملاً واعتقاداً لأن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ وإلا كان النقص والضعف في الإيمان وغيره بقدر ما يُنقص منه.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

أيها المسلمون: علينا ألا نقلد في ديننا إلا من نرضى أمانته وعلمه وصدقه وإخلاصه وبصيرته في الإسلام، وكل البشر يؤخذ من أقوالهم ويُردّ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلينا أن نتوب إلى ربنا ونرجع إليه ونلتزم بالإسلام إخلاصاً وصواباً ونطلب بعد ذلك القبول من الله تعالى .

علينا أن نؤدي الصلوات الخمس المفروضة عن إيمان وخشوع في أوقاتها ، يؤديها الرجال مع جماعة المسلمين حيث يُنادى لها في بيوت الله ، وتؤديها النساء غير المعذورات في أوقاتها حيث تيسّر لهنّ ، وبيوتُهنَّ خيرٌ لهنَّ. وعلينا أن نؤدي زكاة أموالنا على أحسن وجه طيبة بها نفوسنا فهي كالصلاة والصيام والحج من حيث فرضيتها نؤديها في وقتها المفروض ويجوز تقديمها،ويلحق الإثم من أخّرها، يجب تأديتها لمستحقيها فهي تزكي النفوس وتطهّر الأموال وتزيدها نماءً وبركة وتحفظها من الآفات. ولو أدّى المسلمون زكاة أموالهم كما يجب لما بقي في مجتمعاتهم فقير واحد، خاصة في هذا العصر حيث تبلغ الزكاة آلاف الملايين،ولكنه التقصير وعدم صرفها في مصارفها الشرعية للأصناف الثمانية الوارد ذكرهم في قول الله عز وجل:((**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠**)).[التوبة:60].وعلينا تأدية زكاة الجاه في نفع إخواننا المسلمين في الإصلاح والشفاعة الحسنة فهي مطلوبة ممن يستطيعها وأعطاه الله جاهاً ومكانة يستطيع بها إيصال الخير لأهله ، وليس المقصود بذلك الوساطات

والشفاعات السيئة التي تضيّع الحقوق وتنصر الظالم وتؤيده وتقلب الحق باطلاً والباطل حقاً أو تُسقط حدّاً من حدود الله ، بل هي الشفاعة الحسنة المعروفة. كما أنه يجب علينا بِرُّ الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الفقراء والمساكين ومساعدة المحتاجين من العجزة والأرامل واليتامى، واجتناب الزور والغش والخداع في شتى أنواع المعاملات ، والبعد عن أكل أموال الناس بالباطل وخاصة في البيع والشراء والتعامل بالربا الذي فشا وانتشر وعظم خطره وضرره بسبب تهاون المسلمين وتعاملهم به وتساهلهم في أمر تحريمه لدرجة استحلال بعضهم له مع علمهم بالوعيد الشديد للمتعاملين به.قال تعالى:((**ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥**)).[البقرة 275] ثم قال عز وجل بعد آيتين:((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩**)).[البقرة:278، 279]. وقال صلى الله عليه وسلم:((**لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه**)).

يجب علينا ألا نبخس الناس أشياءهم، ونجتنب الظلم في جميع أشكاله وصوره فالظلم ظلمات يوم القيامة، وعلينا توقير اليمين بالله في الخصومات ، ويجب علينا اجتناب الكبر وبطر الحق وغمط الناس واحتقارهم والخيلاء ، والإسبال في الثياب بالنسبة للرجال الذين عكس أكثرهم التطبيق هم

والنساء حيث أطال الرجال ثيابهم وسراويلهم وبُشُوتَهُم إلى ما تحت الكعبين وجَرُّوها إما كبراً وخيلاء أو عناداً ومكابرة وعدم اتباع لهدي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وبعض النساء رفعن وقصّرن ملابسهن مع أن المشروع أن يُرخين ويغطّين أقدامهن لئلا تنكشف ويراها الرجال، ويحصل هذا من الجنسين كثيراً في الأعياد والمناسبات ، قال تعالى:((**وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾**)).[الإسراء:37].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**)) قال أبو ذر فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، قال أبو ذر: خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله؟ قال:((**المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**)). رواه مسلم، وفي رواية:((**المسبل إزاره**)). وأما النساء فقالت أم سلمة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال:((**يُرْخِين شِبْرًا**)) قالت: إذاً تنكشف أقدامهن ، قال: ((**فيرخينه ذراعاً لا يَزِدْنَ**)). أي عن نصف الساق الذي هو الحدُّ لإزْرَة الرجل ، ولا حرج عليه فيما بين نصف الساق والكعبين ، أما ما هو أسفل الكعبين فهو في النار بالنسبة للرجل. أما المرأة فترخي ملابسها لتغطي أقدامها فضلاً عمَّا فوق ذلك. ويجب علينا الابتعاد عن قول الزور وشهادة الزور والظن الآثم والتجسس والغيبة والنميمة والبهتان واللعن والسب والشتم وقذف المؤمنين والمؤمنات. قال تعالى:((**وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾**)).[الفرقان :72]. وقال تعالى: ((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ**

بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾)).[الحجرات:12]. وقال عز وجل:((إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾)).[النور23-25]. وقال تعالى:((وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾)).[الأحزاب:58]. وقال تعالى :((إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٠﴾)). [البروج :10].

أيها المسلمون: مُرُوا أولادكم وأهليكم ومن تحت أيديكم بالصلاة ومروا المكلفين من الذكور بتأديتها مع جماعة المسلمين في المساجد ومروا الجميع بالالتزام بشرع الله القويم والبعد عن المحرمات واجتنابها وعدم الوقوع فيها، قال تعالى:((وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾)).[طه :132].وقال تعالى:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾)).[التحريم:6].إن الخدم رجالاً كانوا أو نساءً وسائقي سيارات وممن هم تحت أيدينا من العمال الآخرين في المهن الأخرى جميعهم أمانة في أعناقنا نحن مسؤولون عنهم يوم القيامة ، فعلينا أن نتقي الله ونحذر عقابه.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

خطبة عيد الفطر المبارك

الخطبة الثانية 1413/10/1هـ

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبدالله ورسوله ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله.

أما بعد: فعلينا أن نتقي الله تعالى حق التقوى ونشكره على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة التي لا تعد ولا تحصى، ونتذكّر إخواننا المسلمين الفقراء والمساكين والمرضى والعاجزين والأرامل والأيتام والمجاهدين في سبيل الله في كل مكان ، نتذكرهم ونمدّ لهم يد العون والمساعدة بالمال الذي هو أقل ما نفعله مع الدعاء الصادق لهم ، ولا ننساهم في بهجة العيد وفرحته، ولا تستبدّ بنا المشاعر فننسى واجب الشكر والاعتراف بالنعم ويدفعنا لبس الجديد والإعجاب بالنفس وامتلاك الدرهم والدينار إلى أن نبلغ درجة المخيلة والتباهي والتعالي والكبر، إن العيد مناسبة لإطلاق الأيدي الخيّرة في مجال الخير والتسابق والتنافس في جميع وجوه البر والإحسان ، نتذكر إخواننا المسلمين في كل مكان ونمدهم بما نستطيع بعد البذل لذوي القربى والأرحام فالأقربون أولى بالمعروف.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

وأخص النساء بالوعظ والتذكير حيث خصّهن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في خطبة العيد، وإنْ كُنَّ في كل ما تقدم مشتركات إلا فيما اخْتُصَّ به الرجال مما هو معلوم. فعلى المرأة المسلمة أن تتقي الله تعالى وتحافظ على ما أوجب الله عليها في دينها وما استرعاها الله عليه ، وتؤدي حقوق زوجها وأولادها وأهل بيتها وأهلها وأقاربها وذوي رحمها وجيرانها، وتحفظ لسانها من الوقوع في أعراض الناس بالغيبة والنميمة والبهتان والقذف وقول الزور والسباب والشتم واللعن وغير ذلك مما هو منهي عنه، وعليها أن تحافظ على كرامتها وعِفَّتِها وعِرْضِها وكل ما يُدَنِّسُها، وتبتعد عن الاختلاط والسفور ومزاحمة الرجال في الأسواق والمتاجر والمتنزهات ولو في أماكن العبادة لأنها فتنة كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:((**ما تركت فتنة بعدي أضرّ على الرجال من النساء**)). وعليها ألا تسرف في حفلات الزواج والأفراح وفي جميع وجوه النفقة ولا تكلف الزوج ما لا يطيق من النفقة والكسوة والزيارات والأسفار فالله لا يحب المسرفين. وعليها أن تحافظ على حق زوجها في المال والأولاد والنفس والفراش لتحصل لها السعادة في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى، والمرأة إذا صَلَّتْ خَمْسَهَا ، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، وحفظت فرجها، يقال لها ادخلي من أي أبواب الجنة شئت. أما عن زكاة الفطر والتكبير وصلاة العيد فإن الوقت المناسب للتذكير بها في خطب الجمعة وكذلك صيام الست من شوال وهذا يتكرر كل عام ويعرفه الخاص والعام .

الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد وآله .

خطبة عيد الأضحى

الخطبة الثانية 1404/12/10هـ

الحمد لله أكمل لنا الدين وأتمّ علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً،أحمده سبحانه وأشكره فقد أسبغ علينا النعمة وهدانا للإسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته .

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

أما بعد: فينبغي لنا أن نحيي سنة أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام وحبيبنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك بذبح الأضاحي في هذه الأيام المباركة أيام التشريق ، يتقرب المسلم بذلك إلى الله تعالى ويحيي السنة النبوية ويشكر ربه عز وجل على تسخيره بهيمة الأنعام للعباد، ويشيع الرحمة بين الفقراء والمساكين ويوسع على عياله، على المسلم أن يذبحها طيبة بها نفسه ليتقبلها الله تعالى منه وله بكل شعرة حسنة بإذن الله عز وجل، ومعلوم للمسلم أنه لا يُجزيء في الأضحية إلا السليمة من العيوب التي تمنع من الإجزاء وهي أربعة عيوب: 1-المريضة البيّن مرضُها وهي التي ظهرت آثار المرض عليها إما في أكلها أو مشيها أو غير ذلك من أحوالها، 2- العرجاء البَيّن ضَلَعُها. 3- والعوراء البيّن عَوَرُها بأن تكون عينها العوراء نَاتِئَةً أو

غَـائِرَةً. **4**- والعجفـاء وهـي الهزيلـة الـتي لا مُـخَّ فيهـا ، وأمـا عيـب الأذن أو القـرن فإنـه لا يمنـع مـن الإجـزاء ولكنـه يُكـره، وكـذلك الهتْمَـاء الـتي سـقطت أسنانها أو بعضـها فإنها تجزيء ولكنها تكره، وكلما كانت الأضحية أكمل في ذاتها وصفاتها فهي أفضل.

ومن شروط الأضحية: أن تقع في الوقت المحدّد للتضحية شرعاً وهو من فراغ الإمام من صلاة العيد، والأفضل الانتظار حتى فراغ الإمام من الخطبة ، ولا تجزيء قبل صلاة العيد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من ذبح قبل الصـلاة فإنما يذبح لنفسه ، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تمّ نسكه وأصاب سنة المسلمين**)).رواه الإمام مسلم رحمه الله ، ويجوز تأخير الذبح إلى اليوم الثالث من أيام التشريق أي أن أيام الذبح أربعة أيام ، يوم العيد وثلاثة أيام بعده ، وأفضلها يوم العيد، والذبح في النهار أفضل ويجوز في الليل. ومن كان يحسن الذبح بنفسه فليذبح أضحيته بيده ، ومن كان لا يحسنه فليحضر ذبحها فإن ذلـك أفضـل، وإن ذُبِحـت عنـه وهـو غائـب فـلا بأس ، ويقـول إذا أضـجعها للذبح: بسـم الله والله أكـبر، اللهـم هـذا منـك ولـك، اللهـم هـذا عـن فـلان أو فلانة . يُسَمِّي الشخصَ التي هي عنه . فهذه التسمية المشروعة في الأضحية.

وهناك أحكام أخرى خاصة بعشر ذي الحجة وبالأضاحي يكون التذكير بها في خطـب الجمعـة لـتعم الفائـدة وتطبـق الأمـور المشـروعة في وقتهـا المسـنونة والمستحبة أو الواجبة ، وعلينا أن نحيي سنة التكبير المقيد عقب الصلوات المفروضة، والمطلق في غير ذلك من الأوقات ونذكر الله عموماً سواء الأذكار المخصوصة منها بزمان كالصباح والمساء أو النوم أو مكان كدخول المسجد

والخروج منه والمنزل والسوق ودورة المياه وغير ذلك من الأماكن ، فالأذكار حصن حصين للمسلم بإذن الله عز وجل ، وكما أن الذكر في أيام منى مطلوب من الحجاج فهو أيضاً مطلوب من المسلمين في أي مكان في هذه الأيام المعدودات وفي العشر من ذي الحجة الأيام المعلومات وإن قيل بأن المعدودات هي المعلومات، فالمهم هو ذكر الله على الدوام وخاصة في هذه الأيام، قال الله عز وجل:((**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى**)).[البقرة: 203]. وقال تعالى: ((**لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ**)).[الحج:28]. وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أيام منى أيام أكلٍ وشربٍ وذكر لله عز وجل**)). وفي بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في أيام منى منادياً ينادي((**لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل**)).

ويستحب أن تقسم الأضحية أثْلاثاً، يأكل أهل البيت الثلث، ويتصدقون بثلث، ويهدون لأصدقائهم الثلث الآخر، ومعلوم أن من أراد أن يضحي فعليه ألا يأخذ من شعره أو أظفاره شيئاً من أول عشر ذي الحجة حتى يضحي للأحاديث الصحيحة ومنها:عن أم سلمة رضي الله عنها قالت:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من كان له ذبح يذبحه فإذا أَهلّ هلالُ ذي الحجة فلا يأخذنّ من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحي**)). وفي حديث آخر:((**إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يأخذنّ من شعره ولا من أظفاره شيئاً حتى يضحي**)).

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

القرآن وفضله

الخطبة الأولى **1405/9/12هـ ، 1415/9/11هـ**

((ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾)). [الكهف:1-5]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد:فإن من أعظم ما يتقرب به المؤمن من أنواع الذكر والطاعات قراءة القرآن الكريم وخاصة في هذا الشهر العظيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**)).رواه مسلم، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن أَلِفٌ حَرْفٌ، ولاَمٌ حرف، ومِيمٌ حرف**)).رواه الترمذي، وعن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**ستكون فتن كقطع الليل المظلم**)).قلت: وما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال:((**كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم،**

وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يملّه الأتقياء، ولا يَخْلَق من كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به، من علّم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم)). وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ،إن هذا القرآن حبل الله ،والنور المبين ،والشفاء النافع ،عصمة لمن تمسك به ،ونجاة لمن اتبعه ،لا يزيغ فيُستعتب ،ولا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمَ ،ولا تنقضي عجائبه ،ولا يَخْلَقُ من كثرة الرَّدِّ ، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: ألم حرف ،ولكن ألفٌ حرف،ولامٌ حرفٌ،وميمٌ حرفٌ**)).رواه الحاكم وقال صحيح, إن تلاوة كتاب الله من أعظم القربات ، والذي يعلّم القرآن ويتعلمه خير المؤمنين ، **وتلاوة القرآن نوعان: تلاوة حكمية** وهي تصديق أخباره وتنفيذ أحكامه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، وهذا النوع هو الغاية الكبرى من إنزال القرآن الكريم ،ويكون ذلك بالتدبر والتأمل في كتاب الله عز وجل ، قال تعالى:((**كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾**)).[ص~:29]. وقال جلَّ جلاله:((**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾**))[محمد:24].ولهذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم يتعلمون القرآن ويصدقون ويؤمنون به ويطبقون أحكامه، لذا كانوا رضي الله عنهم يتعلمون من النبي صلى الله عليه وسلم

عشر آيات ثم لم يتجاوزوها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. وهذا النوع من التلاوة وهو الذي عليه مدار السعادة والشقاوة. **أما النوع الثاني**:فهو التلاوة اللفظية:وهي قراءته وتلاوته ،والمسلم الذي يتقن تلاوته ويجيدها أفضل ممَّن هو أقلّ منه إتقاناً مع اقتران الإخلاص والصواب بهذا وبغيره من الأعمال والأقوال الصالحة، قال الله تعالى:((**ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾**))[البقرة: 121]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)).رواه البخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم. نعم إن خير المسلمين في التعلم والتعليم الذي يتعلم كتاب الله ويعلمه الناس. وعن الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأُهُ من المؤمنين والمنافقين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأتْرُجَّةِ :ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة : لا ريح لها وطعمها حُلْوٌ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة:ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحَنْظَلَةِ :ليس لها ريح وطعمها مرٌّ**)).رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة، وتعلمه وتعليمه وتدارسه في بيوت الله أفضل من غيرها. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال:خرج [علينا] رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصُّفَّةِ، فقال:((**أَيُّكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطْحَانَ أو إلى العَقِيقِ فيأتي منه بناقتين كَوْمَاوَيْنِ في غير إثم ولا قطيعة رَحِمٍ ؟**)). فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك. قال:((**أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلّم أو فيقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ من**

ثلاثٍ، وأربعٌ خيرٌ [له] من أربعٍ ، ومن أعدادهن من الإبل)).رواه مسلم ، الكَوْمَاء: الناقة العظيمة السنام.وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده))**.رواه مسلم وأبو داوود وغيرهما، وهذا لا يعني أن نترك البيوت مهجورة من قراءة القرآن ولكن ذلك أعظم أجراً، وإلا فينبغي المحافظة على قراءة القرآن في أي مكان يتيسر للإنسان ما عدا الأماكن المستقذرة والحالات التي يكون فيها المسلم أو المسلمة على غير طهارة مثل:الجنابة للجنسين ، أو الحيض والنفاس للمرأة على خلاف بين العلماء فيهما.وقد ورد الترغيب في قراءة سورة البقرة في البيوت لأن فيها آية الكرسي التي صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قرأها في ليلة لم يَزَلْ عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يَفِرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة))**.رواه مسلم والنسائي والترمذي. وعن ابن عباس رضي الله عنهما بينما جبرائيل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه، فقال:((**هذا باب من السماء فُتِحَ لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فَسَلَّمَ وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعْطِيتَهُ))**.رواه مسلم والنسائي والحاكم، وكان أُسَيْد بن حُضَيْر في الليل يقرأُ القرآن ، وفَرَسُهُ مربوطةٌ عنده وله ابْنٌ قريب منها فَجَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ، فقرأ فجالت الفرس مرة ثانية

فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس مرة ثالثة فخاف أن تصيب ابنه يحيي فانصرف، ثم رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فإذا مثل الظُّلَّة فيها أمثال المصابيح، فلما أصبح أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**تلك الملائكة تستمع لك، ولو قرأت لأَصْبَحَتْ يراها الناس ما تستتر منهم**)).رواه البخاري ومسلم.وقد ورد الترغيب في حفظ كتاب الله تعالى وأن الماهر بالقرآن الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا تَشُقُّ عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه مع السفرة الكرام البررة، وأن الذي يتتعتع فيه ويتردد في تلاوته لمشقته عليه إما لصعوبة اللغة إن كان القارئُ أعجمياً أو كان عربياً وهو عليه شاقٌّ، فله بذلك أجران، أَجْرُ التَّعْتَعَةِ وأجر التلاوة ، وتكون مَنْزِلَةُ صاحب القرآن ومَنْزِلُهُ يوم القيامة عند آخر آية يقرؤها. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ـ وهو عليه شاق ـ له أجران**)).رواه البخاري، ومسلم واللفظ له، وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وقال عليه الصلاة والسلام:((**إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع به آخرين**)). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**يُقال لصاحب القرآن اقرأ وارْقَ، ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**)).رواه الترمذي وقال:حديث حسن صحيح ، وأبو داوود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء**

الليل، ورجل أعطاه الله مالاً فتصدق به آناء الليل وآناء النهار)).رواه البخاري ومسلم، قال النووي رحمه الله: قال العلماء:الحسد قسمان: حقيقي ومجازي، **فالحقيقي**: هو تَمَنِّي زوال النعمة عن صاحبها، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة، **أما المجازي**:فهو الغبطة وهو أن يتمنى مثل النعمة التي عليها غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة، والمراد من الحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما. وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته ، ويقدّم من كان أكثر أخذاً للقرآن عن غيره في الحياة والممات، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**((إن لله أهلين من الناس))**. قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال:**((أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته))**.رواه النسائي وابن ماجة والحاكم، وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول:**((أيهما أكثر أَخْذاً للقرآن؟ فإن أُشِيرَ إلى أحدهما. قدّمه في اللَّحْدِ))**.وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:**((يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران))** وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال:**((كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجّان عن صاحبهما))**.رواه مسلم والترمذي. وقال صلى الله عليه وسلم:**((اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرءوا الزهراوين: البقرة، وسورة آل عمران؛ فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان– أو غيايتان– أو كأنهما فرقان من طير صَوَافّ تحاجّان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة،**

وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة)).رواه مسلم، وقد ورد الترغيب في سورة معينة من القرآن لفضلها وإن كان القرآن كله كلام الله عز وجل وقراءة حرف منه في أي سورة كانت يؤجر عليه المسلم الحرف بعشر حسنات، ولكن سور وآيات معينة جاءت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضلها، ومن أراد نصوصها فعليه الرجوع إلى مكانتها، ومنها: الفاتحة التي هي السبع المثاني والقرآن العظيم ، والزهراوان ـ البقرة وآل عمران ـ ، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، وسورة الملك، وعشر آيات من أول الكهف أو آخرها، وقل هو الله أحد(الإخلاص)، والفلق، والناس، ويس~، وغير ذلك من السور والآيات التي وردت بها الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

القرآن وفضله

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فإن مما يجب علينا أن نعلمه ونَعِيَهُ تماماً هو الهدف والغاية من تلاوة كتاب الله تعالى أواستماعه من غيرنا، قال تعالى:((**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩**)).[ص~ 29].إذاً فالغاية هي

التدبر والتعقل والتفكر فيما يتلى من آيات القرآن الكريم وليتذكر أصحاب العقول السليمة والأفهام المستقيمة ويتبعوا أحكامه بفعل المأمورات وترك المنهيات، والعمل به وتطبيقه في جميع مجالات الحياة ، وليبتغي به من يتلوه أو يستمعه يبتغي به ما عند الله من الأجر العظيم في التلاوة والاستماع كما وردت بذلك الأحاديث.

وإنَّ مما يُعِينُ على تدبُّرِهِ وفَهْمِهِ قراءتَهُ وتلاوتَهُ كما أنزل وترتيلَهُ حسب أحكام التجويد التي وضعها علماء القراءات لِصَوْنِ اللسان من الخطأ والتحريف في كتاب الله، وكما هو منقول بالتواتر والتلقي، قال تعالى: ((وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾)).[المزمل:4].وقال تعالى:((كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا))[الفرقان:32]((وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾)).[الإسراء 106].((ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ)).[البقرة:121].وقد أوردت كتب التفسير بيان معنى الترتيل وأنه يعني: بَيِّنْهُ وتَأَنَّ فيه وتلبّث في قراءته وتمهَّل في ذلك. ومنها تجويد حروفه ومعرفة الوقوف. سُئلتْ أُمُّ المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها عن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا هي تنعتها وتصفها بقولها:(قراءة مفسّرة حرفاً حرفاً).وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه كان عليه الصلاة والسلام:(يقرأ السورة حتى تكون أطول من أطول منها) كناية عن بلوغ الغاية في التأنِّي والتُّؤَدَةِ، وعن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: كانت مدّاً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم). يَمُدُّ بسم الله ويمدّ بالرحمن ويمدّ بالرحيم، وكان يقطِّع

قراءته آية آية يقول:(الحمد لله رب العالمين) ثم يقف ثم يقول:(الرحمن الرحيم) ثم يقف وهكذا، وكان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن، فعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**حسّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً**)).وفي حديث آخر:((**زينوا القرآن بأصواتكم**)).رواه أبو داوود والنسائي وابن ماجة، وفي رواية:((**زينوا أصواتكم بالقرآن**)).وقال عليه الصلاة والسلام:((**ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن**)). وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري:((**لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داوود**)). وقال عليه الصلاة والسلام:((**ما أذن الله لشيء كما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به**)).رواه البخاري ومسلم، ولكن يا ترى هل هذا التغني على إطلاقه كما فهمه بعض الجهال من المسلمين في زمننا هذا ؟ أو هل هو الهَذُّ والهَذْرَمَةُ حيث هَمُّ القارئ الوصول بسرعة إلى آخر الآيات أو السورة التي يتلوها؟ أو هل هو تحسين الصوت دون معرفة وتطبيق لأحكام التجويد أو كأنه يقرأ في جريدة أو مجلة أو أي كتاب عادي ؟ أو هو الدعوة إلى قراءته على آلات الطرب ؟أو إعطاء أصوات بدون آلات ولكنها مشابهة للأغاني ؟ كما هو حاصل من بعض المقرئين ؟ أو هل هو التقليد والتمثيل لأصوات بعض المقرئين أو الأئمة وعبادة أصواتهم. فالإمام منهم تجده شريطاً مسموعاً مُسَجَّلاً عليه قراءةُ أحدِ هؤلاء المشايخ فهو لا يهمُّه إلا تقليد صوت أحدهم لنبرة صوت

المِقَلَّد ورخامته ورقته وارتفاع صوته وانخفاضه وترعيده وتشديده ووقوفه وتطبيقه لأحكام التجويد، فهم يكلفون أنفسهم ويحمّلوها ما لا تطيق بمحاولة تقليد صوت من أرادوا تقليده وتمثيله وعدم الخروج عن صوته حتى أصبح همّ أحدهم عبادة الصوت ويخاف من الشطط والخروج عن صوته فيفلت الزمام من يده ؟ فهذه بلية عظيمة في هذه الأيام ، ولئن كنا نعيب على الذين يتلاعبون بكتاب الله في المآتم، فإن شرّ من يتلاعب بكتاب الله في صلاتنا أعظم خطراً وأشد إثماً. فليتق الله أولئك الذين يقومون على هذا العمل والتقليد والتمثيل، فإن لكل إنسان خلقه الله صوتاً يميزه عن غيره ، فعليه أن يقرأ بصوته الذي وهبه الله إياه ويحسّن صوته بالقرآن ويطبق أحكام التجويد من غير إخلال ولا تعسف ولا تمطيط ولا إفراط ولا تفريط، وعلى كل مأموم أن يتقي الله ويعلم المقصود من تلاوة كتاب الله وسماعه ولا يعبد الأصوات بل يتدبر كلام الله ويطبقه في واقعه ويبتغي به ما عند الله من الأجر العظيم.

وأسوق بعض الأحاديث لنفسي ولإخواني المسلمين لعل الله ينفعنا بما نسمع ونقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**اقرءوا القرآن بِلُحُونِ العرب وأصواتها، وإياكم ولُحُونِ أهل الكتاب والفسق فإنه سيجيء بعدي أقوام يرجّعون القراءة ترجيع الغناء والرهبانية والنَّوْحِ لا يجاوز حَنَاجِرَهُمْ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم**)). وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الواقع المؤلم اليوم في مجتمعات المسلمين إلا من رحم الله. وقال عليه الصلاة والسلام:((**اقرءوا القرآن وابتغوا به وجه الله تعالى من قبل أن يأتي قوم يقيمونه**

إقامة القِدْح يتعجلونه ولا يتأجلونه)). وقال صلى الله عليه وسلم:((**تعلموا القرآن وسلوا الله به الجنة قبل أن يتعلمه قوم يسألون به الدنيا، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة، رجل يباهي به، ورجل يستأكل به، ورجل يقرأه لله))**. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:((**أكثر منافقي أمتي قرّاؤها))**. ومن علامات الساعة التي أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم قوله عن الذين يقدمون أحدهم للصلاة من أجل أن يطربهم بصوته قوله عليه الصلاة والسلام:((**وقوم يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا ليغنّيهم به غناءً))**. والتجويد هو عبارة عن الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ بريئة من الرداءة في النطق، وإعطاء الحروف حقها، وإخراجها من مخارجها من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، وهو القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها ولا لَوْك ولا تصنّع ولا تنطّع ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءة والأداء، قراءة تلذّ لها الأسماع وتخشع لها القلوب. ومما ينبغي التنبيه له والابتعاد عنه خاصة في مثل هذه الأيام من كل عام افتتان الناس بالأصوات والقدح في كثير من الأئمة بالغيبة والبهتان واستغلال هذا الوقت لتنفيس ما في الصدور المريضة. ومما ينبغي ملاحظته احترام القرآن الكريم بعدم استدباره أو وضعه عند القدمين أو تناوله باليد اليسرى، ولو قُدِّمَ لأحد من أولئك رسالةٌ أو أي شيء آخر باليد اليسرى لتَأَفَّفَ ورآه عيباً في نظره مع أنه منهي عنه شرعاً، فكيف بالقرآن الكريم أَخْذه وتناوله وإعادته لمكانه باليد اليسرى، أو الجلوس عليه وإن كان على الحقائب كما هو حال طلبة المدارس حيث يضع أحدهم

الحقيبة أو بدون حقيبة ويجلس بمقعدته عليه أو على الكتب التي لا تخلو من آية أو حديث أو اسم من أسماء الله عز وجل، وهذا الحال هو المشاهد يومياً أمام مدارس البنين على اختلاف مراحلها ويجب العمل على منعه، وكذلك منع استخدام الجرائد والمجلات التي تحمل آية قرآنية أو حديثاً شريفاً أو اسماً من أسماء الله عز وجل سفرة للطعام كما هو الحال في بعض الإدارات والمحال التجارية أو وقاية من حرارة العيش كما هو الحال في بعض الأفران والمخابز أو فرشاً في الثلاجات للخضروات كما هو الحال في بعض البيوت أو تنظيفاً ووقاية في الورش ومحلات الزيوت أو غطاءً أو فرشاً لبعض الفواكه وغير ذلك من الاستخدامات التي يكون معها الامتهان لكتاب الله وأسمائه الحسنى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مما يجب تنزيهها عن ذلك وغيره من صور الامتهان والازدراء أياً كانت. ويجب على كل مسلم بحسب مكانته وقدرته على إزالة هذه الظواهر السيئة بإنكار ذلك حتى تختفي وتنتهي بإذن الله عز وجل. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

احترام القرآن الكريم وأسماء الله

الخطبة الأولى **1410/7/14هـ ، 1414/6/20هـ**

الحمد لله أمر بالتعاون على البر والتقوى ، وحث على الاستمساك بالعروة الوثقى ، وأوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أحمده عز وجل وأشكره ، وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد:فاتقوا الله أيها المسلمون واعلموا أن بذل النصيحة في مجتمع المسلمين من أهم الواجبات. عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**الدين النصيحة ، الدين النصيحة، الدين النصيحة**)) قلنا:لمن يا رسول الله ؟ قال:((**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**)).رواه الإمام مسلم رحمه الله. فالنصيحة لله عز وجل تتضمن الإخلاص له سبحانه وصدق القصد في طلب مرضاته بأن يكون الإنسان عبداً لله حقيقة، راضياً بقضائه وقدره، قانعاً بعطائه، ممتثلاً لأوامره، مجتنباً لنواهيه، مخلصاً له في ذلك كله لا يقصد به رياءً ولا سمعة. وأما النصيحة لكتاب الله تعالى فهي تلاوته مع امتثال الأوامر واجتناب النواهي التي وردت فيه وتصديق أخباره والذبّ عنه وحمايته من تحريف المبطلين وزيغ المفسدين الملحدين، واعتقاد أنه كلام رب العالمين تكلم به حقيقة وألقاه على جبريل عليه السلام فنزل به على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليكون هدىً ونوراً للعالمين إلى يوم القيامة. وقد أكرم الله صدر هذه الأمة بحفظ القرآن في صدورهم والعمل به في جميع شؤون الحياة والتحاكم إليه في القليل والكثير، ولا يزال فضل الله سبحانه على بعض عباده المؤمنين المتقين فيعطون القرآن الكريم حقه من التعظيم والتكريم والاحترام حِسّاً ومَعْنى وعرفوا القصد من تنزيله فعملوا به وحكموه في جميع شؤون حياتهم وعلموا معنى قول الله عز وجل:((**كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩**)).[ص~ :29]، وقد تكفل الله بحفظه من أي تحريف مهما صغر ومهما كاد أعداء الإسلام وعملوا. قال تعالى:((**إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩**)).[الحجر:

9]، وليس خوفنا من عدم حفظ القرآن وبقائه بين المسلمين في الصدور وبين السطور، ولكن واقع كثير من المسلمين لا يبشر بخير حول احترام كتاب الله والعمل به حتى مِمَّنْ يحفظه عن ظهر قلب ، ولقد قامت الحجة على الجميع، وأعظم ما ابتليت به مجتمعات المسلمين اليوم هو عدم تحكيم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واكتفوا بتلاوة آيتين أو ثلاث في بداية أعمالهم للافتتاح فقط والبركة كما يزعمون في جميع أعمالهم، ثم الابتلاء الآخر لمن يحفظ القرآن الكريم ولا يعمل به ولا يقف عند حدوده ولا يجتنب ما نهى الله عنه، وكذلك عبادة الأصوات التي عمت البلوى بها مجتمع المسلمين ولا يكاد يسلم منها إلا القليل ممن رحمه الله حيث سماع القرآن وليس الاستماع والإنصات ، يتم السماع من أجل التلذذ بصوت القارئ سواء كان القارئ إماماً أو في الإذاعة أو التلفاز أو غير ذلك من وسائل الاستماع على الأشرطة أو الأقراص المضغوطة المرئية والمسموعة وغيرها من الوسائل الحديثة ، ومن المسلمين من لا يقرؤه إلا في رمضان أو في يوم الجمعة ، ومنهم من يضعه على الرَّفِّ في البيت أو يعلق آيات منه على الجدران ، ومنهم من لا يوجد في بيته مصحف، ومنهم من توجد في بيوتهم المصاحف ولكن لا يُقرأُ فيها القرآن ، ومنهم من يتخذ منه التمائم والحروز والتعاويذ ويعلقها أو يربطها في جسده، ومنهم من لا يعرفه إلا عند طلب الرقية. ولقد وصل الاستخفاف به في المدارس وفي أوساط الناس عامة إلى أن يستبعدوا ويستغربوا أحداً يرسب في تلاوة القرآن الكريم ، وليس لاعتقادهم جودة ذلك الطالب الراسب أو الطالبة ولكن لعدم المبالاة

والعناية بالقرآن الكريم مع أنه لا يستطيع أن يتلو آية صحيحة بالحركات المعروفة وليس بالتجويد؟ فلقد وصل بنا الحال إلى هذا وأقل بل أدنى في هذا وفي غيره ، مع أنهم لا يستبعدون رسوب أحد في الرياضيات والعلوم والانجليزي وغيرها من المواد مع المطالبة المستمرة بوضع درجات للرسوب في مادة التربية الرياضية وتوضع الرياضة الحصص الأولى في الجدول اليومي ويكون القرآن في جداول الدراسة والاختبارات أواخر الحصص والأيام ، فهذا واقع مؤلم ، والأكثر ألماً عدم تدريسه وتعليمه في مدارس بعض الدول الإسلامية. وحالة تقشعر منها الأبدان ولا يرضاها مؤمن بالله تلك هي كتابة آيات من القرآن الكريم على هيئة آدَمِيٍّ يُؤَدِّي الصلاة أو كتابة التشهد وفيها ذكر الله عز وجل بحيث يكون اسم الجلالة عند القدم واسم الرسول أيضاً في مُؤَخَّرَةِ الشخص أو غير ذلك مما ابْتُلي به المسلمون وغزاهم به أهلُ الكفر والإلحاد في عُقْر دورهم. ومنها أيضاً: كتابة بسم الله الرحمن الرحيم على هيئة عصفور أو غيره من الطيور، وتلك المخازي التي كانت دخيلة علينا قبل زمن أصبح الخطاطون اليوم يتبارون فيها ويتسابقون على أي هيئة وصورة يقدمونها ويستحسنها ضعاف الإيمان الذين تنطلي عليهم مثل تلك الأعمال الشنيعة. ولقد شاهدت مناظر متعددة تقشعر منها الأبدان ونخاف من عقاب الله أن يعمَّنا إذا لم نأمرْ بالمعروف ونَنْهَ عن المنكر. ومن المشاهدات:ورقة من القرآن الكريم مرمية أمام منزل قد جُمِعَ فيها أعقابُ السجائر، ومرة أخرى:جريدة فيها اسم الله عز وجل وآيات قرآنية جمعت امرأة أذى أطفالها ورمت بها في الشارع ، وإذا كان ذلك الفعل مستقبحاً ممن

قد تكون جاهلة وغير متعلمة وقد يُلْتَمَسُ لها العذرُ بجهلها وعدم علمها ومعرفتها بما هو مكتوب في تلك الأوراق . والله أعلم بذلك . فإنَّ أموراً عَمَّتْ بها البلوى بين الصغير والكبير والذكر والأنثى والمتعلم والجاهل وقد سبق التنبيه عليها من المسؤولين عدة مرات ولكن ذلك لا يعفي أفراد المجتمع من القيام بواجبهم حتى ينتهي ذلك المنكر بإذن الله سبحانه وتعالى ، ومنها:استعمال أوراق الجرائد والمجلات والصحف أيّاً كانت والمنشورات وغيرها من الأوراق التي تحمل آية من القرآن الكريم أو حديثا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اسماً من أسماء الله عز وجل مثل: عبدالله أو عبدالعزيز أو غير ذلك من أسماء الله الحسنى أو بسم الله الرحمن الرحيم ولا تخلو أي ورقة من بعض ما ذكر إلا ما ندر، فحينما تُقرأ أو يُستغنى عنها نجد العجب بعد ذلك في استعمالها حيث توضع سفرة للطعام وتُوطَأُ بالأقدام، ومنهم من يتخذها فِرَاشاً يجلس عليها بمقعدته لئلا تتَّسِخَ ملابسُه من ذلك الكرسي أو غيره ، ومنهم من يستعملها في ورش السيارات عند رش البويات واستعمالها في التنظيف ثم رميها مع النفايات وهي تحمل آيات من القرآن الكريم أو أسماء الله عز وجل ، بل قد وصل الاستخفاف والاستهتار إلى أن نراها في محلات تغيير زيوت السيارات لينظف بها العامل يده ويرميها، وبعضهم يضعها أغطية على الفواكه والخضروات ، وإن كان قد خف ذلك والحمد لله ولكنه يعود بين حين وآخر وفي المخابز أيضاً والأفران قد يعاود أصحابها ذلك عند غياب الرقابة عليهم من الخلق لأنهم لا يخافون من الله فيخافون من مراقبة المخلوقين ، وكذلك الأوراق والصحف أو

الكتب الدراسية التي ترمى أمام مدارس البنين والبنات في صناديق القمائم وهي تحمل آية من كتاب الله أو حديثاً من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اسماً من أسماء الله عز وجل ، كل ذلك من الاستخفاف والامتهان لكتاب الله عز وجل ولسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. ومنظر يشاهده بعض الناس أمام المدارس أو على أرصفة الشوارع للطلبة الذين ينتظرون غيرهم للنقل يضع أحدهم حقيبته ويجلس عليها وبداخلها القرآن الكريم وكتب التفسير والتوحيد والحديث وغيرها من الكتب التي لا تخلو من آية أو حديث أو اسم من أسماء الله عز وجل بل قد يجلس أحدهم مباشرة على الكتب أو القرآن مباشرة ليتقي برودة الأرض أو حرارتها أو وَسَخَهَا. وهذه هي ثمرات العلم في هذا الزمن، الثمرات التي يغفل عنها المدرس والطالب ومن يمرّ بذلك الطالب المسكين ولا ينصحه ويخبره بأن ذلك لا يجوز بل عليه أن يحترم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن الاستخفاف بكتاب الله أيضاً ما يُشاهد في المساجد من استدبار المصلي للقرآن الكريم وقد يضعه أحدهم عند قدميه لئلا يتناوله للقراءة بعد انتهائه من الركعتين، وبعضهم يضعه عند قدميه حال القراءة ولا يرفعه عن الأرض ، وآخرون يضعه أحدهم عندما يجلس متربعاً على قدميه وبين فخذيه وعلى ذَكَرِهِ لئلا يحمله ويضعه على راحة كفيه ، وهذه مناظر متكررة يومياً ونشاهدها في المساجد . ومن الاستخفاف أيضاً بالمصحف: أن يتناوله المسلم بيده اليسرى أو يعيده إلى مكانه أيضاً أو يقدّمه لغيره أو يأخذه منه باليد اليسرى ، ولو أنَّ أحداً قَدَّمَ له أو أَخَذَ منه شيئاً باليد

اليسرى لغضب ولو كان ذلك الشيء حِذَاءً. فما بَالُهُ يَسْتَخِفُّ بكتاب الله عز وجل وهو يعلم في أي شيء تستعمل اليد اليسرى ؟ في غسل البول والبراز والامتخاط وغير ذلك مما يُستقذر ، أما اليمنى فتُستخدم في كل شيء يُحْتَرَمُ ،ومِنْ أعظمِهَا وأهمِّهَا: كتابُ اللهِ عزَّ وجلَّ القرآنُ الكريمُ .روى ابن ماجة بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**لِيَأْكُلْ أحدُكم بيمينه، ويشربْ بيمينه، ولْيأخذْ بيمينه، ولْيُعْطِ بيمينه، فإنَّ الشيطان يأكلُ بشماله، ويشربُ بشماله، ويعطي بشماله، ويأخذُ بشماله**)). أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:((**إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾**)).[الإسراء:9، 10]

احترام القرآن

الخطبة الثانية

((**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾**)). [الكهف:1-5]، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا

محمداً عبدالله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله.

أما بعد: فإن الله تعالى قد أنعم علينا بنعم عظيمة وأسبغها علينا ظاهرة وباطنة وهي مِنْهُ وحده لا شريك له، نسأله عز وجل أن يحفظها من الزوال ويديمها علينا، قال تعالى:((**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً**)).[لقمان :20]، وقال عز وجل :((**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ**)).[النحل:53]، وأهم ما ننعم به في هذه الدولة المباركة هو التمسك بالدين الحنيف وتحكيم الكتاب والسنة وتطبيق شرع الله حيث قامت و تأسست عليه وجاهدت واجتهدت من أجل العمل به وتطبيق شريعته ، وهذا من فضل الله عز وجل الذي نحسد عليه بين الأمم المتكالبة علينا من كل حدب وصوب ، وإن كان هناك تقصير غير متعمد إن شاء الله فإنما هو للضعف البشري نسأل الله تعالى أن يجعل مستقبلنا ومستقبل من بعدنا خيراً مما نحن عليه. وهذا النهج القويم الذي أخذ به ولاة الأمر متعدد الطرق والاختصاصات، ومن أهم ذلك العناية بالقرآن الكريم، فقد أُنْشِئَتْ مدارس حكومية متخصصة لتحفيظ القرآن الكريم بنين وبنات تعتني بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتجويداً إلى جانب العلوم الأخرى في التعليم العام لا تقل عنها في أي مادة من المواد وإن كان القرآن ولله الحمد مقرراً في جميع مراحل التعليم لدينا من الابتدائي حتى الجامعة ، وهذا ما تتميز به هذه الدولة عن غيرها إلا أن التركيز على القرآن الكريم والتشجيع على حفظه ووضع الحوافز والمكافآت المادية كان في مئات المدارس الحكومية للبنين

والبنات المنتشرة في أنحاء المملكة وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى الذي وفق وأعان على ذلك، ونسأل الله المزيد من ذلك ومن كل خير. ولم تقتصر العناية بالقرآن الكريم وتعليمه وتحفيظه على المدارس الحكومية بل سَخَّرَتْ ودَعَمَتْ آلاف الحلقات لتحفيظ القرآن الكريم في المساجد والمدارس والمراكز المتخصصة للبنين والبنات وللرجال والنساء على اختلاف مستوياتهم، وعَمَّ نفعُها ولله الحمدُ والمنَّةُ ، وذلك مما يبشر بالخير حّيْثُ التَّنَافُسُ والتَّسَابُقُ على تعلم القرآن الكريم وحفظه حتى بين النساء اللآئي تجاوزن الستين عاماً ، وهذا دليل وَعْيٍ وإدراكٍ ودعوة صادقة إلى الله عز وجل. كما سخرت الدولة إمكانات كبيرة لطباعة المصحف الشريف يعرف ذلك القاصي والداني، وهذه مَنْقَبَةٌ عظيمة اختصت بها إلى يومنا هذا وفي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصلت المصاحف المطبوعة والمسموعة إلى كثير من بلدان العالم، فلله الحمد أولاً وآخراً ، وجزى الله كل من سعى وساعد وشارك وأعان على ذلك خير الجزاء .

ومن العناية التي تثلج صدور المؤمنين وتغيظ الحاقدين الفاسدين هو الاستمرار والدعم السنوي لإقامة المسابقة الدولية للقرآن الكريم بمكة المكرمة أقدس بقعة على وجه الأرض لتشجيع أبناء المسلمين للتسابق والتنافس الشريف على هذا المستوى الرفيع من قبل نهاية القرن الرابع عشر الهجري بسنتين، وذلك بعد إقامة المسابقة المحلية على مستوى المملكة . فهذه ميزات متعددة انفردت بها المملكة بين دول العالم الإسلامي وإن كانت هناك دول إسلامية يوجد بعض ما ذكر فيها فلم توجد فيها هذه الخصال

الحميدة مجتمعة. وهذه مِنَّةٌ من الله علينا عظيمة وفضل كبير، ولكن يجب علينا احترام هذا القرآن العظيم والعمل به وتدبر معانيه وربط أنفسنا وأولادنا وأهلينا وطلابنا وطالباتنا لتطبيقه في جميع شؤون حياتنا قولاً وعملاً واعتقاداً وتحاكماً إليه وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم الاكتفاء بالحفظ في الصدور والكتابة على السطور والتلاوة والتجويد والتغني به والتلذذ بالاستماع إليه دون التطبيق الكامل في حياتنا، فإذا لم نطبقه على مستوى الفرد أو الجماعة والدولة فإنه حجة قاصمة لظهورنا،كما أن علينا تشجيع جميع الفئات على التنافس والدخول في المسابقات أياً كانت، وخوفنا على أنفسنا من عدم العمل وليس على ضياع القرآن كما سبق الكلام فإن الله حافظ دينه وقرآنه كما قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾)).[الحجر: 9]. وقال جل جلاله وتعالى سلطانه:((وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾)) [العنكبوت:47 - 49].نعم إنه محفوظ في صدور العلماء وكثير من طلبة العلم وعامة المسلمين ، وقد جعل الله حفظه وتعلمه سهلاً ميسراً حتى من الذين لا ينطقون باللغة العربية، بل إن كثيراً منهم يحفظون القرآن الكريم ولا يستطيعون التحدث بالعربية، وهذا مصداق للآيات المتكررة في سورة القمر في قول الله عز وجل:((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾)).

[القمر:40،32،22،17]،اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا وشفاء صدورنا وأسقامنا،اللهم اجعله حجة لنا ولا تجعله حجة علينا، اللهم اجعلنا ممن يقيم حروفه وحدوده ولا تجعلنا ممن يقيم حروفه ويضيع حدوده ، اللهم اجعلنا ممن يحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه ويتلوه حق تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا، اللهم أسْكِنَّا به الظُّلَلَ وأسبغ علينا به النعم وادفع به عنا النِّقَمَ .

سورة التكوير

الخطبة الأولى **1410/6/15هـ**

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الْمَلِكُ الحقُّ المبينُ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله ورضي الله عن أصحابه أجمعين.

أما بعد: فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**مَنْ سَرَّهُ أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رَأْيُ عَيْنٍ فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت**)).رواه الترمذي،ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.ففي سورة التكوير تسير الأحداث الكونية الضخمة جميعها إلى هذا الكون الذي نعهده وهو الكون المنسق الجميل ، المتين الصفة ، المضبوط النسبة ، المبني بِأَيْدٍ وإِحْكَامٍ سوف ينفرط عقد نظامه وتتناثر أجزاؤه ، وتذهب عنه صفاته التي قام بها في الحياة الدنيا ، وعندها تنتهي الخلائق وتقوم القيامة بعد الأحداث التي ورد ذكرها

في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الإخبار بوقوعها في آخر الحياة الدنيا ، ثم تأتي الأحداث التي تقع في الآخرة ، ومنها ما ورد في سورة التكوير: تكويرُ الشمس بِلَفِّهَا وذهاب ضوئها ونورها، وإنكدارُ النجوم بانقضائها وسقوطها وانتثارها ، وتَسْيِيرُ الجبال بذهابها عن وجه الأرض وتَحَوُّلِهَا إلى هباء كما قال عز وجل في آيات أخرى: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ ﴾[المرسلات:١٠]. ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾[طه:١٠٥]،﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ [الواقعة:٥، ٦].

﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾[النبأ: ٢٠]. ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ﴾[القارعة: ٥]. ومنها أيضاً: تعطيلُ العِشَار وهي: النُّوقُ الحوَامِلُ فلا تُحْلَبُ ولا تُرْكَبُ ولا ترعى لما أصاب أهلَها من الهول والفزع وقد كانت أفضل أموال العرب وأحبها إلى نفوسهم ، وورد في الحديث أن من علامات الساعة أن تُتْرَكَ القلاص فلا يسعى عليها ولا تركب . والْقِلاَصُ : هي صغار الإبل .:((**ولتُترَكَنَّ الْقِلاص فلا يُسْعَى عليها**)) .وحَشْرُ الوحوش وموتُها وهي دواب الأرض قاطبة والوحوش النافرة قد هالها الرعب ونسيت مخاوفها وفرائسها وهالها ذلك اليوم العصيب، وتسجيرُ البحار باشتعالها ناراً حيث تخرج النار من باطن الأرض، وقد أقسم الله عز وجل بالبحر المسجور في سورة الطور فقال عز وجل : ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الطور:١-١٢]. وقد عُلِمَ بتقدم العلوم الحديثة أن باطن الأرض عبارة عن كتلة نارية ملتهبة، فها هي البراكين التي نشاهدها عياناً بياناً تشهد بذلك، وهاهو

تدفق البترول يندفع من باطن الأرض إلى أعلاها عبر الأنابيب والفتحات نتيجة الضغط والحرارة العالية مع سَمَاكَةِ كُتْلَتِهِ وثِقَلِ مَوَادِّهِ المتماسكة قبل فصلها مع بقاء الثقل لبعضها بعد الاستخراج . فمن أخبر النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بأنَّ باطنَ الأرضِ نارٌ تَتَأَجَّجُ ؟ وبأنها سوف تُخْرِجُ أثْقَالَهَا ؟ ومن أخبره عن هذه الأهوال العِظَام وغيرها من أمور الدنيا الأخرى ؟ إنه الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ذو العزة والجبروت ليتبيَّنَ للناسِ جميعِهم مؤمنِهم وكافرِهم وخاصة الكفار أن ذلك هو الحق من الله رب العالمين ويُصَدِّقُون بنبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم. ومما يقع يوم القيامة يوم الجزاء والحساب: تَزْوِيجُ النفوس بأنْ تُقْرَنَ كل نفس بجسدها بعد خلق الأجساد لها وإعادتها كأول مرة خُلِقَتْ تُحْشَرُ إلى الله تعالى:﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المعارج:٤٣، ٤٤]. **ومنها** : سؤالُ الموءودة عن ذنبها الذي قُتِلَتْ به ومن أجله ، وقد كان من هوان النفس الإنسانية في الجاهلية أن انتشرت عادة وَأْدِ البنات خوفاً من العار أو من الفقر أو منهما معاً حيث كانت البنت تدفن حية، وتأتي الفضيحة لبعض الخلق والسعادة لآخرين ، نسأل الله الجنة ونعوذ بالله من النار ، نَشْرُ الصحف والأعمال وكشفها ومعرفتها ، فلا تعود خافية ولا غامضة، وهذه العلنية أشدُّ على النفوس وأنْكى ، فكم من عيب وسيئة مستورة يخجل صاحبها من ذكرها ويرجف ويذوب فؤاده من كشفها، فإذا بها في ذلك اليوم الرهيب منشورة للخلائق أجمعين حيث يُكشف المخبوءُ ويَظهر المستورُ ويَفْتَضِحُ المكْنُونُ في الصدور، إلا من شاء الله أن يستر عليه من عباده كما سبق في الآيات ، قال تعالى:﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى

عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾[الحاقة:١٨-٣٢]. ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء:١٣، ١٤]. وأيضاً: كَشْطُ السَّماء وتَسْعِيرُ النار بتأجيجها وتقويتها وازدياد لهيبها ووهجها وحرارتها، وإِزْلافُ الجنَّة وتَقْرِيبُها لأهلها أهلِ الإيمان والصلاح والتقوى في الحياة الدنيا الذين حبسوا أنفسهم وحجزوها عن محارم الله فلم ينتهكوها وألزموا أنفسهم طاعة ربهم باتباع أوامره عز وجل، فالجنة مقربة لهم سهلة الولوج والدخول إليها على من يسرها الله له ، نسأل الله من فضله. وبعد هذه الإقسامات من العزيز الجبار باثني عشر قسماً يأتي جواب الشرط لهذه الأحداث وهو قول الله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾[التكوير:١٤]. عندئذٍ لا يبقى لدى النفوس شَكٌّ في حقيقة ما عملت من حسنات فتصير بها إلى الجنة أو سيئات فتصير بها إلى النار. كل نفس تعلم في هذا اليوم الهائل ما تزودت به وما حملت معها للعرض الأكبر على الله على رؤوس الخلائق ، وما أحضرت للحساب كما قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج:١، ٢]. تعلم كل نفس هذا الهول الذي يحيط بها ويغمرها وهي لا تملك أن تغير شيئاً مما أحضرت ولا تزيد عليه ولا تنقص منه . ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا

وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾))[آل عمران:٣٠]. يوم يتمنى أهل النار أن يعودوا للحياة الدنيا ليعملوا صالحاً فيقال لهم:((اخسئوا فيها)). قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون:١٠١-١١١]. ثم يأتي القسم بالخنّس الجوار الكنّس ، وهي الكواكب التي تخنس في النهار حيث لا ترى وتختفي فلا تظهر للرائي مع أنها موجودة وهي في دورتها الفلكية المحكمة ، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ [التكوير:١٧] أي إذا أظلم وأقبل أو أدبر،﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير:١٨] أي امتدَّ حتى يصير نهاراً بيّناً واضحاً ، فمن واجب المسلمين أن يستفيدوا من كل كلمة في القرآن في دينهم ودنياهم ، ويعلموا أن ورودها في ذلك الموضع لأمر يهمُّ الإنسانَ في صحته ومأكله ومشربه ونومه ويقظته وليس في أمر العبادة فقط ، فالإشارة هنا إلى الجوّ ونقائه وصفائه بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس الذي استفاد منه أعداء الإسلام مع أن كثيراً من المسلمين يَغُطُّونَ في نومٍ عميق سواء من قام منهم لصلاة الفجر أو المواصلين للنوم. والحديث عن النوم وما ورد عنه في آيات أخرى يأتي الكلام عنه في حينه إن شاء الله تعالى

.

ثم يأتي جواب القسم بتلك الأشياء بأن القرآن نزل به جبريل عليه السلام على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وجبريل ذو قوة لا يقدر إِنْسٌ ولا جِنٌّ على انتزاع ما عنده من الوحي ولا على زيادة فيه ولا نقص منه. وهو ذو مكانة ومنزلة عند ذي العرش سبحانه وتعالى ، مطاعٍ في السماوات، أمين على الوحي ، هذا بالنسبة لجبريل عليه السلام ، أما عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالواو حرف عطف على ما قبلها من جواب القسم أي أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما هو بمجنون فلقد رأى جبريل عليه السلام رأي العين في الأفق على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح وقَدْ سَدَّ الأفق كله ، وما محمد صلى الله عليه وسلم بمظنونٍ فيه التهمة بأن يزيد فيه أو ينقص منه أو يبدل فيه أو يغير ، وليس هذا القرآن بقول شيطان رجيم ممن يسترقون السمع ويلقونه إلى أوليائهم من الإنس فيخلطون فيه ويكذبون:﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [التكوير: ٢٧] أي ما القرآن الكريم إلا ذكر للعالمين من الإنس والجن يذكرون به خالقهم ورازقهم الذي يحييهم ويميتهم وما له سبحانه وتعالى من حق العبادة وواجب الشكر فيتَّعِظُون بهذا القرآن ويخافون ربهم فلا يعصونه بترك فرائضه عليهم ولا بارتكاب ما حرمه عليهم.

سورة التكوير

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، أحمده عز وجل وأشكره وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير، وأشهد

أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله .

أما بعد:فبعد أن ذكَّرنَا رَبُّ العزة والجلال بأن القرآن الكريم ما هو إلا تذكير وذكر للعالمين ليتخذَ العبادُ السبيلَ والطريقَ المستقيمَ إلى الله عز وجل إن شاءوا وأرادوا لأنفسهم الخير، هذه المشيئة والإرادة التي أعطاها الله إِيَّانَا لا تخرج عن مشيئته سبحانه وتعالى ، فمشيئته عز وجل سابقة ومحيطة أيضاً بمشيئة العبد المسكين، ولكن ليعلم المكذبون بالقضاء والقدر أو الْفِرَقُ الضَّالَّةُ التي وُجِدَتْ من زمن طويل ولا زالت تَبُثُّ الشكوكَ والأوهام والتضليلات حول العقيدة الصحيحة لِيُضِلُّوا عباد الله عن الطريق المستقيم. لِيَعْلَمَ أولئك بأنَّ للعبدِ مَشِيئَةً وإِرَادَةً واختياراً لطريق الخير أو الشر من قيامٍ بالعبادة أو الانحراف عنها، فله مشيئة وإرادة واختيار في القيام بالصلاة أو عدمها أو الزكاة أو أي نوع من أنواع العبادة ، وكذلك الأمور المعيشية الأخرى من أكل وشرب ونوم وعمل وكلام وضحك وغير ذلك من الأمور الإرادية التي يستطيع أن يعملها أو لا يعملها، فهو مختارٌ فيها غيرُ مجبورٍ ، وله مشيئةٌ وإرادةٌ في ذلك أعطاه الله إياها، ولكنَّ تلك المشيئةَ والإرادةَ للإنسان لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته وقدرته وعلمه وإحاطته سبحانه بكل شيء . والآيات في القرآن الكريم كثيرة جداً لإثبات تلك الحقائق . أما في الأمورِ الْمُقَدَّرَةِ على الإنسان والتي لا مشيئةَ له فيها ولا إرادةَ بل هي بقضاء الله وقدره ومشيئته وإرادته عز وجل فَمِثْلُ:خلق الإنسان واختيار صورته ولونه وطوله وعرضه ومرضه وموته وما يجري له من الحوادث والنكبات والمصائب وفي أي أرض يموت العبد وفي أي يوم وفي أي ساعة ورزقه وأجله وسعادته وما هو داخل جسم الإنسان من نَفَسٍ وهضم للطعام وإخراج له وإفراز ونبضات قلب ودورة دم وأجهزه لا إرادة للعبد في عملها وليست في اختياره في عملها العادي دون بعض الحالات عند

العمليات وتحت التخدير فهذه غير تلك، وقد يكون للعبد اختيار في البداية قبل تلك الأعمال وليس له ذلك بعد وصولها إلى تلك الأجزاء مثل الأكل والشرب ، له الاختيار والإرادة والمشيئة في الأكل من عدمه وإيصاله إلى فمه ومضغه أو الشرب حتى يصل إلى ما بَعْد الْبَلْعِ والْحُلْقُومِ ثم لا يكون له أيُّ تَدَخُّلٍ في عملية الهضم وإيصال الطعام إلى جميع أنحاء الجسم ومِنْ ثَمَّ الإفراز النهائي أو إفراز الغدد اللعابية أو عصارات الهضم للطعام في المعدة والإثني عشر وغير ذلك حتى تتم عملية الهضم والامتصاص ثم الإخراج، فهذه الأعضاء الداخلية في الجسم ليس للإنسان أي تدخل في عملها ولا إرادة له فيها ولا مشيئة ، وإرادته الأولى كلها هي وهذه وغيرها لا تخرج عن مشيئة الله المطلقة وإرادته وقضائه وقدره عز وجل فهذه وغيرها من الأمور التي ليست من اختيار العبد بل هي مقدرة عليه قد ورد ما يدل عليها في عدد من آيات القرآن الكريم وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا نريد الدخول في التفاصيل إنما هو التلميح والتذكير بين فترة وأخرى لمن دخله الشك أو ابتعد عن القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ولنستمع إلى آيات عدة لإثبات المشيئة للعبد التي هي تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى :﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير:٢٧-٢٩]. وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الإنسان:٢٩-٣١]. وقال سبحانه ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المزمل:١٩]. وقال عز وجل :((كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾[المدثر:٣٢-٣٧]. ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ﴾[النبأ:٣٩]. ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ

﴾ [الأنعام:١١٢] ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾[يونس:٩٩].
والآيات كثيرة في إثبات المشيئة للعبد والإرادة والاختيار في أفعاله والتي لا تخرج عن مشيئة الله المطلقة، التي يحتج بها ضعاف الإيمان أو المنحرفون ، ولا يتسع المقام لذكرها ولكن على من وسوس له شياطين الإنس والجن حول عقيدته أن يصححها ويسأل عنها ليعرف الطريق الصحيح الموصل إلى رضوان الله تبارك وتعالى. وسوف تكون الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى عن القضاء والقدر لأهمية الموضوع وما يتعلق به لتوضيح المقصود بأسلوبٍ مُجْمَلٍ مُيَسَّرٍ مفهومٍ بعيدٍ عن كثير من التفريعات والجزئيات للوصول إلى المطلوب بإذن الله ، والله ولي التوفيق .

القضاء والقدر

الخطبة الأولى **1407/7/6هـ**

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً أحمده سبحانه وأشكره وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد: فما تزال العقيدة الإسلامية منذ إحداثها ذلك الانقلاب العظيم في العالم وهزتها العنيفة لأركانه المتداعية وخلخلتها للكيان البشري المهزوز، منذ أطاح الإسلام بصروح الباطل ودكّ عرش الشر والكفر والفساد ما تزال العقيدة الإسلامية تُستهدف للطعن الشديد ، وتتعرض للنقد القاسي المرير

من خصومها الألِدَّاء ، وأعدائها الأشِدَّاء من يهود ونصارى ومجوس وملحدين على حد سواء ، ولم يبرح أولئك الخصوم يشككون في العقيدة الإسلامية ويطعنون حتى زلزلوها في نفوس أكثر المسلمين ، وسار على نهجهم الفرق الضالة التي تدّعي الإسلام ، ومن ذلك عقيدة القضاء والقدر التي هي ركن من أركان الإيمان وأحد أجزاء العقيدة الإسلامية التي يجب أن يعتقدها كل مسلم ومسلمة. فالقضاء والقدر عِلْمُ الله تعالى الأزَلِيُّ بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء، وتقدير ذلك الخلق وكتابته في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ كما هو حين قضى بوجوده في كميته وكيفيته وصفته وزمانه ومكانه وأسبابه ومقدماته ونتائجه بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن وقته وزمانه الذي يوجد فيه الشيء ، فلا يتقدم عما حُدِّد له من زمان،ولا يتبدل في كميته بزيادة أو نقصان ،ولا يتغير في هيئة ولا صفة بحال من الأحوال إلا أن يشاء الله ذلك التبديل والتغيير ، وذلك لسعة علم الله تعالى الذي عَلِمَ ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وعظيم قدرته عز وجل التي لا يحدها شيء ، ولا يحجزها آخر ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولربطه تعالى الوجود كله بقانون السنن الذي يحكم كل أجزاء الكون علويه وسفليه على حد سواء ، قال تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الرعد:٣٩]. هذان هما القضاء والقدر في تعريفٍ مُقَرَّبٍ للأذهان. ولنستمع إلى كلام الله الخلاق العليم العزيز الحكيم قيوم السماوات والأرض خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير وهو يخبر تعالى عن قدرته وحكمته في القضاء والقدر ومشيئته له وقضائه به ، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

[الحديد:٢٢، ٢٣]. وقال سبحانه : ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٖ مَّوْزُونٖ ١٩ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ٢٠ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعْلُومٖ ٢١ ﴾ [الحجر:١٩-٢١] . وقال تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ ﴾ [القمر:٤٩]. وقال جل شأنه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرٗا ٢ ﴾ [الفرقان:٢] وقال عز وجل : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ٨ ﴾ [الرعد:٨]. وقال سبحانه:﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقْدُورًا ٣٨ ﴾ [الأحزاب:٣٨]. وقال عز وجل: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ ﴾[الأعلى :١-٣].وقال تعالى :﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه:٤٠] . وقال تعالى:﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾ [سبأ:٣]. وقال تعالى : ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا ﴾ [الطلاق :١٢]. لذلك ينبغي أنْ نعرف أنَّ القَدَرَ حسب إيمان المسلمين والمؤمنين به قَدَرَانِ ، قَدَرٌ مُسَلَّمٌ به وآمن به كل المؤمنين بالله تعالى، ولم ينكره أحد ولم يجادل فيه مجادل من المشركين عدا الشيوعيين الملحدين الذين ينكرون وجود الله أساساً. وهذا النوع من القدر مثل خلق العالم وما فيه من سنن ، وما يجري فيه من حياة وموت وقحط وجدب ، وما ينزل بالإنسان من مصائب لم يتسبب هو فيها ولم يكن له قدرة بحال على دفعها ، وذلك كَكَوْنِهِ يُولَدُ جميلاً أو دميماً ، طويلاً أو قصيراً، ذكراً أو أنثى ، حُرّاً أو عبداً وفي زمن كذا دون غيره من الأزمنة، وفي بلد كذا دون غيره من البلاد مثلاً، وككون القضاء مضى بسعادة المرء أو شقائه ، كما مضى بتحديد رزقه وأجله ، فهذا النوع من القدر هو من مراد قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ ﴾ [الحديد:٢٢].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما:((**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف**)).

وهذا النوع من القدر كما يجب الإيمان به ، يجب الرضا به ، والتسليم لله تعالى فيه، فإنه على وفق رضا الله تعالى ، وبناء على مشيئته وحكمته ، وواقع على أساس تدبيره لملكه وخلقه ، وإنه ما من حادثة تحدث في الكون إلا ولله تعالى فيها حكمة عالية مقصودة، ومن هنا قَبُحَ بالمرء أن يَتبَرَّمَ من هذه الأحداث المقدرة له من خير وشر ، كما جَمُلَ به أن يقابلها بكامل الرضا ومطلق التسليم ويتذكر قول الله عز وجل :﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾** ﴾ [التوبة:٥١]. والحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه : ((**لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك**)).أحمد وابن ماجة وأبو داوود. وللرضا بهذا القضاء نتائج سارة ، وثمرات طيبة متى التزم المؤمن ذلك ، وخاصة عندما تنزل به مصيبة أو يصرفها الله عنه ، فمن تلك الثمرات الطيبة والنتائج السارة للرضا بالقضاء أنه يكسب صاحبه قوَّةَ الشَّكِيمَةِ ومَضَاءَ العزيمة ، فمن اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه خلت جميع أعماله من الحيرة والتردد، وانتفى من حياته القلق والاضطراب ، لأنه بمجرد ما يترجح لديه الإقدام على أمر ما أقدم عليه من غير خوف ولا هيبة ولا تردد، ومن هنا فإنه لا يحزن على ماضٍ ، ولا يغتمَّ لحاضر ولا يؤلمه هَمُّ المستقبل ، وبذلك يكون أسعدَ الناس حالاً ، وأطيبَهم نفساً ، وأصلحَهم بالاً، وأهدأَهم خاطراً، ويكون أيضاً من أشجع الناس عقلاً وقلباً

، وأكرمهم قولاً ونفساً، والمثال الحي في واقعنا المعاصر هو ما نشاهده ونسمعه عن واقع المؤمنين بالله وواقع الكفار من يهود ونصارى وغيرهم من الكفار في جميع بقاع الأرض ، فعندما تنزل نازلة بأحد الكفار عندها تضيق الحياة في وجهه ويتبرَّم منها وتضيق به الأرضُ بما رَحُبَتْ ويسارع إلى التخلص من حياته بالانتحار في أي صورة من صُوَرِهِ ليتخلص من هذه الحياة وهذه النازلة والضائقة التي نزلت به ، بينما نجد على العكس من ذلك في المؤمن بالله تعالى حينما ينزل به شيء من ذلك يتلقاه بالرضا والقبول والطمأنينة ويعلم أن ذلك من قضاء الله وقدره ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن الله قد كتب عليه ذلك فلا بُدَّ أن يَنْفُذَ ذلك القدر ، فما على المؤمن بعد ذلك إلا الصبر والاحتساب والرضا بقضاء الله وقدره ، فهو مع ذلك مرتاح البال والضمير ، ويعلم تمام الآيتين التي ذكر الله بأنه يجب على المؤمن ألا يحزن على ما فاته وألا يفرح بما آتاه الله ،قال تعالى :﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣ ﴾ [الحديد:٢٢، ٢٣]، وحال أعداء الإسلام بدا يفشو في واقع المسلمين اليوم حينما بعدوا عن تدبر كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعن العمل بهما ، لذلك قَلَّ من يرضى ويسلم بالقضاء والقدر ويطبقهما في واقعه ، وقَلَّ من يفهمهما الفهم الحقيقي ، كما ضل بسببهما أقوام في القديم والحديث ، فيجب علينا أن نفهم معناهما فهماً صحيحاً ونطبقهما في واقعنا لنحيا حياة سعيدة هانئة ولأنهما من صميم عقيدتنا وأركان إيماننا وإسلامنا. وقد سبق الكلام بأن القدر قدران : القدر العام الذي يشمل الكون كله وما يجري فيه من أحداث لا حِيلة للإنسان فيها ولا قدرة له على دفعها أو تغييرها إِذْ هي جارية على نظام السنن التي

يقول الله تعالى فيها:((فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاًۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلاً))[فاطر:42].وقال سبحانه وبحمده: ((سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً)) [الأحزاب:62]، وهذا القدر العام لم يوجد بين المسلمين من ينكره ويجادل فيه، بل هم مؤمنون به ، ولكن الخطورة في القدر الخاص المتعلق بأفعال العباد حسنها وسيئها ، صالحها وفاسدها. لذلك يجب على المسلم أن يعتقد أن الله جل جلاله خالق للإنسان خالق لأفعاله ، وأن الإنسان فاعل لأفعاله وليس خالقاً لها، وأن له إرادة ومشيئة وفق إرادة الله ومشيئته وعلمه وقدرته وإحاطته بكل شيء ، فعلى المسلم أن يعتقد بأن العبد له قدرة على عمله وله مشيئة ، والله تعالى هو الذي خلقه وخلق قدرته ومشيئته وإرادته وأعماله وأقواله ، وهو عز وجل الذي منح العبد إياها وأقدره عليها وجعلها قائمة بالعبد مضافةً إليه حقيقة ، وبحسبها تم تكليف العبد، وعليها يثاب ويعاقب، ولم يحمِّلِ اللهُ العبدَ فوق طاقته ولم يكلفه إلا وُسْعَهُ ، فالعبد لا يقدر إلا على ما أقدره الله تعالى عليه ، ولا يشاء إلا أن يشاء الله ، وعلى المسلم أن يعتقد بأن ذلك القضاء والقدر الذي حصل له أو عمله أو فعله بفعله الاختياري هو مقدّر عليه ومكتوب في اللوح المحفوظ ولن يخرج عما هو ميسّرٌ له ومقدَّر ومقضيٌّ عليه ، ولنْ يَحِيدَ عن الخط المرسوم له سواء في الأفعال الاختيارية والتي له فيها إرادة ومشيئة أو في الأمور المقدرة عليه ولا اختيارَ له فيها ولا مشيئةَ ولا إرادةَ، فمشيئته وإرادته في أفعاله تلك لا تخرج عن إرادة الله ومشيئته وقضائه وقدره وعلمه وإحاطته بكل شيء .

فعلى المسلم أن يفرق بين المصائب وغيرها من الأمور المقدرة عليه والتي لا اختيار له فيها ولا مشيئة مثل:زمنه ومكانه الذي يولد فيه ورزقه وأجله وعمره وطوله أو قصره ودمامته أو جماله وضخامته أو نحافته وفقد بصره أو

إبصاره ، وطلاقة لسانه أو عدمه ، وعلمه أو جهله، وذكائه أو ضعفه، ومرضه أو صحته ، وزواجه ممن يريد أو لا ، وعقمه أو تقدير ما يشاء من الأولاد بنين أو بنات. وما يصيبه من حوادث سيارات أو هدم أو غرق أموال في البحار أو الأنهار أو الآبار ، أو ما يصيبه في نفسه وماله وأهله وأولاده إلى غير ذلك من المصائب التي لا إرادة له فيها ولا مشيئة ولا اختيار يفرق بين ذلك وأشباهه وبين الأمور الاختيارية في أمور الطاعات والمعاصي وغيرها من أمور الحياة من أكل وشرب أو عدمهما ، ونوم ويقظة أو عكسهما، وقيام وقعود أو عكسهما، وكلام أو عدمه، والإقدام على فعل طاعة وعبادة من العبادات أو عدم القيام بها، والإقدام على معصية من المعاصي أو الابتعاد عنها ،كل ذلك لا يخرج عن مشيئة الله تعالى وقدرته وإرادته وهدايته سبحانه ، قال تعالى :﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٣] . ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد:١٠]. وكما قال تعالى :﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩ ﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩]. وقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩ ﴾ [المزمل: ١٩]. وكما قال عز وجل :﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١ ﴾[الإنسان:٢٩-٣١] . وقوله عز وجل : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧ ﴾ [المدثر:٣٧] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥ ﴾ [الحج:٢٥]. وقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٥ ﴾ [آل عمران:١٤٥]. وقال تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء:١٨]. وقال تعالى :﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ﴾ [آل عمران:١٥٢].وقال عز وجل : ﴿ تُرِيدُونَ

عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[الأنفال:٦٧]. وقال تعالى:﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى:٢٠]. وقال تعالى :﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النساء:٢٧، ٢٨].وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]. وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[الكهف: ٢٩].والآيات التي تثبت مشيئة العبد وإرادته التي لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته كثيرة ، ولم أورد منها إلا الشيء اليسير. لذلك يجب على المسلم أن يفقه هذه المسائل المهمة في دينه لأنها من أركان عقيدته التي لا تقبل التجزئة والإيمان ببعض والكفر ببعض كما هو حال أهل الكتاب ، قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة:٨٥].

القضاء والقدر

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أحمده سبحانه وبحمده وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فإن مما يؤسف له ونسمع عنه بين الحين والآخر وفي مجتمع المسلمين اليوم ومع انتشار العلم هو تخلخل العقيدة والتلفظ بألفاظ تقدح في عقيدة قائلها وتنافي التوحيد الواجب أو كماله ، وما ذلك إلا لقلة التأمل وابتعادنا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح فيما بيننا وعدم

القبول ممن هو واقِعٌ منه ذلك. وإن صدرت بقصد أو بغيره فالواجب التخلي عما ينافي التوحيد قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً ، أقول بأنَّ ألفاظاً تَرِدُ على ألسنة المسلمين اليوم ، طالب العلم والجاهل والصغير والكبير والرجل والمرأة والأولاد من بنين وبنات على حد سواء قلّ من يتنبه لها أو ينكرها، ومنها قولهم:الصُّدْفَةُ: صُدْفَةً لقيتُ فلاناً ، بالصدفة التقيت مع فلان، صدفة قلت كذا، صدفة عملت كذا ولم أعمل كذا، بالصدفة نَجَّاني الله من أمر كذا ،الصدفة وحدها أنقذت فلاناً من حادث مُرَوِّع ، الصدفة وحدها لعبت دورها في إنقاذ فلان من حادث كذا ، بمحض الصدفة تَمَّتْ نجاةُ فلان من حادث كذا، إلى غير ذلك من الألفاظ التي نسمعها في باب الصدفة، مع تفصيلٍ في ذلك حول الكلمة نفسها ، وأسوأ ما قرأت في الصحافة و بأقلام الصحفيين عبارات وكلمات من هذا القبيل يندى لها الجبين عندما تصدر من أبناء هذه البلاد ويقرؤها الملايين من المسلمين أو تنتشر بينهم بناءً على أنها صادرة من بلد التوحيد ولا مُنْكِرَ عليهم، عبارات لا يصدقها مسلم أنها تصدر من متعلم درس التوحيد في هذا البلد ولكنها تَرِدُ يومياً عبر الصحف بأقلام أغبياء الصحفيين المرتزقة الذين يتشدقون بعبارات وجمل يشطحون بها ويقلدهم غيرهم ممن يظنون أن من يكتب في الصحف السيارة قد بلغ من العلم مبلغاً ، ولو علموا عن حال أكثرهم عن قرب وعن أهدافهم لبطل العجب والاستغراب ، ومنها تعبير أحدهم ووصفه لحادثٍ ما كما ذكرنا عن الصدفة:لعبت الصدفة دورها في النجاة من الحادث الفلاني ، تدخلت العناية الإلهية، تدخلت يد القدر أو المشيئة ، وأخيراً تدخلت المشيئة الإلهية،

شاءت العناية الإلهية في إنقاذ فلان أو شاءت عناية الله ، شاءت إرادة الله ،أو أخيراً تدخلت العناية الإلهية ، الإنسان مسيّر غير مخيّر، وقولهم:شاءت الأقدار وسار كذا، شاءت الظروف وأصبح لي كذا ، أو لفلان، حكمت الأقدار عليّ أو على فلان من الناس بكذا ، حكمت الظروف بكذا، أقول هذه الألفاظ وما شابهها في بابها مما نسمعه يجب على كل مسلم ومؤمن يؤمن بقضاء الله وقدره يجب ألا ترد على لسانه هذه الألفاظ وأن يطهر لسانه منها سواء قالها بقصد أو بغيره ويستغفر الله تعالى منها، وعلى كل مسلم أن ينصح من يسمعه يتلفظ بذلك لأن انتشارها أصبح فظيعاً ومخيفاً حتى بين طلبة العلم الذين يجب أن يكونوا هم القدوة الحسنة لغيرهم قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝﴾ [القمر:٤٩، ٥٠]. لذلك يجب أن نعلم أنه لا يقع شيء في الكون مهما كان بالصدفة وإنما هو بقضاء الله وقدره على تفصيل في ذلك كما أسلفنا، وإنْ كان لابدَّ فلْيَقُلْ حَصَلَ كذا مُوَافَقَةً أو اتَّفَقَ أنْ لَقِيتُ فلاناً أو قُدِّر أن لقيت فلاناً وحصل كذا ، ونعلم كذلك أنَّ الإنسانَ مُسَيَّرٌ ومُخَيَّرٌ لا أنْ تقول مُسَيَّراً وليس بِمُخَيَّرٍ، فالإنسان مُسَيَّرٌ فيما لا إرادة له فيه ولا مشيئة وما يصيبه من مصائب أو حوادث وغير ذلك مما سبق إيضاح بعضه ، وفي الوقت نفسه هو مُخَيَّرٌ في أفعاله من أكل وشرب وكلام وابتداء نوم واستمرار بعض اليقظة وعبادة واختيار طريق الخير بفعل الطاعات أو اختيار طريق الشر بارتكاب المعاصي والآثام، وقد سبق توضيح بعضه وهو لا يخرج عن مشيئة الله وإرادته وقضائه وقدره المكتوب في اللوح المحفوظ .

كذلك الأمر بالنسبة لشاءت الظروف، أو شاءت الأقدار أو حكمت الظروف أو حكمت الأقدار، على المسلم أن يُرجع ذلك إلى الله عز وجل ويقول: شاءَ الله ، أو قَدَّرَ الله كذا وما شابههما مما لا يقدح في التوحيد أو كماله، ونسمع ألفاظاً من هذا القبيل خاصة عندما يصيب الإنسانَ حادثُ سيارة سواء كان صغيراً أو كبيراً أو حريقٌ أو غرقٌ أو غيرُ ذلك من الحوادث أو أي مصيبة أو أي أمر من الأمور التي تمر على صاحبها في حينها ويردد هذه الألفاظ.ومنها قولهم:لو ما فعلتُ كذا لانقلبت السيارة، أو لوما عملتُ كذا وتداركتُ الموقفَ لحصل كذا ، أو لو لم أربط حزام الأمان لحصل كذا وكذا كما هو معبر به عبر الصحف في هذه الأيام ، أو لو لم يفعل فلان كذا لما حصل كذا ، إلى غير ذلك مما هو وارد من هذا القبيل وفيه إِخْبَارٌ عن الماضي وليس عن المستقبل الذي لا اعتراض فيه على قدر ، فعلى المسلم أن يقول: قدَّر الله وما شاء فعل ، أو لو لا الله لما نَجَا فلان أو لحصل كذا وغير ذلك من الألفاظ الصحيحة والتي تُفَرِّقُ بين الماضي والمستقبل في أي أمر من الأمور. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لَوْ تفتح عمل الشيطان**)) مسلم. ومن العبارات الخاطئة عندما يدعو الشخص بقول:اللهم إني لا أسألك رَدَّ القضاء ولكن أسألك اللطف فيه، وهذا خطأٌ واضحٌ منافٍ للأحاديث الواردة في ذلك،ومنها:قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا يرد القدر إلا الدعاء،ولا يزيد في العمر إلا الْبِرُّ،وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يذنبه**)). رواه ابن حبان في صحيحه،والحاكم واللفظ له وقال:صحيح الإسناد. وقال صلى الله عليه وسلم:((**لا يرد القضاء إلا الدعاء ،ولا يزيد في العمر إلا البر**)).رواه الترمذي وقال:حديث حسن غريب، وعن

عائشة رضي الله عنها قالت:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل،وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**)).رواه البزار والطبراني، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، يعتلجان: أي يتصارعان ويتدافعان.وفي رواية أخرى للحاكم والترمذي: ((**إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**)).وقول الله تعالى:﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ ﴾[الرعد:٣٩]. والخوض في أمر القدر دون علم ودراية وأخْذٍ له من أهل العلم يوصل العبد إلى متاهات ومفازات قد لا يخرج منها إلا أن يشاء الله له الهداية والسلامة والعودة إلى الطريق الصحيح ، وقد كان الخوض في ذلك في الأزمنة الماضية ولم يزل وقد ضل خلق كثير بسبب عدم الإلمام بعلم الشريعة ممن كان قائداً لهم إلى طريق الغواية، فعلى المسلم ألا يدخل في ذلك إلا بعلم ، والعلم يكون عن طريق العلماء الموحدين الذين يسلكون طريق السلف الصالح في فهم الشريعة على ما جاء في كتاب الله وصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.قال تعالى:﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥]. وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ:٣]. وقال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢]. وما ذُكِرَ سابقاً إنما هو مساهمة في هذا الأمر المهم وتقريب لمعناه إلى أذهان عامة الناس وتبسيط لمضمون القضاء والقدر والمشيئة والإرادة وغيرها مما تم التعرض له دون الدخول في بعض التفاصيل، وواجب المسلم الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا والتسليم واحتساب الأجر والثواب على أقدار الله المؤلمة. قال الله جل جلاله وتعالى سلطانه:((وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾))[النسآء:115، 116]. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله.

الخوف والرجاء

الخطبة الأولى 1407/4/25هـ ، 1425/1/14هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.

أما بعد: فإن مما يجب على المسلم أن يعلمه ويعمل به ويكون مقترناً بعباداته وجميع تصرفاته نوعين من أنواع العبادة القلبية بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، وهما:الخوف والرجاء ومعهما أيضاً المحبة لله عز وجل، الخوف من الله جل جلاله ومن أليم عقابه، والرجاء والطمع فيما عند الله من المغفرة والرحمة وحسن المثوبة ، فجاء الإسلام مرغباً في الخوف من الله ودعا إليه لما له من آثار طيبة وثمار حسنة في حياة الفرد والجماعة ، فهو يبعث في الإنسان المسلم روح الشجاعة ويدفعه إلى الجهر بالحق وإنكار المنكر دون تهيّبٍ من أحد أو خوف من مخلوق بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهذا من أعظم الفضائل وأكرم الغايات، ومن آثار الخوف من الله:أنه يمنع المسلم من الاسترسال في المعاصي والآثام ويجنبه الوقوع في الفسوق ويحجزه عن محارم الله لأنه يستشعر عظمة الله ومراقبته له في السر والعلن، فالمسلم

متى رُزِقَ الخوفَ من الله كَفَّ لسانه عن الْهُجْر والكذب والغيبة والنميمة والسخرية والهمز واللمز، وطهّر قلبه من الغل والحسد والفسق والكبر والرياء والنفاق وسائر الصفات الذميمة التي يبغضها الله ويمقتها.

لقد دعا الإسلام إلى الخوف من الله وأثنى على الخائفين في عدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. قال الله تعالى:((**فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**)).[التوبة :13]. وقال عز وجل:((**وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ**)) [البقرة:40]. وقال سبحانه:((**وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**)).[آل عمران: 175]. إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى . وأما الأحاديث فمنها ما يلي: روى الإمام أحمد والترمذي رحمهما الله من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:قلت يا رسول الله: قول الله تعالى:((**وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ**))[المؤمنون:60] أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو يخاف الله عز وجل؟ قال:((**لا يا ابنة الصديق ، ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل الله منه**)). وعن أبي ذر رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إني أرى ما لا ترون، أطّت السماء وحُقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصُّعُدَات تَجْأَرُونَ إلى الله تعالى**)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((**من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة**)). وعن أبي أمامة الباهلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**ليس شيء أحب إلى الله من**

قطرتين وأثرين: **قطرة دموع من خشية الله، وقطرة دم تُهْرَاقُ في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله**)).وكلما كانت المعرفة والعلم أتمَّ كان الإنسان المسلم أشدَّ لله خوفاً وأعظمَ خشية، وفي أعلى مراتب الخوف والخائفين من الله بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد الصحابة رضي الله عنهم وعلى مرِّ القرون المفضلة وحتى قيام الساعة هم العلماء العاملون المخلصون لله عز وجل قال الله عنهم:((**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ**)).[فاطر: 28]، وبمناسبة ذكر هذه الآية فأذكر معناها لأن بعض المسلمين لا يعرف الفاعل من المفعول فيقرأ الآية خطأً ويفهم المعنى خطأً عياذاً بالله من ذلك ، ويتصور أن الله يخشى من العلماء ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكن المعنى واضح حيث تقدَّمَ المفعولُ وهو لفظ الجلالة على الفاعل وهم العلماء ، وأصبح المعنى أن العلماءَ بالله حقاً هم الذين يخشون الله ويخافونه لما لديهم من العلم والمعرفة بالله وبما عنده في الآخرة من وعد ووعيد. وأشد الناس خوفاً من الله هو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال:((**إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية**)).وفي رواية:((**خوفاً**))وكان يصلي ولقلبه وصدره أَزِيزٌ كأزيز المِرْجَلِ من البكاء، إن المؤمن حقاً هو الذي يخاف ربه ويرجو رحمته وعفوه، فالخوف من الله هو اللِّجَامُ القَامِعُ عن المعاصي، فالمؤمن يَكْبَحُ جِمَاحَ نفسه ولا يُتْبع نفسه هواها لأن النار حُفَّتْ بالشهوات، والجنة حُفَّت بالمكاره، وسبب خوف المؤمن هو معرفة شدة عذاب الله، ويسمى ذلك الخوف خشية ورهبة وتقوى، فالمؤمن يخاف من ذنوبه ويخشى الخاتمة السيئة ويخاف من سوابقه فنجده شديد الخوف من الله

إن هو عصاه أو اقترف المعصية أو قارب منها. فالخوف من الله يظهر على المسلم في الانكسار لله والتواضع لعباد الله والعفاف واتقاء الشبهات والبكاء الحقيقي غير المصطنع لأن بعض الناس يحاول أن يبكي ويُسمَّى متباكياً وقد يكون ذلك بإخلاص وقد يكون رياءً وسمعةً ، فليحذر المتباكي من الوقوع في الرياء والسمعة وليخلص العمل والعبادة لله عز وجل لئلا يحبط عمله وعبادته، أما البكاء حقاً فهو يكون دفعة واحدة في كثير من الأحيان دون سابق إنذار وتَهَيُّؤٍ له عندما يَمُرُّ المسلمُ بآية من آيات القرآن الكريم يقرؤها أو يسمعها أو حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة أو النار أو عن سيرته صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه رضي الله عنهم وما حصل لهم من مواقف مع المشركين والكفار إلى غير ذلك من المواقف المؤَثِّرَةِ التي معها تدمع عينُ المسلمِ من خلال ذلك الشعور الذي يَنْتَابُهُ في مواقف كثيرة ويحصل على الأجر من الله عليها متى أخلص النية لله رب العالمين وابتعد عن كل ما يحبط عمله ويفسده خاصة الرياء والسمعة. ولقد وصف الله سبحانه الخائفين من سَطْوَتِهِ وعقوبته في عدة آيات من كتابه الكريم.فمنها قوله سبحانه:((وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾)).[الحج 34، 35]. وقال عز وجل:((إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾)). [الأنفال2-4]. وهذان المعنيان وهما:طمأنينة القلب

ثِقَةً بما عند الله من الرحمة والعفو والتجاوز، والفزعُ من عذاب الله عندما يذكر المؤمن غضب الله وانتقامه من العصاة.هذان المعنيان نجدهما في قوله تعالى:((**ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾**)).[الزمر:23].أي تقشعر وتضطرب وتتحرك بالخوف لما في القرآن من الوعيد والتخويف ، وتلين وتسكن عند سماع آيات الرحمة والمغفرة ، ورد عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في حديث يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تَحَاتَّتْ عنه ذنوبُه كما يَتَحَاتْ عن الشجرة اليابسة ورقُها**)). وقد وعد الله في كتابه العزيز أهل الخشية والخوف والمراقبة بالمغفرة والنعيم الدائم والرحمة الشاملة، قال تعالى:((**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**))[الملك:12]. وقال سبحانه:((**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾**))[الرحمن:46].((**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾**)).[النازعات:41،40]. قال أبو هريرة رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى:((**أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾**)).[النجم:59،60]، قال أهل الصفة: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بكاءهم بكى معهم، فبكينا لبكائه ، فقال صلى الله عليه وسلم:((**لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة مصرٌّ على معصية**)) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:لما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه

وسلم هذه الآية :((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ**)).[التحريم:6]، تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه، فَخَرَّ فتىً مغشياً عليه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو يتحرك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**يا فتى قل: لا إله إلا الله**))فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله: أَمِنْ بيننا؟ قال:((**أو ما سمعتم قوله تعالى:((ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ**)) ؟)) [إبراهيم:14]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه جل وعلا أنه قال:((**وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين: إذا خافني في الدنيا أمَّنْتُه يوم القيامة، وإذا أَمِنَني في الدنيا أَخَفْتُهُ في الآخرة**)). قال تعالى:((**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧**)). [الإسراء: 57]. وقال تعالى:((**أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩**)). [الزمر:9]. ألا ما أجمل الخوف من الله حينما يتحلى به العبد المؤمن، وألا ما أروعه من خُلّةٍ وصفة يتَّصِفُ بها المؤمن بين العباد.

الخوف والرجاء

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده سبحانه وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد:فكما أسلفنا لابد من ارتباط الخوف بالرجاء مع المحبة أيضاً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، الرجاء الذي يسمى طمعاً ورغبة فيما عند الله من النعيم والثواب والرحمة الواسعة، فيجب أن يكون الخوف والرجاء معتدلين، فلا إفراط ولا تفريط فإن الخوف إذا أفرط صاحبه قد يجره إلى اليأس والقنوط من رحمة الله ، وهو حرام ، وإذا أفرط المسلم في الرجاء في رحمة الله فقد يجره إلى الأمن والغرور، وهو حرام أيضاً، وهذا حال أكثر المسلمين اليوم، فعلى كل مؤمن أن يعرف أين هو من الخوف والرجاء وأن يعيش بين الخوف والرجاء والمحبة لله سبحانه وتعالى. والإنسان المسلم لم يُخْلَقْ مَلَكاً مُطَهَّراً ولا بشراً معصوماً، وإنما هو إنسان تتنازعه قوى الخير والشر وتتقلب عليه حياته الروحية أحياناً فتسمو نفسه وترتفع، وأحياناً أخرى تتغلب عليه شهوات الجسد فَتُخْلِدُه وتُلْصِقُهُ بالأرض وتردُّه إلى أسفل سافلين، وعلى المسلم أن يصحح أخطاءه إذا أخطأ، ويعالج أمراض نفسه إذا مرضت، ويغسل نفسه من أدران الذنوب التي قد رانت على عقله وقلبه، ويستأنف السير من جديد.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**كل ابن**

آدم خَطَّاء، **وخير الخطَّائين التَّوَّابون**)). ولقد فتح الله باب الأمل والرجاء ودعا العصاة إلى التوبة والاستغفار، وأنه سبحانه يغفر لهم إذا دَعَوْهُ ورَجَوْهُ مهما عَظُمَ الجُرْمُ وكَبُرَ الإثمُ إن هم صدقوا وعزموا على التوبة الصادقة، وها هي أرجى آية في القرآن الكريم فيها دعوةٌ للمسرفين على أنفسهم والواقعين في الذنوب والمعاصي مهما عَظُمَتْ ، الدعوةُ إلى عدم القنوط واليأس من رحمة الله، يدعوهم رب العزة والجلال وينادي المسرفين والغارقين في الآثام إلى الإقبال والدخول من باب التوبة الواسع أمامهم للعودة والأوْبَةِ والرجوع إلى الله الغفور الرحيم ليغفر لهم ذنوبهم مهما كانت وفي أي اتجاه كان، هذه الآية التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ما أُحِبُّ أنَّ لي الدنيا وما فيها بهذه الآية**:((قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾)).[الزمر:53]. وأورد بعض الآيات الأخرى والأحاديث حول التوبة والرجاء فيما عند الله تبارك وتعالى، قال تعالى:((وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾)) [النساء:110].((وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾)).[آل عمرن:135، 136].وقال عز وجل:((كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾)).[الأنعام:54]. وقال سبحانه وبحمده:((ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾)).

[النحل:119].وقال تبارك اسمه:((إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾)). [الفرقان:70].

وفي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أُبَالِي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبُك عَنَانَ السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بِقُرَابِ الأرض خطايا ثم لقيتني لا تُشْرِكُ بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**)).رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب. العنان: بفتح العين:هو السحاب، قراب الأرض: بضم القاف، ما يقارب مَلأَهَا.قال تعالى:((وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾)).[الأعراف:156]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون الله تعالى فيغفر لهم**)).فالله جل جلاله سَتْرُهُ واسعٌ ، وعَفْوُهُ عظيمٌ ، ورحمتُه وسعتْ كلَّ شيء، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**يُدنَى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه . أي ستره ورحمته . فيقرره بذنوبه، فيقول: أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول:رب أعرف، فيقول الله تعالى: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته**)).

لذلك يُشْتَرَطُ أَنْ يَسْتُرَ الإنسانُ نَفْسَهُ في الدنيا فلا يَجْهَر بما يفعل من سيئات، فإنَّ إظهارَ الفاحشة فاحشة أخرى، لأنا نسمع من يتبجح بفعل المنكرات، ويقول أحدهم في المجالس مفتخراً فعلت كذا وكذا في يوم كذا من

الأفعال المنكرة. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فَمَنْ أَلَمَّ بشيء منها فليسْتَتِرْ بِسَتْرِ الله**)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإنَّ مِنَ المجاهرة أن يعمل الرجل عملاً بالليل ثم يصبح وقد ستره الله تعالى عليه، فيقول:يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عليه**)).فعلينا ألا ننسى أن الله سريع العقاب وأنه غفور رحيم، قال تعالى:((**إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ**)).[الأنعام:165].((**غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾**)). [غافر:3]. ((**إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾**)). [الأعراف:167].وقال تعالى:((**نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾**)). [الحجر:50،49]،وقال عز وجل:((**إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ**)) [الأنبياء:90]. وقال سبحانه:((**إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾**)).[يونس:7-10]، إن بعض المسلمين يفهم خطأً ويخلط بين الخوف الجبلي العادي الطبيعي من المخلوقات وبين الخوف من الله ومن أليم عقابه، وبين الرجاء فيما عند الله من الخير والمثوبة وحسن العاقبة وبين رجاء الحصول على

بعض الأمور عن طريق المخلوقين، فالخوف من النمر والأسد والفيل والثعبان والعقرب وغيرها من الدواب وركوب البحر أو الصعود للأماكن الشاهقة أو حتى ظلام الليل لبعض الناس، هذا الخوف من الأمور العادية، وكذلك الخوف والخشية من عواقب ونتائج بعض الأمور لما يقدم عليه الشخص ويخاف من بعض النتائج العكسية، هذه الأنواع من الخوف لا تنافي التوحيد ولا كماله، وليست من الشرك في شيء ولا علاقة لها بالأمور التعبدية إلا ما كان في بعض الأمور التفصيلية التي كان الكلام عنها أخيراً ولا يتسع المقام لتوضيحها أكثر من ذلك.وكذلك الحال بالنسبة للرجاء فيما عند الله عز وجل وبين رجاء الحصول على بعض الأشياء المعيشية عن طريق المخلوقين ولا علاقة لها بالعبادة ، فليتنبه المسلم للفرق بين هذه الأمور ولا يخلط فيها وبينها فعندها يقع في متاهات وتفسيرات بعيدة كل البعد عن تعاليم الإسلام وليست من العبادة في شيء ، وإنما هو تَنَطُّعٌ وخَلْطٌ وفَهْمٌ في غير موضعه، وحيث نسمع من

يفتي ويتكلم في هذا وغيره بغير علم، لذا وجب التنبيه بإجمال دون الدخول في التفاصيل لعدم مناسبة المقام للتوسع في ذلك، وإنما هو التذكير والذكرى التي ينتفع بها المؤمنون كما قال تعالى:((وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾)).[الذاريات: 55].وكما قال تعالى:((فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾)).[الأعلى: 9-11].

وأخيراً فلنضع الآيات التالية نصْبَ أعيننا عند كل قول أو فعل أو اعتقاد وإن كان المقام لا يتسع للأحاديث حول الإخلاص لله رب العالمين

والصواب والإتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله جل جلاله وتعالى سلطانه:((وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾)) [البينة:5]، قال الله تعالى:((قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾)).[الكهف:110]،وقال عز وجل: ((ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا)).[الملك:2]،وقال سبحانه:((وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا))[هود:7]، وقال عز شأنه:((إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴿٧﴾))[الكهف: 7]،وقال تعالى:((قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾))[آل عمران:3229]، وقال سبحانه وبحمده:((وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾))[البقرة:165]. وقال عز شأنه: ((وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾))[الحشر:7]،وقال تعالى:((لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ

لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾))[الأحزاب:21]،وقال جل وعلا: ((فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [النور:63]، وقال جل شأنه:((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا)) [النور:36].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله، وارْضَ اللهمَّ عن صحابة رسولك محمد واحشرنا في زمرتهم وارزقنا مرافقة نبينا وحبيبنا ورسولنا محمد في الجنة يا أرحم الراحمين.

التوبة

الخطبة الأولى **1405/9/26هـ ، 1424/12/29هـ**

الحمد لله الوهاب الغفور التواب((**غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾**)).[غافر:3] يتوب على التائبين مهما عظمت ذنوبهم إذا تابوا إليه، ويبدل سيئاتهم حسنات إذا أصلحوا أعمالهم وأنابوا إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل:((**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين**

مرة)).رواه البخاري،صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فيقول الله تعالى:((**قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾**)).[الزمر:53]، وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**ما أُحبُّ أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية:((قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ))**.إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل العصاة والمذنبين مهما عملوا من المعاصي والذنوب والكبائر والآثام مهما كانت وعظمت حتى ولو كانت شركاً وكفراً، إنها الدعوة للأوبة والرجوع إلى رحمة الله وإلى طريقه المستقيم، في هذه الآية دعوة للعصاة المسرفين الشاردين في تيه الضلال، تدعوهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله، وأن الله رحيم بعباده يعلم ضعفهم وعجزهم ويعلم العوامل المسلَّطة عليهم من داخل أنفسهم ومن خارجها، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كلَّ مَرْصَدٍ ويسدُّ عليهم طرقَ الخير ويُصَعِّبُها عليهم ويعظِّمُها في أعينهم ويَجْلِبُ عليهم بخَيْلِهِ ورَجِلِهِ، ويعلم سبحانه وتعالى أن هذا المخلوق الإنساني الضعيف الذي ركَّبَ فيه الميولَ والشهواتِ والوظائفَ الأخرى سَرْعَانَ ما ينحرف عن التوازن فيشطُّ ويخرج عن الطريق هنا أو هناك، يعلم سبحانه ذلك فأمدَّه بالعون ووسَّع له باب الرحمة وفتح له باب التوبة ويقبل التوبة منه ولا يأخذه بمعصيته بل يبدلها حسنات متى صدق التوبة ورجع إلى الله جل جلاله ، قال تعالى:((**إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ**

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾)).[الفرقان:70]. ففي هذه الآية دلالة على أن تلك السيئات الماضية تُبَدَّلُ حسناتٍ بعد التوبة النصوح والخالصة، وبذلك ثبتت السنة وصحَّت بها الآثارُ المَرْوِيَّةُ عن السلف رضي الله عنهم. فعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار، وآخر أهل الجنة دخولاً إلى الجنة، يؤتى برجل فيقول: نَحُّوا عنه كبارَ ذنوبِه وسَلُوهُ عن صغارها، قال: فيقال له: عملت يوم كذا. كذا وكذا، وعملت يوم كذا. كذا وكذا. فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئاً. فيقال له : فإن لك بكل سيئة حسنة: فيقول: يا رب عملت أشياء لا أراها هاهنا**)) قال:فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بَدَتْ نَوَاجِذَهُ. وروى البزار والطبراني والبغوي أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم طويلٌ شَطْبٌ فقال: أرأيت من عمل الذنوب كلها، ولم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال:((**فهل أسلمت؟**)) قال:أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.قال:((**تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيراتٍ كُلَّهُنَّ**)).قال:وغَدَرَاتِي وفَجَرَاتِي؟ قال:((**نعم**)) قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى).رواه البزار والطبراني واللفظ له. ألا ما أحلم الله وألطفه بعباده!! ألا ما أكرمه سبحانه وأرحمه!! ألا ما أوسع فضله ورحمته!! فتح باب التوبة أمام عباده ليتوبوا، ولم يغلقه سبحانه في وجه أحد، وذلك حتى تطلع الشمس من مغربها وما لم تطلع روح الشخص، فإنه إذا مات أي إنسان فقد قامت قيامته ولا تنفعه توبته ما لم تكن قبل الموت، فإذا كانت حال خروج الروح فإنها لا تقبل. قال

تعالى: ((إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾)).[النساء:17، 18].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ**)).رواه ابن ماجة والترمذي وأحمد والحاكم،وقال أحمد شاكر:إسناده صحيح.ويجب على المسلم أن يعرف أن له ربّاً تواباً رحيماً ودوداً عليماً حكيماً لطيفاً بعباده لا إله إلا هو العزيز الحكيم يفرح بتوبة عبده ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار لا إله إلا هو الغني الحليم الحي القيوم ذو الجلال والإكرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**)).رواه مسلم والنسائي، وقال رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم:((**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاةٍ فانفلتت منه راحلته وعليها طعامه وشرابه فَأَيِسَ منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح:اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**)).رواه مسلم، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال:((**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على**

رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، من يحول بينك وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، فأتاه ملك الموت. وفي رواية **. أتاه الموت . فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة:جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب:إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قِيسُوا ما بين الأرضين، فإلى أيَّتِهِمَا كان أدْنى فهو لها، فَقَاسُوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة)).**وفي رواية:((**فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها**)).رواه البخاري ومسلم وابن ماجة بنحوه.

فهاهي آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو العباد إلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله سبحانه تعالى وفيها التصريح بأن الله يغفر الذنوب مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ، وفوق ذلك كلّه لو طال عمر الإنسان في المعاصي ورجع إلى ذي العزة والجبروت ذي الجلال والإكرام لو رجع ذلك العبد الآبق والغارق في المعاصي والآثام قبل الموت لوجد العفو والغفران وإبدال السيئات بحسنات. فما عليه إلا أن يطرق هذا الباب المفتوح على مصراعيه باب التوبة ويدخل معه بدون واسطة ولا رسوم مادية ولا تدخلات بشرية ولا ساعة معينة دون غيرها ولا في مكان مخصص دون غيره ، فما عليه إلا أن يدخل من هذا الباب الواسع في أي لحظة ويغتنم ما بقي من حياته ويثق ويوقن بأن الله سوف يقبل توبته ويغفر زلته إن هو صدق، ويعقد العزم بأن يقلع عن المعاصي، ويندم على فعلها، ولا يعود إليها أبداً حتى تَقْبَلَ توبتُه، وليبرأ من حقوق الناس بِرَدِّهَا

إليهم إن كانت أموالاً أو نحوها، وليستحِلَّها منهم إن كانت غيبة أو نميمة أو بهتاناً وقدر على ذلك وعلم بأنه لن تحصل بالإخبار مفسدة أعظم، وإلا فَلْيذكُرْ من اغتابه أو قذفه بما يعلم عنه من الخير والصلاح في المجالس التي ذكر أخاه المسلم بغير ذلك مما يكره ويدعو له بالمغفرة والرحمة لعل ذلك يكفر عنه ما وقع فيه من الغيبة والنميمة والبهتان، هذا في حقوق الآدميين فيما دون قتل المؤمن عمداً تلك الكبيرة العظيمة التي ترتعد لها فَرَائِصُ المؤمن من شدة الوعيد الشديد لمن يقدم عليها، والتي يتعلق بمن أقدم عليها ثلاثة حقوق، حق لله تبارك وتعالى فيكون بالتوبة لعموم الأدلة التي سوف ترد إن شاء الله. وحق أولياء المقتول فيسقط بالقصاص أو الدية أو العفو، أما حق المقتول فلا سبيل إلى الخلاص منه في الدنيا لأن المقتول قد فارق الحياة ولا أحد يملك عنه من البشر حق التنازل للقاتل فيما أقدم عليه وإنما يكون القضاء فيه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة يوم الجزاء والحساب حيث يكون أول ما يقضى فيه بين الناس في الدماء كما ورد بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي خطب قتل النفس التي حرم الله والقصاص يكون التوضيح والبيان الشافي لهذا الموضوع بإذن الله عز وجل ، فعلى المسلم أن يبرأَ ويتخلَّصَ مما يتعلق بحقوق البشر في هذه الحياة الدنيا لئلا يكون مفلساً في الآخرة عندما يأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته جزاء ما اقترفه في حقهم وظلمهم بأي نوع من أنواع الظلم، لأن حقوق الآدميين مبنية على المشَاحَّة، فخير وأولى وأفضل للمؤمن أن يبرأ من حقوق البشر في الدنيا في زمن المهلة لأنه يستطيع التخلص من ذلك، أما في الآخرة

فليس هناك إلا الحسنات والسيئات . أما حق الله عز وجل فهو مَبْنِيٌّ على العفو والمغفرة والرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء فهو يغفر الذنوب والمعاصي مهما بلغت في أعين الناس وإن بلغت عنان السماء، فما على العبد إلا أن يقلع عن كل ما يغضب الله جل جلاله ويندم على ذلك ويعقد العزم على عدم العودة ، وإن عاد مراراً وتكراراً فإن عليه أيضاً أن يقلع ويعاود التوبة ويرجع إلى ربه ولا ييأس من رحمة الله ويطرق هذا الباب الواسع باب التوبة والرحمة والمغفرة ويتوب إلى الله توبة نصوحاً. قال تعالى:((۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)).[الزمر:53].وقال عز وجل:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾)).[التحريم: 8].وليتذكر قول الله عز وجل:((أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾)).[التوبة:104]. ((وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾)).[النساء:110]. ((إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾)).[الفرقان70]. وقال عز وجل:((وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)).[الشورى:25].

التوبـة

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي منَّ علينا بشريعة الإسلام وشرع لنا ما يقرِّب إليه من صالح الأعمال والحمد لله الذي أنعم علينا بتيسير الصيام والقيام وجعل ثواب من فعل ذلك تكفير الخطايا والآثام وأشهد أن لا إله إلا الله وحد لا شريك له ذو الجلال والإكرام وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من صلى وزكّى وحج وصام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليماً.

أما بعد:فتدور أسئلة كثيرة في أذهان كثير من الناس، ومنها: هل يقبل الله توبة إنسان يتسمى بالإسلام ولكنه يشرك بالله تعالى أو يترك الصلوات أو يحافظ على بعضها ويترك بعضها أو لا يصلي إلا يوم الجمعة أو لا يصلي ولا يصوم إلا في رمضان أو لا يؤدي الزكاة أو يصوم بعض أيام رمضان ويفطر بعضها، أو هو مرتكب للزنا أو السرقة أو استعمال المخدرات والخمور بأنواعها أو قاتل أو محارب لله ورسوله أو يأكل الربا أو يتعامل به أو يساعد عليه أو يشهد به، أو هو عاق لوالديه أو أحدهما، أو منان، أو مسبل، أو متكبر ومختال، أو نمام أو مفسد أو ظالم إلى آخر ما نعلم من كبائر الذنوب، أو إذا كان يرتكب هذه الذنوب والآثام مجتمعة أو بعضها أو واحدة منها، فهل له من توبة ؟ وسؤال آخر يتكرر من بعض الناس، هل تقبل توبة إنسان يرتكب الكبائر أو بعضها وقد وصل عمره ستين سنة أو أكثر أو فوق الأربعين ؟ أو يتوب ويرجع إلى المعصية أو عدد من المعاصي

هل له من توبة؟ وهذه الأسئلة وأمثالها مما يوسوس بها الشيطان للعصاة الواقعين في الكبائر من الرجال والنساء ليبعدهم عن الطريق المستقيم ويقنطهم من رحمة الله، هذه الوسوسة من شياطين الإنس والجن جميعهم وخاصة العدو المبين الذي حذرنا الله تعالى منه وأمرنا بأن نتخذه عدواً ألا وهو الشيطان الرجيم الذي لا يريد لأحد هداية بل يسعى بخيله ورجله لغواية البشر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وكذلك شياطين الإنس. قال تعالى:((إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾)). [فاطر:6]. وقال تعالى:((يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾)).[النساء:26-28]. وأورد آيات تدل على قبول توبة التائبين من كبائر الذنوب والمعاصي بعينها ومن الشرك والكفر والنفاق أيضاً إلا من مات مشركاً أو كافراً أو منافقاً نفاقاً اعتقادياً من غير توبة وقبل أن تطلع روحه من جسده.

فعن تاركي الصلاة ومضيعيها ومانعي الزكاة وأن الله يغفر لهم وهم إخوان لنا في الدين، قال الله تعالى:((۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾)).[مريم:59-63]، وقال عز وجل

عن المشركين:((فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾)) [التوبة:5]، إلى أن قال عز وجل بعد خمس آيات أيضاً عنهم في سورة التوبة:((فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾)). [التوبة:11]، وقال عز وجل عن قبول توبة المنافقين نفاقاً اعتقادياً بعد أن عدَّد أوصافهم وأخلاقهم الذميمة:((إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾)).[النساء:145-147]، وقال سبحانه عن المحاربين له عز وجل ولرسوله:((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾))[المائدة:33، 34]،وبعدها بآيات عن قبول توبة السارق والسارقة. قال عز وجل:((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾)).[المائدة:38-40]، وعن قبول توبة

الكافر والمشرك والمرتدّ عن الإسلام إن لم يموتوا على ذلك وعن التائب عن الزنا والقتل للنفس التي حرم الله. قال الله تبارك وتعالى في عدد من الآيات التي نذكر سياقها القرآني الذي يوضح الصورة كاملة كما جاءت في القرآن الكريم:((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾)).[آل عمران:85 - 91].وعن قبول توبة الذين يأتون فاحشة الزنا ويعملون السوء بجهالة ويتوبون قبل الغرغرة وحضور الموت أو الموت على الكفر في سياق قرآني مترابط كما فسرته أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:((وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾)). [النساء:16-18].وقال تعالى:((وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا)).[الفرقان:68-71]. وعن قبول توبة الذي يقذف المحصنات بالفاحشة قال تعالى:((وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾)).[النور:4، 5]. وعن غض البصر والتزام المرأة المسلمة بالحجاب الشرعي وتغطية وجهها وسترها عن الأجانب عنها بعد أن ذكر الله عز وجل من يجوز لها أن تكشف عنه أمامهم وليس هو سفور المرأة وكشفها عن وجهها الذي كثر دعاة الضلالة إليه اليوم في القنوات الفضائية ، وبعد ذكر الرجال الذين يجوز للمرأة المسلمة أن تكشف عن وجهها أمامهم قال عز وجل موجهاً الخطاب للرجال والنساء في نهاية الآية:((وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾)).[النور:31].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيُستشهد ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيُستشهد**)).رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.وعن المرأة التي زنت وأُقيم عليها حدُّ الرجم وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن توبتها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز**

وجل)).رواه مسلم رحمه الله.وبعد أن ذكر تحريم فتنة المؤمنين والمؤمنات وإذا لم يكفَّ الشخص عن ذلك ويتوب إلى الله فالعذاب الأليم أمامه.قال تعالى:((وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾)).[الأحزاب:58] وقال عز وجل:((إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾)).[البروج:10].وقال عز وجل عن قبول توبة التائبين عموماً:((أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾)).[التوبة:104]. وقال سبحانه وبحمده:((وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾)). [الشورى:25]. وعن قبول توبة الذين يكتمون العلم وما أنزله الله من البينات والهدى، قال تعالى:((إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾)) [البقرة:159،160].وعن السخرية والاستهزاء واللمز والتنابز بالألقاب واجتناب كثير من الظن والتجسس والغيبة قال تعالى آمراً باجتنابها وداعياً إلى التوبة منها وأنه تواب رحيم:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ

بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾)). [الحجرات:11، 12].

أيها المسلمون: كلنا خطّاء، وخير الخطائين التوابون، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**)).رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم، ويشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للمذنبين الخطائين من المتأخرين من أمته عليه الصلاة والسلام كما هي للمتقدمين منهم، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**خُيِّرْتُ بين الشفاعة أو يدخل نصفُ أمتي الجنةَ فاخترت الشفاعة لأنها أعمُّ وأكفى، أما إنها ليست للمؤمنين المتقدمين، ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوّثين**)).رواه أحمد والطبراني واللفظ له، وإسناده جيد، ورواه ابن ماجة من حديث أبي موسى الأشعري بنحوه. وعلينا مع ذلك ألا نأمن عقاب الله إذا لم نقلع عن الذنوب والمعاصي ، وقد تُعَجَّلُ لنا العقوبةُ في الدنيا وهذا خير لنا إن عجلت العقوبة، وعلينا أن نسارع إلى التوبة في أي ساعة من ليل أو نهار ونطرق باب التوبة الواسع حتى يغفر الله لنا، قال تعالى:((**نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾**)).[الحجر:49، 50].وقال عز وجل:((**غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾**)).[غافر:3]. وقال صلى الله عليه وسلم:((**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم**)).رواه الإمام مسلم وغيره رحمهم الله. ويجب على المذنب أن يستتر بستر الله إذا اقترف ذنباً ولا يجاهر به ولا يصر على اقتراف

الذنوب والمعاصي حتى ولو عاد إلى الذنب نفسه مرة أخرى فإن ذلك هو ظاهر الآيات والأحاديث وليس كما يفهمه بعض المسلمين خاصة المرجئة، وقد سلك طريقهم مَنْ ليس منهم خاصة في هذا الأمر وإنْ لم يكونوا على علم بمنهجهم، ففي هذه المسألة كان الفهم الخاطئ للآية وللحديث الوارد في سبب نزولها، وكذلك الحديث التالي وأحاديث أخرى حيث يرتكبون كبائر الذنوب ويُصِرُّون على الاستمرار فيها وقد يموت أحدهم وهو مرتكب لتلك الكبائر محتجاً بهذه الأحاديث وفهمه الخاطئ لها وللآية التالي ذكرها بعد هذين الحديثين:عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**إن عبداً أصاب ذنباً، فقال:يا رب إني أذنبت ذنباً فاغفره ، فقال له ربه:علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله،ثم أصاب ذنباً آخر . وربما قال:ثم أذنب نباً آخر . فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي ، قال ربه : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، فغفر له، . إلى أن قال . فقال ربه: غفرت لعبدي فليعمل ما شاء**)).رواه البخاري ومسلم. فمعنى الحديث والله أعلم وكما هو واضح من الحديث أنه أصاب ذنباً ثم تاب منه، ثم أصاب ذنباً آخر وليس الأول، فالذي يفعل هذا ليس كمن يعاود الذنب نفسه، فهذه توبة الكذابين وقد قيل: لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل العبد عملاً بالليل يبيت يستره الله، فيصبح يكشف ستر الله عليه، يقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا**)).

قال تعالى:((وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾)).[هود114]. وقال عز وجل:((وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾)).[النجم:31، 32]. وقال عز جل:((وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾)).[آل عمران:132- 136].وقال تعالى:((إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾)).[النساء :31]. وعليه نقول ونكرر بأن باب التوبة مفتوح لمن ارتكب بعض هذه الذنوب أو كلها مهما بلغت أو كان كبيراً في السن أو شاباً ذكراً كان أو أنثى فإن الله يقبل توبته ما لم تطلع روحه ويدْنُ أجلُه ويُغَرْغِرْ وما دام في فسحة من أجله وأمره ؟ وما لم يكن ممن تقوم عليهم الساعة وتطلع الشمس من مغربها، وفوق ذلك كله فضل عظيم لا يتوقعه إنسان ولا يتصوره ؟ ألا وهو إبدال السيئات الماضية مهما كانت بحسنات

فوق التوبة التي قبلها الله منه؟ وإن زنا وإن سرق وشرب الخمور أو ارتكب جميع الموبقات فإن الله ذا الجلال والإكرام يقبل التوبة منه ويكفر السيئات ويبدله عن تلك السيئات حسنات، وقد أوردت سابقاً من الآيات والأحاديث ما فيه الكفاية، فالمبادرةَ المبادرةَ بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الرب الكريم التواب الحليم الغفور الرحيم لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

فاللهم اغفر لنا ما قدّمنا وما أخّرنا وما أسررنا وما أعلنّا وما أنت أعلم به منّا أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا ورسولنا محمد وآله.

وبالوالدين إحساناً

الخطبة الأولى 1419/3/23هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن حبيبنا وسيدنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

أما بعد:فقد رأيت الحديث اليوم عن موضوع مُهِمٍّ في حياة المسلمين وإدخاله بين الخطب المتسلسلة والمتصلة ببعضها كالجملة الاعتراضية المفيدة بياناً وتوضيحاً في حينها ولعلنا نصل بذلك إلى الفائدة المرجوة بإذن الله عز وجل، والموضوع هو بِرُّ الوالدين والإحسان إليهما، وحيثيات الاختيار للموضوع في هذا الوقت متعددة الجوانب، ومن أهمها بعد أن تمّ في الخطبة السابقة ذكر موقف أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه آزر هو كيفية تعامل الابن البارّ مع الأب المشرك بالله ، وشفقته عليه الصلاة والسلام وعطفه وحنانه على أبيه وخوفه عليه من المصير المؤلم والعاقبة الأليمة في الآخرة، وكيفية المحاورة الهادئة وإلقاء السلام الموحي بالأمن والطمأنينة والشفقة والرحمة بعد أن ظل يدعوه إلى توحيد الله جل جلاله ومع هذا فهو يدعو الله له بالهداية والمغفرة، ولكن بعد ما تبينت عداوته لدينه وملته الحنيفية تبرأ منه ، وتلك البراءة في الدين والمفارقة لم تمنعه من الرفق به وبرّه والإحسان إليه كما أوجب ذلك رب العزة والجلال على الأولاد نحو والِدِيهِمْ وإن كانوا مشركين بالله وكفاراً، ولنستمع إلى هذه الآيات الكريمة، قال الله

جل جلاله:((وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴿٥٠﴾)).[مريم:41-50].لقد كان أبو الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام يستغفر لأبيه ويدعو الله له بالهداية ووعده بالاستمرار في ذلك حتى تبيَّنَ موقفُه وإصرارُه على عدم اتباع ملة إبراهيم عليه السلام عندها اتخذ موقف البراءة منه في هذا الجانب من ناحية الدين،أما بخصوص قيامه بواجبه الشرعي نحوه فلم يُقَصِّرْ فيه بل قام به أحسنَ قيام، وأوردت الآيات السابقة وكذلك اللاحقة نظراً لما نسمعه ونلحظه من بعض الملتزمين الذين لم يأخذوا العلم الشرعي عن العلماء المخلصين الموثوق بعلمهم وإنما اكتفوا بقراءتهم وفهمهم السقيم حول تعاليم الإسلام وأخذوا يهجرون ويقاطعون الناس بدون وجه حق،ومنهم قراباتهم وأقرب الناس لهم ومن كان سبباً في وجودهم والحرص عليهم ورعايتهم وهم آباؤهم وأمهاتهم، يهجرونهم من أجل معصية من المعاصي هم واقعون فيها مع عدم انتفاء الإسلام والإيمان عنهم، ولنتأمل الآيات التالية والسابق ذكرها

أيضاً من سورة مريم والتي توضح إصرار آزر أبي إبراهيم على الشرك وعدم اتباع ملة ابنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام،واستعمال إبراهيم مع أبيه الحوار الهادئ وأسلوب الشفقة والرحمة والخوف على أبيه من العاقبة الأليمة، وملازمته الاستغفار له والدعاء إلى آخر لحظة تبيّنت له بأنه لا فائدة من ذلك ولكنه قام بالواجب نحوه من ناحية البر والإحسان، فقد قال له في ذلك الموقف كما جاء في القرآن الكريم في سورة مريم:((قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴿٤٧﴾)).[مريم:47].واستمر على ذلك كما جاء في دعائه في سورة الشعراء:((رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾)).[الشعراء:83-89]. وقد دعا لنفسه ولأبيه وأمه وللمؤمنين كما جاء ذلك في سورة إبراهيم:((رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾)).[إبراهيم:41].وقد وضّح الله جل جلاله سبب استغفار إبراهيم لأبيه بأنه الوعد والالتزام منه بملازمة الدعاء له بالمغفرة كما جاء في الآية السابقة:((سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ)). [مريم:47]، وفي سورة الممتحنة:((إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ)) [الممتحنة:4].وقد جاء هذا السبب وملابساته في القرآن الكريم حتى لا يتخذه حجة أولئك الذين يتعلقون بمن مات على الكفر والشرك مهما كانت صلتهم وقراباتهم، وقد اتخذهم فعلاً في هذا الزمان بعض الفرق المنتسبة للإسلام وتركوا كلام الله عز وجل وراء ظهورهم مع الوضوح الكامل للاستفسارات التي ترد على أذهانهم وقلوبهم، وقد جاء ذلك

في سورة التوبة في قول الله جل جلاله: ((مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾)).[التوبة:113-116].وقد ذكرتُ الآيتين الأخيرتين مع أن مكان الشاهد في الآيتين السابقتين لهما ولكن لنرى ترابط القرآن الكريم في الآيات المتعلقة بالهداية وما يتعلق بها، ولولا ضيق المقام لذكرت الآيات السابقة واللاحقة وهي متعلقة بها أيضاً في التوبة وصفات التائبين الصادقين،وأخيراً أذكّر بهذه الآية في سورة الممتحنة مع أنه ينبغي لكل مسلم أن يقرأ السورة كاملة ويطلع على تفسيرها ففيها الجواب الكافي الشافي لكثير من الأسئلة التي يثيرها شياطين الإنس والجن مع الذين لا يستطيعون الجمع بين النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، قال تعالى:((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾)).[الممتحنة:4].وإلى الآن لم أدخل في موضوع البِرّ والآيات والأحاديث المتعلقة بذلك لأني أردت التقديم والتوطئة بهذا لما رأيته من عقوق أولاد المسلمين بنين وبنات لآبائهم وأمهاتهم وإن كان من الأبناء

أكثر، وإن كانت هناك ولله الحمد والمنة نماذج طيبة للأبناء والبنات البارّين بوالِدِيهِمْ،ولكن المؤمل أن نسعى للالتزام بتعاليم الإسلام في هذا وغيره لننال سعادة الدارين بإذن الله عز وجل، ولو أردنا ضرب الأمثلة من الواقع لهذه الأصناف لطال بنا المقام ولكن الأمثلة الحية أمامنا كافية، فيجب على المسلم أن يبرَّ والِدَيْهِ وإن كانا مُشْرِكَيْنِ أو يَدْعُوَانِهِ إلى الشرك ويصاحبهما بالمعروف ويقوم بواجبه نحوهما، فضلاً عن أن يكونا مسلميْن ولكنهما يرتكبان بعض الآثام والمعاصي فيجب عليه القيام بالواجب عليه وشكرهما والإحسان إليهما إلى جانب الاشتراك في الدين الإسلامي الذي لم يَخْرُجَا منه بسبب ذنب أو معصية، وهذا هو المنصوص عليه في القرآن الكريم والمأمور به في آيات القرآن الكريم، فالله يأمرنا ويوصينا بالإحسان إلى الوالدين مع الشكر لهما المقرون بشكر الله حتى ولو أَمَرَاهُ بالإشراك بالله جل جلاله وبَذَلا كل ما في وسعهما لئلا يُسلم لله رب العالمين فالواجب عليه ألا يطيعهما في هذه المعصية ولا في غيرها من المعاصي لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولكنَّ الواجب عليه أن يصاحبهما بالمعروف في هذه الدنيا،قال تعالى: ((وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾)).[العنكبوت:8].وقال تعالى: ((وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

)).[لقمان:15،14].وقد جاء الأمر بالإحسان إليهما والوصية بهما من الله جل جلاله في عدد من الآيات،قال تعالى: ((وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾)).[الإسراء:23، 24].وقال تعالى:((وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾)) [الأحقاف:15-19]،وقد ذكرت الآيات كاملة ولم أقتصر على مكان الشاهد من أجل الاستفادة والعمل بما ورد فيها، أما في الآيات التالية فأذكر بدايتها إلى مكان الشاهد لمعرفة وجوب الإحسان إلى الوالدين، قال الله عز وجل:((وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا)).[النسآء:36]. وقال عز وجل:((قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا)).[الأنعام:151].

فعلى كل مؤمن بالله واليوم الآخر أن يبر والديه ليبره أولاده، وعلينا أن نعلم بأن سخط الله في سخط الوالدين ورضاه سبحانه في رضا الوالدين ما داما على قيد الحياة وما لم يأمرا بما يسخط الله تبارك وتعالى.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**رضا الرب في رضا الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**)).الحاكم والترمذي وصححه الألباني،وفي رواية البزار: ((**رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين**)). ولا شيء يزيد في العمر ويبارك فيه وفي الرزق مثل برّ الوالدين وصلة الأرحام. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من سرّه أن يُمَدَّ له في عمره ويُزَادَ في رزقه فلْيبرَّ والديه وليصل رحمه**)).رواه أحمد.لقد أمرنا الله تبارك وتعالى بما تخلّق به كل نبي بالنسبة لبر الوالدين كما ورد ذلك في القرآن الكريم. قال الله عزّ وجل:((**يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤**)). [مريم:12-14].وكما ورد في القرآن الكريم حين قال عيسى بن مريم عليه السلام لقومه:((**إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢**)).[مريم:30 - 32]. وقال إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه:((**سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧**)).[مريم :47]. وجاء في دعائه في سورة الشعراء:((**وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦**)).[الشعراء:86]. وطلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين كما جاء في سورة إبراهيم:((ربنا **رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١**)).[إبراهيم:41].وقال نوح عليه السلام:((**رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ**

وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ)). [نوح:28]،وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:جاء رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد، فقال:((**أحيٌّ والداك؟ قال:نعم. قال:ففيهما فجاهد**)). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أربعة نفر حق على الله ألا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم ظلماً، والعاق لوالديه، إلا أن يتوبوا**)).رواه الحاكم.فمن عقَّ أحدَ والديه عقَّه أولادُه، وكما تدين تُدَان ولا تُجازى على الشرّ إلا بمثله. **فيا أيها المؤمنون بالله** المصدقّون بثوابه وفضله وعقابه وعدله هلا فكرنا في طول عناء الأمهات من الحمل والوضع والرضاع والحضانة والسهر مع العناية في كل ذلك وغيره، وهلا امتثلنا أمر ربنا تبارك وتعالى بالوالدين حيث قال عز وجل:((**وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ**)). [الأحقاف:15]. وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ووَأْدَ البنات ومنعاً وهات، وكَرِهَ لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**)).رواه البخاري وغيره. وكيف يعامل المسلم أمه بالعقوق وقد حملته تسعة أشهر حملاً ثقيلاً، وحين ولادتها قاست بوضعه ألماً شديداً وعذاباً وبيلاً، فكيف يعاملها بالعقوق وقد أرضعته حولين كاملين وكان صبرها عليه صبراً جميلاً.فهي تجوعُ لِيَشْبَعَ ولدُها ذكراً كان أو أنثى، وتسهر لينام، وتتعب ليستريح ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وطعامُه درُّها من لبنها الخالص الذي أعده الله له دافئاً وقت البرد، بارداً وقت الحرّ في درجة حرارة مناسبة لحاله، وتضمّه إلى صدرها وإلى حجرها ليكون بيتاً له

يَأنس ويَطمئن بضمّ أمّه له، وظهرها مركب له، تتألَّم لبكائه وتَحِنّ إليه وتهواه وتحيطه وترعاه بحنانها وعطفها، وإذا غاب عنها تكره ما عداه وتشغل قلبها به وتجعل الله عليه حافظاً ووكيلاً، وذلك منها لجميع أولادها مهما كَبُروا لأن الحنان والعطف والشفقة من الوالد تبقى مدة الحياة ولا تنقضي عند حدٍّ معين إلا أنها تزيد من شخص لآخر، ولذلك فإن الله تعالى لم يُوصِ الوالدين بالأولاد نظراً لما أودعه في قلوبهما وفي فطرتهما وغريزتهما نحو الأولاد، ولكنه أوصى سبحانه وتعالى الأولاد بالوالدين نظراً لما يتشاغلون به عنهما من الزوجات والأولاد والأموال وينسون أو يتناسون فضلهما.**فيا أيها المسلمون**:علينا ألاَّ نَعُقَّ أمهاتنا ونضيّع حقوقهن فنكون من الخاسرين في الحياة الدنيا ويوم توفى كل نفس ما كسبت، قال تعالى:((**وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴿١٤﴾**)).[لقمان:14].ألا وإن من أشراط الساعة وعلاماتها التي أخبر بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أنْ يطيعَ الرجلُ زوجتَه ويعقَّ أمَّه، ويبرَّ صديقه ويجفوَ أباه. ومما نسمعه بين حين وآخر عقوق الأبناء لآبائهم وأمهاتهم، وأقول الأبناء لا البنات لأن البنات مطيعات في الغالب، ونادراً مَنْ تكون منهن عاقة لوالديها.ومما يقع في بعض البيوت تهديد الابن لأبيه وأمه بالضرب فضلاً عن الشتم والكلام القبيح الذي لا يليق بأبناء المسلمين، وما ذلك إلا من الشقاوة التي تكون سبباً للعنة وغضب الرب وسخطه على هذا الصنف من الأشقياء،ولا غرابة في حصول ذلك وأمثاله مما نسمعه أو نراه فإنه مصداق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

أخبر عن علامات القيامة:((**يأتي على الناس زمان لأن يربي أحدكم جِرْوَ كلبٍ أحبّ إليه من أنْ يربِّيَ ولداً لِصُلْبِهِ**)). فحين نرى ونسمع ما هو حاصل من عقوق بعض الأبناء لآبائهم وأمهاتهم وتهجمهم عليهم وطغيانهم الزائد وعدم طاعتهم وسماعهم لما يؤمرون به من الوالدين، وحين لا يجد الوالدُ بُدّاً أمام هؤلاء الأشقياء من أبنائهم إلا أن يستسلموا ويبقوا أَذِلَّةً حائرين في أمرهم. وهذه بلية عظيمة يُصَابُ بها الوالد في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن والمحن.لهذا لا نملك إلا أن نقول:إنا لله وإنا إليه راجعون. ونجد صدق خبر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى بأن تربية الكلاب خير وأحب من تربية هؤلاء الأشقياء العاقين لهم عند بعض الناس مع أن الحديث له تفسير أيضاً وواقع في حياة الناس اليوم خاصة من الكفار من تربية بعضهم للكلاب وتوريثهم لها من ممتلكاتهم بعد موتهم وسَرَتْ عاداتُ الكفار إلى بلاد المسلمين وديارهم حتى تخلَّق بعض المسلمين بأخلاقهم وقلَّدوهم فيما هَبَّ ودَبَّ ومنها:تربية الكلاب والإنفاق عليها،ونجدها في مدننا وأحيائنا الراقية بين الفلل والعمارات، ولو وقف على أحدهم فقيرٌ لما مَدَّ له بريال واحد فقط أو خمسة أو عشرة ريالات، لا أقول ذلك جزافاً بل هو واقع نعيشه هذه الأيام. ألا وإن من شقاوة المرء أن يحسن إلى أعدائه ويسيء إلى من يحبه ويهواه،ولا منّة لأحدٍ كمنّة الوالد على الولد الذي كان سبباً في وجوده وتربيته، فبعطفه وحنانه عليه ربّاه وأطعمه وأسقاه،فإذا ترعرع الطفل وشبّ تمنّى لوالديه الموت وهما يتمنّيان له الحياة، ولم يتذكر أنهما كانا يحملان أذاه في صغره راجين له الحياة وخاصة الأم، وهو إن حمل أذاهما في

الكبر وعند المرض يتمنى لهما الموت، وقليل من يحمل ويفعل ذلك، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبالوالدين إحساناً

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أحمده سبحانه وأشكره يوفق من يشاء لطاعته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:فقد قال صلى الله عليه وسلم:((**كل الذنوب يؤخّر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات**)).رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد. يعني العقوبة في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة، وكثير من الآباء والأمهات في هذا الزمن يرضون من البرّ بكفّ الأذى عنهم ويسألون ربهم كل خير لأولادهم اللذين لا يُرضونهم بشيء غير السكوت والابتسام إنْ وُجِدَ ذلك. ورُبَّ أمٍّ صابرة على قلة ذات يدها وموت زوجها وكفالة الأيتام أو قد يكون حياً كما هو حاصل الآن بين ظهرانينا من وجود الخادمات حيث يعشن بعيداً عن أولادهن الصغار وأزواجهن وعن أوطانهن ساعيات في تحصيل المعيشة وطلب الرزق وما يحتاجون إليه من الطعام والشراب والملابس، نسأل الله تعالى أن يديم علينا هذه النعمة ولا يغير علينا ما نحن فيه من نعم متتالية، ونسأله سبحانه ألا

يُلجئَنا إلى ما هم فيه من حال مشتتة وأسرٍ مفككة تذوب لها القلوب حين يتذكرها المؤمن، ونسأله تعالى أن يرزقنا الإحسان إليهم. لذلك نجد الأمهات منهن من قد رضيت أن تعيش خادمة لغسل الثياب وطيِّ الفراش وكنس المرافق والحمامات، فإذا بلغ الولد من أولادها أَشُدَّهُ واستوى ماذا يكون حاله؟ إنه التكبر عليها والإعراض عنها والتنكر لصنيعها ثم يذهب بزوجته بعيداً عنها في السكن لئلا تعكّر عليه الحياة مع زوجته، ويا ليته سافر لطلب الرزق فيُعذر في ذلك، ولكنه قريب في مسكنه بعيدٌ في برّه وإحسانه ولم يتذكر ماضيه وما قامت به ولاقته منه عندما كان صغيراً. فعلى المسلم أن يعلم أن والديه سَعَيَا عليه وعَالاه صغيراً وكبيراً، فيجب عليه ألا يهينهما ولا يهملهما لأنهما يأملان برّه وينتظران منه الجزاء الحسن ، فعليه ألا يتركهما وشأنهما وينشغل بالأموال والأولاد والزوجات عنهما وبعدم المبالاة بحقهما.عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه**)).قيل:من يا رسول الله؟ قال:((**من أدرك والديه عند الكبر أو أحدَهما ثم لم يدخل الجنة**)).رواه الإمام مسلم. وعن جابر- يعني ابن سمرة رضي الله عنه- قال:صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فقال:((آمين، آمين، آمين، **قال: أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام، فقال يا محمد: من أدرك أحد أبويه فمات فدخل النار فأبعده الله، قل:**آمين، **فقلت: آمين...**)) إلى آخر الحديث الذي رواه الطبراني بإسناد حسن، كما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه إلا أنه قال فيه:((**ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات، فدخل النار، فأبعده الله، قل: آمين،**

فقلت: آمين...))الحديث. أي بسبب عدم برّهما ورعايتهما والقيام بحقوقهما. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**الكبائر:الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**)).رواه البخاري. وفي الحديث الآخر:((**وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق، والفرار يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمي المحصنة، وتعلم السحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم**)).رواه ابن حبان في صحيحه. فيجب علينا ألا نتناسى ونتغافل عن حقوق الوالدين وبرهما والإحسان إليهما، ونتذكر تَحَمُّلَ أمهاتنا لنا تسعة أشهر ومكابدتهن عند الوضع الذي يُذِيبُ المهَجَ، وإرضاعَهن، وجميعَ إحسانهن إلينا، وكذلك الأب الذي يكدح ويمشي في مناكب الأرض يلتمس الرزق لإطعام وكسوة أولاده وجميع من يعول، فيجب علينا أن نقابلَ هذه الأياديَ بالإحسان وعدم النسيان والتأفف، بل المعاملة الحسنة والعطف والشفقة والحنان وخفض الجناح لننال من الله أعلى الدرجات والرضوان. قال تعالى:((**رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ٢٥**)). [الإسراء:35].إن برّ الوالدين شأنه عظيم فهو مقدم على الجهاد في سبيل الله، ويُترك الجهاد لبر الوالدين وصحبتهما ومقدم كذلك على رضا الزوجة ، إنَّ الأولاد بنين وبنات من الأعمال الصالحة والكسب الطيب ومن خير ما يخلف الإنسان بعده إذا صلحوا ، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم:أي العمل أحب إلى الله؟قال:((**الصلاة على وقتها**)) قلت: ثم أي؟ قال:((**بِرُّ الوالدين**)) قلت: ثم أي؟ قال:((**الجهاد في سبيل الله**)).رواه البخاري ومسلم.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:جاء رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال:((**أَحَيٌّ والداك؟**))قال:نعم. قال:((**ففيهما فجاهد**)).رواه مسلم وأبو داوود وغيرهما، والأم مقدمة على الأب، وحقها أعظم، جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:يا رسول الله: مَنْ أحقّ الناس بحسن صحابتي؟ قال:((**أمك**))قال: ثم من؟ قال:((**أمك**)) قال: ثم من؟ قال:((**أمك**)).قال: ثم من؟ قال:((**أبوك**)).رواه البخاري ومسلم. وعن معاوية بن جاهمة أن جاهمة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك، فقال:((**هل لك من أمٍّ؟**)) قال:نعم، قال:((**فالزمها، فإن الجنة عند رجلها**)).رواه ابن ماجة والنسائي واللفظ له،والحاكم وقال:صحيح الإسناد.ورواه الطبراني بإسناد جيد، ولفظه، قال:أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أستشيره في الجهاد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((**ألك والدان؟**)) قلت:نعم، قال:((**الزمهما، فإن الجنة تحت أرجلهما**)).وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفُّوا تعفُّ نساؤُكم**)).الطبراني والحاكم.ودعوة الوالدين على الولد أو له مستجابة، فليحذر الأولاد من التعرض للدعاء عليهم من الوالدين أو أحدهما، وليحذر الآباء والأمهات من الدعاء على أولادهم بنين وبنات أو أحدهم لئلا توافق ساعة استجابة فيندم الجميع على ذلك، وعليهم عدم التسرع في الدعاء عليهم عند الغضب، بل عليهم الدعاء لأولادهم بدلاً من الدعاء عليهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن:دعوة الوالد على ولده،**

ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم)).وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:((**ثلاث دعوات لا تردّ:دعوة الوالد لولده ودعوة الصائم ودعوة المسافر))**.وزاد في الحديث الآخر:((**ودعوة المظلوم))**. ولضيق المقام أورد أحاديث متعلقة بالبر وكذلك العقوق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا يجزي ولدٌ والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه))**.رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم:((**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه))**قيل:يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال:((**يسبّ أبا الرجل ، فيسبّ أباه ، ويسبّ أمّه فيسبّ أمّه**)).رواه البخاري ومسلم. وورد أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:إن لي مالاً وولداً وإن أبي يريد أن يجتاح مالي، قال: ((**أنت ومالك لأبيك ، إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم))**.رواه أبو داوود وابن ماجة. وعن أبي بردة قال:قدمت المدينة فأتاني عبدالله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك؟ قال:قلت:لا. قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده**)) وإنه كان بين أبي عمر وأبيك إِخَاءٌ وَوُدٌّ فأحببتُ أنْ أَصِلَ ذاك.رواه ابن حبان في صحيحه. إخوان أبيه:أي أصحابه. وفي حديث آخر أن رجلاً لقي عبدالله بن عمر بطريق في مكة فسلّم عليه عبدالله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار فقلنا له:أصلحك الله إنهم الأعراب وإنهم يرضون باليسير، فقال عبدالله بن عمر:إن أبا هذا كان وُدّاً لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**إنَّ أبَرَّ البرَّ أنْ يصلَ الولدُ أهلَ وُدَّ أبيه**)).رواه مسلم. وعن أبي أسيد

الساعدي رضي الله عنه قال: فيما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال:يا رسول الله، هل بقي من برّ أبويّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ قال:(**نعم ، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**)).رواه أبو داوود وابن ماجة وأحمد والحاكم رحمهم الله تعالى. ومعنى الصلاة عليهما:أي الدعاء لهما. وقال صلى الله عليه وسلم:((**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث:صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له**)). وصلى الله وسلم وبارك على عبدالله ورسوله محمد وآله وصحبه.

من أسباب منع نزول المطر

الخطبة الأولى 1425/1/21هـ

الحمد لله الغني الحميد يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له((**وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾**)).[الشورى:28]، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين فبلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ، صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعد:فعلينا أن نتقي الله حق تقاته ونطيعه ونعلم أننا فقراء إلى الله ضعفاء مهما بلغ الشخص من القوة محتاجون إليه سبحانه في كل نَفَسٍ ولحظة وثانية بل وفي كل طرفة عين وأقلّ من ذلك، إن الغفلة تعترينا في كثير من أمورنا وأحوالنا وأوقاتنا وذلك من الشيطان الرجيم العدوّ المبين والنفس الأمارة بالسوء وجلساء السوء من شياطين الإنس بعد شياطين الجن، ولكن علينا أن نتذكر ونتفكر دائماً ونراجع أنفسنا ونحاسبها ونتّعظ ونتدبَّر ونرجع إلى ربنا ونستغفره ونتوب إليه فهو خير لنا في عاجل أمرنا وآجله وديننا ودنيانا وآخرتنا.

إن الله تعالى مع غناه عنا يأمرنا بدعائه ليستجيب لنا، وسؤاله ليعطينا، واستغفاره ليغفر لنا، ونحن مع فقرنا وعجزنا وضعفنا وحاجتنا إليه نعصيه ونعرض عنه مع علمنا أن معصيته تسبّب غضبه علينا وعقوبته لنا، قال تعالى:((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾**))[فاطر:15-17]، وقال عز وجل:((**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾**)).[غافر:60]، وقال سبحانه وبحمده: ((**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾**)).[البقرة:186].عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنت عاشر عشرة رهطٍ من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال:((**يا معشر المهاجرين خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهنّ ، ما ظهرت الفاحشة في**

قوم حتى أعلنوا بها إلا ابْتُلُوا بالطواعين والأوجاع – الأمراض– التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قومٌ المكيالَ إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤُونة وجَوْر السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا المطر –القطر– من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا ، ولا خفر قوم العهد إلا سلّط الله عليهم عدوّاً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم)).ففي هذا الحديث الشريف توضيح وبيان لما تؤول إليه أحوال العصاة من العقوبات العاجلة التي تذكّرهم بالله رب العالمين حتى يرجعوا إلى دينهم ويستقيموا على أمر الله، ولا يؤاخذ سبحانه وبحمده العصاة من المسلمين كما أخذ به الأمم من قبلهم بذنوبهم فيهلكهم كما أهلك الضالين من الأمم السابقة ولكنه التذكير لهم بين حين وآخر،كما قال سبحانه وتعالى:((**ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾**)).[الروم:41]، وكما قال عز وجل:((**وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾**)).[فاطر:45].وفي آية أخرى:((**وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾**)).[النحل:61].وقال عز وجل:((**وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾**)).[يونس:11].وقال تعالى:((**وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾**)).

[الكهف:58].كل هذا الإمهال والتأجيل في العقوبات وعدم المؤاخذة الفورية بسبب الذنوب من أجل أن يتوب العباد ويرجعوا إلى ربهم ليغفر لهم سبحانه وبحمده،وهذا من لطفه وحلمه عز وجل ورحمته وعفوه وغفرانه، ولو استقام الناس على الصراط المستقيم لأسقاهم الله وأغاثهم بماء طهور وأنزل عليهم من الخير والبركات ما ينعمون به ومعه في الحياة الدنيا ويجدون الجزاء الحسن والحياة الكريمة ليس في الدنيا فقط وإنما في البرزخ وفي الآخرة الحياة الأبدية،قال تعالى:((**وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾**)).[الجن:17،16]،فالاستقامة ولزوم الطاعة لله رب العالمين سبب في نزول البركات من السماء وخروجها من الأرض،والمعاصي والذنوب والآثام والإعراض عن تعاليم الإسلام سبب في منع نزول المطر وبركات السماء والأرض.وكما كان ذلك في الأمم السابقة عقاباً عاجلاً حتى يرجعوا إلى ربهم فهو أيضاً لهذه الأمة الإسلامية، قال تعالى:((**وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾**)).[الأعراف:130]، فالمعنى أن الله عز وجل عاقب آل فرعون بالسنين التي هي الجُدُوبُ المتتابعة مع نقص الثمرات لعلهم يتذكرون أعمالهم السيئة فيتوبوا إلى الله منها ويرجعوا إلى طاعته ويستقيموا على أمره فيرد لهم سبحانه وبحمده ما كان شارداً ويصلح لهم ما كان فاسداً، ويعمر قلوبهم بالتقوى ، وينزل لهم الغيث من السماء ويخرج لهم البركات من الأرض كما قال تعالى:((**وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ﴿٦٦﴾**)).[المائدة:66]، وقال عز

وجل:((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾)).[الأعراف:96]، والإقلاع عن الذنوب والمعاصي والتوبة والإنابة إلى الله مع الاستغفار واللجوء إلى الله رب العالمين بالدعاء في خشوع وتضرع وانكسار واضطرار من أسباب نزول الغيث من السماء والإمداد بالأموال والبنين وجريان الأنهار والبركة في ذلك. وكما كان في الأمم السابقة فهو أيضاً في هذه الأمة الإسلامية في الاستجابة السريعة من الله الغني الحميد الفعال لما يريد الذي قال في محكم التنزيل:((أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾)).[النمل:62].وكما ورد في القرآن الكريم عن عبدالله ورسوله نوح عليه الصلاة والسلام:((فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾)). [نوح10-12]، وجاء أيضاً في القرآن الكريم عن نبي الله هود عليه الصلاة والسلام:((وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾)).[هود:52]، فبهذا يتضح أن كثرة الاستغفار والتوبة من الذنوب والمعاصي والإقلاع عنها من أسباب نزول المطر، وينضم إلى ذلك الإلحاح في الدعاء والاستقامة على منهج القرآن الكريم والسنة المطهرة والخروج من المظالم بأنواعها سواء ظُلْم الإنسان لنفسه في التقصير في الطاعات وارتكاب المحرمات أو ظُلْمه لغيره بأي أسلوب كان، مع الإخلاص لله رب العالمين والصواب على سنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم حتى يقبل الله الأعمال،قال تعالى:((فَمَن كَانَ يَرْجُواْ

لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾)). [الكهف110]، ومع الالتزام أيضاً بآداب الدعاء وشروطه والابتعاد عن الموانع، فمن الآداب واللوازم حمدُ الله والثناءُ عليه في أوله، والصلاةُ على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في آخره، والاكتفاءُ بسؤال الله الحاجة في أي دعاء، وعدمُ التعدي وتجاوز الحدود، وما أجمله من ربط قرآني في آيات متتالية تشير إلى النهي عن الاعتداء في الدعاء وأن رحمة الله قريب من المحسنين وعباد الله المتقين، ومن رحمته جل جلاله هذا المطر والغيث الذي ينزل على العباد، ولنستمع إلى هذه الآيات الكريمة من كلام رب العالمين، قال الله جل جلاله وتعالى سلطانه:((ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾)).[الأعراف:55-57]،فعلينا أن نتدبر هذه الآيات الثلاث كلمة كلمة والآية التي قبلها أيضاً والتي بعدها لنرتبط بكلام ربنا سبحانه وبحمده ونعيش معه لنجد لذة العبادة والمناجاة وحلاوة الإيمان التي يفقدها كثير من المنتسبين للإسلام.

من أسباب منع نزول المطر

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده سبحانه وأشكره وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبدالله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله.

أما بعد: فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم، وقال مجاهد رحمه الله: إن البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدت السنة وأمسك المطر،تقول:هذا بشؤم معصية ابن آدم.وفي الحديث السابق ذكره في الخطبة الأولى سببان هامّان من أسباب القحط والجفاف والشدة ومنع نزول المطر وهما: **منعُ زكاة الأموال وعدمُ أدائها لمستحقيها ، ونقص وبَخْسُ المكاييل والموازين** ليس سبباً في الجفاف والقحط فقط وإنما في تضييق المعيشة وشدتها وجور الحكام أيضاً عليهم وظلمهم لهم:((**ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا**...)). الحديث.أما منع الزكاة وعدم أدائها لمستحقيها ممن يخرجها فهو أمر مشاهد وملموس وأثره واضح في مجتمعات المسلمين التي تقدر فيها الزكاة بالمليارات أي آلاف الملايين، وأقول الزكاة وليست الثروات ورؤوس الأموال، فلو أن الزكاة تُؤَدَّى وتُخرج وتُعطى فعلاً لمستحقيها لما بَقِيَ فقيرٌ في العالم الإسلامي يَتَسَوَّلُ ولما عاش عشرات الملايين من المسلمين على الكفاف ودون خط الفقر كما يُذاع الآن ويُشاع في الخطط الوهمية لمعالجة الفقر، مئات الملايين في العالم الإسلامي يصارعون الحياة ومتاعبها ومطالبها فضلاً عن الملايين الذين لا يجدون الأعمال والرزق الحلال ليسدوا جوعهم ويستروا عوراتهم فضلاً عن أن يحلموا بالزواج الشرعي وبناء المساكن أو يجدوا المراكب التي بها يستطيعون

أن يصلوا لأعمالهم إن وجدت أو يقضوا حاجات من يعولون، ففريضة الزكاة لم تُؤْخَذْ فعلاً من الأغنياء وتُرَدّ إلى الفقراء وأصحاب الحاجات من الأصناف الثمانية بل تُركت لتخمين الأغنياء أو بُخلهم بها أو وضعهم لها في غير موضعها من حيث المداهنة والمجاملة لبعض الناس حيث يعطونهم إياها وليسوا مستحقين لها، أو دفعهم لها في المشاريع الخيرية وبنائها وتشييدها مثل بناء المساجد والمدارس والطرق وحفر الآبار وإنشاء السدود وإصلاح الأراضي الزراعية وبناء المساكن وغير ذلك مما يقوم به الأغنياء ظناً منهم أو اعتقاداً بأن ذلك يخرجهم من تبعة أداء الزكاة المفروضة عليهم في أموالهم، مع أن الله عز وجل حدّد الأصناف الثمانية والمصارف المشروعة التي تُدفع الزكاة فيها ولها، وقد يدفعها أحد التجار والأغنياء للإعلانات التجارية لبضاعته التي يسوّقها في الوسائل الإعلامية المختلفة، أو يشتري عمارات غير مكتملة أو يقوم بالعمارة ولا يكملها ويضع الملايين فيها تهرّباً من الزكاة، وهناك أنواع من الحيل يعرفها أصحابها وسوف تُمْحَقُ بركةُ أموالهم من أعمارهم وصحتهم هذا في الدنيا، أما في الآخرة فسوف تُطوَّق أعناقُهم ورقابُهم بما كانوا يكسبون، وسوف يجدون العذاب الأليم على تفريطهم. ومن التحايل أيضاً:تجد أحدهم يدفع الزكاة في المشاريع التي يطلبها المسؤولون عند قيام أي حملة أو مشروع أو زيارة مسؤول ، فهي في ظاهرها المفاخرة بالبذل والعطاء وفي نفس الباذل والمعطي هي زكاة وخروج من الزكاة ومحسوبة ومحسومة منها،وهذا غير صحيح وتحايل واضح على الفريضة العظيمة التي هي مثل الصلاة والصيام والحج واجب على المرء المسلم أداؤها بشروطها

وواجباتها،قال تعالى:((**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾**)).[التوبة:60]، وعندما بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معاذَ بنَ جبل رضي الله عنه إلى اليمن ليدعوهم إلى الإسلام جاء في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ:((**فإن هم أطاعوا لذلك – فأخبرهم بأن الله قد فرض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم...**)).الحديث، وسوف أتطرق إن شاء الله للزكاة وأوضاعها الراهنة من حيث المصارف وكثرة الجمعيات وازدواج الأعمال الخيرية عموماً وقلة المردود والبركة وصرف كثير من الأموال في غير مصارفها وإهدار الأموال والأوقات والجهود وبعثرتها في أمور كان الأجدر باستغلالها في مواضع أخرى، وأتمنى أن تُوَحَّدَ عشراتُ الجمعيات في كل مدينة وبلدة في الداخل حتى تؤدي الغرض منها كما تم توحيد ذلك في الخارج، وإنه لأملٌ لا يَرُوقُ للقائمين على تلك الجمعيات لعدم تفكيرهم فيما يصرف على تلك المباني المستأجرة والموظفين والأثاث والسيارات والخدمات الأخرى. ولأسباب أخرى هم يعلمونها قبل غيرهم من حيث عدم الرغبة في توحيد الجهود. أما نقص المكاييل وبخس الموازين في أسواق المسلمين والغش والتدليس والحلف بالأيمان الكاذبة فضلاً عن الكذب الواضح فحدّث ولا حرج، فهذا هو الواقع في كثير من المجتمعات الإسلامية فأينما ذَهَبْتَ أو تعاملتَ في كل ما يتعلق بشراء أو بيع أيّاً كان لا تجد من يَصْدُقُ معك ويصدقك بل أنت فريسة وقعت بين يديه ينظر ويفكر كيف يأخذ ما في يديك وبأي طريقة

يحتال عليك، وعلى كل فرد أن يفكر في هذا الأمر طويلاً في معاملاته في البيع والشراء اليومية وليست الحولية أو العمرية مع أنها أشد وأنكى، وليست المعاملات في المؤسسات والشركات والإدارات الحكومية المبنية على ما يعرفه الجميع ولا يجهلونه، هذه الأسباب المصرّح بها والمرموز لها من الأسباب التي تمنع القطر من السماء، وإذا أضفنا إليها أنواع المعاصي التي تعجُّ بها الأجواء حتى حجبت عنا عَلِيلَ الهواء وأغضبت علينا رب الأرض والسماء من خلال تلك الوسائل التي تلتقط الخلاعة والخنا والمرذول من الفعال والتصرفات الشنعاء مما يخجل المسلم من ذكره مما يتناقله الناس باللوم والتقريع أو التأييد والتصفيق لأولئك المنتسبين للبشر الذين يُقْدِمُون على أفعال مُزْرِيَةٍ تترفع عنها بعض البهائم والأنعام حتى أصبح تَلَقِّي ذلك في مجتمعات المسلمين ومشاهدته في التلفاز والحاسب أمراً عادياً،هذه المعاصي والآثام إذا أنضم إليها ما يرتكبه بعض المسلمين علناً أو سراً ،ومنها: الربا والزنا والمعازف والغناء وسفور النساء وتبرجهن واللواط والسِّحَاق وشهادة الزور وكتمان الشهادة والرشوة والاختلاس وسرقة الأموال العامة والخاصة والغش والتدليس والكذب والزور والبهتان والحسد والغيبة والنميمة والظلم الخاص والعام إلى جانب ما ذُكِرَ سابقاً ومما لم يُذْكَرْ، ومعلوم لدى الجميع أنَّ كلَّ ذلك من أسباب عدم نزول المطر والجفاف والقحط الحاصل، إلى جانب ذلك الروتين الرتيب في خروج الناس للاستسقاء وعدم التأدب مع الله عز وجل ابتداءً مِنْ أَوَّلِ لَفْظَةٍ يُطْلَبُ فيها الخروجُ للاستسقاء إلى جانب التوقيت في تاريخ معيّن وخروجٍ عامٍّ حتى في أماكن قد تتضرر منه مثل المدن

التي على البحر، ومعظم الذين يخرجون مع قلتهم وخروجهم لأمور متعددة ومنها: ظهور صورهم وأسمائهم في وسائل الإعلام،كل هذا من أسباب منع نزول المطر من السماء شئنا أم أبينا،رضينا أم غضبنا،قلنا القول بصراحة أَمْ دَاهَنَّا وجاملنا أو نافقنا، فبعد أن يكون السحاب في السماء مُتَهَيِّئاً لنزول المطر في كثير من الأحيان إذا به ينقشع السحاب ولا ترى إلا زرقة السماء، فأين الاستجابة للمضطرين مع ادِّعَاء صفاء العقيدة ؟ إذاً لا بد من معرفة الخلل والمعالجة بدلاً من الإصرار على عدم الاقلاع عن الأسباب والموانع في استجابة الدعاء، ومن كانت أعمارهم في الستين وأكثر يعرفون ذلك تماماً عندما كان يخرج المسلمون للاستسقاء ولا يرجعون إلا ممطورين بإذن الله عز وجل ، لأنهم يخرجون مضطرين فعلاً ، فعلينا أن نبتعد عن أسباب وموانع نزول الغيث ونعمل على ما يقربنا إلى الله عز وجل ويكون سبباً في استجابة الله لدعائنا، ومن أهم أسباب استجابة الدعاء طيب: الكسب من الحلال والبعد عن الحرام كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**)) ونطلب من الله أن يغيثنا ونحن مضطرين فعلاً خاشعين مستغفرين تائبين من جميع الذنوب والمعاصي، وكَفَى ما مرّ بنا من العبر والعظات فيما مرّ وفات،قال تعالى:((**أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾**)).[النمل:62]،وعلينا أن ننتبه ونبتعد عن الغفلة حتى لا نكون ممن قال الله فيهم:((**وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾**)).[يونس:92]:((**وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**

﴿١٠٥﴾)).[يوسف:105].ولنتأمل في هذا الحديث القدسي الذي حفظتُه من أكثر من ست وثلاثين سنة ولم أستطع الوقوف على درجته لضيق الوقت ولكنَّ الواقع يصدقه،فما أحلم الله وألطفه وأرأفه وأرحمه لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة والجلال أنه قال:((**إني والأنس والجن لفي نبأ عظيم، أخلق ويُعبد غيري،وأرزق ويُشكر سواي،أتحبّب إليهم بالنِّعم، ويتبغَّضون إليّ بالمعاصي، خيري إليهم نازل، وشرّهم إليّ صاعد، فبي حلفتُ لأبعثنَّ عليهم فتنة تدع الحليم فيهم حيراناً**)).أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:((**وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾**)). [الشورى28]، وقال تعالى:((**ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾**)).[الروم:48-50]، وقال عز وجل: ((**وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾**)).[الفرقان:48-50]، وقال سبحانه وبحمده:((**وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾**)). [الأنبياء:30]، وقال تعالى:((**أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾**)). [الواقعة:68-70]، وقال سبحانه:((**قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم**

بِمَآءٍ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾)).[الملك:30] لا يأتي به إلا اللهُ ربُّنا سبحانه لا إله إلا هو الرؤوفُ الرحيمُ الواسعُ العليمُ الحكيمُ ذُو الجلالِ والإكرامِ. اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله.

الخسوف والكسوف

الخطبة الأولى 1420/5/2هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:فعلينا أن نتقي الله تعالى ونشكره على ما أنعم به علينا من النعم الظاهرة والباطنة وعلى ما سخر لنا من مخلوقاته، حيث سخّر لنا سبحانه ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، لو تدبّرنا ذلك لوجدناه حقيقة ماثلة أمام أعيننا ولكننا عن ذلك غافلون ،قال تعالى:((ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

﴿١٣﴾)).[الجاثية:12، 13]، وقال عز وجل:((أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾)) .[لقمان:20].ومن نعمته سبحانه وآياته الدالة على عظمته وقدرته وبديع خلقه تعاقبُ الليل والنهار وإدخالُهما في بعضهما، وسَلْخُ الليل من النهار، ومنامُنا بالليل والنهار، وسَعْيُنا لطلب الرزق من فضله في النهار، وتسخيرُه الشمس والقمر مستمريْن دائبيْن إلى قيام الساعة، قال تعالى:((ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾)).[إبراهيم:32-34]، وقال سبحانه:((وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾)).[الروم:23]، فهو عز وجل الذي سخر الشمس والقمر في حركة دائمة مستمرة لا تختلف ولا تتخلف لنعلم عدد السنين والحساب ولكي تتنوع الثمار مع منازل الشمس حسب الفصول والأزمان والأمكنة ولنعلم الحساب بمعناه الواسع وما تحمله هذه الكلمة من معنى أوسع مما نعرفه ونتصوره ، فهو سبحانه الذي سخرهما يسيران بنظام بديع محكم وسَيْرٍ سريع لا ندركه ، وفي مسارات وأفلاك عِلْمُنا عنها قاصر ومحدود، وجَهْلُنا بها يجعلنا نُخَمِّنُ ونتصوَّرُ ونعتقدُ ونصحِّح ونُلْغي ونقرِّرُ ونخاصِمُ ونَهْجُر ونرْغي ونزْبد كلما سنحت لنا الفرصة ونتقوَّل على الله بغير علم، ونسلك غير منهج السلف الصالح رحمهم

الله الذين فهموا هذا وغيره منذ مئات السنين ولم نفهمه نحن في هذا العصر. فالواجب على المسلم أن يلزم حدوده فيما لا يعلم ولا يتكلم إلا بما وافق القرآن والسنة ووضّحه العلم الذي لا يزال أهله في عجز أمام بلاغة القرآن والسنة وإعجازهما.قال تعالى:((ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥)).[الرحمن :5]، وقال تعالى:((وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ)).[الأنعام:96]، فلو تأملنا هؤلاء الكلمات الثلاث في هاتين الآيتين لكفت وأغنت عن الكثير من البحث والتقصي، فالشمس والقمر لا يختلفان عُلُوّاً ولا نزولاً ولا ينحرفان يميناً ولا شمالاً ولا يتغيران تقدماً ولا تأخراً عمّا قدّر الله تعالى لهما في ذلك كما قال عز وجل:((صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨)).[النمل:88].فالشمس والقمر آيتان من آيات الله الدالة على كمال قدرته وعلمه وبالغ حكمته وواسع رحمته، آيتان من آيات الله في عِظَمِهِمَا وفيما ينبعث من الشمس من النور والأشعة حيث هي مصدر النور والإضاءة والحرارة المتوَهِّجَة والملتهبة، وفيما يعكسه القمر من نور الشمس وإضاءته على الأرض، ففي هذا وغيره من التعاقب ومعرفة عدد السنين والحساب والمنافع وتتابع المصالح الدنيوية والأخروية على هذه الأرض في ذلك كله آيات عظيمة تدل على عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته وحكمته ورحمته وعلمه حيث وسع كل شيء رحمة وأحاط بكل شيء علماً لا إله إلا هو العزيز الحكيم .قال تعالى:((وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ

سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾)).[يس~37-40]، وقال عز وجل: ((وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾)).[الأنبياء :33]، وقال عز وجل:((هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾)).[يونس:5، 6]، وقال عز وجل:((وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلًا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلًا ﴿١٢﴾)).[الإسراء:12].وقال جل جلاله:((ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾)) [الطلاق:12].

أيها المسلمون:هل تدبّرنا هذه الآيات القرآنية العظيمة وهل وَعَيْنَا وعرفنا أن كل العلوم والمعارف التي يتباهى بها الناس اليوم ويتشدقون ويفتخرون بالوصول إليها أنها موجودة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وأنا عنها غافلون أو متغافلون، وأنا نمرُّ على كثير من آيات القرآن الكريم دون تدبر وفهم لمعانيه مع أنه بِلُغَتِنَا العربية الفصحى التي لا نحتاج معها إلى كثيرِ تأملٍ من حيث وصول الفهم بسرعة للمقصود إلا فيما ندر لما ابتعدنا عن لغتنا الأمّ التي أصبح الاعتزاز والافتخار بغيرها لدى بعض المسلمين موجوداً وأمراً مقصوداً ، بل الدعوة إلى تعلم تلك اللغات ومنها الإنجليزية أصبح أمراً مفروضاً على الجميع حتى غَدَتْ شرطاً من الشروط التعجيزية للوظائف في هذا البلد ويطلبون إجادتها تحدثاً وكتابة حتى وإن كان التقديم على وظيفة

عامل للنظافة، وهذا في معظم البلاد العربية إن كان طالب تلك الوظيفة من البلد نفسها ولا يطلبون ذلك من عمال بلاد لا يتقنون العربية ولا الإنجليزية لأنهم لا يريدون أبناء البلد أصلاً فيضعون العراقيل والشروط التعجيزية أمامهم، وإن كان هذا الشرط لكثير من الوظائف ذراً للرماد في العيون لئلا يحصل عليها أحدٌ من أبناء البلد ومع هذا يحتجّون بأنه لم يتقدم لتلك الوظائف أحد لكي يستقدموا من الخارج، أعود للقول بأننا ابتعدنا عن لغتنا العربية حتى بين بني جلدتنا والذين يتكلمون بلغتنا ونعيش مع بعضنا أصبحنا لا نعتزُّ بها ولا نقيم لها وزناً، ومع تقدم وسائل العلم والتعلم وتوفرها بكل يسر وسهولة نجد الجهل يخيم على كثير من عقول الناس حول كثير من الأمور ومنها: **ظاهرة الخسوف والكسوف** التي عَلِمَهَا علماءُ المسلمين منذ مئات السنين وليس لديهم شيء من مخترعات اليوم ومراصده وآلاته،ولكنه نور البصيرة التي أعطاهم الله إياها ووصلتنا علومهم تلك عن طريق كتبهم ومؤلفاتهم، وفَهِمَ ذلك وغيره ابنُ تيمية وابنُ القيم وغيرُهما رحم الله الجميع، ولم ينكر أحد منهم علم الحساب ولكنه لا يعتمد عليه لوحده إلا بالرؤية الشرعية للقمر لإثبات دخول الأشهر، وإلا فالعلم موجود من قديم الزمن يعلمه كثير من الناس في ذلك الزمن ليعرفوا متى يزرعون ويسقون ويحصدون وغير ذلك من حياتهم المعيشية ، فهو عِلْمٌ عَلَّمَهُم الله إياه بمعرفة البروج والفصول الموجودة بنصِّ القرآن الكريم ومنها: قول الله عز وجل: ((**تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾**)).[الفرقان:61،

62]، وقوله تبارك وتعالى:((إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾)).[آل عمران:190]، وقوله تعالى:((وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾)). [البروج:1]، والآيات التي سبق ذكرها والتي تدلّ إضافة إلى هذا على تداخل الليل والنهار وتعاقبهما واختلافهما تدلُّ على أنهما آيتان عظيمتان أمام أعينهم وهما الشمس والقمر،فعلموا رحمهم الله السبب الشرعي والظاهري من الكسوف والخسوف الذي يجهله كثير من الناس اليوم ويعلمه المتخصصون وبعض المتعلمين وخاصة من المسلمين الذين لم يزدهم علمهم هذا وتعلمهم إلا تفاخراً وشموخاً بالأنوف كأنهم قد أَتَوْا بشيءٍ غريب وعجيب، والأغرب من ذلك بعض المتعالمين الذين لا يفقهون شيئاً ويردّدون ما يقوله غيرهم مع أن أحدهم لا يعلم متى يحصل الكسوف أو الخسوف، ولو قيل لأحدهم ما يلي:لما علم الإجابة الصحيحة التي عرفها علماء المسلمين **بأن كسوف الشمس** لا يحصل إلا آخر يوم من الشهر سواء كان ثلاثين يوماً أو تسعة وعشرين يوماً . في هذين اليومين فقط . إذا كان أحدهما هو آخر يوم من الشهر القمري، **وخسوف القمر** لا يكون إلا ليلة النصف من الشهر القمري ، وبهذا يكون الخسوف دليلاً ثابتاً ودلالة واضحة على الشهر إن كان تسعة وعشرين يوماً أو ثلاثين يوماً عندما يتم حساب ذلك حساباً دقيقاً،ومن هنا يتبين عدم صحة حساب أهل الحساب في بعض الأحيان عندما يكون خسوف القمر ليلة الرابع عشر من الشهر، أي أن الخطأ في حسابهم للشهر السابق حيث اعتمدوه ثلاثين يوماً، فلا يمكن أن يكون الشهر القمري الهجري سبعة وعشرين يوماً أو ثمانية وعشرين يوماً، مع

علمهم بأن حساب الشهر القمري هو:[**تسعة وعشرون يوماً واثنتا عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة وثانيتان وثمانية أعشار الثانية**]،[**29يوماً و12ساعة و44دقيقة و2 ثانية و8 من العشرة من الثانية**]، ومع ذلك نجد الاختلاف بينهم في الحساب مع وجود الآلات الحاسبة بين أيديهم،وذلك لاختلافهم في نقطة بداية الحساب من حيث خطوط الطول والعرض على وجه الأرض، لهذا فإن الحساب بالقمر لا يؤخذ على إطلاقه بالحسابات الحالية لأن الاختلاف بين أهل الحساب موجود وواقع نعلمه ونُعَايِشُهُ في هذا الزمان، ولهذا فإن هذا الحساب يؤخذ على أنه مقرِّبٌ ومُؤَيِّدٌ للرؤية الشرعية لإثبات دخول شهري رمضان والحج وغيرهما من الأشهر القمرية المرتبط بها أي عبادة من صيام وحج وعدّة ومواقيت أخرى كما قال الله عز وجل:((**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ**)).[البقرة:189].لذلك أعود للقول بأنه يحصل الكسوف والخسوف عدة مرات في كل سنة من مرتين إلى ثلاث مرات ولكنه على مناطق ودول مختلفة من العالم وبنسبٍ متفاوتة جزئية أو كلية، وقد تمرّ عشرات السنين لا يعود كسوف الشمس على تلك المنطقة بنفس النسبة، فالمسلمون الأوائل قد علموا أن البروج منازل الكواكب السيارة ومداراتها الفلكية الهائلة التي تسبح فيها،ومنها:الشمس والقمر حيث وُصِفَتْ الشمس بالسراج الوهّاج في الآية السابق ذكرها وفي قول الله تعالى: ((**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾**)).[النبأ:13]، وبأنها مصدر الضوء وأن القمر نور ومنير وعاكس لأشعة الشمس ونور الشمس ووهجها ولهيبها المنبعث منها الذي لو اقترب من

الأرض أكثر مما هي عليه لأحرقها، وهذا مشاهد في فصل الصيف،ولو ابتعدت عنها أكثر من ذلك لتجمد كل ما على الأرض، وهذا واضح في فصل الشتاء وفي المحيطيْن المتجمديْن الشمالي والجنوبي من الأرض لعدم طلوع الشمس عليهما عدة أشهر في السنة. لقد ذكر الله الشمس والقمر معاً في عدة آيات واضحة الدلالة لمن كان له أدنى بصيرة وعلم باللغة العربية ومعرفة دقيقة للجمع بينهما في هذا الأمر والمعنى في سريانهما وجريانهما أيضاً حيث تكرر ذلك في آيات عدة ، قال تعالى:((ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا)).[يونس:5]،وقال عز وجل: ((وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾)).[نوح:16]، وقال سبحانه وبحمده:((تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾)). [الفرقان:61].وقال تعالى:((فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً)).[الإسراء :12]، فآيةُ الليل:القمرُ، وآيةُ النهار:الشمسُ ،ولننظر إلى هذا الوصف الدقيق والجمع العجيب بين وصف الشمس والقمر وبين منازلهما وبروجهما وسيرهما في أفلاكهما في السماء، والسماء هنا المكان المرتفع عن الأرض والبعيد عنها حسب تقدير الله لتلك الأفلاك والمسارات وسير الكواكب والنجوم في مساراتها وطرقها التي قدرها الله لها في هذا الكون الواسع والفضاء الهائل واستمرارها في حركة دائبة ما دامت الحياة على هذه الأرض إلى أن تقوم الساعة وتُكشطَ السماءُ وتقع الآيات التي قبل ذلك كما جاء في سورة التكوير والانفطار والانشقاق وغيرها من السور والأحاديث النبوية، وقد جاء أيضاً في آيات أخرى ربْطُهما بالليل والنهار واختلافهما وسلْخُهما وتكويرُهما وغير ذلك من

التعبير القرآني الفريد ما دامت الحياة مستمرة في الدنيا، ومنها: ذِكْرُ السَّكَنِ في الليل وأنها لا تهدأ الأعصاب إلا في الليل والظلام ومنها أعصاب البصر،وكان التعبير بالسكن وليس بالنوم فلم يقل بليلٍ تنامون فيه وإنما قال:((**بليل تسكنون فيه**)) النوم المقترن بالسكن والهدوء لهذه الأعصاب، لذا أذكر الآيات كما هي ليزداد المؤمن إيماناً، وحتى يرتبط ويربط الخبراءُ من المسلمين هذه الآيات العظيمة ودلالاتها الدقيقة بين الذي تعلَّموه ويعلِّمونه لغيرهم بأسلوب مجرد عن الإيمان وعدم ربط ذلك بما ورد في القرآن الكريم، وإلا لو تمَّ التعلم والتعليم بما ورد في القرآن والسنة لاستفادوا هم أنفسهم في كثير من أبحاثهم وعلومهم ومعارفهم وعلموا أن ذلك موجود في قرآنهم بعبارات دقيقة تَحلُّ جميع إشكالاتهم وتوضّح أن كل تلك المعارف والعلوم التي تعلموها قد سبقهم الإسلام إليها، فاستفادتهم هم أولاً ثم من يعلمونهم ويربطونهم بالخالق جل جلاله،كذلك ليبينوا لغير المسلمين عظمة هذا الدين الإسلامي، وشموله لجميع العلوم والمعارف وأنهم قد سُبقوا إلى ذلك كما قال تعالى:((**مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ**)).[الأنعام:38]، ولنتأمل هذه الآيات كاملة ونتدبر ما ورد فيها كلمةً كلمةً وترابطها العجيب والتعبير الدقيق فيها،قال تعالى:((**فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾**)).[الأنعام:96، 97]، إذاً فالمسلمون يعلمون هذا بنص القرآن الكريم في الآيات التي سبق ذكرها وفي غيرها،ومنها:قول الله تعالى:((**ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ**

عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾)). [غافر:61]، وقوله عز وجل:((أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾)).[النمل:86]، وقوله تعالى:((هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءٗ وَٱلْقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾)).[يونس:5، 6]، ((وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةٗ لِّتَبْتَغُواْ فَضْلٗا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٖ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلٗا ﴿١٢﴾)) [الإسراء:12]، ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلّٞ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾)). [لقمان:29]،وقال تعالى:((يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلّٞ يَجْرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾)).[فاطر:13-17]، وأوردت هذه الآيات المترابطة التي تدل المسلم على صفاء العقيدة ووجوب التزام التوحيد والتوكل على الله جل جلاله وإفراده بالعبادة والألوهية والأسماء والصفات والبعد عن الشرك والمشركين حيث لا ينفعون في الدنيا ولا في الآخرة ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم مقدار ما يكون على نَوَاةِ التَّمْرِ مِنْ غِلافٍ شَفَّافٍ أو

خَيْطٍ صغيرٍ أو نُقْرَةٍ ، وهو ما تمَّ التعبير عنها في القرآن الكريم بالقِطْمِيرِ والفَتِيلِ والنَّقِيرِ في عدة مواضع من سور القرآن وجاءت أيضاً في سورة النسآء:((ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً))[النساء:49]،((ولا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً))[النساء:77]،((فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً)) [النسآء:53]، فهذا الترابط العجيب والتذكير في هذه الآيات لو أخذه المسلم وتدبره وتفكر فيه لازداد إيمانه وارتبط بخالقه جل جلاله وتعالى سلطانه، فكيف به إذا بدأ بالآيات من أول سورة فاطر إلى آخرها، وكذلك القرآن كله ففيه من الآيات التي لو أنزلت على جبل لكان خاشعاً متذللاً لله رب العالمين. أعود لذكر بعض الآيات، قال تعالى:((خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾)).[الزمر:5]،ولنتدبر هذه الآيات وترابطها العجيب والتذكير بوحدانية الله جل جلاله والخشوع له وعبادته وحده لا شريك له والبعد عن الكفر والكافرين وطرقهم ومسالكهم وأخلاقهم وتصرفاتهم البعيدة عن الإسلام التي لا يخفى على الله منها شيء وإنما هو الإمهال لهم حتى يأتي يوم القيامة يوم الجزاء والحساب، قال عز وجل:((وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا

شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾)).[فصلت:37-43]، وأكتفي بما ذكرته من الآيات لأن المقام لا يتسع لذكر البقية البالغ عشرات الآيات في هذه المعاني المتعددة ، ومنها:الخسوف والكسوف.إذاً فالمسلمون يعلمون ذلك وسبب حدوثه وأنه ليس من علم الغيب في شيء بل هو من باب علم الحساب الذي علمه الله بني آدم من آلاف السنين، قال تعالى:((عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾)).[العلق:5]،وقال عز وجل:((وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾)).[الإسراء:85]،ولعلماء المسلمين باعٌ طويلٌ في هذا في الماضي والحاضر حيث ألّفوا المؤلفات وكتبوا عن ذلك، ومنهم من له مجلدات مدعمة بالدليل من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولكنه لما حصل الخلط والدمج بين هذا العلم وبين استغلال المنجمين والسحرة والمشعوذين لعقول الناس وسذاجتهم منذ القديم حتى عصرنا هذا كان التخوف من أعمال السحرة والمشعوذين لأنهم يعتمدون في أعمالهم على علم النجوم، ونتيجة لذلك كان سوء الفهم والخلط في معرفة زمن حصول الكسوف أو الخسوف ومدّته ومكانه، وهل هو من علم الغيب أو من علم الحساب ؟ فهو من علم الحساب لا علاقة له بعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عز وجل، والإنسان عدو لما يجهل. قال تعالى:((وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ

﴿٥٩﴾)).[الأنعام:59]،((إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾)).[لقمان:34].

الخسوف والكسوف

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبدالله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:فالناس لما اعتادوا كرّ الجديدين ينسون جدّتهما المتكررة فلا يردعهم مطلع الشمس ولا مغيبها ولا يهزّهم طلوع النهار وإقبال الليل إلا نادراً، ولا يتدبرون ما في تواليهما من رحمة بهم وإنقاذ لهم من البِلَى والأمراض والآفات والتعطل والبوار والملل والسآمة والهمود ، فالله جل جلاله يوقظ العباد من همود الإِلْف والعادة ويلفت نظرهم إلى تدبر الكون من حولهم ومشاهده الهائلة العظيمة وإلى منّتِه عزَّ وجلَّ بتعاقب الليل والنهار الملائم للتكوين البشري وعدم طولهما عما هما عليه في الفصول الأربعة، مع أن الناس يحنّون إلى الليل حين يطول النهار بعض ساعات في الصيف ويحتاجون إلى فترة الليل لتجديد الطاقة والراحة من عناء النهار، فكيف لو طال عليهم النهار عما هو عليه، فالمؤمن يتفكر في ذلك وغيره ويتدبر قول الله تعالى:((قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم

بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ٧١ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٧٢ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣)).[القصص:71-73]. فالمسلمون عندما يكون الكسوف والخسوف يفزعون إلى الصلاة اقتداءً برسولهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أبطل عادة الجاهلية واعتقادهم بأنه لا يحصل ذلك إلا لحياة عظيم أو موته حيث كسفت الشمس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر حياته في التاسع والعشرين من شهر شوال في السنة العاشرة من الهجرة في يوم موت ابنه إبراهيم رضي الله عنه فقام صلى الله عليه وسلم خطيباً في الناس بعد أن صلى بالناس صلاة الكسوف التي تختلف عن الصلوات المفروضة في زيادة الركوع الثاني في الركعتين والقراءة والطول، فكان مما قاله صلى الله عليه وسلم:((**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وإلى ذكر الله ودعائه واستغفاره**)) فهكذا يكون المؤمنون من المسلمين حيث يفزعون إلى الصلاة عند هذا وغيره إذا نزل بهم أمرٌ من الأمور كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم،وبذلك يزدادون إيماناً مع إيمانهم ليس خوفاً من انتهاء العالم والحياة على هذه الأرض كما نُقل عبر الوسائل المختلفة من اعتقاد بعض الفئات الضالة من الكافرين حيث أقدم بعضهم على قتل أولاده وزوجته ثم انتحر هو، أو الذين قاموا ببيع ممتلكاتهم حيث روّج المنجمون ذلك ورسخ في عقولهم وأفئدتهم نهايةُ العالم كما يقولون أو القيامة حسب اعتقاد المسلمين

والتي لا تكون إلا بعد علامات وسطى وكبرى وفي يوم الجمعة وبعد مدةٍ اللهُ يعلمها، أما الفاسقون والمنافقون وضعاف الإيمان من المسلمين فقد تبلَّدَتْ أحاسِيسُهم خاصة لما أُعْطِي الكسوفُ هالةً إعلاميةً قبل حلول وقته وعَمَدَ بعضهم إلى اللهو واللعب والأغاني، وأقلّهم من جلس يتابع الفضائيات واغْتَرُّوا بالغرب وقلَّدوهم حيث عمد كثير منهم إلى إقامة حفلات الأغاني واللهو والعبث في تجمعات عامة منقولة عبر القنوات، وهذا هو الذي يحصل ويُشاهد عبر القنوات من تلك الفئات.

ومن باب الشيء بالشيء يذكر ومن باب القول للمحسن أحسنت فقد أحسن إعلام هذا البلد الطيب بنقل شعائر صلاة الكسوف من الحرم المكي الشريف والمسجد النبوي، وقد أحسنت الجهات التي استقبلت الناس في المراصد المعدة لذلك بإقامة المحاضرات والتوعية وبعدها أقيمت صلاة الكسوف، وكذلك التوعية بأضرار النظر إلى الشمس مباشرة حال الكسوف حيث لا يعلمه كثير من الناس، وإننا لنرجوا المزيد من ربط الناس بالله عز وجل وبيان أن ذلك موجود في القرآن والسنة بدلاً من عَزْوِه إلى علم البشر ومخترعاتهم ونسبته إلى علمهم القاصر لكي يزداد الناس إيماناً وعلماً ومعرفة بقدرة الله عز وجل وإحكامه لهذا الخلق البديع في هذا الكون الهائل ولكي يزدادوا تدبراً و تأملاً وتفكراً في عظيم مخلوقات الله ويدعوا الناس لذلك حيث دعاهم رب العزة والجلال في كثير من آيات القرآن الكريم بدلاً من الجهل الجاثم على كثير من النفوس والمخيم على كثير من العقول، الجهل الذي استغله المروجون ممن له بصيص من هذا العلم الإلهي الذي علمه الله للناس

واستغله المنجمون والسحرة والمشعوذون مع أن ذلك مذكور في القرآن الكريم وفي عبارات دقيقة يجهلها كثير من المسلمين حتى الحساب الشمسي والقمري واعتماد ذلك في العبادات والحياة المعيشية سواء بالنسبة للشمس، أو للقمر الذي هو المعتمد في ثبوت ودخول الشهر وعليه يتم الصيام والحج والمداينة وعدد الأيام والشهور في الكفارات وعدة المرأة عند طلاقها أو وفاة زوجها وهكذا.قال تعالى:((**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ**)). [البقرة:189]، وعن الحساب بالقمر قال تعالى:((**هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾**)).[يونس:5]، وعن الحساب بالشمس قال تعالى:((**وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾**)).[الإسراء:12].وفي الحساب بهما والأخذ بذلك وردت أيضاً عدة آيات لإثبات الحساب بهما كما قال تعالى:((**ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾**))[الرحمن:5]، وكما قال عز وجل:((**وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا**))[الأنعام:96]، وإلى جانب هذه الآيات والآيات السابق ذكرها في الخطبة أسوق هذه الآيات ليتدبرها المشتغلون بعلم الفلك من المسلمين ويعلموا أن كل علومهم التي تعلموها موجودة في القرآن الكريم وعليهم أنْ يَعُوا معانيَها ومقاصدَها من حيث الإفراد والتثنية والجمع بهذه الصفة والإيجاز ودقة التعبير ليعلم المتعالمون مدى جهلهم بالحقائق العلمية المذكورة في القرآن الكريم بأوجز العبارات وأخصرها وأقصرها، وعليهم أن يرجعوا إلى تفسير علماء

المسلمين الأولين ليعلموا أن الله قد أنار بصائرهم لمعرفة مدلولات تلك الآيات مع عدم وجود المخترعات الحديثة التي هي الآن موجودة بين أيدي خبراء الفلك والمشتغلين به ولا أقول علماء الفلك حيث لم يصلوا إلى هذه الدرجة لأنهم مقلّدون ويردّدون عبارات غيرهم ويخطئون ويصيبون في الحسابات وهذا مشاهد عند إثبات دخول رمضان ونهايته والحج وكيف يكون التباين والاختلاف بينهم عند ولادة القمر وغروبه في أول ليلة من الشهر وهكذا.قال تعالى:((**رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩**)).[المزمل:9]، وقال عز وجل:((**رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧**)).[الرحمن:17]، وقال جل جلاله:((**فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١**)).[المعارج:40، 41]، فعلى المشتغلين بالحساب أن يتأملوا هذه الألفاظ ومقاصدها من حيث الإفراد لمعرفة جنس المشرق والمغرب للشمس والقمر، والتثنية الدالة على نهاية الطرفين في المشرق والمغرب من الناحيتين الشمالية والجنوبية، والجمع الذي يدل على اختلاف المطالع والمنازل والبروج والتنقل يومياً في ذلك من أقصى نقطة في الشمال إلى الجنوب والعكس في الشروق والغروب طوال أيام السنة، وليعلم المشتغلون بالحساب وعلم الفلك بأنهم لم يأتوا بجديد من حيث المبدأ والحقائق ومنها ما تمّ ذكره سابقاً دون توسع، وكذلك الحساب القمري المسمّى بالهجري، والشمسي المتعارف عليه أنه ميلادي فهو موجود بكل جلاء ووضوح في آية مكونة من سبع كلمات نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أكثر من ألف وأربعمائة وأربعين سنة من الآن حيث

الآية مكية أي نزلت قبل هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة النبوية، وقد جاءت في سورة الكهف للإخبار عن المدة التي مكثها الفتية المؤمنون في الكهف حيث لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية أي ما يعادل ثلاثمائة وتسع سنين قمرية ، أي أن الحساب الدقيق والفارق الواضح الذي لا يخالجه أي شك وهو المعمول به لدى أهل الحساب بأن كل مائة سنة شمسية ميلادية تعادل مائة وثلاث سنين قمرية هجرية، أي في كل مائة زيادة ثلاث سنين كما جاء في قول الله جل جلاله:((وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾)).[الكهف:25].فسبحان الله العظيم الذي أتقن كل شيء وهو على كل شيء قدير، ولا يُفهم من هذا أني أدعو إلى الأخذ بالحساب على إطلاقه ولكن للتقريب واعتماد الرؤية الشرعية في بداية كل شهر لحاجة المسلمين إليها في عباداتهم مثل الصوم والحج، أما مواقيت الصلاة فهي عن طريق الشمس كما ورد بذلك الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، لذلك لا أستطرد في هذا وإنما هو التذكير للجميع بما ورد في شريعتنا الغراء، والله الهادي إلى سواء السبيل، قال تعالى:((قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾)).[يونس:101]، وقال تعالى:((إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾)).[آل عمران:190، 191]، ((وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾)).[الذاريات:20، 21]،((رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ

﴿...﴾ [طـه:50]، ((سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝))[الأعلى:1-3]، ((صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝)).[النمل:88]، وقال تعالى:((لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝)).[غافر:57، 58].

زواج زينب بنت جحش وإبطال عادة التبني

الخـطـبة الأولى **1408/5/2هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فلقد كان لزواج الرسول صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب شأن عظيم عند الناس منذ حصل إلى يومنا هذا . مع أن حقيقة هذا الزواج وما كان من أمره قد وردت في القرآن الكريم في آيات محكمات واضحة الدلالة وضوح الشمس في رابعة النهار ، ولكن نظراً للشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام واستقرت في نفوس بعض المسلمين وجب إيراد الحق على مسامع المسلمين للدفاع عن عرض الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ففي هذا الزواج ساوى الإسلام بين الحر والعبد ، فلم يَعُدِ العبدُ يشعر بعبوديته ، ولا الرقيقُ برِقِّهِ ، وقضى على الخيلاء والكبرياء، إذ أن العرب كانوا ولا زالوا يأنفون من أن يختلطوا بِأَدْعِيَائِهِم اختلاطَ

مُصَاهرةٍ أو نَسَبٍ ، وفي هذا الزواج قضى الإسلام على عادات من عادات الجاهلية ومنها التَّبَنِّي وما يترتب عليه ، حيث كان الرجل منهم يَتَبَنَّى ولداً لم يكن من صلبه فيتخذه ابناً له ، ويعطيه حقوقَ الْبُنُوَّةِ الْمُطْلَقَةِ ، فيَرِث ويُورَث ، ولا يَتَزَوَّج زوجَتَهُ من بعده ولا يؤثر أحداً عليه ، فجاء الإسلام العظيم بتغيير ة وإبطال هذه العادة الجاهلية عادةِ التَّبَنِّي وإن كانت لا تزال في مجتمع المسلمين اليوم وتَجَدَّدَ أَمْرُهَا نسأل الله أن يخلص منها من وقع فيها ويخلص المجتمع منها ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه سلم(**زينب بنت جحش**) لزيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه، وقالت: أنا خير منه حَسَباً، وكانت امرأة فيها حِدَّة، فأنزل الله تعالى﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا** ﴾.[الأحزاب:٣٦] ، وبعد نزول هذه الآية الكريمة قالت زينب رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم: قد أطعتك فاصنع ما شئت، وهذه الطاعة من كمال محبته الواجبة على كل مؤمن ومؤمنة، فَزَوَّجَهَا زيدَ بْنَ حَارِثَةَ رضي الله عنه الذي دخل بها وهو فَرِحٌ مَسْرُورٌ حيث تَزَوَّجَ الْهَاشِمِيَّةَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ ، ولكنه أخذ يلقى منها المتاعب، وكانت تُغْلِظُ له في القول وتترفع عليه بشرفها وحسبها حتى عَافَتْهَا نفسُه ، وضَجِرَ منها، فذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شاكياً منها وطالباً موافقة النبي على طلاقها. فقال له الرسول محمد صلى الله عليه وسلم:((**أمسك عليك زوجك واتق الله**)). قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا وهو يعلم أنه لا بُدَّ له من طلاقها ومفارقتها حيث أوحى الله إليه بذلك وأخبره بنهايتها مع زيد ومن ثَمَّ سوف يأمر الله نبيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم بالتزوج بها بعد طلاق زيد لها إبطالاً لعادة التَّبَنِّي والأمور المتعلقة بها ، لأن امرأة المتَبَنَّى في الجاهلية لا يجوز أن يتزوجها الرجل

الذي اتخذ زوجها ابناً له ، فحكمه عندهم مثل حكم الولد الحقيقي الشرعي ، والرسول محمد صلى الله عليه سلم قد اتَّخَذَ زيداً ابناً له على عادتهم وزَوَّجَهُ من قريبته زينب ثم افترقا، فأمر الله رسوله بتزوج زينب من بعد طلاقها من زيد ليبطل حكم الجاهلية ويؤسس حكم الإسلام وليكون الرسول محمد هو القدوة في ذلك الأمر المتأصل في النفوس وعظيم الوقع على القلوب مما يقوله المنافقون والمغرضون وأعداء الإسلام. وقبل التلميح لمعنى الآيات والحكمة من هذا الزواج أورد قصة زيد وتبني الرسول له ، وتفضيل زيد للرسول على والده وذويه حين خَيَّرَهُ الرسولُ صلى الله عليه وسلم بين أن يبقى عنده أو يلحق بوالده وأهله .

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن زيداً كان في أخواله بني مَعْن من بني ثعل من طَيِّ، فَأُصِيبَ في نَهْبٍ ، وجِيءَ به إلى سوق عكاظ ، وانطلق حكيم بن حزام بن خويلد إلى عكاظ يتسوق بها ، وكانت عمته خديجة بنت خويلد قد أوصته أن يشتري لها غلاماً عربياً إن وجده ، فلما قدم حكيمٌ سوقَ عكاظ وجد زيداً يُبَاعُ فيها ، فأعجبه ظَرْفُهُ وأدبُه فابتاعه (اشتراه) ، وقدم به على عمته خديجة وقال لها: إني ابْتَعْتُ الغلامَ الذي أوصيتني به فإن أعجبك فخذيه وإلا فدعيه لي فإنه قد أعجبني ، فأخذته خديجة ، ثم تزوجها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو عندها ، فأعجب الرسولَ صلى الله عليه وسلم ظرفُه وأدبُه ، فاسْتَوْهَبَهَا إيَّاهُ ، قالت: أَهَبُهُ لك على أن الولاء لي إنْ أُعْتِقَ ، فأبى الرسول صلى الله عليه وسلم قبوله على هذا، فوهبته له إن شاء أعتق وإن شاء أمسك والولاء له، فَشَبَّ عند الرسول صلى الله عليه وسلم يخدمه ويذهب في حاجته إلى الأسواق، ثم إنه خرج مرة في إبل لأبي طالب بأرض الشام فَمَرَّ بأرض قومه، فعرفه عَمُّهُ فقام إليه ،فقال: من أنت يا غلام ؟ قال: غلام من أهل مكة ، قال: مِنْ

أَنْفَسِهِمْ ؟ قال: لا .قال: فَحُرٌّ أنت أم مملوك ؟ قال: بل مملوك ، قال: لمن؟ قال: لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال له: أعربي أنت أم عجمي؟ قال: عربي ، قال ممن أصلك ؟ قال: من كلب ، قال:من أي كلب ؟ قال:من بني عبد وُدّ ، قال: ويحك ، ابن من أنت ؟ قال: ابن حارثة بن شراحيل ، قال: وأين أصبت ؟ قال: في أخوالي ، قال ومن أخوالك؟ قال: طيّ ، قال:ما اسم أمك ؟ قال: سعدى ، فالتزمه ، وقال: أنت ابن حارثة ، ودعا أباه، فقال: يا حارثة هذا ابنك ، فأتاه فلما نظر إليه عرفه،قال:كيف صنع مولاك إليك؟ قال يؤثرني على أهله وولده، فركب معه أبوه وعمه وأخوه وقدموا مكة، فَلَقُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له حارثة: يا محمد أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته تَفُكُّونَ العاني وتطعمون الأسير ، ابني عندك فَامْنُنْ علينا وأحسن إلينا في فدائه فإنه ابن سيد قومه وإنا لنرفع إليك في الفداء ما أحببت . وهذا كان قبل البعثة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطيكم خيراً من ذلك ، قالوا: وما هو ؟ فقال: أُخِيِّره فإن اختاركم فخذوه بغير فداء ، وإن اختارني فكُفُّوا عنه، فقالوا:جزاك الله خيراً لقد أحسنت ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا زيد أتعرف هؤلاء ؟ قال:نعم؟، هذا أبي وهذا عمي وهذا أخي ، فقال صلى الله عليه وسلم:هم من قد عرفتهم ، فإن اخترتهم فاذهب معهم وإن اخترتني فأنا من تعلم، فقال زيد: ما أنا بمختار عليك أحداً أبداً ، أنت مني بمكان الأب والعم، قال أبوه وعمه:يا زيد أتختار العبودية ؟ قال:ما أنا بمفارق هذا الرجل ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه قال:((**اشهدوا أنه حُرٌّ وأنه ابني يَرِثُني وأَرِثُهُ**)) فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامة زيد على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم انصرفوا تاركين زيداً عند الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ومكث زيد يُدعى زيد بن محمد طوال بقائه مع الرسول

صلى الله عليه وسلم حتى نزل قول الله تعالى :﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ [الأحزاب:٥] فَدُعِيَ زيد بن حارثة .روى البخاري ومسلم وغيرهما رحمهم الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه سلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن : ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((**أنت زيد بن حارثة بن شراحيل**)). قال الله جل جلاله :((**وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ۝٥**))[الأحزاب:4 ،5]. بعد هذا الأمر الإلهي تألَّم قلبُ زيد لهذا النبأ وأحَسَّ بالغربة والوحشة حيث كان ينتسب إلى أكرم مخلوق وأشرف مبعوث وأحسب العرب وأعلاهم نسباً، إذا به يؤمر بأن يرجع إلى نسبه الأول، فما كان محمد صلى الله عليه وسلم أبا أحدٍ من الرجال ولكنه رسول الله وخاتم النبيين ، فلما علم الرسول بحالة زيد النفسية زوجه ابنة عمته الشريفة الحسيبة ليجبر خاطره وليعلم الناس أن الكفاءة للزواج إنما هي التقوى ، قال تعالى:﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[الحجرات:١٣]، ولكن الله تعالى أعلم رسوله بالأمر، وأنه سيبطل عادة التبني وسيكون الرسول هو الْمُنَفِّذ لهذا الأمر وأن زيداً سوف يطلّق زوجته زينب بنت جحش وأن الرسول سيتزوجها من بعده، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تردد في هذا الأمر وعَظُمَ عليه وقْعُهُ فاحتفظ به لنفسه وخشي من إرجاف المنافقين واليهود والمشركين عامة وأنهم سيقولون تزوج محمد زوجة ابنه بعد نهيه عن حلائل الأبناء ، مع أن الله تعالى بين في آية التحريم أنه الابن من الصلب لِيُحْتَرَزَ من الابن الدَّعِيّ، قال تعالى: ﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ ﴾ [النساء:٢٣] ثم أنزل الله

على نبيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة وبين أن الله هو الذي تولى تزويجها له من فوق سبع سماوات وأن سبب ذلك لئلا يكون على أي مؤمن حرج متى أراد الزواج من زوجة ابنه الدعي بعد أن يطلقها ، وأن هذا الأمر قد قدره الله تعالى فهو كائن لا محالة ، ثم أعقب ذلك بآيات واضحات بأنه ليس على رسول الله حرج فيما فرض الله له ، وهذه سنة الله في الأنبياء قبله من حيث أنواع الابتلاء والامتحان، وعليه أن يبلغ الرسالة ولا يخشى أحداً إلا الله تعالى ، ثم بين عز وجل بأن الرسول محمداً ليس أباً لأحد من الرجال ولكن رسول الله وخاتم النبيين، ولنتأمل هذه الآيات التي توضح زواج زينب رضي الله عنها من زيد وفراقهما وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبب في ذلك والنتائج ، كان هذا في آيات متتاليات ما عدا النهي عن دعوة الموالي ونسبتهم لغير آبائهم فكانت في بداية سورة الأحزاب نهي لجميع المسلمين عن ذلك مع أنه ورد التأكيد على المنع والنهي في آخر آية من الآيات التالي ذكرها من السورة نفسها بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف لمناسبة الآيات وترابطها من جميع الوجوه، قال الله تعالى:((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾))[الأحزاب:٣٦-٤٠].روى البخاري رحمه

الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:((إن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول:زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات)). وذلك أن الله تعالى أوحى إليه بأن يدخل عليها بلا ولي ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر وقد بين الله الحكمة من ذلك في هذه الآيات وفي آيات أُخرى .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:((لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة:((**اذهب فاذكرها علي**)) فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينه ، قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول:إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، وقلت:يا زينب أبشري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك ، قالت:ما أنا بصانعة شيء حتى أُؤَامِرَ ربي عز وجل ، فقامت إلى مسجدها. ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن)). رواه مسلم، قال أنس رضي الله عنه:[**ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويَقُلْنَ : يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أُخْبِرَ ، فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه ، فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب وَوُعِظَ القومُ بما وُعِظُوا به**]، قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ

حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٣، ٥٤] .

زواج زينب بنت جحش رضي الله عنها

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى أحمده سبحانه وبحمده وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فمما سبق عَلِمْنَا أن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يُدْعَى إلا زيد بن محمد حتى نزول قول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾[الأحزاب: ٥] وقد كانوا يعاملون المتبنى معاملة الأبناء من كل وجه في الخلوة بالمحارم والميراث وغير ذلك ، فلما أبطل الله هذه العادة والحكم الجاهلي بالتحريم أباح الزواج من زوجة الدَّعِيِّ لأي شخص من المسلمين ، أما بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم فلم يَكُنْ هذا النوع من الزواج مجرد إباحة فقط بل هو إِلْزَامٌ وفَرْضٌ من الله جلَّ جلالُه وَبِوَحْيٍ منه سبحانه في قرآن يُتْلَى إلى يوم القيامة أَمْرٌ وفَرْضٌ على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالزواج من زينب بنت جحش رضي الله عنها مُطَلَّقَةِ زيد بن حارثة رضي الله عنه بعد أن قضى زيد منها وطراً ليبين للأمة عدم الحرج في الزواج من زوجة الدَّعِيِّ ، وكان التطبيق العملي لإبطال التبني مع الزواج أيضاً من زوجة الْمُتَبَنَّى وإبطال المفاخرة بالأنساب مما كان من زواج الهاشمية القرشية للمولى ، وبعد طلاقها تزوجت بأرفع الناس

مكانة وحسباً ونسباً وأكرمهم خُلُقاً ودِيناً ، كان ذلك التطبيق على شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرغم من وقعه الأليم والحرج الشديد ونظرته الثاقبة لما سوف يتعرض له في قادم الأيام من أول ساعة لحصوله إلى أن تقوم الساعة حيث إثارة المنافقين وأعداء الإسلام للتشكيك في مسار هذا الزواج والنيل من عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن جميع خطواته من إبطال التبني وتحريم انتساب معلوم النسب لغير أبيه وزواج زينب من زيد ومفارقته لها وتزويجها لرسول الله والامتحان الصعب له مع التأكيد بأنه ليس أباً لأحد من الرجال ولكنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، كل هذه المراحل والخطوات جاءت في القرآن الكريم في آيات واضحات الدلالة مع ذكر الأسماء في المكان المناسب في سورة الأحزاب وفي الأحاديث الصحيحة، هذا التشكيك والحملة الشرسة في ذلك الزواج كان الرد عليه في آيات محكمة، مع أن نهاية الآية التي توضح السبب من وراء ذلك الزواج كان فيها الجواب الشافي الوافي الكافي الذي يَرُدُّ على أيِّ شبهة تدور في ذهن وعقل أي شخص وتُسْكِتُ أيَّ مُشَكِّكٍ وتُخْرِسُ لسانَه وتَنْسِفُ تَشْكِيكَهُ وشُبْهَتَهُ ، وأذكر الآيات لتطمئنَّ النفوسُ المؤمنةُ وترتاح بكلام الله العليم الحكيم، قال الله تبارك وتعالى:((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن

رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾)) [الأحزاب:4036].وقد رفع الله الحرج عن المؤمنين عندما يريدون الزواج من زوجة الدعي ونبه على ذلك بقوله جل وعلا :﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ ﴾ [الأحزاب:٣٧]، كما نبه تعالى في آية تحريم حلائل الأبناء بأن الابن هو الذي من صلب الرجل احترازاً من الابن الدعي،قال تعالى:﴿ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾[النساء:٢٣]. ونسمع الآن أن بعض المسلمين يأخذ أحدُهم أولادَ غيرِهِ ذكوراً أو إناثاً ويربيهم وينسبهم إليه ، أو يلتقط لقيطاً من أولاد الزنا، أو يأخذهم من دور الرعاية الاجتماعية ويقوم على تربيتهم وينسبهم لنفسه ويعتبرهم أولاده ، وهذا منكر عظيم من حيث الانتساب إليه واعتبار الولد الدّعيّ ولداً له سواء كان ذكراً أو أنثى ، لأن ذلك يترتب عليه أحكام شرعية ، وهذا لا يجوز قطعاً ، وعلى من وقع فيه أن يتوبَ إلى الله ويُخَلِّصَ نفسه منه ويحذر غيره من الوقوع في مثل ذلك، أما من ناحية أَخْذِهِمْ وتربيتهم والإحسان إليهم من غير انتساب إلى الشخص بل معاملتهم مثل الأجانب من غير المحارم فهذا لا بأس به ، بل جاء الترغيب في كفالة الأيتام في القرآن والسنة، وهذا يحتاج لخطبة كاملة، ويكفينا هنا الحديث الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**))، مع الأخذ في الاعتبار معرفة وعلم وتطبيق حدود الله في ذلك وعدم تجاوزها من حيث الخلوة بالمحارم إن كان ذَكَراً لأنه ليس محرماً لقريبات هذا الذي قام بتربيته إلا إن كان هناك رضاع في الحولين خمس رضعات فأكثر، وكذلك الأنثى ليس الرجلُ المحسنُ لليتيمة ولا أبناؤُهُ مَحَارِمَ لَهَا إلاَّ بالرضاع الْمُحَرِّمِ ، وهذا الرضاع المحرم لا يكون إلا لأبنائه فقط ، إلا إن كان اليتيم من أقارب الرجل أو المرأة ففارق المحرمية للجميع معروف لا إشكال فيه ، وكذا الميراث

والزواج وغير ذلك من الأمور وخاصة في الأدعياء، وعلى من علم أنه ينتسب إلى غير أبيه أن يبادر بالتوبة النصوح ويتخلى عن ذلك ، فقد ورد في الحديث المتفق عليه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: ((**ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه إلا كفر**)).قال الله تعالى:﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾[الأحزاب:٤، ٥].ويجب معرفة الفرق بين كفالة الأيتام عموماً والإحسان إليهم وبين التَّبَنِّي وانتساب الْمُتَبَنَّى للشخص ، وقد كررت هذا حتى لا يُفْهَمَ أو يُنْقَلَ عني خلافُ ما أقصده، وفي هذا التوضيح كفاية لمن التبس عليه الأمر، قال تعالى:((إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾))[ق~:37].وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

حـادثـة الإفـك

الخطبة الأولى 1405/6/24هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً.

أما بعد: فجدير بكل مسلم أن يعيش مع القرآن وتفسيره وأسباب نزوله ومع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسترشد بهما ويتبعهما ويبتعد

عما ورد النهي عنه في أحدهما ، وإن المؤمن ليجد الأُنْسَ والطمأنينة والراحة عندما يتلوا آيات الله أو تتلى عليه ويرى حال بعض الناس من المنافقين والفاسقين في ذلك الزمان ينطبق مع حال أتباعهم وأشباههم إلى أن تقوم الساعة، كيف لا والقرآن الكريم كلام العزيز الرحيم الذي خلق البشر وهو أعلم بهم وبما يصلحهم سبحانه لا إله إلا هو العزيز الغفور .

وأورد حادثة الإفك على عائشة أم المؤمنين كما قالت رضي الله عنها ، والتي كانت بعد غزوة بني المصطلق أو ما تسمى في بعض الروايات (غزوة المريسيع) لكي يستفيد منها كل مسلم دروساً عظيمة ويعلم أن البلايا والمحن وأنواع الاختبار والامتحان نزلت بأشرف وأطهر منه ، فلا عليه إن نزل به شيء من ذلك إلا مقابلته بالصبر والاحتساب لينال الأجر في الدنيا والآخرة. عن عروة بن الزبير رضي الله عنه وعن أبويه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت:((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه، فأيّتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت عائشة رضي الله عنها: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نَزِلَ الحجابُ ، فكنت أُحْمَلُ في هَوْدَجِي وأُنْزَلُ فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل، ودَنَوْنَا من المدينة قافلين ، آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي ، فلمست صدري فإذا عِقْدٌ لي من جَزَعِ ظَفَارٍ قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرَّهْطُ الذين كانوا يرحلُون لي، فاحتملوا هَوْدَجِي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه ، وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذْ ذاك خِفَافاً لم يهبلْنَ ، ولم يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، إنما يأكلن العُلْقَةَ من

الطعام ، فلم يستنكرِ القومُ خِفَّةَ الهودج حين رفعوه وحملوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل فساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيبٌ ، فتيمَّمْتُ منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ ، وكان صفوان بن الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثم الذكوانِيُّ من وراء الجيش ،فأدلج فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني ، وكان قد رآني قبل الحجاب ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني ، فَخَمَّرْتُ وجهي بجلبابي، وَوَاللهِ ما كلمني كلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وَهَوَى حتى أَنَاخَ راحلته ، فَوَطِئَ على يَدَيْهَا ، فقمت إليها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش مُوغِرِينَ في نحر الظهيرة وهم نزول ، قالت: فهلك من هلك ،وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أُبَيِّ بْن سَلُولٍ ، قال عروة: أُخْبِرْتُ أنه كان يشاع ويتحدث به عنده، فيقره ويستمعه ويستوشيه. فقال عروة أيضاً:لم يُسَمَّ من أهل الإفك إلاّ حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش، في ناس آخرين لا علم لي بهم ، غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى ، وإنَّ كِبْرَ ذلك يقال له: عبد الله بن أبيّ بن سلول. قال عروة: كانت عائشة تكره أن يُسَبَّ عندها حسان وتقول : إنه الذي قال:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة رضي الله عنها فقدمنا المدينة،فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يُفِيضُون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وَسلَّمَ فَيُسَلِّمُ ، ثم يقول:((كَيْفَ تِيكُمْ)). ثم ينصرف ، فذاك الذي يَرِيبُنِي ولا أشعر بالشَّرِّ حتى

خرجتُ بعدما نَقِهْتُ. فخرجتْ معي أمُّ مِسْطَح قِبَلَ المَنَاصِعِ، وهو مُتَبَرَّزُنا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الْكُنُفَ قريباً من بيوتنا ، وأَمْرُنا أمرُ العرب الأُوَل في التَّبَرُّزِ قِبَلَ الغائط ، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رُهْم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح ابن أُثَاثَة بن عبَّاد بن المطلب فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مِرْطِهَا فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قُلْتِ !! أَتَسُبّيَنَ رجلاً شهد بدراً ؟ فقالت: أَيْ هَنْتَاه أَوَ لَمْ تسمعي ما قال ؟ قالت:وقلت:وما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك. قالت: فَازْدَدْتُ مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي ودخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فَسَلّمَ، ثم قال:((كيف تيكم))، فقلت له: أتأذن لي أن آتِيَ أَبَوَيَّ ؟ قالت : وأنا حينئذٍ أريد أنْ أَسْتَيْقِنَ الخبرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قالت: فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم،فجئت أبويَّ فقلت لأمي: يا أُمَّتَاه ، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بُنَيَّة هوّني عليك، فو الله لَقَلَّمَا كانت امرأةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثَّرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله ، وقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يَرْقَأُ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين اسْتَلْبَثَ الوحيُ، يستشيرهما في فراق أهله قالت:فأما أسامة ابن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الْوُدِّ، فقال :يا رسول الله هم أَهْلُكَ ولا نعلم إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال:يا رسول الله لم يُضَيِّقِ الله عليك، والنساء سواها كثير، وإنْ تَسْأَلِ الجاريةَ تَصْدُقْكَ ، قالت:فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرِيرَةَ:فقال:((أَيْ بريرة ، هل رأيت من شيء يَرِيبُكِ)) قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إنْ رأيت

عليها أمراً قط أغمصه عليها أكثرَ من أنها جاريةٌ حديثةُ السِّنِ تنام عن عجين أهلها فتأتي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ ، قالت:فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبيّ بن سلول، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر:((يا معشر المسلمين،من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي)). قالت:فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال:يا رسول الله أنا أعذرك منه، فإن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج ، أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت:فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسان بنت عمه مِنْ فَخِذِهِ، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج ، قالت:وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد:كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لَنَقْتُلَنَّهُ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت: فتثاور الْحَيَّانِ الأَوْسُ والْخَزْرَجُ حتى همُّوا أن يَقْتَتِلُوا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفِّضهم حتى سكتوا وسكت. قالت:فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. قالت: فأصبح أَبَوَايَ عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع وأبوايَ يَظُنَّانِ أن البكاءَ فَالِقٌ كَبِدِي ، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنتْ عليَّ امرأةٌ من الأنصار فأذنتُ لها، فجلستْ تبكي معي. قالت:فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ، قالت:ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء.قالت:فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال:((أما بعد:يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا

اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله ، تاب الله عليه))قالت:فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قَلَصَ دمعي حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي:أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني فيما قال. فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي:أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال:قالت أمي:والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن:إني والله لقد علمت:لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصَدَّقْتُمْ به ، فلئن قلت لكم إني بريئة ، لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة ، لَتُصَدِّقُنِّي، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف:((فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ))[يوسف:١٨]، قالت:ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا أعلم حينئذٍ أني بريئة وأن الله مُبَرِّئِي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله مُنْزِلٌ في شأني وَحْياً يتلى ، وَلَشَأْنِي في نفسي كان أَحْقَرَ من أن يتكلم الله فِيَّ بأمر يُتْلَى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قالت:فو الله ما رَامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنْزِلَ عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحَاءِ،حتى إنه لَيَتَحَدَّرُ منه مثلُ الْجُمَانِ من العَرَقِ ، وهو في يومٍ شاتٍ ، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فَسُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال:((يا عائشةُ أما اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فقد بَرَّأَكِ)) قالت:فقالت لي أمي:قومي إليه ، فقلت:لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل، فأنزل الله:(إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ) العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هذا في براءتي ، قال - أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره:والله لا أُنْفِقُ على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله:﴿ وَلَا يَأْتَلِ

أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور:٢٢]، قال:أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فَرَجَعَ إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال:والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري ، فقال:((يا زينب ماذا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ)) فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، والله ما علمت إلا خيراً، قالت عائشة:وهي التي كانت تُسَامِينِي من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع، وطَفِقَتْ أختُها حَمْنَةُ تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك))رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى . قال ابن شهاب:فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط . ثم قال عروة:قالت عائشة:والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله، فَوَ الَّذِي نفسي بيده ما كشفتُ من كنف أنثى قط ، قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله.

حــادثــة الإفــك

الخـطبة الـثانـية

إن الحمـد لله نحمـده ونسـتغفره ونتـوب إليـه ونعـوذ بالله مـن شـرور أنفسـنا وسـيئات أعمالنـا، مـن يهـده الله فـلا مضـل لـه ومـن يضـلل فـلا هـادي لـه، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله لحمد وهـو على كل شـيء قـدير ، وأشـهد أن سيدنا ونبينـا وحبيبنـا محمـداً عبـد الله ورسـوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:فهذه القصة العجيبة والحادثة الأليمة التي تحمل في طَيَّاتِهَا من الدروس والعبر والعظات الشيء الكثير والتي نزلت ونزل وقعها الأليم على أشرف خلق الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى زوجته الطاهرة

أم المؤمنين عائشة وعلى أبويها أبي بكر الصديق وزوجته رضي الله عنهم أجمعين والتي واجهوها بالصبر القوي الذي ألهمهم الله إياه وثَبَّتَهُمْ عليه عندما نزل بهم جميعاً هذا الابتلاء والامتحان والاختبار الذي يعتبر نِبْرَاساً للأمة المسلمة لكي يستفيدوا منه دروساً عملية في حياتهم ومستقبل أيامهم ليستلهموا منه العبر والعظات والتوجيهات وتسديد الآراء الصائبة ، إن من التعليمات التي وجهها الله تبارك وتعالى إلى المسلمين ــ وذلك في ضمن الآيات التي نزلت فيها براءة عائشة رضي الله عنها مما قال عليها المفترون ــ ألاَّ يقبلوا من كل أحد قوله بدون رَوِيَّةٍ وتَثَبُّتٍ إذا كان يرمي غيره بما لا يرونه فيه، وعليهم ألاَّ يُشِيعُوه في المجتمع، بل من واجبهم إذا وجدوا أن قد فشت في المجتمع مثل هذه الافتراءات والاتهامات الكاذبة أن يعملوا على كَبْتِهَا ويَحُولُوا دون شيوعها ويجتنبوا تناقلها بينهم، وإن الذين يُلَفِّقُونَ الأخبار الفاحشة ويذيعونها أو يحاولون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم ويحاولون إلْصَاقَ التُّهَمِ بالمؤمنين والمؤمنات ويرمونهم بما ليس فيهم ، إنهم لا يستحقون الحماية والتشجيع ، بل يستحقون العقاب وإقامة الحدِّ على كل فرد منهم حتى يرتدع ويطهر لسانه وسمعه وبصره عن قَالَةِ السوء وقذف الغافلين من المؤمنين والمؤمنات وليرتدع غيره من المخدوعين بهذه المقالات السيئة إن كان مؤمناً ويكون تطهيراً له،وإن كان منافقاً يقام عليه الحد كذلك من أجل أن يُكْبَتَ ويُخْرَسَ لِسَانُهُ ولئلا تُسَوِّلَ له نفسه إشاعةَ الفاحشةِ واتهامَ الأبرياء مرة أخرى وليعلم أن هذا عقابه في الدنيا مادام على هذه الحال ، وفي الآخرة عذاب عظيم، أما المؤمنون فيجب أن يَظُنُّوا بأنفسهم خيراً ولا يعتمدوا على سوء الظن وقالة السوء التي تنتشر في المجتمع بسبب منافق أو منافقة إذا هم سمعوا عن ذلك يجب عليهم أن يُطَهِّرُوا أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم من هذا البهتان على المؤمنين والمؤمنات ، وإن كانت التهمة تلحق بأحد منهم

فليصبروا وليحتسبوا جزاء صبرهم عند الله ،ثم إن كانت لديهم البينة على من أشاع ذلك فليطلبوا إقامة الحد الشرعي على ظهور أولئك المنافقين أو المخدوعين من المسلمين. وإلى خطبة أخرى نتحدث فيها عن بعض ما ورد في أول سورة النور، وعلينا أن نتأمل الحادثة المؤلمة ووقعها الشديد من خلال هذه الآيات العظيمة في قول الله جل جلاله وتعالى سلطانه:((إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو
بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ
مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ
ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ
بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾
إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ
عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ
هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا
تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ
وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ
لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ
فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم
بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور:11-36] وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله.

رمي المؤمنين والمؤمنات بالزنا

الخطبة الأولى 1405/7/1هـ

الحمد لله الذي شرع عقوبة العصاة ردعاً للمفسدين والمعتدين وصلاحاً وعبرة للخلق أجمعين وكفارة للمعتدين التائبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملكُ الحقُّ المبينُ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل النبيين وقائد المصلحين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فلقد تعرفنا في الخطبة الماضية على حادثة الإفك على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما وردت بروايات رواها البخاريُّ ومسلمٌ وغيرُهما رحمهم الله تعالى. ولقد أنزل الله تعالى في العشر الآيات الأولى من سورة النور أحكام الزنا والقذف واللعان، وذلك قبل حادثة الإفك وقبل أن تنزل الآيات ببراءة عائشة رضي الله عنها وذلك لحكم عظيمة ولخير كبير يعلمه سبحانه وتعالى ، ونَبَّهَ بذلك المسلمين إلى حقيقة الأمر وعلى أن رميَ أَحَدٍ بالزنا ليس بأمرٍ هَيِّنٍ يتلاعب به الناس ويتناقلونه في مجالسهم ومحافلهم، بل هو قول في غاية من الثقل يحمل صاحبه تبعة كبرى ، فإن كان الرامي صادقاً

في رَمْيَتِهِ فَلْيَأْتِ بالشهداء ليلقى الزاني والزانية أشدَّ العقاب ، وإن كان كاذباً فهو جَدِيرٌ بأنْ يُضْرَبَ ظَهْرُهُ ثمانين جلدة حتى لا يعود لمثل هذه الفِرْيَةِ في المستقبل ، أما إذا كانت هذه الرَّمْيَةُ من الزوج لزوجته، فعليه أنْ يُلاعِنَهَا أمام القاضي كما ورد في القرآن الكريم ،وهذا الأمر لا يمكن أنْ يَتَفَوَّهَ به أحد ثم يجلس في بيته وَادِعاً مستريحاً ، ويترك مجتمع المسلمين يعيش في قَلَقٍ وفي تَطَلُّعٍ لهذه الأخبار الْمُفْتَرَاةِ وليَمُوجَ فيه البهتان وقذف المؤمنين والمؤمنات ،كلا !!إن المجتمع مجتمع المسلمين ما أُخْرِجَ إلا لإقامة الحق ودعم الخير في الدنيا ، ولا يمكن أن يكون فيه الزنا أداة لِلَّعِبِ واللَّهْوِ، ولا أن تكون أخبارُه موضوعاً لتحادث الناس وتَرْوِيحِهِمْ عن أنفسهم. بل يجب أن يُقَامَ الْحَدُّ على القاذف والذي يُرَوِّجَ ويشيع أخبار الإفك حتى يرتدع ويطهر لسانه عن قالة السوء وقذف الغافلين من المؤمنين والمؤمنات وليرتدع غيره من المخدوعين بهذه المقالات السيئة ولئلا تسول له نفسه إشاعة الفاحشة واتهام الأبرياء مرة أخرى ، وليبقى المجتمع المسلم مجتمعاً نظيفاً يظن كُلٌّ منهم بنفسه خيراً وكذلك بغيره، وليس معنى هذا أن يُقِرَّ أو يسكت أحد على جريمة الزنا وانتشارها في المجتمع ، وسوف يأتي هذا في موضعه إن شاء الله ،أما ما أقوله هنا فهو عن قذف الأبرياء من ذلك . وقد وردت في الروايات أسماء الذين كانوا يتناقلون وينقلون في المجتمع حديث الإفك على عائشة رضي الله عنها . وهم:عبد الله بن أبيّ بن سلول الذي تولى كبره وهو رئيس المنافقين ، وزيد بن رفاعة، والغالب أنه ابن رفاعة بن زيد من اليهود المنافقين ، ومسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش من المؤمنين ، وهؤلاء الثلاثة من المؤمنين انخدعوا لمكائد الاثنين من المنافقين وخاضوا في حديث الإفك على خطأ منهم، ولقد أقيم عليهم حد القذف ثمانين جلدة، ولم يقم الحد على رأس المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول والمنافق الآخر ابن رفاعة قال

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾[النور:١١]، حقاً وصدقاً : إن حادثة الإفك التي جاء بها المنافقون وانخدع بها المؤمنون ليست شراً ، بل تحمل الخيرَ لِتَتَبَيَّنَ أحكامٌ كثيرةٌ يعلمها من ينير الله بصيرته وتتضح من خلال آيات القرآن الكريم ، ولأن هذا القرآن الكريم كلام الله العزيز الرحيم العليم بما يصلح عباده، ولتكون آياته نوراً يستضيئون به ويتبعونه ويطبقون أحكامه ليس في زمان دون زمان ولا مكان دون آخر ، ولكن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ،فمن الخير في هذه الفتنة العظيمة ما ثبت من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلوك أهله في جانب ، وسلوك أبي بكر الصديق وأهله رضي الله عنهم في الجانب الآخر، وسلوك عامة المسلمين في الجانب الثالث في هذا الموقف الأليم، لقد بلغت بهم مبلغ الطهارة من الدَّنَسِ والسُّوءِ ، وما يتمتعون به من التماسك والعدالة الاجتماعية ورحابة القلوب وبراءة الصدور وقوة الإيمان والصبر عند الشدائد ، الإيمان مع الصبر الذي لا تزعزعه الشدائد والمحن ، واحتساب الأجر وعاقبة الصبر عند الله العزيز الحكيم الخبير الغفور الرحيم، فها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرْمَى في فراشه وعرضه وقلبه ورسالته ويتحدث به الناس شهراً كاملاً في المدينة ، ولكنه يصبر عليه ويعاني شدائده ، وعندما يأتيه الحكم الإلهي لا يقيم الحد إلا على الأفراد الثلاثة من المسلمين الذين ثبتت عليهم جريمة القذف ، ولا يقيمه على المنافقين ، وهاهو ذا مسطح ابن أثاثة ممن ينفق عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه من أقاربه الأَدْنَيْن يَفْجَعُهُ في فَلْذَةِ كَبِدِهِ، ومسطح ابن خالة أبي بكر وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفقه عليه أبو بكر ، ولكن أبا بكر رضي الله عنه لا يقطع عنه صلة القرابة ولا يمسك يده عن مساعدته بعد ما نزل قول الله تعالى :﴿ وَلَا يَأْتَلِ

أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) [النور:٢٢]، فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر رضي الله عنه قال:بلى والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا. وعاد ينفق على مسطح وأهل بيته وقال:والله لا أنزع النفقة منهم أبداً. وهاهن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا تساهم إحداهن في تشويه سمعة ضَرَّتِهَا ولا تقول فيها إلا خيراً ، والعجيب في الأمر أنَّ حَمْنَةَ بنت جحش أخت زينب بنت جحش تخوض في حديث الإفك مع الذين خاضوا فيه وسعوا إلى تشويه سمعة عائشة رضي الله عنها لا لشيء إلا حمية لأختها ، مع أن زينب رضي الله عنها لا تقول في عائشة إلا خيراً ، قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش رضي الله عنها عن أمري وما رأت وما سمعت فقالت:((**يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما رأيت إلا خيراً . قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بدينها وورعها، وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك**)).رواه البخاري .

فهكذا لم تظهر النتيجة إلا على العكس مما قصده المنافقون وما زادت المسلمين إلا تفوقاً في أخلاقهم، وهناك ناحية أخرى للخير في هذا الحادث، هي أنه سبب زيادة عظيمة في قوانين الإسلام وأحكامه وقواعده للحياة الاجتماعية ، وقد تلقى فيه المسلمون من الله تعالى تعاليم إسلامية تدعو إلى الطهارة والعفة والكرامة إذا عملوا بها سلم مجتمعهم من نشوء المنكرات والفواحش ، ومن السهل الابتعاد عنها بإذن الله لو نشأت وحدثت في المجتمع . ومن نواحي الخير في هذا الحادث إضافة على ما تقدم ــ وهذا مهم جداً . يجب على المسلمين أن يعوه ويفتحوا أفئدتهم وعقولهم لهذا الأمر

وخاصة في هذه الأيام بعد أن روّج له دعاة الضلالة ممن ينتسب لبعض الطوائف المنتسبة للإسلام ، ذلك هو ادِّعَاؤُهُمْ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب في مماته الآن وهو في قبره ، فإذا كان لا يعلم بهذه الحادثة ولا بغيرها في حياته صلى الله عليه وسلم مما هو من علم الغيب ولا ادَّعى ذلك لنفسه عليه الصلاة والسلام ، وقد ورد في القرآن الكريم بعد ذِكْرِ علم الساعة وأن علمها عند الله قولُ الله تعالى عنه. ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٨]. فكيف يسوغ لدعاة الضلالة وأتباعهم في هذه الأيام أن يُعَارِضُوا صريح القرآن الكريم ويُضِلُّوا عباد الله وترويج معتقداتهم وضلالاتهم الزائفة ، وأغرب من ذلك أن يَغْتَرَّ بهم كثير من المسلمين المخدوعين ويعتقدوا أن ذلك من الإسلام ويجب أن يؤمنوا به ، مع أن ذلك من أسباب الكفر والضلال ومناقضة القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

إن المسلمين المؤمنين حقاً يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب ولم يعلم إلا ما أخبره به الله سبحانه وتعالى كما قال عز وجل عنه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم:٣ ،٤]، ولقد علموا أن علمه صلى الله عليه وسلم لا يفوق بعد ذلك علم عامة البشر إلا بما علمه الله، ولقد بَقِيَ قرابة شهر كامل يعاني الألم وفجيعة القلب في أمر عائشة فيسأل خادمة بيتها تارة بريرة وعلياً تارة أخرى وأسامة بن زيد ثالثة وأزواجه رابعة وأخيراً يذهب إلى عائشة نفسها ولا يقول لها إلا: ((**إن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنتِ أَلْمَمْتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه**)) فلو أنه صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب على حد زعم دعاة الضلالة فلماذا كان يعاني الألم طوال هذه المدة ؟ ولماذا يسأل غيره في أمر عائشة ويلقنها التوبة مع أنها لم تقترف ذنباً؟ ولكن لما نزل الوحي وأحاطه بحقيقة الواقع علم ما لم

يكن يعلم هو ولا غيره من البشر طوال شهر كامل تقريباً ، وقبل ذلك لما ذهب هو والجيش وتخلفت عنهم عائشة رضي الله عنها ولم يكن يعلم عن تخلفها وراءهم إلا مع الناس عندما جاءت بعدهم وطلعت عليهم، ولم يكن يعلم عن إشاعة الإفك في البداية إلا حينما انتشر الخبر وبَلَغَهُ ذلك كَأَيِّ شخص آخر ، هذا من ناحية علمه من عدمه في هذه الحادثة ، مع أن هناك مواقف أخرى تثبت عدم علمه الغيب إلا ما علمه الله عز وجل لإثبات نبوته وصدق رسالته عليه الصلاة والسلام كما أثبت ذلك هو بنفسه وكما ذكره ربنا عز وجل في العديد من آيات القرآن الكريم ومنها:الآية السابقة التي جاءت بعد أسئلة الكفار له عن الساعة وموعدها مع أنه أخبر صلى الله عليه وسلم بعلاماتها كما أخبره وأوحى إليه عز وجل ، ومنها:ما قد وقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام، ومنها:ما سوف يقع إلى أن تقوم الساعة،ولكن لنستمع إلى قول ربنا تبارك وتعالى:((يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾))[الأعراف:١٨٧، ١٨٨].نعم لو كان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب لاستكثر من الخير ولما مسه السوء.فكيف بمن هو دونه من عامة المسلمين؟ وأخص الطائفة التي تدَّعي العصمة للمهدي المزعوم الذي يعيش منذ أكثر من ألف ومائتي سنة على حدِّ زعمهم في السرداب بعيداً عن الأنظار ويعلم ما في الأمصار ويدير الأفلاك ويعلم الغيب وما يدور في الكون، ووضعوه فوق مرتبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بل أعطوه في أنفسهم وعقيدتهم صفة الألوهية التي لا تجوز إلا لله

رب العالمين، وأوردت هذه الجمل الاعتراضية هنا لمناسبة الموقف واستغلاله وللمقارنة وللذكرى أيضاً.وقد أوردت بعض التوضيح لهذا في خُطْبَة المهديِّ في سلسلة علامات الساعة.

أعود للقول بأنه هكذا أراد الله أن يُنْقِذَ المسلمين بالتجربة والمشاهدة المباشرة من الْغُلُوِّ في شخص معلمهم ومرشدهم وقدوتهم صلى الله عليه وسلم وبالتربية الحيَّةِ لِيُخْلِصُوا العبادة لله رب العالمين.

عن رمي المؤمنين والمؤمنات بالزنا

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والحمد لله الذي بيده مقاليد السماوات والأرض وتصريف الأمور كما يشاء تصريفاً لا يخرج عن فضله وعدله ورحمته وإحسانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو أن أكون بها ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أفضل خلقه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من اهتدى بهديه وسلم تسليماً .

قال الله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ١٩، ٢٠] . إن المفهوم المباشر لهاتين الآيتين باعتبار سياقهما ونزولهما ضمن الآيات في حادثة الإفك المفهوم أن الذين يختلقون مثل هذه الاتهامات الكاذبة ويعملون على نشرها بإشاعة الفاحشة في المجتمع وَوَصْمِ المسلمين في أعراضهم وأنفسهم وأخلاقهم، ويحبون أيضاً شيوع وانتشار الفاحشة في الذين آمنوا إنهم يستحقون العقاب حقاً في الدنيا والآخرة ، إلا أن ألفاظ القرآن الكريم شاملة وعامة، فالمعنى شامل لجميع صور إشاعة الفاحشة والانحلال الخلقي،

فهي تنطبق كذلك على إنشاء دور للفاحشة والبغاء ، وما يُرَغِّبُ الناس فيها ويثير غرائزهم الدنيئة من القصص والروايات والأشعار والغناء والصور والألعاب والمسارح والسينما ونشر أفلام الفجور والفسوق في المجتمع، كما تنطبق كذلك على المجالس والنوادي والفنادق التي يعقد فيها الرقص والطرب التي يشترك فيها الرجال والنساء على صورة خليعة مختلطة ، ولم يقتصر أمر إشاعة الفاحشة على ما سبق ذكره بل تعدِّاه إلى أمور مذهلة مع وسائل التقنية الحديثة مما يُنشرُ ويُبَثُّ في الفضائيات أو الشبكة العنكبوتية من فضائح تترفع عنها البهائم عندما تمارسها مع بعضها ومنها:الجمل الذي يغار من أن يراه أحد من البشر أثناء ممارسته لغريزته الطبيعية مع الناقة، فكيف بالذين ينتمون للجنس البشري وليس لديهم أدنى غَيْرَةٍ أو حياء لتلك الممارسات التي تُنشر هنا وهناك، بل هو ينشرها ويشيعها في المجتمع بأساليب مختلفة ، وأعظمهم جُرْماً مَنْ يُنْشِئُ قنوات فضائية فضائحية تدعو للفواحش من قريب أو بعيد، ومع أنها تكلفه الملايين ويتحمل إضلال الناس وما يترتب على ذلك من عواقب سيئة إلا أن ذلك الإنفاق أحلى من العسل على نفسه ، وفي المقابل ليس له سهم في نشر الفضيلة وتعاليم الإسلام السمحة، وما ذلك إلا من الحرمان والضلال المبين الذي لم يجد من يخرجه وينقذه من تلك الأوحال وذلك الخزي والعار الذي سوف يجد جزاءه وعقابه في الآخرة إن لم يَتُبْ ويرجع إلى الله التواب الرحيم، والله يتوب على من تاب ولو ارتكب أعظم الآثام، أعود للقول بأن القرآن يصرح بأن أولئك جميعاً من الجناة سوف ينالون عقابهم في الدنيا قبل الآخرة ، فالذين يحبون شيوع الفاحشة في مجتمعات المسلمين ويروجون لها بأي وسيلة كانت لو وجدوا العقاب الرادع والوقفة الحازمة الصادقة التي تحارب الرذيلة ووسائلها المختلفة لرأينا واقعاً غير الذي تعيشه مجتمعات المسلمين اليوم حيث وصلت

إلى حال يُرثى لها، وإن لم يقم عليهم العقاب من البشر في الدنيا فإن الله سوف يذيقهم العذاب بشتى ألوانه في الدنيا قبل الآخرة . ومع ذلك فيجب على المسلم أن يبتعد عن رمي النساء الصالحات الغافلات الأغرار اللائي لا خبرة لهن بالفاحشة، وقلوبهن طاهرة وإلا فقد أَوْبَقَ نفسه وأوقعها في العذاب العظيم،كما أنه يجب على المرأة المسلمة أيضاً عن القذف بالفاحشة للرجال أو النساء ، وليس النهي عن الرمي والقذف مختصاً بالرجال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**اجتنبوا السبع الموبقات**)) ثم عدَّدهن وذكر من بينها:((**قذف المحصنات**)) وورد في الأثر: ((**قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة**)). قال الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور:٢٣-٢٥] .

فالأمر إذاً في غاية الخطورة فليتنبه كل مسلم وليحذر من الوقوع في ذلك وليتذكر دائماً هاتين الآيتين الكريمتين وغيرهما وخاصة الآية السابقة التي بدايتها:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ [النور:١٩].

وكما أشرت سابقاً فإن على المسلم أن يفرق بين حب إشاعة الفاحشة بأي أسلوب كان ونقل الأخبار الكاذبة ونقل التهم على الأبرياء وإلصاقها بهم في المنتديات والمجالس أيّاً كانت وبين الذي يراه المسلم من أشخاص يمارسون المنكر والفاحشة بحيث يرى ويشاهد الدخول والخروج على أماكن مشبوهة على نساء غير محمودات السيرة أو ركوبهن في سيارات آخر الليل أو في أي وقت مع أناس ليسوا بمحارم، ففي هذا الحال يجب على المسلم إخبار الجهات المعنية والمسؤولة لتقوم بواجبها نحو تغيير المنكر والوقوف ضد استشرائه وشيوعه في المجتمع، وفرق بين هذا وذاك بين المنكر الظاهر

ووجوب عدم السكوت عليه ، وبين الحالة الأولى الممنوعة من حيث الإشاعة والظن السيئ والاتهام وقذف ورمي المحصنين والمحصنات فالفرق واضح ولله الحمد والمنة ، ولننتبه لهذا ويقوم كل بواجبه في أي موقع كان.وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

الحجاب / 1

الخطبة الأولى **1409/6/6هـ ، 1411/5/13هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً .

أما بعد: فلقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، بعثه الله لتحقيق عبادة الله عز وجل ، وذلك بتمام الذل والخضوع له تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وتقديم ذلك على هوى النفس وشهواتها، وبعثه الله متمماً لمكارم الأخلاق داعياً إليها بكل وسيلة، فجاءت شريعته صلى الله عليه وسلم كاملة من جميع الوجوه لا تحتاج إلى مخلوق في تكميلها أو تنظيمها لأنها من لدن حكيم خبير عليم بما يصلح عباده رحيم بهم .

وإن من مكارم الأخلاق التي بُعِثَ بها رسولُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم خُلُقَ الحياءِ الذي عدَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان وشعبة من شعبه ، وإنَّ من الحياء احْتِشَامَ المرأةِ وتَخَلُّقَهَا بالأخلاق الكريمة الفاضلة التي تبعدها عن مواقع الفتن ومواضع الرِّيَبِ ، وأكبر احتشام تفعله وتتحلى به

ويصون عرضها ويحفظ لها كرامتها ويبعدها عن الفتنة هو الحجاب الشرعي وتغطية وجهها وكفيها عن الأجانب فضلاً عما هو فوق ذلك مما هو معلومٌ تحريمُ إِبْدَائِهِ وإظهارِهِ لغير المحارم .

ولقد كان الناس في هذه البلاد المباركة إلا ما ندر على الطريق الصحيح في أمر الحجاب، ونرى بوادر طيبة للأخذ بالأمر الواجب نحو النساء في أمر الحجاب ، وقد حصل جدل كثير ولا زال حول الحجاب وجواز إظهار المرأة لوجهها أمام الأجانب عنها من غير المحارم، وقالوا بأنه لا بأس بالسفور وعدم تغطية الوجه واتبعوا هوى الأنفس في ذلك أو سوء الفهم لنصوص الكتاب والسنة ، لذلك وجب إظهار الحق وإزالة الشك وذلك بإيراد الأدلة من القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليتبين وجوب احتجاب المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب عنها وتغطية وجهها ليكون المسلم على بصيرة في معرفة الأدلة الْمُوجِبَةِ لذلك ، ولِيُلْزِمَ أهلَه بالحجابِ طاعةً لله سبحانه وعبادةً له ولتفعله المرأة المؤمنة تقرباً إلى الله عز وجل وامتثالاً لأمره ولِتَنَالَ رضاه عز وجل ولِتُثَابَ على ذلك وتَحْصُلَ على الأجر من الله جَلَّ جَلالُهُ ، وليس للعادة ومجاراة الناس، فإنْ فَعَلَتْهُ عادةً فليس لها من الأجر شيء لأن الأعمال بالنيات .

قال الله تعالى:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور:٣١] .

ووجه الدلالة في هذه الآية على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب من عدة وجوه:**أولا** ً- أن الله تعالى أمر المؤمنات بحفظ فروجهن عن الزنا، والأمر بحفظ الفرج أمر بحفظ واجتناب كل الوسائل المؤدية للوقوع في الزنا من نظر واختلاط وسفور وإبداء زينة للأجانب وسماع الأغاني والصور وخضوع في القول وضرب بالأرجل ليعلم ما يخفى من الزينة.وفي الحديث((**العينان تزنيان وزناهما النظر**)) إلى أن قال: ((**والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**)).فإذا كان تغطية الوجه من وسائل حفظ الفرج كان مأموراً به، لأن الوسائل والأسباب لها أحكام المقاصد والغايات. **ثانياً**:قوله تعالى:﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور:٣١]. إذا كانت المرأة مأمورة بأن تضرب الخمار على جيبها - والخمار ما تخمر به المرأة رأسها وتغطيه به - فإنها مأمورةٌ بِسَتْرِ وَجْهِهَا. لأنه إذا وجب سَتْرُ النَّحْرِ والصدر والرأس كان وجوب ستر الوجه من باب أولى لأنه موضع الجمال والفتنة ، والناس الذين يطلبون جمال الصورة لا يسألون إلا عن الوجه وأوصاف ما فيه من حواس وجمال ، فإذا كان الوجه جميلاً لم ينظروا إلى ما سواه نظراً ذا أهمية ، ولو نظر أيُّ إنسانٍ إلى امرأة فَجْأَةً أو نَظَرَ تَأَمُّلٍ فإن أول ما يقع عليه نظرُه هو وَجْهُ المرأة ، ومنه يعرف جمالَهَا أو دَمَامَتَهَا ولا يقع نظره لأول وهلة على رِجْلَيْهَا .

ثالثاً:لقد نَهَى الله تعالى عن إبداء الزينة مطلقاً إلا ما ظهر منها وهي التي لابد من أن تظهر كظاهر الثياب ، أو ظَهَرَتْ من المرأة بدون قَصْدٍ وَتَعَمُّدٍ منها، ولذلك قال تعالى:﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ ولم يقل سبحانه وتعالى إلا ما أَظْهَرْنَ منها، فالفرق بين أن تُظْهِرَ المرأةُ الزينةَ بنفسها غير أن تَظْهَرَ الزينةُ عن غير عمد إمَّا لِرِيحٍ بَسَبَبِهَا ظَهَرَتِ الزِّينَةُ بإسقاطِ ما على المرأة من لباس وحجاب،وإما أن تظهر من غير عمد ولا قصد، فأهل اللغة والفهم الصحيح يعرفون الفرق بين ظَهَرَ منها وأَظْهَرَتْهُ هي بنفسها بِطَوْعِهَا واختيارها،وهذا

وجه خلاف لم يَفْقَهْهُ مَنْ مَالَ به الهوى ويريد أن تَكْشِفَ المرأةُ وَجْهَهَا وأخذ الشبهة وسعى بها ليفسد في الأرض وضرب بالآيات الباقية والأحاديث الصحيحة الدالة على وجوب الحجاب على المرأة المسلمة عرض الحائط.

وقِيلَ بأن النهي عن الزينة الأولى غير الزينة الثانية، فالأولى هي زينة الظاهر سواء في الملابس الخارجية التي تستر بها جسمها وعليها أن تسترها بالعباءة أو ما تتجمل به من ذهب وغيره أو الوجه والكفين إذا ظهرت من ريح وخلافها من غير تعمد لإظهارها ، ولو كانت هي الزينة نفسها في الموضعين فإنما هي للتأكيد ولمعرفة الفرق في الحالتين ، ولا تعارض بينهما أبداً لمن يفهم اللغة العربية الفهم الصحيح كما سبقت الإشارة إليه بأن الفرق واضح بين ظَهَرَ وَأَظْهَرَ ، فلو أن شخصاً لديه شاة وأخرجها هو وأظهرها من مكانها، أو خرجت هي بنفسها وظهرت من مكانها فإن التعبير يختلف في الحالتين ، والمعنى يختلف أيضاً لأنه يلزم اشتراك شخص أو أي شيء عندما أَظْهَرَ بخلاف ظَهَرَ الشيء بنفسه ومن نفسه ، ويتضح هذا المعنى جليّاً في التعبير بقولنا: خَرَجَ أَوْ أَخْرَجَ ، أعود للقول بأن الظهور حصل في كلتيهما ولو كانت الزينة الأولى والثانية واحدة لاسْتَوَى في ذلك المحارمُ وغيرُ المحارم لمن قال بالاختلاف في الموضعين ، مع أن الراجح في التكرار هو لوجود الجملة الاعتراضية التي تؤكد إسدال الخمار من فوق الرأس فجاء بعدها التفصيل في ذكر المحارم ليتضح لمن تبدي المرأة زينتها، ولو أن الزوج والأب والأخ والابن وغيرهم من المحارم ينظرون إلى الوجه والكفين من المرأة وكذلك الأجنبي على حد سواء ، لما كان لذكر المحارم فائدة في الآية نفسها من سورة النور، وكذلك الآية الأخرى من سورة الأحزاب التي جاء فيها انتفاء الجناح والإثم عن النساء المسلمات في من ذُكِر في الآية المحكمة من كتاب الله عز وجل ، قال الله تعالى:((**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ**

فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾)) [النور:31] وقال عز شأنه وتعالى سلطانه :﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأحزاب:55] فلو أن هؤلاء المحارم للمرأة الذين ذكروا في هاتين الآيتين يستوون مع غيرهم في النظر إلى وجه المرأة وكفيها وزينتها الظاهرة لما تم استثناؤهم ولما كان في الاستثناء فائدة تذكر ، ولو أن لهم حدوداً أخرى يمكن تجاوزها والنظر إليها من المرأة غير ذلك لَتَمَّ ذكرُها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، علماً بأن هذه الآية في سورة الأحزاب جاءت بعد آية الاستئذان في الدخول وأدب الطعام والجلوس في بيوت النبي محمد صلى الله عليه وسلم،كما هو الحال أيضاً في آيات سورة النور ، ومن ضمن الأوامر والنواهي الواردة في الآيات:الأمر بالسؤال والطلب لأي شيء من وراء حجاب ،كما قال تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾[الأحزاب:53]. ثم أعقبها سبحانه بعد عدة آيات بالأمر الذي يقتضي وجوب الحجاب والذي لا إشْكَالَ فيه ولا مِرَاء ، وجوب الحجاب على نساء المؤمنين كما هو واجب على أزواج وبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم، الوجوب المأخوذ من هذا النص القرآني الواضح وضوح الشمس في رابعة النهار، هذا الدليل القطعي الدلالة في هذه الآية لو أُخِذَ مع الآيتين بعدها لكان كافياً في وجوب ستر وجه

المرأة المسلمة عن غير محارمها، وإذا انْضَمَّ إلى هذه الآياتِ الآياتُ التي سبقتها من سورة الأحزاب فإن الأمر سوف يتضح تماماً، وإذا أُضِيفَ إليها الأدلة الأخرى من القرآن الكريم ومن صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يبقى أي إشكال لدى أي مسلم حول وجوب الحجاب على المرأة المسلمة عن الرجال من غير محارمها، وليتأمل كل مسلم الآيات والأحاديث الوردة في ذلك قال تعالى:﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ** ﴾[الأحزاب:59]. **رابعاً**:رخص الله تعالى للمرأة بإبداء زينتها للتابعين غير أولي الإربة من الرجال وهم الخدم الذين لا شهوة لهم البتة، وللأطفال الذين لم يَبْلُغُوا الشَّهْوَةَ ولم يَطَّلِعُوا على عورات النساء ولا يعرفون وصف المرأة ، فهؤلاء الأجانب الذين استثناهم الله عز وجل بشروطهم يحل للمرأة أن تكشف وجهها لهم وما عداهم فلا، أما السائق والخادم والعامل وغيرهم من الموجودين في البيوت الآن فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تكشف وجهها وكفيها لهم فضلاً عن أكثر من ذلك من جسمها كما هو واقع ومنتشر في بعض بلاد المسلمين .

خامساً: إذا كانت المرأة منهية عن الضرب برجلها على الأرض لئلا يعلم أحد بما تخفيه من الخلاخل ونحوها مما تتحلى به لزوجها خوفاً من افتتان الرجال بها وما يُسْمَعُ من صوت خَلْخَالِهَا ونحوه إذا كانت منهية عن ذلك فكيف بكشف الوجه ؟ وأي شيء أعظم فتنة أن يسمع الرجل خلخالاً في قدم امرأة لا يدري أَشَابَّةٌ هي أَمْ عَجُوزٌ ؟ أجميلة هي أم دميمة؟ فأي شيء أعظم فتنة النظر إلى وجه سافرٍ جميلٍ مُمْتَلِئٍ شباباً ونضارةً وحسناً وتجملاً؟ أم النظر إلى قدم امرأة ؟ فَأَيُّهما أحقُّ بالسَّتْرِ والإخْفَاءِ الوجهُ والْكَفَّانِ أَمِ

الْقَدَمَانِ والزِّينَةُ التي عليها وهي مَنْهِيَّةٌ عن إظهارها ؟ قال تعالى:﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[النور:٣١]، فالكعب العالي وما يقوم مقامه من الأحذية التي تَدُقُّ به المرأةُ الأرضَ خاصة على البلاط لِيُعْلَمَ مَشْيُهَا وَلَفْتُ الانتباهِ إليها مَنْهِيٌّ عنه أيضاً. **سادساً**: تعقيب من الله تعالى في نهاية الآية الكريمة لمن كان في صدر الإسلام وإلى أن تقوم الساعة ينطبق عليهم جميعاً سواء امرأة لم تعرف الحجاب مِنْ قَبْلُ أَوْ رجل لم يعرف الحكم ولم يُلْزِمْ أَهْلَهُ ومن تحت يديه من النساء بذلك ، التعقيب بالأمر بالتوبة مما هو مخالف لذلك الأمر في بداية الآية، ومما هو معلوم أن الأمر يقتضي الوجوب ، والنهي في بداية هذه الآية وفي غيرها يقتضي التحريم المخالف لذلك ، وهذا عام في كل أمور الشريعة، ولنستمع إلى قوله تعالى:﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور:٣١]. ولا يَحْتَجَّ أحد بقوله لم تفعله زوجتي وابنتي فيما سلف ، أو تحتج امرأة بأنها كانت سافرة ولم يعد الحجاب صالحاً بعد أن رآها الناس ،كلا ؟ فالأمر من الله بالتوبة يقتضي وجوب التوبة والإقلاع عما سلف لينال الفلاح كل مؤمن ومؤمنة ، والأمر بتحجب النساء عن الرجال الأجانب لم ينزل القرآن به في مكة المكرمة مع أن المؤمنين والمؤمنات جلسوا فيها ثلاث عشرة سنة لا تحتجب النساء عن الرجال وكذلك الحال في المدينة لم تنزل فرضيةُ الحجاب إلا في السنة السادسة من الهجرة أي قرابة تسع عشرة سنة بعد البعثة النبوية ، ومع هذا فلم تقل امرأة مؤمنة بأن الرجال كانوا يرونني قبل ذلك فلن أتحجب عنهم، ولم يقل مؤمن أن فلانة لم تكن متحجبة من قبل فلن أتزوجها لأن الرجال قد رأوها، بل الكل خاضع لله وحده مطيع لأمر ربه ومنيب إليه، ويتوب الله على من تاب . ولَفْتَةٌ يسترشد بها أهل العقول والفطر السليمة ليعلموا وجوب وفرضية الحجاب

على النساء المؤمنات . فالآية المذكورة هي في سورة النور مع أن وجوب الحجاب يؤخذ من الآية نفسها ابتداءً من قول الله عز وجل:((وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ إلى نهاية الآية في قوله تعالى :﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[النور:٣١].

مع أن الأمر الذي يقتضي الوجوب يؤخذ من هذه الآية من أول كلمة فيها وآخر جملة والآية جميعها عندما يتدبرها من يريد الشرع المطهر ومع هذا فهناك أمر بفرضية الحجاب وغيره من الأحكام في بداية السورة ، وكذلك في نهاية السورة نَهْيٌ من الله عز وجل بعدم مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وإلا فإن العقاب ينتظر من يخالف أمره في الدنيا والآخرة ، ولنستمع إلى قول الله عز وجل في بداية السورة،قال الله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النور:١]. فالكلام بلغة عربية واضحة حيث قال الله تعالى:((وَفَرَضۡنَٰهَا)) بعد قوله سورة أنزلناها ولم يقل آية أو آيات منها ثم عقب سبحانه بقول :((وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ)). أي آيات واضحات لا لبس فيها ولا غموض((لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ)).

ثم لنعلم وجوب دليل الاتباع للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفة أمره سواء في هذه الأحكام في هذه السورة أو في غيرها، قال الله تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣]. فكانت هذه الآية في نهاية السورة وتلك في أول آية من السورة التي ذُكِرَ فيها الحجاب وغيره من أحكام تجدر العناية بها من قبل كل مؤمن ومؤمنة .

وتنبيه لطيف إلى سياق آية الحجاب عن غير المحارم حيث جاءت تلك الآية بعد أن ذكر الله حد الزاني والزانية وعن اللعان وحادثة الإفك وعقوبة رمي المحصنات الغافلات المؤمنات في الدنيا والآخرة وعن حكم دخول بيوت الغير ، ثم عقب سبحانه بما يحفظ للمؤمنين أنسابهم وأعراضهم وعدم وقوعهم في الفواحش أو القرب منها ، وبعد آية فَرْضِ الحجاب على المسلمات جاء الأمر بتزويج الصالحين من العباد والإماء والاستعفاف ممن لا يستطيع النكاح حتى الغنى وأعقب ذلك عز وجل بقوله تبارك وتعالى في منتصف السورة:﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[النور:٣٤].

الحجاب / 1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أحمده تعالى وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:فإن إيراد الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الحجاب يحتاج إلى خطب عديدة لتوضيح الغامض وليعرف ذلك كل مؤمن ، لكني أقتصر إن شاء الله تعالى على خطبة قادمة أكمل فيها إيراد الأدلة ، أما الآن فمع الدليل الثاني من القرآن الكريم وهو قول الله عز وجل:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الأحزاب:٥٩]. عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت:لما نزلت هذه الآية خرج نساء الأنصار كأنَّ على

رؤوسهن الْغِرْبَان من السكينة وعليهن أَكْسِيَةٌ سُودٌ يَلْبَسْنَهَا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره لهذه الآية:أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلاليب ويبدين عيناً واحدة ، وقوله رضي الله عنه: ويبدين عيناً واحدة إنما رخص في ذلك لأجل الضرورة والحاجة إلى نظر الطريق عند المشي لِثِقَلِ الجلباب وسَمَاكَتِهِ ، أما إذا لم تكن حاجة فلا مُوجِبَ لإظهار العين الواحدة فضلاً عن العينين ، وما هذه البراقع المنتشرة بين النساء بالحجاب المأمور به ، بل هي الفتنة والداء العضال حيث تَفْتِنُ المرأةُ الرجالَ بإظهار وَجْنَتَيْهَا وَحَاجِبَيْهَا وعينيها وجزء من أنفها ووجهها، فالبراقع الحالية لا يجوز للمرأة المسلمة استعمالها لأنها الفتنة بعينها، والتي تستعملها ليست متحجبة ، بل هي متبرجة لأن البراقع بحالتها الراهنة حجاب المتبرجات الآن ، والفرق بين الثقب في الحجاب لإظهار عين واحدة لترى المرأة الطريق من سماكة الحجاب غير البراقع الفاتنة التي تَعَدَّتْ حَدَقَاتِ العينين وليس العين الواحدة ، فليتنبه المسلمون للتوسع الحاصل في أمر البراقع التي فَتَنَتِ الرجالَ، وَفَتَنَتِ النساءَ أيضاً حيثُ التَّفَنُّنُ في أشكالها وأنواعها وطرق لبسها وغير ذلك .

والجلباب:هو الرداء فوق الخمار ، ولنتأمل قول الله عز وجل حين صدّر الخطاب والأمر بالنداء للرسول صلى الله عليه وسلم وأعقبه بفعل الأمر الذي يقتضي الوجوب ، ثم ذكر عز وجل النساء المأمورات بذلك بدءاً بأزواجه عليه الصلاة والسلام وبناته ثم نساء المؤمنين وليس نساء الكافرين لتتضح الحقيقة وتتجلى لمن كان لديه أدنى شك حول وجوب الحجاب على النساء المؤمنات،قال تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب:٥٩]. أَقَلُّ أَمْرٍ وأدناه من وراء الحجاب عدمُ معرفة الأشرار من

المنافقين وغيرهم في كل زمان ومكان لئلا تُؤْذَى المرأةُ المسلمةُ ، وما أجمله من تعقيب كالسابق في سورة النور، فالله يعلم من المرأة فيما سبق أنها غير متحجبة فلا تحتجّ هي أو يُحتجّ عليها بأنها لم تكن تلبسه من الصغر ، فالله هو الغفور الرحيم سبحانه حيث قال تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٩] .وما أجمل سياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها فلنتدبره لنعلم حال المنافقين المغرضين الذين في قلوبهم مرض من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة حول حجاب المرأة المسلمة . فالآية التي قبل آية الحجاب هي قول الله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[الأحزاب:٥٨]. أما الآيات بعدها فهي قول الله عز وجل:﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الأحزاب:٦٠-٦٢] . والآيات التي قبلها وسبق الإشارة إليها وفيها قول الله عز وجل:((وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾))[الأحزاب:٥٣]، وقوله تبارك وتعالى:﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾[الأحزاب:٥٥] .

فلتنظر ولتتأمل كل مسلمة هذه الجملة الأخيرة :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾.وإلى الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى لإيراد بعض الأدلة الواردة حول وجوب الحجاب على المرأة المسلمة .

تكملة عن الحجاب / 2

الخطبة الأولى **1409/7/4هـ ، 1411/5/20هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فقد سبق الكلام في الخطبة السابقة عن وجوب الحجاب على المرأة المسلمة وأوردت دليلين فقط من القرآن الكريم وهما أعظم الأدلة وأوضحها لمن أراد العلم والعمل وأعيدهما أيضاً لإتمام الفائدة وهما قول الله عز وجل في سورة النور:﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣١].

وفي سورة الأحزاب قول الله عز وجل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الأحزاب:٥٩]، وكفى بهذين الدليلين إقناعاً لمن أراد الامتثال والطاعة لله ولرسوله ، ومع هذا فأورد ما تيسر من الأدلة أيضاً.

الدليل الثالث:قول الله عز وجل:﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ ﴾ [الأحزاب:٥٣]، فهذه الآية نص

واضح في وجوب تحَجُّبِ النساء عن الرجال وتَسَتُّرِهِنَّ منهم ، والحجاب هنا أعم وأشمل من غطاء الوجه والكفين ، فالسؤال يكون من وراء ساتر ومانع من جدار أو باب أو حجاب أو ما تتغطى به المرأة وتستتر وتمنع الرجال من رؤيتها بأي حاجب وساتر، وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أنَّ التَّحَجُّبَ أطْهَرُ لقلوب الرجال والنساء وأَبْعَدُ عن الفاحشة وأسبابها، وفي هذا إشارة إلى أن السفور وعدم التحجب خبث ونجاسة وأن التحجب طهارة وسلامة .

الدليل الرابع: قوله تعالى:﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ ﴾[النور:٦٠]. يخبر سبحانه أن القواعد من النساء وهن العجائز اللاتي لا يرغبن في الزواج أنه لا جناح عليهن أنْ يَضَعْنَ ما يَلْبَسْنَهُ ويُغَطِّينَ به وُجُوهَهُنَّ وَأَيْدِيَهُنَّ إنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ، فَعُلِمَ بذلك أن المتبرجة بالزينة ليس لها أن تضع ما يَسْتُرُ وجهها ويديها وغير ذلك من زينتها، وأن عليها جناحاً في ذلك ولو كانت عجوزاً لأن لكل ساقطة في الحي لاقطة، ولأن التبرج يُفْضِي إلى الافتتان بالمتبرجة ولو كانت عجوزاً كبيرة في السِّنِّ ، فكيف يكون الحال بالشَّابَّة والجميلة إذا تبرجت؟لا شك أن إثمها أعظم، والجناح عليها أشد ، والفتنة بها أكبر ، وَشَرَطَ سبحانه في حق العجوز ألا تكون ممن يرجو النكاح . أي لا ترغب في الزواج ولا تريده . وما ذاك والله أعلم إلا لأن رجاءها النكاح يدعوها إلى التجمل والتبرج بالزينة طمعاً في الأزواج فَنُهِيَتْ عن وضع ثيابها عن محاسنها صيانةً لها ولغيرها من الفتنة ،ثم ختم الآية سبحانه بترغيب القواعد في الاستعفاف، وأوضح عز وجل بأنه خير لهن وإن لم يتبرجن، فظهر بذلك فضل التحجب والتستر بالثياب ولو من العجائز وأنه خير لهن من إبعاد وإلقاء الثياب الساترة لتلك

الزينة لئلا تراها أَعْيُنُ الرجال ، فوجب أن يكون التحجب والاستعفاف عن إظهار الزينة خيراً للشابات من باب أولى وأبعد لهن عن أسباب الفتنة.
وتنبيه لطيف يجدر بنا إيضاحه عندما نهى الله عز وجل المؤمنات عن إبداء الزينة من المرأة ، ومعلوم أن الزينة من ذهب وفضة وجواهر ثمينة وكحل وحناء وغيرها من الأصباغ إنما تتجمل بها المرأة وتضعها على وجهها ويديها لِتَجْذُبَ بها الرجال إليها من زوج وغيره ، فإذا نُهِيَتْ عن إبداء الزينة وأُمِرَتْ بِسَتْرِهَا وإخفائِهَا فلا يكون سترهَا إلا بستر الوجه والكفين ، وهذه نقطة مهمة يجب التنبه لها وإدراكها ليتضح كثير من الملابسات.

الدليل الخامس: قول الله عز وجل:﴿ **لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾** ﴾[الأحزاب:٥٥].
قال ابن كثير رحمه الله:لما أمر الله النساء بالحجاب عن الأجانب بَيَّنَ سبحانه أنَّ هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب عنهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى:﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ** . ﴾ الآية [النور:٣١] فَبَيَّنَ تعالى أن المرأة المسلمة لا جناح ولا إثم عليها في هؤلاء الأصناف من الأقارب في أنْ تُبْدِيَ وجهها وكفيها وزينتها الظاهرة لهم، وكذلك لعمّها أخِي أَبِيها، ولخالها أَخِي أُمِّها ، ولِزَوْجِ الأمّ قَبْلَ أبيها أو بعده من السُّنَّةِ المطهرة ومن القرآن الكريم في سورة النساء عند ذِكْرِ المحرمات على الرجال ، أما من عداهم من الرجال فالآيات صريحة في ذلك حيث تكرر هؤلاء الأصناف في سورة النور وسورة الأحزاب فالإثم واقع على المرأة المسلمة لا محالة إن هي أبدت وجهها وكفيها وزينتها الظاهرة لهم وإن كان لأخي الزوج أو أبناء عمه أو الأرحام والأصهار فيما جرت به العادة عند كثير من المسلمين حيث تكشف المرأة وتظهر سافرة أمامهم:فهذا لا يجوز

فِعْلُهُ أبداً ، فَالْحَمْوُ هو الموت كما ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**إياكم والدخول على النساء**)).فقال رجل من الأنصار يا رسول الله : أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ ؟ قال:((**الحموُ الموتُ**)).البخاري ومسلم. ثم لنتأمل التعقيب الإلهي بعد ذكر من يجوز للمرأة أن تكشف لهم عن وجهها وكفيها لئلا تسول لها نفسها الأمارة بالسوء وكذلك شياطين الإنس والجن عند غياب زوجها عنها أو من يأمرها بالحجاب فعند غياب الآمِرِ لها بالحجاب قد يدخل عليها الْحَمْوُ أو ابْنُ الْعَمِّ أو ابنُ الْخَالِ أو الصِّهْرُ أو غيرُهم من القرابة بحضرة الأم أو الأخت أو قد يكون أحد أقربائها الرجال ويقولون لها: اكْشِفِي عن وجهك لا شيء في ذلك ، إن زوجك غائب أو أباك غير موجود أو من يأمرها بالحجاب ، وتنخدع بكلامهم ويقع الجميع في الإثم وفي سخط الله عز وجل ، وقد يَجُرُّ ذلك إلى وقوع الفاحشة بعد مدة سواء طال الزمن أو قَصُرَ ، ولنستمع إلى التعقيب الإلهي من الله عالم الغيب والشهادة الذي:﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾[غافر:١٩] حيث قال سبحانه:﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾[الأحزاب:٥٥] فعلى المؤمنات أن يتقين الله تعالى ولا يبدين زينتهن إلا لمن رخص لهن الله تعالى فيهم، وما عداهم فإن الله سَيُحَاسِبُهُنَّ عليهم فهو على كل شيء شهيد مهما اخْتَفَيْنَ عن أعين الناس من أولياء أمورهن الذين لا يرضون ذلك ومهما تَسَتَّرْنَ أو دَلَّسَ عليهن مُدَلِّسٌ أو مدلسة من أهل القلوب المريضة فإن الله تعالى بالمرصاد، فعلى كل مؤمنة بالله أن تحتجب عن كل أجنبي يجوز له الزواج منها سواء كان قريباً أو بعيداً ، وعلى كل مؤمن ولي أمر امرأة مؤمنة أنْ يُلْزِمَهَا الحجاب الشرعي ويُعَوِّدَهَا عليه من سِنٍّ مبكرة حتى تعتاده وتلتزم به .

تلك هي أدلة القرآن الكريم ، أما السنة المطهرة فمنها ما يلي: **1**- أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رَغَّبَ في إخراج النساء حتى الحائض إلى مصلى العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين ، قُلْنَ: يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((**لِتُلْبِسها أختُها من جِلْبَابِهَا**)).رواه البخاري ومسلم وغيرهما. فهذا الحديث يدل على أن المعتاد عند نساء الصحابة ألاَّ تخرج المرأة إلا بجلباب ، وعند عدمه لا يمكن أن تخرج بغير جلباب إلى مصلى العيد أو غيره ، وقد سبق تعريف الجلباب. **2**- قوله صلى الله عليه وسلم:((**إذا خَطَبَ أحدُكم امرأةً فلا جناح عليه أن ينظر منها . إذا كان إنما ينظر إليها لِخِطْبَةٍ . وإن كانت لا تعلم**)). فنفي النبي صلى الله عليه وسلم الجناح وهو الإثم عن الخاطب خاصة إذا نظر إلى مخطوبته بشرط أن يكون نظرُه إليها لِلْخِطْبَةِ ، وفيه الدلالة على أن غَيْرَ الخاطب آثِمٌ بالنظر إلى الأجنبية عنه والتي يجوز له زواجُها، وكذلك الخاطب يَأْثَمُ إذا نظر لغير الْخِطْبَةِ كالتلذذ والتمتع بالنظر إليها. ومعلوم أن النظر إلى الوجه هو الأساس وما سواه تَبَعٌ ولا يُقْصَدُ غالباً، وقد وردت عدة أحاديث في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات مُتَلَفِّعَاتٍ بِمُرُوطِهِنَّ ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الْغَلَسِ ،وقالت: لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء ما رأينا لمنعهن من المساجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها. 4- وورد أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قَوْلُهَا:((**رحم الله نساء الأنصار لما نزلت آيات الحجاب في الليل شَهِدْنَ صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم وَكَأَنَّ على رؤوسهن الْغِرْبَان**)) وهذا دليل على سرعة الامتثال لأمر الله وأمر رسوله وأن الحجاب لم يُفْرَضْ عليهن في مكة وإنما كان في

المدينة في السنة السادسة من الهجرة كما ثبت في السنة. **5**- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**مَنْ جَرَّ ثوبَه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**)) فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف تصنع النساء بِذيُولِهِنَّ ؟قال:((**يُرْخِينَهُ شِبْرًا**)) قالت:إذاً تنكشف أقدامُهنَّ ،قال:((**يُرْخِين ذِرَاعاً ولا يَزِدْنَ عليه**)).ففي هذا الحديث دليل على وجوب سَتْرِ قَدَمِ المرأة، ومعلومٌ أنَّ الْقَدَمَ أَقَلُّ فتنةً من الوجه والكفين ، فالتنبيه بالأدنى تنبيه على ما فوقه وما هو أولى منه بالحكم. فدل ذلك على وجوب ستر الوجه والكفين .**6**- ثبت في الصحيحين وغيرهما أن المرأة المحرمة بحج أو عمرة تُنْهَى عن لبْسِ النِّقَابِ والْقُفَّازَيْنِ ،فالنقاب:هو الغطاء الْمُخَرَّقُ منه للعينين وتضعه المرأة على وجهها، والقفاز:ما تلبسه المرأة على كفيها لتستر به كفيها عن الأجانب ، وهذا دليل على أن لبْسَ القفاز للنساء كان معروفاً من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس مُبْتَدعاً الآن كما يعتقده بعض الناس ويتكلم فيه قَلِيلُو الفقه في الدين ومرضى القلوب من المنافقين بل إن ذلك مَعْمُولٌ به في الزمن الأول منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

تكملة عن الحجاب / 2

الخطبة الثانية

الحمد له حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه أحمده سبحانه وبحمده وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد:فالدليل السابع من السنة ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:((**كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع الرسول صلى الله عليه وسلم فإذا حاذونا سَدَلَتْ إحدانا جِلْبَابَهَا على وجهها من رأسها ، فإذا جاوزونا**

كشفناه)).فقولها رضي الله عنها:((**سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها**)) هذا توضيح لما يتمسك به مرضى القلوب والمشككون في وجوب الحجاب على المرأة المسلمة ،توضيح لا إشكال فيه بأن الجلباب المقصود به غطاء الوجه الذي تسدله المرأة من فوق رأسها وتضعه على وجهها وهو دليل على وجوب ستر الوجه حتى ولو في الإحرام ، لأن المشروع بل الواجب في الإحرام كشف الوجه بالنسبة للمرأة ما لم تكن بحضرة أجانب عنها، فلولا وجود مانع قوي من كشفه حينئذٍ لوجب بقاؤه مكشوفاً حتى ولو مرَّ بهم الركبان ، فمع أن كشف الوجه في الإحرام واجب على النساء عند أكثر أهل العلم إلا أن الواجب لا يعارضه إلا ما هو أوجب منه ، فلولا وجوب الاحتجاب وتغطية الوجه عن الأجانب وكان أعظم وجوباً ما سَاغَ تَرْكُ الواجب الآخر وهو كشفه حال الإحرام . فهذا دليل قاطع إلى جانب الأدلة السابقة واللاحقة .

8- ثم يأتي دليل آخر من عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في حديث الإفك حينما روت قصة ذلك بنفسها في عدة روايات عنها في الصحيحين وغيرهما بألفاظ في غاية الوضوح والدلالة القطعية على أن الحجاب المقصود هو: تغطية المرأة لوجهها لئلا يراها الرجال من غير محارمها، قالت رضي الله عنها عن صفوان بن المعطل:((**فعرفني حين رآني ، وكان قد رآني قبل الحجاب ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ ، فَخَمَّرْتُ وجهي بجلبابي**)) وفي رواية أخرى:((**فعرفني حين رآني ، وكان قد رآني قبل أَنْ يُفْرَضَ علينا الحجابُ**)) وفي رواية:((**قبل أن يُضْرَبَ علينا الحجاب**)). فقولها رضي الله عنها قبل أن يفرض علينا الحجاب وتخميرها لوجهها بجلبابها دليل على أن تغطية الوجه في بداية الإسلام لم تكن واجبة إنما كان الوجوب بعد نزول آيات الحجاب ، ودليل قاطع لمواجهة مرضى القلوب من الفاسقين والمنافقين المشككين في وجوب تغطية

وجه المرأة عن الأجانب عنها ولا يستطيعون الْقَدْحَ فيه وفي عِبَارَاتِه وجُمَلِهِ السابقة التي منها:((**فعرفني حين رآني وكان قد رآني قبل الحجاب**)) ((**فَخَمَّرْتُ وجهي بجلبابي**)) ((**وكان قد رآني قبل أن يُفْرَضَ علينا الحجابُ**)) ((**قبل أن يُضْرَبَ علينا الحجاب**))، وغيرها مما يُلْقِمُ الفاسقَ والمنافقَ الحجَارةَ في فَمِهِ حتى تُسْكِتَهُ ، ذلك الشخص الذي في قلبه زيغ ويتبع المتشابه مما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة كما ذكر الله ذلك عنهم في الآية التالي ذكرها، وهاهم دعاة الضلالة ممن ينتسب للإسلام يريدون أن تخلع المرأة المسلمة حجابها وتقود السيارة وتختلط بالرجال وتزاحمهم في العمل وأماكن تجمعاتهم ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ [آل عمران:٧، ٨]. – دليل آخر روته أيضاً السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت (خرجت سودة بنت زمعة بعد ما ضُرِبَ الحجابُ لحاجتها ... إلى آخر الحديث الطويل) فالشاهد قولها رضي الله عنها (بعد ما ضُرِبَ الحجابُ) أي أن الحجاب لم يكن مأموراً به في بداية الإسلام وإنما جاء الأمر من الله عز وجل فيما بعد ولم يفرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند نفسه بل كان التشريع من الله تعالى ، مع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من شدة غَيْرَتِهِ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يدخل عليك البَرُّ والفَاجِرُ ، أَلاَ تَأْمُر نساءَكَ بالحجاب؟ فلم يُجِبْهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك ، لأن التشريع من عند الله تعالى وليس من عنده

صلى الله عليه وسلم فنزلت آيات الحجاب بعد ذلك، وكانت تلك من موافقاته لأمر ربه التي رويت عنه رضي الله عنه.

فيا أيها المؤمنون: إن الأدلة كثيرة ولا يتسع المقام لذكرها وتفصيلها بل الإجمال فيها كان أقرب فيما ذُكِرَ فقط ، فمن أراد الامتثال لأمر الله ورسوله فيكفيه دليل واحد من القرآن أو السنة ، وعليه أن يلزم أهله ومن تحت يده من النساء بالحجاب الشرعي وليكن غيوراً عليهم ، ويخبرهن ويفهمهن بأن ذلك أمر الله وأمر رسوله ، ويبتغين به وجه الله ليكون لهن الأجر العظيم من الله جل جلاله ، وأنْ يَقْبَلْنَ ذلك عن رِضَى وقناعةٍ وحُبٍّ لله ورسوله لا أن يعملن به عن كراهية وبُغْضٍ أو عن عادة يُسَايِرْنَ فيه غيرهن ، فمتى كان عن كراهية وبغض ولو عَمِلْنَ به فإن ذلك من نواقض الإسلام، ومثلهن في ذلك من يُرَبِّي لِحْيَتَهُ وهو كَارِهٌ ومبغضٌ لعمله ذلك ، فمع أنه عَمِلَ بالواجب لكن الكراهة والبغض في قلبه تحبط عمله ويصبح منافقاً لأنه لم يفعلها طاعة لله ورسوله وحباً وتقرباً وعبادة لله تعالى ، وأعظم من ذلك وأشد جرماً من يربي لحيته للتدليس والتستر لفعل الجرائم والموبقات مع أنه قد لا يصلي ، أو يصلي ويفعل ذلك لإيهَامِ الناس والتَّغْرِيرِ بهم أو الاصطياد في الماء الْعَكِرِ أو لقضاء حاجات بلحيته تلك صغرت أو كبرت ، فإذا خفي مقصده عن البشر فلا يخفى على الله الذي يعلم السر وأخفى .

فعلى كل مسلم أن يلزم أهله بالحجاب الشرعي طاعة وعبادة لله ليحوزوا جميعاً على الأجر العظيم من الله جل وعلا لأن الدال على الخير والداعي إلى الهدى له من الأجر كأجور من عمل به. فمتى كان العمل كذلك تظهر آثاره الطيبة في المجتمع وفي الأسر، ومتى كان العكس فالشر والوبال على أصحابه أولاً ثم يسري ذلك على المجتمع عياذاً بالله من كل سوء. وأعود للتذكير بالآيات القرآنية السابق ذكرها في الجمعتين وآيات أخرى لها ارتباط

بها ففيها الشفاء بإذن الله عز وجل وهي طابع وخاتم جميل بليغ في نهاية كل خطبة ، وإذا تُلِيَتْ في صلاة الجمعة بعد الخطبة المناسبة كانت أبلغ وأشد تأثيراً في المستمعين، وأتمنى أن يَتْلُوَ كلُّ مسلم سورتي النور والأحزاب من البداية حتى النهاية ويربط بين الآيات وبين أول السورة وآخرها ويتأمل كل ما ورد فيهما من أحكام وعبر وعظات بعد قراءة التفسير لها، علماً بأن هذه السلسلة من الخطب عن حادثة الإفك وقذف المؤمنات بالفاحشة والحجاب وزواج زينب بنت جحش رضي الله عنها وإبطال عادة التبني كلها من هاتين السورتين قال الله جل جلاله:((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾))[النور:30، 31].وقال تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ
ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل
لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ
فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾
مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن
قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾)).[الأحزاب:53 ـ62]وقال تعالى: ((يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ
مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ
ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم
بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ
ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ
نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍۖ وَأَن
يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم
مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًاۚ فَإِذَا
دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾)).[النور:58 ـ61].

فتنة النساء

الخطبة الأولى 1411/5/27هـ

الحمد لله عالم السر وأخفى﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ ﴾.[الأعلى:٢-٣]. ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝ ﴾.[طه:٥٠]. أحمده عز وجل وأشكره وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ما ترك خيراً إلا دلّ الأمة عليه ولا شراً إلا حذرها منه ، ومن أعظم الفتن التي حذر الرجالَ منها:فِتْنَةُ النساء عموماً، لقد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده وتركنا على المحجَّةِ البيضاء ليلُها كنهارِها لا يَزِيغُ عنها إلا هَالِكٌ ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:فلقد كان الكلام في الخطبتين السابقتين عن حجاب المرأة المسلمة وأوردت الأدلة من كتاب الله الكريم ومن سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليعلم كل مسلم وجوب احتجاب المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب عنها وعدم جواز كشف وجهها للرجال من غير محارمها فضلاً عما فوق ذلك مثل الرأس والنحر والشعر والساقين والذراعين وما فوق ذلك أيضاً من العورات الْمُغَلَّظَةِ ، وسببُ الحديث عن ذلك هو ما نراه ونشاهده ونسمعه ونعيشه واقعاً محزناً ومؤلماً من حال المسلمين اليوم في المجتمعات الإسلامية عموماً حين قَلَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وَكَثُرَ دعاةُ الضلالة والرذيلة وأصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً، والتبس على بعض المسلمين الذين يَتَلَقَّوْنَ الدين عادة حسب ما يرونه في المجتمع ، ولما للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله عموماً من أهمية في حياة المجتمع المسلم لأنها أهم دعاماته وركائزه المهمة والتي بوجودها يعيش المجتمع في خير

وسعادة ، وبفقدانها يعيش المسلمون حالة التعاسة والشقاء ، ولأن هذه الحياة هي سفينة النجاة التي نعيش فيها جميعاً إنْ تَرَكْنَا المخربين يخرقونها غرقنا جميعاً، وإن أخذنا على أيديهم نجونا جميعاً بإذن الله، لذلك كان الحديث وكانت هذه السلسلة المستمرة والمترابطة من أجل التوبة والرجوع إلى الله لئلا ينزل العقاب على الجميع ولا يختص بأصحاب المنكرات للأسباب المذكورة سابقاً، قال الله تعالى:﴿ **وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥** ﴾[الأنفال:٢٥].وقال عز وجل:((**ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١**)). [الروم:41].لتلك الاعتبارات السابقة وغيرها فالكلام اليوم عن النساء وفِتَنِهِنَّ لأنهن البابُ الْمُوصَدُ الذي دخل معه أعداءُ الإسلام ولا زالوا يتسللون منه وعن طريقه إلى واقع المسلمين ومجتمعاتهم باسم الدفاع عن الحقوق الضائعة للمرأة والظلم الواقع عليها من الرجال ، واستخدموا بني جلدتنا من دعاة الرذيلة وحَمَلَةِ الفكر الْعَفِنِ واتخذوهم سُلَّماً للوصول إلى مآربهم، واستطاعوا أن يحرفوا كثيراً من المسلمين عن دينهم أو يمسخوهم على أقل تقدير حتى ترى الرجل وقد كثرت الذنوب والمعاصي عليه وليس لديه أي إحساس أو شعور أو مبالاة بتعاليم الإسلام،وتكون المنكرات في نفسه وأهله وعرضه ولا يتحرك فيه سَاكِنٌ حيث تَبَلَّدَ إِحْسَاسُهُ وفَقَدَ غَيْرَتَهُ ، وسبب ذلك كثرة الذنوب والمعاصي التي أصبحت مغلِّفَةً ومُغَطِّيَةً على قلبه وحجبت نور الإيمان عن الوصول إلى ذلك القلب الذي يحتاج إلى من يجلو عنه الصَّدَأَ ، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى الله والإنابة إليه والتوبة من الذنوب والمعاصي والإقلاع عنها والعزم الصادق على عدم العودة إليها، قال الله تعالى:﴿ **كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤** ﴾ [المطففين:١٤].

وقد أخبرنا رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم عن ظهور النساء الكاسيات العاريات اللائي يَمِلْنَ عن طريق الهدى والحق إلى طريق الضلال بصرف الرجال إليهن وفتنتهن لهم حتى يَتَنَكَّبُوا الصراطَ المستقيم ويبتعدوا عنه ، وأخبر بِأَنَّهُنَّ مُنْتَسِبَاتٌ للإسلام وأنهن لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها . وحذرنا أشد التحذير من فتنة النساء عموماً وألاَّ نَقَعَ فيما وقعت فيه بنو إسرائيل حيث كانت أول فتنتهم في النساء ، وقال عليه الصلاة والسلام: ((**اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**)). ومهما كان الرجل حازماً معهن فإنهن يَغْلِبْنَهُ ويُذْهِبْنَ عَقْلَهُ بكيدهن ومكرهن واحتيالهن وخروجهن من المآزق والمحاذير بما لا يستطيعه الرجال كما أخبر عز وجل عنهن بقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝﴾[يوسف:٢٨].وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى فمرَّ على النساء فقال:((**يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار**)) فقلن: وبِمَ يا رسول الله ؟ قال:((**تُكْثِرْنَ اللعن، وتَكْفُرْنَ العَشِيرَ ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أَذْهَبَ لِلُبِّ الرجل الحازم من إِحْدَاكُنَّ**)) قلن:وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال:((**أليس شهادة المرأة مثل شهادة الرجل**)) قلن: بلى، قال:((**فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ**)) قلن:بلى، قال: ((**فذلك من نقصان دينها**))رواه البخاري ومسلم. وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**ما تركت بعدي فتنة أَضَرَّ على الرجال من النساء**)).البخاري ومسلم.نعم إنهن أعظم وأضر فتنة دخلت على المسلمين واستعملها الأعداء سلاحاً قوياً ليفتكوا بهذه الأمة المسلمة وليبعدوهم عن إسلامهم أو يبقوهم كالجسد بلا روح، وهذا ما وصلوا إليه في زماننا هذا عن طريق المرأة للمطالبة بحقوقها ورفع الظلم المزعوم والواقع عليها من قبل الرجل

، ومن هنا بدأت الفتنة في العصر الحاضر في بلاد المسلمين ، فمنذ أكثر من ثمانين عاماً خرجت أول امرأة مَارِقَةٍ عن تعاليم دين الإسلام ودَاسَتَ حِجَابَهَا بعد أن استطاع أعداء الإسلام من المنحرفين والمنحلين أخلاقياً في إحدى الدول العربية إلى التوصل إلى أولئك الخبيثات بإقناعهن والتسلط عليهن ومسخهن وإبعادهن عن دين الإسلام، ثم الاختلاط والخلوة في المكاتب والمؤسسات والوزارات والإدارات والمناسبات والأسواق وغيرها حتى انتهى الحياء من وجوه الرجال والنساء على حدٍّ سواء وطُبِعَ على القلوب ، وانتقلت تلك الظاهرة من بلد إلى بلد وأصبحن يقلدن بعضهن ، ويقلدن في ملابسهن وحركاتهن وجميع أفعالهن المرأة الغربية ، وسكت الرجال وذهب الحياء وقلَّتِ الغَيْرَةُ ومُسِخَ القومُ وأفتى المفتون بجواز كشف المرأة عن وجهها ومفاتنها حيث ضربوا بالآيات المحكمة من كتاب الله وبالأحاديث الصحيحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض الحائط واتبعوا المتشابه ، ولو بقي الأمر على كشف الوجه والكفين لكان ذلك أَيْسَرَ وَأَهْوَنَ ، ولكنهن كشفن عن نحورهن ورؤوسهن وأذرعهن وسيقانهن وربما تعدى الأمر إلى كشف الأفخاذ وما وراء ذلك من السوءات والعورات . ولقد انعكس الأمر حين انتكست الْفِطَرُ وانعكست المفاهيم وغَلَبَ الرَّانُ على القلوب وأصبح الرجال هم العورات وعليهم أن يَتَسَتَّرُوا ولا يظهر من أحدهم إلا القليل من وجهه حتى تغطيَ عمامتُه جَبْهَتَهُ إنْ وُجِدَتِ العمامة أَصْلاً حتى لا يكاد يرى الطريق من وضع تلك العمامة التي وصلت فوق أنفه وغَطَّتْ معظم وجهه وسَحَبَ ثوبَه وجَرَّهُ على الأرض لِيَسْتُرَ قَدَمَيْهِ لأنها في نظره عورة لا يجوز للرجال أو النساء النظر إليهما، وغَطَّى كَفَّيْهِ بِطُولِ الكُمَّيْنِ في الثوب ، أما المرأة فكما تقدم فقد قَصَّرَتْ ثَوْبَهَا إلى نصف الساق إن وُجِدَ الثوب حيث انتشر الْبِنْطَالُ وملابس الكافرات، وشَمَّرَتِ المرأة أيضاً عن سَاعِدَيْهَا

وأظهرت محاسنها ومفاتنها الأخرى لأنها هي الرجل في الوقت الحاضر ، والأدْهَى والأمَرُّ من ذلك والغريبُ في الأمر أن أولئك القوم مع المسلمين في الصلاة والصيام ومع ذلك يستغربون تعاليم الإسلام التي تأمر باحتشام المرأة ووجوب صيانتها عن أعين الرجال الأجانب والمحافظة عليها من جانب الرجل لأن له القوامة عليها وهو المسئول عنها، ومع ذلك فإن دعاة التغريب يتركون لها الحبل على الغارب باسم الثقة والتقدم والتطور والعلم وما إلى ذلك من تُرَّهَاتٍ وانحطاط وسفالة ودناءة نفوس وبُعْدٍ عن الإسلام وتعاليمه. وفي المقابل ينكرون على المتَدَيِّنَاتِ الْتِزَامَهُنَّ بالحجاب الشرعي ويَتَفَوَّهُونَ بعبارات تخرجهم عن ملة الإسلام وهم لا يشعرون ، ويقولون أكثر من مقولات عبد الله بن أبيّ بن سلول وأتباعه الذين أُنزل فيهم وفي أمثالهم قرآنٌ يتلى إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. وينكرون أيضاً على المتدينين من الشباب تَقْصِيرَهُمْ لثيابهم والْتِزَامَهُمْ السنة في ذلك ورغبتَهم في التقيد بأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، إما لجهلهم بتلك الأحاديث أو لمرض النفاق في قلوبهم ويطلقون لألسنتهم الْعَنَانَ . وكان الأولى والأجدر بهم أن يُقْلِعُوا عن غَيِّهِم وضلالهم فيلتزم الرجل بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في جعل ثيابه ما بين نصف الساق إلى ما فوق الكعبين ويُقَصِّر أَكْمَامَهُ إلى الرُّسْغَيْنِ ويُظْهِر وجهه وتَذِلّ جبهتُه لله رب العالمين حين السجود ومباشرة الجبهة مع الأنف للأرض التي هي من ضِمْنِ الأعضاء السبعة الواجبِ السجود عليها. ويُلْزِمُوا أيضاً نساءَهم من زوجات وبنات وأخوات ومن كان تحت أيديهم حتى الخادمات بالحجاب الشرعي الذي لا يظهر معه قدر أنملة من المرأة لأي رجل أجنبي عنها، ولأن

الله عز وجل سوف يسألهم عن ذلك ، وسوف تكون الإجابةُ متعثِّرَةً ، والعذرُ بالجهل غيرَ مقبول منهم في هذا العصر إلا لمن رحم الله ولمن شاء سبحانه حيث أن الناس يعصون الله على علم منهم وبصيرة ، وإن الواجب على المسلمين اليوم امتثال أمر الله وأمر رسوله خاصة في حجاب المرأة وتحجيبها عن الرجال الأجانب ابتداءً بأخي الزوج وخاله وعمه وابن عمه وابن خاله وابن عمها وابن خالها وغيرهم وعدم السماح لهن بالاختلاط والخلوة بالرجال في أماكن العمل وغيرها من المجتمعات المختلطة بما فيها المناسبات والمتنزهات ومحلات الألعاب التي اختلط فيها الحابل بالنابل ، وعدم السماح أيضاً للمرأة بركوب السيارة لوحدها مع أجنبي عنها، وسوف تَحُولُ العراقيلُ والعقباتُ والتَّسْوِيفَاتُ دون تحقيق ذلك عند بعض الناس ولكن مع حسن النية وصدق العزيمة سوف يتم التغلب عليه بإذن الله تعالى .

وليس الرجالُ أَشْرَفَ ولا أَغْيَرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحابته الكرام، وليست النساءُ أشرفَ ولا أعفَّ ولا أطهرَ من أزواج رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أو بناته أو نساء الصحابة رضي الله عن الجميع الذين مَرَّ عليهم قرابة تسع عشرة سنة بعد البعثة وقبل أن يُفْرَضَ الحجابُ على النساء ولم يتردد أحد من الرجال والنساء في امتثال أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم .

إنَّ الخيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ في العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عن قناعة وإخلاص وصدق وصواب في العمل، والشَّرَّ كُلَّ الشَّرِّ في البعد عن ذلك ومخالفة أمر الله ورسوله ، فعلى المسلمين عموماً تطبيقُ تعاليم الإسلام والْعَضُّ عليه بالنواجذ ، ولتتحرك الغيرة فيهم على محارمهم ويمنعوهن من كل شيء يَخْدُشُ الْعِرْضَ ويَجْرحُ الكرامةَ ويُذْهِبُ الحياءَ ، وليقفوا سَدّاً

مَنِيعاً وحاجزاً قوياً لإغْلاقِ وَسَدِّ كل الأبواب والطرق التي تقودهن إلى الشر والهلكة والاختلاط والسفور والوقوع في الفواحش، مع الحرص على جعلهن جواهر مَصُونَة لا يُرى من إحداهن شَيْءٌ أبداً، بل تكون الواحدة مستورة من أعلى رأسها إلى أَخْمُصِ قَدَمَيْهَا لا يُرى منها قدر أنملة إلا السواد متى كانت محتاجة لذلك الخروج ، لئلا يطمع فيها طامع أو تمتد إليها يَدُ وَحْشٍ مُفْتَرِسٍ لِكَرَامَتِهَا وَعِفَّتِهَا، وعليهم أن يُبْعِدُوهُنَّ عن خفافيش الظلام التي تَسْرِي بالليل وتخطط للإيقاع بالإسلام وأهله عن طريقهن . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦]. وقال تعالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران:٣١]. وقال عز وجل:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴾[الحشر:٧]. وقال عز وجل: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣].

فتنة النساء

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله،اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله

أما بعد: فلقد كثر دعاة الضلالة في هذا الزمان وتَجَرَّأَ المنافقون على الْفُتْيَا والْقَوْلِ على الله بغير علم واستخفوا واستهانوا بالكذب على الله ورسوله وأصبح الْجُهَّالُ يفتون الناس في أمور دينهم فَضَلُّوا وأَضَلُّوا ، وسمعنا وقرأنا

وشاهدنا ما يندى له الجبين مما هو وَصْمَةُ عَارٍ في جَبِينِ الإسلام والمسلمين عندما وقف مسئول له مكانته في بلد عربي قبل أكثر من عشر سنوات أي في جمادى عام 1411هـ في مجتمع نسائي وهن سافرات وجهاً لوجه ، وقف مفتياً لهن بأن من حق المرأة أن تكون قاضية ووزيرة ورئيسة وعاملة في جميع الأعمال مشاركة الرجل جنباً إلى جنب ، وهُنَّ يُصَفِّقْنَ له ، وَيَرُدُّ ذلك إلى أن الإسلام لا يُمَانِعُ ذلك بل يُجِيزُهُ ويَأْمُرُ به ، ولا غرابة في هذا الرجل وأمثاله وما يصدر عنهم من أقوال وأفعال مخالفة لهدي الإسلام ، ولكن الذي يتزعم دولة ويرأسها ويَدَّعِي الإسلامَ حينما أرادت مديرة مدرسة في فرنسا أن تطرد طالبة مسلمة لأنها تلبس الملابس القصيرة وتستر رأسها وشعرها ويُسَمُّونَ ذلك بالحجاب وليس هو الحجاب الشرعي ، ووقف بَطَلُ القرن العشرين ليقول كلمة الكفر بأن الحجاب من التقاليد العربية القديمة وليست من الإسلام في شيء وأن بَنْتَهُ تلبس القصير وتسبح بالكالسون . أي الذي يُخْفِي بعض عورتها المغلظة فقط . وعندها تمّ طرد تلك البنت من تلك المدرسة بناء على فتوى من رئيس دولة عربية، وسمعنا عن أذناب الشيوعية وخروجهم والبعثيين والعلمانيين والحداثيين وأتباعهم ممن يتكلّم ويُطالب بقيادة المرأة للسيارة ويُجَوِّزُ كشفها عن وجهها واختلاطها بالرجال والخلوة بها، ومع هذا النشاز في المطالبات يُرَدِّدُون دائماً قولهم بأنه سوف يأتي اليوم الذي نرى فيه ذلك محتجين ببعض الممنوعات سابقاً التي أصبحت الآن لا غبار عليها ولا منكر لها. نسمع ونقرأ عبر الصحافة ووسائل الإعلام المختلفة حول المطالبة بذلك وبتصوير المرأة بصورة أوسع ويرددون مطالبهم ومزاعمهم عبر الصحف اليومية بأقلامهم وأقلام أتباعهم ،ولا يَكِلُّون ولا يَمَلُّون ولم يَرْدَعْهُمْ أحدٌ ، وكذلك يظهر منهم من يفتي بجواز كشف المرأة لوجهها ويكتبون بأسماء مستعارة للنساء ويطالبون بذلك بكل قوة عبر

وسائلهم وطرقهم المختلفة التي ما إن تُكْبَتَ حتى تظهر من جديد يتمثلون أشباههم من الذين قال الله عنهم في محكم التنزيل:﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[المائدة:٦٤]. وقال تعالى:﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الصف:٨]. وقال تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[التوبة:٣٢]. **أيها المسلمون**: علينا أن نطبق تعاليم الإسلام، ولتتحرك الغيرة فينا على محارمنا مع منعهن من كل شيء يخدش العرض ويجرح الكرامة ويُذهب الحياء وكل شيء يقودهن إلى الشر والهلكة والاختلاط والسفور والوقوع في الفاحشة ، نُبْعِدُهُنَّ عن الذين يصطادون في الماء العكر ويَتَحَيَّنُونَ ويَنْتَهِزُونَ الْفُرَصَ ويَسْتَغِلُّونَ المناسبات وانشغال الأمة بالأمور المهمة واستغلال نقاط الضعف وانتحال الأعذار بالأساليب البراقة التي تراها في الظاهر تحمل الرحمة ولكنها باطناً تحمل الشقاء والعذاب ، وهذه أساليبهم وطرقهم المعروفة لدى المتابعين لتحركاتهم منذ عشرات السنين ، ولكننا ولله الحمد والمنَّة في هذا البلد المبارك نُطَمْئِنُ أنفسنا بأنَّ ولاةَ أمرِنا يَسْعَوْنَ لتطبيق كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لأن مُلْكَهُم ودولتهم قامت على ذلك منذ قرون، وهذا عهد وميثاق لن يتخلوا عنه إن شاء الله تعالى، وهذا ما نسمعه منهم بين فترة وأخرى ونَفْخَرُ ونُفَاخِر به عند تكراره من ولاة أمرنا ويعطينا المزيد من الراحة والاطمئنان على أن الطرق مقفلة والأبواب مؤصدة أمام أهل الشر ومحاولاتهم المستمرة والمستميتة على مَرِّ السنين ، وإن كان يخرج من الحداثيين والعلمانيين بين فترة وأخرى من ينشر ضلالهم مُسْتَغِلِّين الأوقات المناسبة لهم والفرص السانحة التي تخدم مخططاتهم، ويظهر ذلك من خلال كتاباتهم المسمومة ومطالباتهم الخبيثة في الوسائل الإعلامية المختلفة ، قال الله جل

جلاله:﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [النساء:٨٨، ٨٩]. فعلينا أن نَثِقَ بعلمائنا وما يصدر عنهم في هذا البلد ولا نتكلم في أعراضهم ونضع أيدينا في أيديهم وفي أيدي ولاة أمرنا، والعلماء لم يُصْدِرُوا عدم جواز قيادة المرأة للسيارة لذاتِ القيادةِ نفسِها وبناء على هوى أو رغبة للمنع من عند أنفسهم،حاشا وكلا، إنما لأخذهم بالقاعدة الشرعية: دَرْءُ المفاسدِ مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المصالح، والوسيلة تبرر الغاية، أو الغاية تبررها الوسيلة، ولأن المرأة سوف تخلع حجابها الواجب عليها وتذهب إلى أكثر من ذلك من ناحية السفور واختلاطها وخلوتها بالرجال ، وهذا هو الذي تسعى إليه النساء المؤيدات لأولئك الأشرار حيث يخدمن أهدافهم ومقاصدهم وإن كُنَّ لا يعلمن شيئاً عن مخططاتهم، فالمرأة من أولاء النسوة وأمثالهن لا تريد زوجها بمفرده وإنما تريد العشرات من الرجال لأنها تقود سيارتها وتذهب من بيتها في أي وقت تشاء ومع من تشاء وترغب وتهوى وتختار في ليل أو نهار ، فَهُنَّ يحرّمن ويقفن ضد تعدد الزوجات ويُرِدْنَ مئات الرجال، وكذلك الإباحيون والسفلة من الرجال تكلموا وكتبوا عن تعدد الزوجات وقالوا على الله بغير علم ويتباكون على أولئك الذين عدَّدوا وعلى نسائهم، مع أن أولئك الأشرار لا يريدون أن يكتفوا بزوجة كما يدَّعُون ويتباكون إلا فيما يظهر للناس ، بل يريدون الوصول إلى أكثر نساء المجتمع حيث السفور والاختلاط والاختلاء وخلع الحجاب. لهذه الاعتبارات وغيرها مما يحفظ للمرأة كرامتها وعفتها ويصونها مما يخدش عرضها قال العلماء بذلك المنع ، وقولهم حق لا شك فيه ولا يشك فيه إلا كل منافق وفاسق

مريض القلب.قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران:٧، ٨]. فعلينا أن نتقي الله في نسائنا وأعراضنا ونعمل ما في وسعنا لحفظهن وإلزامهن بتعاليم الإسلام التي يسعى الأعداء من بني جلدتنا لتقويضها، وقد وصلوا إلى مآربهم الخبيثة في كثير من الدول الإسلامية وكان الفساد العريض ، والسعيد من اتعظ بغيره ونجا مما وقع فيه غيره ، ولنتأمل هذه الآيات التالية: ((ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾))[الروم:٤١-٤٥]. ولنتدبر أيضاً هذه الآيات من سورة النساء ونعيها تماماً وكذلك الآيات قبلها و بعدها، قال تعالى:﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[النساء:٨٠-٨٣].وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

الـزِّنَـا

الـخـطـبـة الأولى 1405/7/8هـ ، 1411/6/4هـ

الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً، والحمد لله الذي بَيَّنَ لعباده الحلال والحرام ليسيروا حسب ما شرع لهم وكان الله سميعاً بصيراً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة حين لا يجد الطاغون ولياً ولا نصيراً ، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله الْمُرْسَلُ بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن من طبيعة البشر أن تكون لهم نزعات ، فمنها نزعات إلى الخير والحق ، ومنها نزعات إلى الباطل والشر ، ولما كانت النفوس الشريرة والنزعات الخاطئة والأعمال السيئة لا بدّ لها من رادع يَكْبَحُ جِمَاحَهَا ويخفف من حِدَّتِهَا شرع ربُّ العبادِ وهو الحكيمُ العليمُ الرَّءُوفُ الرحيمُ حدوداً وعقوباتٍ متنوعةً بحسب الجرائم لتردعَ المعتديَ وتصلحَ الفاسدَ وتُقِيمَ الْمُعْوَجَّ وتكفِّرَ عن المجرم جريمته إذْ لا يجمع الله بين عقوبة الدنيا والآخرة إن تاب العبد وأناب ورجع عن تلك الجريمة ، أما إن عاد ورجع ولم يتب ولم يُقَمْ عليه الْحَدُّ مثلاً في المرة الأخرى فيما يجب فيه الحد أو القصاص فالتكفير عن الأولى وليس عن الأخرى ، ولقد أوجب الله إقامة الحدود على مرتكبي الجرائم كل حسب جريمته ، فالسارق تُقْطَعُ يَدُهُ لأنه يسرق بها غالباً، وقُطَّاعُ الطريق إذا قَتَلُوا قُتِلُوا ، وإن أخذوا المال فقط قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ من خلاف لأنهم يستعينون على قطع الطريق بأيديهم وأرجلهم فَقُطعت نكالاً وجزاءً من جنس العمل ، وقاذفُ المحصنات والمحصنين يُجْلَدُ ثمانين جلدة حتى لا تُنتهك الأعراض ، أما جريمة فساد الأخلاق وانهيار المجتمع تلك

الجريمة التي تكمن في فعل الزنا واللواط فإنها جريمة عظيمة رَتَّبَ عليها الشارعُ عقوبةً أكبرَ ، فالزاني الذي يَطَأُ فَرْجاً حراماً إما أن يكون محصناً، وإما أن يكون غير محصن، فالمحصن هو البالغ العاقل الذي تزوج امرأة وَوَطِئَهَا بنكاح صحيح ، فإذا زنا فإنه يُرْجَمُ بالحجارة حتى يموت ثم يُغَسَّلُ ويُكَفَّنُ ويُصَلَّى عليه ويُدْفَنُ مع المسلمين إذا كان مسلماً، وأما غير المحصن وهو من لم يتزوج على الوصف الذي ذُكِرَ فإنه إذا زنا يجلد مائة جلدة ويُسَفَّرُ عن البلد أي يُغَرَّبُ سنةً كاملةً.

أيها المسلمون:إن الإسلام لا يُعَوِّلُ على سلاح التعزير الْمَحْضِ لحفظ المجتمع الإنساني من خطر الزنا تلك الجريمة والرذيلة القبيحة والتحلل السافر من قيود الأخلاق والتي بها تختلط الأنساب ويختلط الخبيث بالطيب، بل إن الإسلام أتى بالتدابير الإصلاحية والوقائية على نطاق واسع وجعل التَّعْزِيرَ آخِرَ حَلٍّ لتطهير المجتمع من الذين يَعِيثُونَ في الأرض فساداً ومن أجل أنْ يَحُولَ دون ارتكاب هذه الجريمة حيلولة تامة ولا يدع الأمر يُفْضِي إلى إقامة الحدود على الناس ، ولأجل ذلك فإن الإسلام يعتني بإصلاح نفس الإنسان قبل كل شيء ويعمر قلبه بخشية الله تعالى عالم الغيب والشهادة العزيز الجبار ويشعره بمسئوليته يوم القيامة التي لا يستطيع أنْ يَنْجُوَ منها بأي حيلة، ويُنَشِّئُ فيه الميلَ إلى طاعة الله ورسوله التي هي أول مقتضيات الإيمان، ثم ينبهه ولا يزال ينبهه مرة بعد أخرى على أن الزنا والفاحشة من كبائر الذنوب الموجبة للعذاب الأليم في الآخرة، نجد ذلك في مواضع عديدة من القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم إن الإسلام بعد ذلك يوفر للإنسان السُّبُلَ الممكنةَ للنكاح ويزيل عن وجهه العقبات ، يبيح له الزواج المشروع بمثنى وثلاث ورباع ــ أي له الجمع في عصمته بين أربع من النساء إذا كان لا يكتفي بامرأة واحدة ولديه الطاقة والمقدرة على ذلك، ويُهَيِّئُ للزوج

سهولةَ طلاقِ زوجته ، وللزوجة سهولةَ مُخَالَعَةِ زوجِها إذا لم يحصل بينهما توافق ورغبت مفارقته ، ويفتح الله أمامهما باب مراجعة الحكمين _ أي حكماً من أهله وحكماً من أهلها _ ومراجعة القاضي ليحصل بينهما التوافق أو يفترقا ويتزوجا حيث شاءا ، قال تعالى:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [النور:٢، ٣]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني ،والنفس بالنفس ،والتارك لدينه المفارق للجماعة**)).رواه البخاري ومسلم.

فهذه عقوبة من يفعل تلك الفاحشة الكبرى والسيئة العظمى، جريمة الزنا التي يترتب عليها اختلاط الأنساب وتوريث الأجانب، وانتهاك الأعراض، وفقر الأغنياء ، وانتشار الأمراض ، وما ظهر الربا والزنا في قوم إلا وظهر فيهم الفقر والمرض وجَوْرُ السلطان. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:((**أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ، ولن يدخلها الله في شيء ، ولن يدخلها الله الجنة ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين**)).رواه أبو داوود والنسائي وابن حبان رحمهم الله. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:((**ما من ذنب بعد الشرك أعظم من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له**))رواه أحمد والطبراني رحمهما الله تعالى. والزنا كله خبيث ، لا يفعله إلا خبيث ، وأعظمه جرماً وأشده إثماً وأكثره عذاباً يوم القيامة أن يزني الرجل بحليلة جاره ، أو امرأة مغيبة ـ أي زوجها غائب عنها ومسافر ـ لما فيه من اعتداء على حق الجار والخيانة له ، والغائب الذي أَمِنَهُ وأَمَّنَهُ على أهله وَوَثِقَ به في ماله

وبيته وزوجته وبنته ، وقد يحصل القرب بين المتجاورين ويقع الاتصال والاختلاط فما يَلْبَثُ الشيطانُ حتى يُوقِعَ الشخصَ ويَزُجَّ به وبدينه وكرامته في الشر والفساد ويعبث بكرامة غيره ، وبِأَحَقِّ الناس عليه وأَلْصَقِهِمْ به فَيَثِبَ على امرأته ويسلبها العفاف والشرف، ويُفْضِي بها وبدارها إلى الخراب وسوء المستقبل بالطلاق والفراق، وكراهية الناس لها، وتمزيق عرض زوجها، وغيرته التي تقتله حيناً، وتحمله على الانتقام حيناً آخر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:((**ما تقولون في الزنا ؟**)). قالوا:حرام حرمه الله ورسوله ، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لأَنْ يَزْنِيَ الرجلُ بعشرِ نِسْوَةٍ أيسر من أن يزني بامرأة جاره**))رواه أحمد والطبراني، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال:((**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**)) قلت إن ذلك لعظيم، ثم أيّ ؟ قال:((**أن تقتل ولدك مخافة أنْ يَطْعَمَ معك**)) قلت: ثم أيّ ؟ قال:((**أنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**))رواه البخاري ومسلم. وليس معنى هذا أن الزنا مباح ولكن لِيُعْلَمَ عِظَمُ حَقِّ الجار ويَأْمَنَ كلٌّ على عرضه وماله وجميع حقوقه ، فإذا كان الزنا حراماً فإنه أشد حرمة وأعظم عندما يُرتكب مع حليلة الجار، وعذابه أشد وأنكى .

والله تعالى لا يُحَرِّمُ شيئاً على العباد ولا يمنعهم من ارتكابه إلا لما فيه من الضرر وما يترتب عليه من البلاء ، ومما هو معلوم من الدين بالضرورة أن الزنا حرام ، لذلك فكل طريق مؤدية إلى الزنا فهي حرام، أي أن كل أسباب ودواعي الزنا محرمة.

فمنها:خلوة الرجل بالمرأة التي ليست من محارمه لأن ذلك مَدْعَاة إلى إِغْرَاءِ الشيطان لهما بالفاحشة مهما بلغا من التقوى والإيمان، فما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا يَخْلُوَنَّ**

رجل بامرأة إلا مع ذي محرم))البخاري ومسلم. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:((**لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان**))رواه أحمد. فكما أنه لا يجوز للمرأة أنْ تَخْلُوَ بالرجل الأجنبي عنها وتختلطَ به وتحتكَّ به وتشاركَه الأعمال مشاركَةَ اختلاطٍ واخْتِلاَءٍ ، فلا يجوز أيضاً أن يخلو بها خادم أو سائق أجنبي عنها أَيْ غَيْرَ محرم لها. ومن ذلك أيضاً: سفر المرأة من غير محرم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم**))رواه البخاري ومسلم.والعبرة بالمسافة في السفر وما يُسَمَّى سفراً شرعاً وعرفاً، وليس العبرة بالزمن في السفر. فما يجوز فيه قصر الصلاة الرباعية يُعْتبر سفراً، وبأي وسيلة كان السفر على الدواب أو السيارات أو القاطرات أو الطائرات أو السفن والبواخر.

ومن الأسباب أيضاً: تبرج النساء وخروجهن بثياب الزينة والطيب لِيُلْفِتْنَ أنظارَ الناس إليهن ليقعوا في شباكهن وحبائلهن وحبائل الشيطان الرجيم .

ومن أسباب الزنا كذلك:خروج النساء سافرات كاشفات الوجوه والأيدي غير متحجبات بالحجاب الشرعي الذي أوجبه الله وفرضه الله على النساء المؤمنات، ومن أسباب الفتنة العظيمة المنتشرة بين نساء المسلمين:ذلك الحجاب المتبرج، أي أن صاحبته تعتبر متبرجة، ومنه: البراقع الفاتنة التي تُظْهِرُ الْوَجْنَتَيْنِ والعيون الساحرة الخائنة ، فالنقاب غَيْرَ البُرْقُعِ لأن الخرق في النقاب على قدر عينٍ واحدة لرؤية الطريق من سماكة الحجاب غير هذه البراقع المعروفة فلنتنبه لهذا،ومنها:مصافحة المرأة الأجنبية للرجل،والنظر من المرأة إلى الرجل والعكس،واستماع الأغاني أو مزاولتها، وتداول الصور والأفلام الخليعة، أفلام الجنس أو مسرحيات وتمثيليات الحب والعشق والغرام، وكل يوم تظهر وسائل فتنة وشرٍّ تُرَقِّقُ ما قبلها، فها هي القنوات

الفضائية والشبكة العنكبوتية تنشر الفضائح مما لا تمارسه بعض الحيوانات مع بعضها علناً، فكيف بمن ينتسب للجنس البشري؟ إنهم يمارسون أعمالاً ويرتكبون أفعالاً عَلَنِيَّةً يندى لها الجبين ويستنكرها كل غيور ويخشى من عواقبها الأليمة التي لا تختص بأصحابها وإنما يعمُّ عقابها الجميع نتيجة السكوت وعدم الإنكار والتغيير،قال تعالى:((**وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾**)) [الأنفال:25]،وقال عز وجل:((**ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾**))[الروم:41]. كل ما تم ذكره من الأسباب المؤدية إلى الزنا محرمٌ بنص القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، وكل ما أدى إلى الحرام فهو حرام ، وقد نهى الله المؤمنين عن الاقتراب من الزنا وأسبابه، ولم يَقُلْ لهم: ولا تزنوا، وإنما أمرهم بالابتعاد عن الأسباب المؤدية إليه حتى لا يقعوا فيه فقال تعالى:﴿ **وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾** ﴾[الإسراء:٣٢] .

والإنسان إذا زنا تعلق قلبه بالزنا، بَدَّدَ ثروتَه ، ومَحَقَ مالَه ، وجَنَى على دينه وإيمانه، وأصبح أَسِيرَ شهوته وطَوْعَ إرادة الشيطان الرجيم، يتحكم فيه الْمُومِسَاتُ والْبَغَايَا، وينصرف عن زوجته إلى امرأة بَغِيّ خبيثة لا تَرُدُّ عن نفسها كَفَّ لاَمِسٍ ، ولا تبالي بمن أتاها، قد جمعت من الأمراض المعدية والآفات المهلكة أشدها فتكاً، وأسرعها هلاكاً، وهل يُصَابُ بِالسَّيَلان والزُّهْرِيّ وغيرهما من الأمراض الجنسية الخبيثة إلا الزناة ومَنْ لا يبالي بنطفته أين يضعها وكيف يخرجها ؟ وقد يجنون على أناس أبرياء ، فينقل الزاني إلى امرأته أو الزانية إلى زوجها مرضاً فينتشر البلاء وقد يقتصر عليهم، وقد يصاب البريء ببعض ذلك ويناله الشر والأذى وهو منه بعيد وله مجانب، كَأَنْ يتزوج امرأة صالحة كانت لدى خبيث فتنقله إلى الطرف الثالث

الصالح، وقد يخرج أولاد الزناة مصابين بأمراض أو مُشَوَّهِينَ ، أجارنا الله من ذلك وجميع المؤمنين والمؤمنات .

وقد تقتل الزانيةُ ولدَها فتجمع على نفسها مصيبتين، وتحارب الله بكبيرتين من الذنوب، الزنا، وقتل النفس التي حرم الله بغير حق، وربما وضعته على الطريق حَيّاً وتركته يموت أو يحيا، وليست بسائلة عنه ولا متحنّنة عليه لأنه نطفة وضعت في غير محلها، وربما بَلَتْ به أحدَ عبادِ الله المستورين ووضعته في سيارته أو أمام بيته، مع أنه يوجد الآن أساليب متعددة لمنع الحمل أصلاً، نعوذ بالله من الفتن والفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة من النساء عندما فتح مكة على هذه الأمور، فقالت له هند بنت عتبة حين قال لها: **((ولا تزنين))** قالت :أَوَ تَزْنِي الحُرَّةَ!!؟ قال:**((ولا تقتلن أولادكن))** قالت ربّيناهم صغاراً ونقتلهم كباراً!! وَأَكْرِمْ بها من حُرَّةٍ أَبِيَّةٍ تستنكر الزنا من الحرائر وتراه من شأن الإماء والولائد اللائي يَعِشْنَ بفروجهن قال تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴿١٢﴾ ﴾[الممتحنة:١٢] .

عن الـزِّنـا

الخـطـبـة الـثـانـيـة

الحمد لله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وحذر من الأسباب الموصلة إليها رحمة بعباده وصيانة لهم عما يضرهم في دينهم ودنياهم، أحمده

على إحسانه وأشكره على لطفه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد:ففي صحيح البخاري رحمه الله في حديث منام النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء فيه أنه جاءه جبريل وميكائيل قال:((**فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، فيه لَغَطٌ وأصوات ، قال: فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة فإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَئُوا . أي صاحوا من شدة حره . فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء الزناة والزواني . يعني من الرجال والنساء . فهذا عذابهم إلى يوم القيامة**)).وعن عطاء في تفسير قوله تعالى عن جهنم:﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر:٤٤]. قال:أشد تلك الأبواب غَمّاً وحَرّاً وَكَرْباً وأَنْتَنُهَا رِيحاً للزناة الذين ركبوا الزنا.

وورد في الأثر:يا معشر المسلمين اتقوا الزنا فإن فيه سِتَّ خصال ، ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة، فأما التي في الدنيا: فَذَهَابُ بَهَاءِ الوجه، وقِصَرُ العمر، ودوامُ الفقر، وأما التي في الآخرة: فسخط الله تبارك وتعالى، وسوء الحساب، والعذاب بالنار. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((**من مات مُصِرّاً على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة، وهو نهر يجري في النار من فروج المومسات**)). أي الزانيات يجري من فروجهن صديد وقيح في النار ثم يسقى ذلك لمن مات مصرّاً على شرب الخمر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**في جهنم وادٍ فيه حيات ، كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرّى لحمه ، وإن في جهنم وادياً اسمه جبّ الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم ثم تضرب الزاني وتفرّغ سمّها في جسمه يجد**

مرارة وجعها ألف سنة ثم يتهرّى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد)). ورد في الحديث أن فتىً شاباّ أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا:مَهْ ،مه، فقال عليه الصلاة والسلام:((**أُدْنُهْ**)) فدنا منه قريباً، فقال:((**اجلس**)) فجلس، فقال:((**أتحبه لأمك ؟**)) قال:لا والله، جعلني الله فداك، قال:((**ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**))قال:((**أفتحبه لأختك ؟**))قال:لا والله، جعلني الله فداك، قال:((**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**))قال:((**أفتحبه لعمتك؟**)) قال:لا والله، جعلني الله فداك، قال:((**ولا الناس يحبونه لعماتهم**)) قال:((**أفتحبه لخالتك؟**)) قال:لا والله جعلني الله فداك، قال:((**ولا الناس يحبونه لخالاتهم**)).قال:فوضع يده عليه وقال:((**اللهم اغفر ذنبه وطهّر قلبه وحصّن فرجه**)) قال: فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء من ذلك. رواه الإمام أحمد رحمه الله. فأقول لمن كان واقعاً في هذه الفاحشة عليه أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه توبة صادقة فباب التوبة مفتوح والله يقبل توبة التائبين ويبدلهم فوق ذلك بدلاً من السيئات حسنات، فعليهم أن يعودوا إلى الله ويتذكروا قول الله تعالى:﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ [الفرقان:٧٠] أما المسلمون الذين عصمهم الله من تلك الفاحشة وغيرها فعليهم أن يفيقوا من غفلتهم ويستيقظوا من سباتهم العميق، وخاصة ممن ابتلي بالعمالة الوافدة من الخدم والسائقين والعمال الآخرين الذين يعتبرون ارتكاب تلك الجريمة من أبسط المنكرات ولا غبار عليها في نظرهم ويمارسونها في بيوت المسلمين لأنهم نَشَأُوا وتَرَبَّوْا عليها في بلادهم، ولا أقول ذلك جزافاً ولا أتفوّه به بهتاناً وزوراً، وإنما هو واجب النصيحة وتغيير المنكر والأمر بالمعروف والخروج من أثم السكوت عن البيان مما اطلعت عليه وبلغني بأي طريق ليقف كل مسلم سداً منيعاً ويغلق كل أبواب الشر والفساد عن

أهل بيته ومن يعولهم ويقوم عليهم بالتربية والرعاية ومن هم تحت يده من العمالة الذين أفسدوا بيوت المسلمين بارتكاب ما حرم الله، وعلى كل مسلم غيور أن يطهر بيته من خبثهم ويستعين بالله على الاكتفاء والاستغناء عنهم بأي وسيلة مهما كلفه الثمن، وإذا كان مضطراً ضرورة لا مناص عنها فليستقدم رجلاً مع زوجته والتأكد من إسلامهما وأنهما زوجان شرعيان لبعضهما. وإن جرائمهم المتعددة غائبة عن كثير من المسلمين الذين يستنكرون التركيز والإشارة والتلميح والتصريح لقليل مما يفعلون، ولكن خوف المصلحين وتخوفهم على مجتمعهم من الانغماس في الرذيلة يجعلهم قائمين بواجب النصيحة لأمتهم خوفاً من الله عز وجل ومن أليم عقابه إن هم سكتوا وكتموا ولم يبينوا، وإن كل مسلم يستطيع الوقوف على ما ذكر بالتلميح بأسلوبه الخاص ليطهر هذا البلد الطيب من شر أهل الفساد ولينجو الجميع من عذاب الله وسخطه، وليقوم كل بمسؤوليته المسؤولية التي ليست موكولة لجهة معينة بل سوف يسأل عنها الجميع يوم الوقوف بين يدي الله عز وجل.

وليس هذا الفساد الخلقي على إطلاقه على جميع العمالة الوافدة ، فهناك ولله الحمد منهم من هو بعيد عن ذلك وغيره ، قائم بما أوجب الله عليه مبتعد عما نهى الله عنه. ولكن الكلام عن الغالبية العظمى التي تمارس تلك الفاحشة مع بعضهم البعض وفي بيوت المسلمين سواء ذلك السائق مع تلك الخادمة الأجنبية عنه أو الخادمة التي تدخل من تريد من عمال نظافة الشوارع وغيرهم إلى بيت كفيلها في غيابهم عنه أو في ساعات نومهم وراحتهم، ولا يظن أحدٌ أن رجلاً أو امرأة يستقدم لوحده دون زوج ويبقى عدة سنوات أنه خالٍ من تلك الغريزة ، ومن ظن ذلك أو اعتقده أو تغافل عنه فقد غلط على نفسه ويجب أن يصحح وضعه ، وإن الغيرة لتقتل كثيراً

من السائقين الذين يعملون لدى عائلات قد تكون نظيفة إلا من زوجة أو بنت ، وسبب تلك الغيرة القاتلة إما أنه يريد أن يكون هو البطل فيها أو الغيرة الإسلامية الحقيقية ولكنه لا يستطيع أن يُغَيِّرَ شيئاً مما يرى ويُمَارَس فعلاً، فهل يتم استغفال أولئك السائقين لغيرتهم الدنيئة أو النظيفة مع تلك الممارسات أم لا؟ الجواب معروف لدى الجميع، وهل أولئك الغافلون ينتبهون لأعراضهم ولا يتركون الحبل على الغارب لنساء ناقصات عقل ودين؟وهل يغارون على محارمهم ويخرجون معهم إلى المستشفيات والمتنزهات والأسواق إن دعت الضرورة لذلك؟ وهل يراقبون الهواتف التي أصبحت وسيلة للشر والفساد والمواعيد، هل تبتعد عنا الغفلة ونجد الصحوة ونبتعد عن الثقة المفرطة التي جنى المجتمع آثارها السيئة؟هل تتحرك الغيرة لدى الرجال ممن تركوا الحبل على الغارب لنسائهم، وخاصة ممن ترك الأمر للسائق للذهاب بالنساء في كل مكان ولدى الخياطين وحتى الحلاقين بحجة اختيار تلك القصَّة للأولاد بنين وبنات وتقف إحداهن أمام محل الحلاقة أو في السيارة لتختار من يعجبها من الحلاقين أو الزبائن ، فهل نرى التغيير لتلك المنكرات والقضاء عليها من أولئك الرجال؟ أم أنهم سُلِبُوا القوامة على النساء أو أعطوها بالوكالة للسائقين؟ هل نجد الغيرة على المحارم حتى لو كان ذهابهن إلى صلاة التراويح وغيرها مع السائقين؟ إن الانتباه واجب، والحذر من ترك الوسائل المفضية لذلك سهلة بين أيديهن حتى ولو كان في رمضان سواء لمن سُمِحَ لهن بالذهاب إلى المساجد أو القابعات في البيوت أو المتسكعات في الأسواق، وهل تتحرك الغيرة لدى الذين تزوجوا زواج المسيار وينتبهون لكيد النساء ومكرهن؟ فهذه إشارة لأمور قد تُمَارَسُ يجب الانتباه لها، واللبيب بالإشارة يفهم، فالله الله أيها الرجال في الغَيْرَة على محارمكم وأعراضكم واليقظة التامة وإيجاد الحلول المناسبة التي تكفل للجميع البعد عن

تلك الجريمة البشعة التي سُهِّلَتْ أسبابُها ووسائلُها كما ذكرت في الخطبتين ليقف كل منا سداً منيعاً ضدّ وقوعها وممارستها لنخرج جميعاً من المسؤولية وعظم الأمانة والجواب عنها يوم القيامة. وإن كان انتشار الزنا وظهوره وكثرته من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الإخبار عن ذلك لا يعني السكوت على هذه الجريمة وعدم الغيرة على الأعراض وإنكار المنكر والوقوف ضد وقوعه وأسبابه المؤدية إليه. كلا فإن الأمانة وثقلها عظيم تنوء بها الكواهل ويعجز عن حملها كثير من الناس، ويسدّد الله المؤمنين والمؤمنات ويثبتهم ويتوب عليهم. قال تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب:٧٢، ٧٣]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[الأنفال:٢٧، ٢٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ .... ﴾[التغابن:١٤]. وقال تعالى:﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [النور:١-٣] .وقال تعالى:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[الإسراء:٣٢]، وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ

إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧١] .

تحريم سماع الأغاني

الخطبة الأولى 1411/8/22هـ ، 1423/5/16هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، أحمده سبحانه وبحمده خلق الجن والإنس ليعبدوه ، وأمرهم بالإكثار من ذكره في جميع الأوقات، ونهاهم عما يبعدهم عن ذكره وعن الصلاة، وبين لهم طريق الخير ليسلكوه، وحذرهم من طريق الشر ليجتنبوه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن أعظم ما يَصُدُّ عن ذكر الله ويشغل العباد عن طاعة ربهم استماع الأغاني والمعازف على اختلاف أنواعها وتعدد أشكالها، تلك الأغاني المجونية المصحوبة بآلات اللهو والطرب والمعازف التي احتلت غالب بيوت المسلمين اليوم وحاصرتها حصاراً شديداً وتغلغلت إلى قلوب ساكنيها إلا من رحمه الله وعصمه من ذلك، لقد فُتن بها أكثر الرجال والنساء الذين ضعف إيمانهم وخفت عقولهم واقتدى بهم شباب الأمة من بنين وبنات فشغلوا أوقاتهم وملأوا أرجاء بيوتهم بأصوات الفاسقين والفاسقات من مغنين ومغنيات والتي تُبَثُّ عبر الوسائل المختلفة من قريب أو بعيد أو تسجّل على أشرطة مسموعة أو مرئية ومسموعة في نفس الوقت وتباع في الأسواق، وغَصَّتْ بها كثير من البيوت وأدراج السيارات، ولا يكاد يمرّ الشخص ببعض البيوت أو دكان أو ورشة أو سيارة أو نقطة مرور إلا ويسمع صوت الشيطان ودعاة الضلالة وفي جميع المتنزهات العامة وأَخُصُّ سيارات الشباب المركب عليها السماعات المدَوِّيَة بالغناء المصحوب بآلات الطرب التي تَرُجُّ الأرضَ رَجّاً بما يفهمونه وبما لا يفهمونه ولا يعقلونه من أصوات أجنبية عنهم، ونسمعها أيضاً على الأرصفة وفي العربات التي تَجُرُّهَا الحَمِيرُ والبغالُ أو الدراجات النارية والعادية(الهوائية) وحتى جوار بيوت الله، ووصلت إلى أماكن بيع الخضار والفواكه وجميع الأسواق لِيُسْمِعُوا المشترين ما يغضب الله تعالى ويُسْخطه ويَصُدُّوا عن ذكر الله تعالى دون حياء أو خجل من ارتكاب المحرمات، ولا مُنْكِرَ عليهم في صنيعهم ذلك لكثرة العاملين من الوافدين الذين يعتبرون ذلك حلالاً لا غبار عليه حتى غدا المعروف منكراً والمنكر

معروفاً، يمرّ المؤمن وهو أذلّ من النعجة لا يستطيع تغيير المنكر أو الأمر بالمعروف بسبب كثرة أهل الشر وقلة المناصرين للخير والعاملين به. وتقصير الْمَنُوطِ بهم إنكار المنكر والأخذ على أيدي السفهاء، إن شياطين الإنس والجن يروجون تجارة الشيطان وحزبه، ومن وراء ذلك الصحف والمجلات الماجنة التي تنفرد بشأن هؤلاء الفاسدين الفاسقين وتنشر أسماءهم وصورهم على صفحاتها وتريد إعادة التائبين إلى المجون والفجور وإلى ما يغضب رب العالمين، وكذلك الحال من قبل الإذاعة والتلفاز يُعِيدُ القائمون عليها أغاني التائبين والعائدين إلى الله ليضلوا الناس وليشوهوا سمعة أولئك التائبين وكأنهم باقون على منكراتهم، ويعيدون أيضاً أغاني الأموات المسجلة بالصوت أو الصوت والصورة معاً كأنما يقدمون لهم رصيداً من الحسنات مع أنها السيئات للأموات منهم وللأحياء الذين روّجوا تلك المنكرات عبر الشاشات والإذاعات،ومن كان هذا صنيعه فهو من دعاة الضلالة الذين يقودون الناس إلى الهاوية لتعريف الناس بهم وترويج بضاعتهم المنتنة العفنة الخبيثة، حتى لقد أصبح كثير من الشباب والكبار والرجال والنساء يعرفون عن هؤلاء المغنيين والمغنيات وأغنياتهم وحياتهم كل دقيق وجليل وحِفْظِ شعرهم ومقالاتهم الخبيثة ويعرفون مواقيت بث تلك الأغاني آناء الليل وأطراف النهار، ولو سُئِلَ أحدُهم عن معنى لا إله إلا الله لَوَقَفَ حائراً وقال لا أدري، ولو سئل عن أوقات الصلوات، لقال: لا أدري، ولو سئل عن اسم صحابي وعن حياته لقال: لا أدري، ولو أُخْتُبِرَ عن حفظه لسورة من قصار السور من القرآن الكريم لَتَلَكَّأَ فيها كثيراً إِنْ لم يكن غير عالم بها وحافظ لها، وكيف يدري ومن

أين له أن يدري؟ وهمّتُهُ متجهة لِضِدِّ ذلك وهو سماع الأغاني عبر التلفاز والمذياع وغيرهما مما يجده مسجلاً على أشرطة تباع أو تهدى له، وبئست الهدية هدية الضلالة.

أيها المسلمون:من كان في شك من تحريم الأغاني المتعارف عليها الآن والموسيقى والمعازف وجميع آلات الطرب فَلْيُزِلِ الشك باليقين من قول رب العالمين وقول الرسول الأمين في تحريمها وبيان أضرارها، فهناك النصوص المتعددة من الكتاب والسنة التي تدل على تحريم الأغاني والوعيد لمن استحلّ ذلك أو أصرّ عليه. والمؤمن يكفيه دليل واحد من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا تعددت الأدلة على ذلك كانت أوضح وأبين وأدحض لحجج المخالفين وأقوال المخادعين مريضي القلوب والمرجفين.

قال الله تعالى:((**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾**)).[الأحزاب:36].

الدليل الأول:قول الله تعالى في خطابه لإبليس عدو الله تعالى وعدو المؤمنين:((**وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾**)).[الإسراء:64،65].

قال مجاهد عن ابن عباس حبر الأمة رضي الله عنهما قال عن استفزاز الشيطان بصوته أنه:الغناء والمزامير واللهو.وقال الضحاك أيضاً:صوت الشيطان في هذه الآية هو صوت المزمار.إذاً يكفي الغناء والمزمار قبحاً

وتحريماً أن يكونا عُدَّةً للشيطان وعَتَاداً له لِيُغْرِيَ بهما عباد الله على الفساد والفسق والعصيان،ويفتنهم بهما عن عبادة الله ويصدهم عن سبيله. **الدليل الثاني**:قال تعالى:((**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝**)).[لقمان:6، 7]. قال أكثر المفسرين المراد بلهو الحديث في هذه الآية الغناء، وحلف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حلف بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات على أن المراد بلهو الحديث في هذه الآية إنه الغناء.

وأورد حديثاً صحيحاً واحداً رواه الإمام البخاري رحمه الله وأكتفي به وبِشَرْحِ بعض ألفاظه نظراً لضيق المقام في الخطبة، ولأن من يتلذذ بسماع الأغاني الساعات الطويلة يكره إشباع موضوع الخطبة ولا يأتي لها إلا متأخراً وربما في آخر صلاة الجمعة لأنه لا يريد سماع كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وجَهِلَ الحكمة من خطبة الجمعة وصلاتها. فإنا لله وإنا إليه راجعون وهو حسبنا ونعم الوكيل ونسأل الله تعالى أن يهدي ضَالَّ المسلمين وأن يثبت قلوبنا على دينه إنه نعم المولى ونعم النصير. ومن أراد الاستزادة فعليه بكتاب إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية رحمه الله وكتاب لأبي بكر الجزائري وفقه الله وكذلك لابن رجب رحمه الله وغيرهم حول الأغاني. **فأما الحديث فهو الدليل الثالث**:عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((**لَيَكُونَنَّ من أمتي قَوْمٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ والْحَرِيرَ والخمرَ والْمَعَازِفَ**)).البخاري.

فالمراد بالحر: الفرج، والمعنى أنهم يستحلون الزنا، ومعلوم تحريم الزنا، ولا ينكر ذلك أحد من المسلمين، والحرير معلوم تحريمه، وقد سبق ذكر بعض الأحاديث الدالة على تحريمه على الرجال في خطبة سابقة ،والخمر كذلك يعلم تحريمها كل مسلم، وبقى شيء يجهله أو يتجاهله أو يعرف عنه وعن معرفة حكمه كثير من المسلمين ألا وهو آخر كلمة في الحديث الشريف وهي لفظة((**المعازف**)) فالمراد بالمعازف آلات اللهو والطَّرَبِ من طَبْلٍ وطنْبُورٍ وعُودٍ وقِيثَارَةٍ وغيرها من آلات الملاهي.

ودلالة هذا الحديث الصحيح على تحريم الغناء دلالة قطعية لا شك فيها لأنها قُرِنَتْ بالحرير والخمر والزنا، ولأن وجه الدلالة على الحرمة بداية الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم:((**يستحلّون**)) ومن المعلوم أنه لا يكون استحلال الشيء لشيء مباح، وإنما يكون لشيء محرم قطعاً، فبدأ بذكر استحلالهم للمحرمات الأربع الواردة في الحديث، ولو لم تكن هذه الأشياء محرمة لما كان لقوله صلى الله عليه وسلم:((**يستحلّون**)) من معنىً يُذْكَرُ، والأمر واضح لا يخفى على من أنار الله بصيرته، وفي الحديث معجزة نبوية يخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها وهاهي واقعة ومشاهدة ومسموعة للجميع وهي:إِخْبَارُهُ عليه الصلاة والسلام بقوله المؤَكَّد باللام، وبالنون المشددة المؤكّدة بأنهم ينتسبون إلى أمته صلى الله عليه وسلم وهي قوله في مطلع الحديث:((**لَيَكُونَنَّ من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**)).صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال عنه تبارك وتعالى:((**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾**)).[النجم:3، 4].

تحريم سماع الأغاني

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده عز وجل وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله،اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله.

أما بعد: فمن مفاسد استماع الأغاني: إفساد القلوب وإنبات النفاق فيها كما ينبت الماءُ العشبَ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال:الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماءُ البقلَ.

ومن مفاسد الأغاني:أنها تمحو من القلب محبة القرآن الكريم قول رب العالمين لأنه لا يجتمع قرآن الرحمن ووحي الشيطان في قلب مؤمن ولا بد أنْ يُخْرِجَ أحدُهما الآخرَ، ويعلم ذلك الْمُولَعُونَ باستماع الأغاني أو ممارستها متى أخذ أحدهم القرآن الكريم ليقرأ فيه سورة أو آية من كتاب الله حيث الحرف بعشر حسنات، ويستطيع أن يكسب مئات الآلاف من الحسنات في ساعة من يومه، مع أن بعضهم لا يتلو القرآن إلا في رمضان وقد لا يتلوه في حياته مرة واحدة، وأنّى له ذلك وقد استبدله بكلام الشيطان وأتباعه، ويعرف أحدهم مرض قلبه ونفسه لو أنصف من نفسه عندما يقرأ الإمام في ركعةِ صلاةٍ من الصلوات سورةً من قصار السور أو يقسمها في ركعتين كيف يستثقل الصلاة ويكره أن يأتي مرة أخرى ويصلي خلف ذلك الإمام لأنه أطال عليه ولا يريد أن يقف عشر دقائق بين يدي ربه، مع أنه يجلس

ويستمع إلى الأغاني في الليل والنهار ساعاتٍ طوالاً لا يملّ من ذلك، وأعجب من ذلك أن بعضهم لا يأتي إلى الجمعة إلا في آخر الخطبة ولم يسمع منها إلا يسيراً ولم يستفد منها شيئاً ولا تأتي إلا بعد أسبوع كامل ثم يقول ما يقول في الخطيب من الانتقادات والكلام الفارغ، وهذا هو مكسبه وحصيلته من الجمعة، والله يجزيه بما يستحق.

ومفاسد الأغاني كثيرة، ومن أعظمها: أنها دعوة إلى الزنا وترغيب فيه، وهي رقية الزنا، فالمغنون يحرصون على إسْمَاعِ الناس الأغاني التي فيها وصف محاسن المرأة وقصص الحب والغرام والعشق والمجون، وأشعار الغزل التي فيها وصف الخدود والقدود والثغور والنحور والحواجب والعيون وما في معنى ذلك مما يثير الْوَجْدَ والهوى، ومما هو معلوم في دين الإسلام بالضرورة أن الله تعالى إذا حرّم شيئاً حرّم كل أسبابه ودواعيه، فهو تعالى حرم الزنا، وحرم كل ما يؤدي إلى الزنا ومنه ذلك الاختلاط والسفور والخلوة بالمرأة الأجنبية والأغاني والصور وسفر المرأة بدون محرم وغير ذلك من الأسباب المفضية إلى الزنا وكل مقدماته أيضاً من نظرٍ وخضوعٍ بالقول ومصافحةٍ وتقبيلٍ وغير ذلك. والقاعدة الشرعية تقول: كل ما أدى إلى حرام فهو حرام.

وهذا الدليل الرابع: حديث من مشكاة النبوة ومن معجزات رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بأنه سوف يحصل في أمته عليه الصلاة والسلام باستحلالهم ذلك وبنزول أقوام على جنب علم وهو الجبل أو في قمته يأتيهم صاحب حاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً فيهلكهم الله تعالى ويضع الجبل عليهم ويمسخ آخرين من هذه الأمة قردة وخنازير، وهذا المسخ

قد يكون مسخاً حقيقياً، وقد يكون مسخاً معنوياً بحيث تكون فيهم طباع القردة والخنازير من الزنا والدياثة وغير ذلك من طباع تلك الحيوانات، والله أعلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ليكونن من أمتي قوم يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَم،يروح بسارحة لهم ويأتيهم – يعني الفقير– لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غداً فَيُبَيِّتُهُمْ الله ويضع العَلَمَ ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**)).البخاري رحمه الله. **والدليل الخامس**:عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ، قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال:إذا ظهرت المعازفُ والْقَيْنَاتُ**)).ابن ماجة والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير. **فيا أمة محمد صلى الله عليه وسلم**:كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فطهروا بيوتكم ودكاكينكم وأسواقكم وسياراتكم ومدارسكم وجميع إداراتكم وكل ما استرعاكم الله عليه من تلك الأغاني والمعازف، وتلك الرعاية أمانة في أعناقكم وسوف تسألون عنها يوم الوقوف بين يدي الله تبارك تعالى كما قال عز وجل:((**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾**))[آل عمران:30].وعلينا جميعاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي السفهاء كل بقدر استطاعته، أما أنْ يَسْتَأْسِدَ أَهْلُ الشر والعصيان وتَقْوَى شَوْكَتُهُمْ وتظهر منكراتهم بأعلى الأصوات من غير خجل ولا حياء ولا خوف من الله عز وجل فإن العقوبة من الله عز

وجل سوف تعمّنا جميعاً إن نحن سكتنا على ذلك وغيره، قال تعالى:((وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾)).[الأنفال:25]. فلا بد من الأخذ على أيدي السفهاء الذين يريدون أن يغير الله علينا النعم ويسلبها منا جزاء ما يقترفونه وجزاء سكوتنا وذِلّتِنَا وعدم إنكارنا للمنكر وإعلاننا لذلك مثل إعلانهم له أو أشد، وقد يرتفع نباح المغنية ويبلغ صوتها بالغناء والطرب والفحش عنان السماء إلى آخر ساعة من الليل ويَقُضُّ مضاجع النائمين والمستغفرين والمرضى وغيرهم من الجيران، ويزعجهم ويقلقهم ويعكر عليهم صَفْوَ حياتهم تلك الليلة التي تُبدأ في حفل ذلك الزواج بمبارزة رب العالمين رب السماوات والأرض وما بينهما بالمعاصي والخلاعة والمجون، فكيف يُرْجَى ويؤمل من توفيق وسداد في مثل هذه الأتراح المملوءة بالمنكرات؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون. وإن كان الغناء من الرجال محرماً في حالة طبيعية وعادية، فماذا يكون حكمه إذا كان من مغنية بمكبرات الصوت تصل إلى عشرات الكيلومترات إلى ما قبل صلاة الفجر؟ وفوق ذلك أذيتها لعباد الله من المسلمين في نفس الحي وما جاوره من أحياء حيث يدخل صوتُها إلى داخل كل بيت بما يندى له جبين كل غيور ويحتار معه كل عاقل ولبيب ويخشى العواقب المؤلمة إذا اقتدى بهم غيرهم وانتشر الشر وعَمَّ الفساد.فاتقوا الله عباد الله وكونوا يداً واحدة ضد المنكرات لئلا يستفحل شر أهل الباطل ولئلا يحل بنا ما حل بغيرنا من الأمم الحاضرة والسابقة ولنأخذ العبرة ممن حولنا قبل أن تحيط بنا أعمالنا وأعمال غيرنا، وعندها نعض أصابع الندم ولات ساعة مندم. ولا يكفي بأن نتألم ساعة

وجود المنكرات أو تتغير وجوهُنا وتَتَمَعَّر ثم لا نُنْكِر ولا نقوم بأي عمل يُذكر ولا نتخذ الإجراءات الكفيلة بردع أهل الزيغ والفساد.((**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ**)).[الرعد:11].((**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ**)). [الأنفال:53].((**ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٍ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١**)) [الأنعام:131].وأتمنى وأوجه دعوةً ونداءً في الوقت نفسِه للمنتسبين للإسلام أصحاب عشرات القنوات الفضائية التي تبث كل ما يدعو للفاحشة وإثارة الشهوات ودَغْدَغَةِ الغرائز سواء بالأغاني والمجون أو بالوسائل الأخرى التي تثير كَوَامِنَ الشهوات في النفوس وتدعو إلى الفجور والفسوق والعصيان، أدعوهم وأرجو أن تصل هذه الدعوة إليهم بأي وسيلة وعن طريق أي شخص، **الدعوة أولاً**: إلى أن يتقوا الله عز وجل في أنفسهم ويرحموها ويتفكروا هل يستطيع أحدهم ممن يملك المليارات إذا مات أن يأخذ درهماً أو ديناراً معه في قبره؟ فضلاً عن الآخرة يوم العرض الأكبر يوم القيامة يوم الجزاء والحساب حيث لا يوجد هناك إلا الحسنات والسيئات ولا وجود للدراهم والريالات؟ إذاً عليهم أن يستعدوا لذلك اليوم العسير لا يكونوا فقراء ضعفاء بعكس ما كانوا عليه في الدنيا، عليهم أن يقوموا بتخزين الأرصدة لهم في الآخرة بدلاً من الدنيا، وذلك بإنفاق كثير من فضول أموالهم في طرق الخير وكسب الثواب حتى يحوزوا على الأرصدة العظيمة من الحسنات لكي تنقذهم بإذن الله في الآخرة، عليهم الإنفاق من فضول الأموال وليس من الزكاة فالزكاة ركن من أركان الإسلام لا بد أن يقوموا بها ويؤدوها للأصناف الثمانية، عليهم أن يتلمّسوا حاجات الفقراء

والمساكين من المسلمين ويؤمّنوها ويسدّدوا الديون عن المدينين ويتجاوزوا عن المعسرين حتى يتجاوز الله عنهم يوم القيامة،**ودعوتي الثانية لهم**:إغلاق تلك القنوات التي لن تأتي لهم إلا بالسيئات وتحويلها إلى قنوات تدعو إلى الفضائل لتجلب لهم الحسنات بدلاً من السيئات،وكيف يكون ذلك؟هو بإعطائها لتلك القنوات الخجولة التي لم تستطع الوقوف على أرجلها والقائمة على حساب طبقة لا تكاد تجد مصاريفها الشهرية ولكنها قامت بالاشتراك السنوي فيها تدعيماً لها وللدعوة إلى الله، ومنها قنوات المجد التي لم تصل إلى أكثر المسلمين في بلاد الحرمين فضلاً عن الدول الأخرى، أو تلك القنوات التي تبث القرآن والإسلام ولكن عن طريق التسجيل ومن ثم البث لا عن طريق الشبكة وغيرها لأنها لا تستطيع إيجاد المباني والاستديوهات والتجهيزات الأخرى للبث المباشر وكل ما يتعلق بذلك.

الدعوة الثالثة:هي التفكير والتأمل بكل تَجَرُّدٍ وصدقٍ وأمانةٍ هل يرضى أحد من أصحاب تلك القنوات لزوجته أو بنته أو أخته أو أمه أو إحدى قريباته أن تمارس تلك الأعمال المشينة التي تعرض على الملايين طوال ساعات الليل والنهار؟ إذا كان لا يرضى ذلك أي غيور منهم على عرضه فهل يرضى أن يرى النساء من قرابته ممن ذكرت سابقاً أو من الذكور هل يرضى أن يشاهدوا تلك القنوات التي تبثّ الفواحش والفجور وتنشرها للعالم أجمع حتى تصل إلى كل بيت لإشاعة الرذيلة والقضاء على كل فضيلة وانتشار الأوبئة والأمراض وهَتْك الأعراض في المجتمعات وخاصة بين المسلمين في جميع بقاع الأرض حتى ينسلخوا من إسلامهم؟ إذا كان لا يرضى هذه الأفعالَ الشنيعة

صاحبُ أيّ قناةٍ من المسلمين فهل تتحرك لديهم الغيرة على أعراضهم وأعراض المسلمين وعلى إسلامهم ويَهُبُّوا غَيْرَةً لله ويُوقِفُوا عشرات القنوات بكل تجهيزاتها للدعوة إلى الله ونشر الإسلام وتعاليمه السمحة حتى يكتب الله لهم رِفْعَةَ الدرجات وكثرة الحسنات والعتق من النيران والفوز بالجنة إن شاء الله تعالى؟ إن الأمل كبير في استيقاظ همم أولئك الرجال المنتسبين للإسلام وتحريك الغيرة فيهم واستنهاضهم للقيام ببعض ما أوجب الله عليهم في أموالهم وتوجيهها الوجهة الصحيحة لخدمة الإسلام والمسلمين وخدمة أنفسهم أولاً وأخيراً وإنقاذها من رِبْقَةِ الهوى وشياطين الإنس والجن الذين أوقعوا المسلمين في طرق الغواية والضلال، إنا لنرجوا أن يربأوا بأنفسهم عن كل ما يشيع الفاحشة في المجتمعات جميعها وفي مجتمعات المسلمين خاصة، وإنهم لن يرضوا على أنفسهم أن يكونوا مَعَاوِلَ هَدْمٍ للفضيلة وإشاعة الرذائل والدياثة في المجتمعات جميعها فضلاً عن أن يرضوها للمسلمين والمسلمات أو في خَاصَّةِ أنفسِهم، خاصَّةً وهم يعلمون قول الله عز وجل:((**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾**)).[النور:19]. والحديث الشريف:((**لا يدخل الجنة ديوث**)).والديوث:هو الذي يقرّ الفاحشة في أهله أو يرضى بها.

إن باب التوبة مفتوح، ولا أحد من المخلوقات يستطيع أن يمنع أحداً من البشر من دخول هذا الباب متى أراد الشخص وفي أي وقت من الأوقات، ولكن قبل خروج الروح قبل الغرغرة ومفاجأة الأجل،فمن رحمة الله بعباده أن فتح لهم هذا الباب العظيم للدخول منه، ويفرح ربنا عز وجل بتوبة العباد إذا

تابوا وأنابوا، وفوق ذلك وبعد أن فتح لهم باب الرجاء والولوج منه يبدل سيئاتهم التي ارتكبوها حسنات، فالواجب المبادرة بالتوبة إلى الله جل جلاله قال تعالى:((قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾)). [الزمر:53].وقال تعالى:((وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾)).[الأعراف:153].وقال سبحانه وبحمده:((إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾)).[الفرقان:70].**والدعوة الرابعة:**لأولئك القائمين على القنوات الخجولة الذين لم يفكروا في تأمين متطلبات القنوات ونشرهم للخير إلا على حساب أولئك المساكين، ولم يفكروا أنهم قد حرموا كثيراً من الناس من هذا الخير، وحقاً إني أخاف عليهم من أن تنطبق عليهم الآيات التالية، وعليهم أن يفكروا طويلاً في ذلك ويحاولوا البحث عن طريق تمويل لمشروعاتهم غير هذه ويطالبوا أصحاب المليارات من المسلمين بمساعدتهم ومساندتهم أو التكفل بتلك القنوات،قال تعالى:((إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾)).[البقرة:159،160]. وقال عز وجل:((إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟

ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾)).[البقرة:174-176].وقال صلى الله عليه وسلم:((**من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**)).رواه ابن حبان والحاكم،ورواه ابن ماجة بزيادةٍ وتعريفٍ للعلم المقصود وحصره في أمر الدين:((**من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**)). **والدعوة الخامسة**: لعموم المسلمين للدلالة على الخير وطرقه والوقوف مع أصحاب تلك القنوات والقائمين عليها وعلى الشبكات والوسائل الحديثة التي توصل الدعوة إلى الله إلى كل بقعة في العالم الوقوف بأي أسلوب مهما كان وبأي دعوة ومساندة، وأقل ما هناك هو الدعاء لهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**الدال على الخير كفاعله**)).وعليهم أن يُجَنِّبُوا أنفسهم وأهليهم ومن تحت أيديهم ومسؤوليتهم ويحذروهم من تلك القنوات التي تدعو إلى الفواحش وهي وسيلة إليها أو تلك التي تبثُّها وتنشرها والتي لا تمارسها البهائم على مرأى من بعضها وتغار على بعضها من أن يراها أحد من البشر، ومنها:الإبل حيث لو رأى جملٌ إنساناً ينظر إليه وهو يمارس شهوته مع الناقة لأدرك ذلك الإنسانَ - ولو بعد حِينٍ - وقضى عليه بأن يضربه حتى يضعه تحت بطنه ويبرك عليه حتى الموت، وهذه الغيرة في الحيوانات يجب ألا تغيب عن البشر إن كان لا زال عند من ذهبت غيرته أدنى بصيرة وتفكير:قال تعالى:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾)).[التحريم:6].

التصوير

الخطبة الأولى 1410/11/1هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. إن من الأمور الواجب معرفتها في هذا الزمان حكم التصوير عموماً والتفصيل في ذلك خاصة،حيث تجرأ على الْفُتْيا كثير من المسلمين من طلبة العلم وغيرهم وذلك بسبب نظرتهم من زاوية ضيقة لأسباب التحريم، لذلك تأَوَّلُوا الأحاديث الصحيحة وفسروها تفسيرات قد تكون بعيدة في بعض الأحيان عن المقصود، وفيها الشَّطَطُ في غالب الأحيان، وأقنعوا بعض العلماء الذين أفتوا بالحل في التصوير لأنها كالصورة في المرآة وحبس الظل وغير ذلك من الفتيا المبنية على القناعة التي أُخِذت من زاوية واحدة ولم تنظر في الأمر من منظور أوسع وأشمل وتستعرض الأحاديث الصحيحة والواقع الذي يعيشه الناس في هذا الزمن، مع أنَّ مِنْ علمائنا الموثوق بهم مَنْ أَشْبع الموضوع بحثاً وجمع بين الأحاديث ورجّح، ومنهم:سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رحمة واسعة، وأورد بعض الأدلة على التحريم من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾.[النجم:4].روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال:((**إن الذين يصنعون هذه الصور يُعذبون يوم القيامة ، يُقال لهم : أَحْيُوا ما خلقتم**)).متفق عليه. وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترتُ سَهْوَةً لي بِقِرَامٍ فيه تماثيل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلَوَّن وجهُه وقال:((**يا عائشة أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله ، قالت: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين**)).متفق عليه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**من صوّر صورة في الدنيا كُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ**)) متفق عليه. وعن أبي طلحة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**)).متفق عليه. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**)).متفق عليه. وعن سعيد بن أبي الحسن قال:جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني رجل أُصَوِّرُ هذه الصورَ فَأَفْتِنِي فيها، فقال: أُدْنُ مِنِّي ، فدنا منه، ثم قال:ادن مني ، فَدَنَا منه حتى وضع يده على رأسه ، فقال: أنبئك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:((**كل مصور في النار ، يُجْعَلُ له بكل صورة صورها نفس فيعذبه في جهنم**)). قال ابن عباس:[**فإن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا روح فيه**] متفق عليه. وكل الأحاديث التي تَمَّ ذِكْرُهَا متفق على صحتها مما رواه الإمامان الجليلان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى. وروى البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: وعد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جبريلُ أن يأتيه فَرَاثَ عليه ــ أي أبطأ ــ حتى اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فلقيه جبريل فشكا إليه ، فقال: إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة.

وروى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي الهياج حيان بن حصين قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه:((**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ألاّ تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سَوَّيْتَهُ**)). وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه زمن الفتح وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها، فلم يدخلها النبي صلى الله عليه وسلم حتى مُحِيَتْ كلُّ صورة فيها. وروى البخاري رحمه الله عن أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم:((**نهى عن ثمن الدم ، وثمن الكلب ، وكسب البغي ، ولعن آكل الربا وموكله ، والواشمة والمستوشمة ، والمصور**)) .

هذه بعض الأحاديث الصحيحة الدالة على تحريم التصوير لكل ذي روح وتدل على أن ذلك من كبائر الذنوب المتوعد عليها بالنار ، وهي عامة لأنواع التصوير سواء كان للصورة ظِلٌّ أو لا ظِلَّ لها. وسواء كان التصوير في حائط أو ستر أو قميص أو ثوب أو عمامة أو ورق كبير أو صغير أو غير ذلك ، وسواء كان التصوير باليد أو بالآلات الحديثة. هذا هو حكم نفس التصوير الذي يجب أن يعتقده كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، والاعتقاد ابتداء هو التحريم، ولكن تبقى أمور يخفى حكمها على كثير من المسلمين بحيث يخلطون بين الحرام وبين ما أبيح لضرورة أو غيرها. وقد يتفق كثير من المسلمين على أن الصور المجسمة لذوات الأرواح من الآدميين والحيوانات البرية والبحرية والطيور يتفقون على أنها حرام، وإذا أبعد وأزيل رأس أي مجسم أو صورة بالكلية ولم يبق إلا بقية الجسم فإن هذا العمل يخرجها عن شكل ذوات الأرواح وتصبح مشابهة للجمادات ويصبح هناك مسوغ شرعي لاستعمالها، هذا عند من يرى جواز ذلك، مع أن قطع الصورة وفصلها بخط يوضح أنها مقسومة بحيث لا تكون هناك حياة على حد تعبير الْمُجَوِّزِين

والمبيحين لا يُقَدِّمُ ولا يُؤَخِّرُ في الحياة، لأن الصورة ليس فيها حياة أصلاً فكيف تكون الفتيا بما لا يبقى معه حياة، إذاً فالصور التي تصف جسم الإنسان بما فيه الرأس كاملاً والوجه بمعالمه هي صورة حقيقية، وتسمى صورة، وهي تعطي صورة واضحة واقعية وَصْفِيَّةً للشخص خاصَّةً إن كانت مُلَوَّنَةً ، وليس من الْمُتَحَتِّمِ والضروري أن يكون الجسد كله ظاهراً في الصورة، فَالْوجْهُ لوحده يُعْطِي التفاصيل المطلوبة والواضحة عن الشخص الْمُصَوَّرِ، إن تعليق الصور وتعظيمها واحترام أصحابها وسيلة من وسائل الشرك التي جاء التحذير منها في الإسلام، وإني لأعجب كل العجب كيف يفهم ويدرك الكفار والملحدون خطورةَ الصور والمجسمات ولا يعلمها المسلمون الذين يعيشون في ديار الإسلام ويكادون يغيبون في الكتب الإسلامية التي بين أيديهم من كثرتها.

إني أُنَزِّهُ هذا المكان عن ذكر أي شيوعي أو غيره من الملاحدة والكفار ، ولكن أقول بأن زعيماً شيوعياً عاش في عصرنا وأمر بإزالة جميع الصور والمجسمات من جميع المحلات في بلاده ، ألا يعني هذا أنه يعرف مدى التقديس لمن سبقه عن طريق هذه الصور؟ ومع أننا نعلم حرمة تعليق الصور في البيوت وغيرها وكذلك وجود المجسمات للحيوانات وغيرها إلا أننا نجد التهاون بهذا الأمر كما هو الحال في غيره فعندما يدخل الشخص بيتاً من بيوت المسلمين إلا من رحم الله يجد في الاستقبال عند الباب مجسماً لأسد أو خيل أو ثعبان أو غير ذلك مما دُفعت فيه الأثمان الباهظة لإعلان العصيان على الله عز وجل ، وفي المجلس صورة صاحب البيت مُتَصَدِّرَةً المجلس أو صورة والده أو من يعزّ عليه في شبابهم أو للقادة والزعماء من الرجال، أما صور النساء فإلى الآن لم نشاهدها في المعروضات العامة من المنازل ، مع أنها مجودة في الغرف والأماكن الخاصة في البيوت عند كثير من

المسلمين، وأعظم من هذا موجود عند دعاة التغريب والتفسخ، وكل ذلك من المنكرات الظاهرة التي يجب أن يعرفها كل مسلم ومسلمة وأنه لا يجوز تعليقها أو نصبها بأي حال من الأحوال في البيوت والمكاتب أو غيرها من المحلات العامة والخاصة، وتجب إزالتها إلا ما دعت إليه حالات الضرورة في التعليم مثل الطب وغيره، وهناك امرأة أمريكية أسلمت ولم يمرّ على إسلامها إلا أقل من سنة أي في عام 1409هـ وكتبتْ عن الصُّور وحُرْمَتِها كتاباتٍ جيدةً استحسنت فيها تحريم التصوير لما علمته من الشرور الناجمة عنها، وتعجبت من واقع المسلمين ومحاولة بعضهم التفسيرات الباردة التي تبيح التصوير ، فالواجب على كل مسلم أن يعرف الحلال من الحرام و يأخذ العلم عن العلماء الذين يخافون الله ويتقونه ويثقون بصدق ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويؤمنون بأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان وينظرون إلى أي آية أو حديث بمنظور واسع وشامل وليس من زاوية ضيقة. ويعلمون أن الخير كله في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾[الحشر:٧] وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣ ﴾[النور:٦٣].

عن التصوير

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين ، أحمده عز وجل وأشكره وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله بلغ الرسالة وأدى

الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده لم يترك خيراً إلا دل عليه ولا شراً إلا حذر منه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:فقد فسر بعض المسلمين في القديم والحديث الأحاديث السالفة الذكر وغيرها من الأحاديث التي تدل على تحريم التصوير إجمالاً فَسَّرُوهَا بل قَصَرُوهَا على المجسمات أو على رسم اليد ، أو ما كان له ظل أو ما تمت به الحياة على حد قولهم، وأخرجوا الصُّوَرَ الْمُلْتَقَطَةَ بالآلات الحديثة من ذلك سواء كانت ملونة أو عادية وقالوا بأنَّ الصورة حَبْسٌ للظل ، ومثلها مثل الصورة التي في المرآة إلى غير ذلك من التأويلات والتفسيرات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونسوا أو تناسوا وغفلوا أو تغافلوا خاصة في هذا العصر الذي كثرت شروره عن الواقع وما يحيط بهم ومصدر تلك الشرور والمعاصي والآثام، نسوا شمولية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان ، وتناسوا صدق خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة الصريحة وأوّلوها حسب أفهامهم ولم يأخذوها جملة ويتأملوا واقع العالم بأجمعه، وغفلوا عن قول الله عن رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم:٣، ٤]. أعود لأقول مهلاً أيها المسلمون في أي مكان وَيَا مَنْ تعيشون هذا الزمان:عليكم أن تنظروا نظرة واسعة شاملة متأملة متأنية لهذا الموضوع الخطير، وعلى كل منا أن يستعرض جميع الأحاديث الواردة في التصوير، ثم يسأل ويجيب في الوقت نفسه بكل صدق وإخلاص بعد التفكير فيمن حوله وفيما حوله وعما سمع أو رأى أو قرأ وفيما يدور عبر القنوات والتقنيات الحديثة بجميع وسائلها نتيجة التصوير الذي سبّب الطلاق في بعض البيوت والمشاكل التي تأصّلت في النفوس إلى حد الانتقام أو علّم الإجرام وتهريب المخدرات والحب والغرام عبر

المسلسلات التي غرست كثيراً من الصفات والتصرفات والسلوكيات غير المحمودة في النفوس.

س:هل يرضى أحد منا أن تكون صورة لزوجته أو أخته أو بنته أو إحدى قريباته لدى أحد الأجانب عنها يتمتع برؤيتها أو يتناقلها الشباب بينهم وينسخون منها ما يريدون ويُوَزِّعُونَ ؟ حتى إذا ما أراد أحدهم الزواج مِمَّنْ تَحِلُّ له منهنَّ ولم تَقْبَلْ وَاجَهَ وليَّها بأنها تُحِبُّهُ ، والدليلُ على ذلك وُجُودُ صُورَتِهَا عنده؟ وأنَّ العلاقةَ بينهما قائمةٌ منذ زمن طويل؟ وقد يُقْدِمُ بعضُهم على ذلك التصرف المشين بعد دخول الزوج أو بعد العقد الشرعي أو بعد فترة من الزمن ليتم التفريق بينهما ويهدم بيت الزوجية بسبب تلك الصورة التي أخذتها بعضُ زميلاتها في غَمْرَةِ الفرح في عُرْسٍ أو خلافه أو باحتيال من أجل الذكرى أو غير ذلك من الأسباب المقنعة لها حتى وقعت في الشِّباك التي نُصِبَتْ لها وتبقى بسببها عَاضَّةً أصابع الندم على ما فُعِلَ بها، ويصبح ذلك عاراً عليها في حياتها بسبب الأشرار وهذا الاستغلال السيئ ، هذا بالنسبة للصورة الواحدة لمن ذُكِرَ عادية أو ملونة، والجواب لا يرضى أحد بذلك مهما كانت الظروف، إذاً فالأسئلة تَتْرًا للتصوير وطرقه وأساليبه المتنوعة التي تُظْهِرُ الأجسامَ كاملةً وحركاتِها والأصواتِ الْمُصَاحِبَةَ لها، ونبدأ من بعض الحفلات لزواج أو غيره التي يتم فيها التقاط الصور عبر الأفلام المسجلة بالصوت والصورة التي تعرض المشاهد المختلفة،فهل يرضى مسلم بأن تكون صورة لإحدى محارمه يتناقلها القريب والبعيد؟ أو تُعْرَضَ عبر جهاز الفيديو أو الحاسب أو الهاتف المحمول أو الشبكة العالمية وتتناقلها الأيدي الآثمة لتعرض عليهم رغماً عن الأنوف؟ هل يرضى مسلم غيور بأن تكون إحدى محارمه ممثلة أو مغنية أو غير ذلك وتظهر على الشاشات في القنوات الفضائية أمام العالم ؟ هل يرضى مسلم مؤمن بأن تعرض أفلام

الجنس للبهائم البشرية الذين هم في صور البشر والتي أفسدت البيوت والأسر، هل يرضى أن تُعرض على أهل بيته الذكور منهم والإناث ؟ لقد وصل الأمر عند بعض ضعاف النفوس وفاقدي الإيمان ممن يدّعون الإسلام وفي غمرة الشهوة البهيمية العارمة أن يُثَبِّتَ أحدُهم آلةَ التصوير بالفيديو عند مباشرة زوجته وبأشكال مختلفة عبر المرايا العاكسة على السرير وفي جوانب الغرفة، فهل بعد هذا انحطاط وسفالة ودناءة وشهوة حيوانية بهيمية متردية؟ إن بعض الحيوانات أغير من هذا الصنف من الناس واسألوا أهل الجمال عن هذه الْغَيْرَةِ فيما لو رأى جَمَلٌ شخصاً يشاهده أثناء ممارسته عمليته مع النَّاقَةِ ماذا يفعل بذلك الْمُشَاهِدِ؟ إنه القضاء على حياة ذلك الشخص ولو بعد حين، وهذا الصنف أضل من بهيمة الأنعام ، قال تعالى: ((أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾))[الفرقان:44].أعود للأسئلة وإن طالت فلابد منها ليُعرف الحكم الشرعي ، هل يرضى أحد منا أن تكون صورة إحدى محارمه متصدرة إحدى المجلات العادية أو الخاصة بتصميم الأزياء؟أو تعرض عبر الشاشات الفضائية للإعلانات الدعائية لأي سلعة تجارية ؟ هل يرضى أحد أن يكون أحد أولاده ذكراً أو أنثى سارقاً أو قاطع طريق أو مهرّباً للمخدرات أو زانياً أو غير ذلك من الجرائم الخلقية من خلال اقتباسه تلك الأفعال مما يعرض بمسلسلات عبر الفضائيات سلباً أو إيجاباً؟ هل يرضى عاقل أن يجلس أحد أفراد أسرته عند الحاسب المسمى بالكمبيوتر ليطلع من خلال الشبكة العنكبوتية المسماة بالإنترنت لتظهر له صورة من يريد في أي بقعة من بقاع العالم ويطلب من الجنس المقابل له أن يظهر له من خلال العدسات الموجودة لدى الطرفين في صورة مخلة بالشرف والحياء والفضيلة حتى تمارس الشهوة البهيمية أمام الطرف الثاني داخل البيوت في عُقْرِ الدور من خلال

غرف الدردشة على حد تعبيرهم؟ نعم لقد وصل الأمر هذا الحد وأكثر ولم يقف عند الفضائيات وما يبث من خلالها من أفلام مسبقة الإعداد والتخطيط لإضلال المسلمين واستهدافهم بشتى الطرق بل ولم تَعُدْ قاصرةً عند أفلام الجنس التي كانت تعرض بالفيديو قبل عشرات السنين ،لم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه وازداد سوءاً وطفح الكيل حيث الإرسال المباشر لأي بلد في العالم وبأبسط وأسهلها وأقلها كُلْفَةً وأسرعها وصولاً وإثارةً عبر عدسات الهاتف المحمول والأجهزة الحاسوبية من أي شخص لشخص آخر أو للملايين من الناس وفي أي بُقْعَةٍ من الأرض حتى لو كان بين الأرض والسماء ، وكل يوم يأتي الجديد من الجنون التي تُحْمل مع الفنون وأهلها، إن كل واحد منا بلا شك يجيب بعدم الرضا عن تلك الْفِعَالِ، إذاً ما مصدر تلك الأفعال التي لا نريدها ونرفضها تماماً؟ وبِأَيِّ آلة ووسيلة كانت بداية النقل ؟ وهل ذلك حَبْسٌ للظلِّ أو نَقْلٌ وتصويرٌ لواقعٍ حقيقيٍّ عبر وسائل تقنية في ثَوَانٍ ولحظاتٍ بدايتها عدسات التصوير الصغيرة أو الكبيرة؟**الجواب**:إنه التصوير وعدسات التصوير والمصورون الذين يقفون خلف تلك الأجهزة صغرت أم كبرت عادية أو آلية من عدسةِ هاتفٍ أو حاسوب أو أي آلة أخرى صغيرة أو كبيرة، فهل يرضى المسلم أن تُصَوَّرَ زوجتُه أو إحدى محارمه من عدسات الهاتف المحمول المسمى بالجوال في قصور الأفراح أو المشاغل النسائية محلات إصلاح مظاهرهن مع تخريب البواطن هل يرضى أن يتم ذلك ثم يُرْسَل في الحال أو بعد حين إلى أي شخص أو جهة أو مكان، إذاً ما هو الدافع لعدم رضاك أيها المسلم عن هذه الممارسات ؟ الإجابة هي الغيرة على المحارم والأعراض . هل هذه الغيرة مبنية على أساس من الدين؟ أم أنه الهوى أو الفطرة التي تتحرك في النفوس؟ كُلٌّ يحاول أن يجد جواباً شافياً ولكنه لا

يستطيع ، والحقيقة أن الغيرة تحركت في النفوس بسبب تحرك الفطرة الإيمانية التي تعلم أن دافعاً إيمانياً يقف وراءها بالدفع ولكن لا تعلم حرمة التصوير الذي ورد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل يشك مسلم بعد ذلك في صلاح هذا الدين لكل زمان ومكان؟ وهل يراوده أدنى شك في الأحاديث الصحيحة ثم لا يفكر بعقل متفتح لسبب التحريم من كل الجوانب دون قَصْر ذلك على جانب دون آخر أو النظر من زاوية ضيقة ؟ فعلى الذي يقول بأن التصوير بالآلات الحديثة ما هو إلا حبس للظل وكالظل وكالصورة في المرآة عليه أن يجيب عن الأسئلة السابقة بعد أن يتأمل كل الأحاديث الصحيحة الواردة في التصوير وينظر في الواقع ويتجرد عن الهوى، إن الأسئلة والإجابة أو الأجوبة كثيرة ولكن مقام الخطبة لا يسمح بالاسترسال فيها ، وخلاصة القول:علينا أن نعتقد حرمة التصوير ابتداءً لا فرق في ذلك بين مجسم وغيره، أو ما كان بيد أو بآلة حديثة ، ملوناً أو عادياً، صورة واحدة أو أفلاماً، للذكور والإناث، من الآدميين والحيوانات والطيور وغيرها من ذوات الأرواح لعموم الأحاديث الدالة على حرمة التصوير ، وهو في حق المرأة أخطر وأفسد للمجتمع، وقد حرص ولاة الأمر في هذا البلد بألا تظهر صورة امرأة في أي مجلة أو جريدة محلية ، نسأل الله تعالى أن يزيدهم هدى وتوفيقاً وثباتاً على الحق ،كما نسأله عز وجل أن يوفقهم لمنع دخول ما يفسد على المجتمع أخلاقه وسلوكه من مجلات وأفلام من خارج هذه البلاد المباركة، ومع أن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء قد أصدرت قبل أكثر من شهرين ما يشفي ويكفي حول تلك المجلات والصور الخليعة إلا أن دعاة الشر والانحلال والفساد ودعاة خلع الحجاب والاختلاط كما هي عادتهم لا يهدأ لهم بال ولا ينامون بل يَسْعَوْنَ ليل نهار لإخراج المسلمة من بيتها بأي أسلوب والزَّجِّ بها بين دعاة الشهوة

بعد أو قبل نزع الحجاب، وهاهي إحدى مجلاتهم الصادرة هذا الأسبوع 1421/3/29هـ والتي تخالف دعوة ولاة الأمر تخطو خطوات تسبق مثيلاتها بعرض الصور النسائية من الداخل والخارج وتبدأ بمناقشة التصوير النسائي الذي انتشر في محلات خاصة ومن عناوينها . القبيحات يصبحن جميلات . ليلعبوا لعبتهم ويصلوا لأهدافهم من خلال مكرهم وتخطيطهم ودهائهم في غفلة من أهل الإيمان وفتور ممن يعنيهم الأمر، ومتى انتشرت الصور النسائية وأصبح ضرورة كما يدَّعون ويطالبون ويردِّدُون ولا يَسْأَمُون ولا يَمَلُّون عندها يصلون لما يريدون من نزع المرأة للحجاب ، وإذا نزع الحجاب فسوف يكون الاختلاط بين الجنسين في شتى المجالات والأماكن والإدارات والمؤسسات التعليمية بدعوى الاقتصاد وعدم هدر الأموال والحاجة الملحة لذلك ، ومن خلال ذلك يكون الاختلاء ويقع البلاء مع الخلوة التي بها ومعها تُمَارَسُ الشهوة،وعندها يصبح بلد التوحيد ومنارة الإسلام كغيره من البلاد، بعد ذلك هل يبقى أحد يعتقد وجوب الحجاب على المرأة المسلمة؟ فإذا قلنا نعم ، فهل يبقى للحجاب معنى إذا كانت صور النساء وظهورهن عن طريق التصوير واختلاطهن بالرجال في كل مجال؟ وإذا قلنا بأنه عليهن حرام ، فهل ورد ما يخصهن بالتحريم دون الرجال؟ والإجابة تم توضيحها من خلال الكلام السابق، والصور لذوات الأرواح محرمة، وفي الآدميين أشد، وللمرأة أشد حرمة ، ولا يُباح منها إلا ما كان للضرورة للرجال في البطاقة أو الرخصة أو الحفيظة أو الجواز أو استمارات الطلبة الذكور وكشف الجريمة وغير ذلك مما تدعو له الضرورة، وما كان للتعليم وما كان لنشر الإسلام وتعاليمه عبر الوسائل المختلفة دون توسع واهتمام بالمظاهر، مع الابتعاد عن عرض النساء أياً كان فلا ضرورة في تعليم الدين عن طريقهن ، بل لا يجوز أن تظهر المرأة أمام أي أجنبي عنها، وكما

هو معلوم بأن الوسائل لها أحكام الغايات، والغاية تبرر الوسيلة ، والحكم يتبع المقصود إليه دون التابع. فعلى المسلم أن يتقي الله تعالى ويُعِدّ نفسه للوقوف بين يدي الله تعالى ويتذكر موقف الحساب والعقاب والثواب، وعلى المصورين الرجال والنساء أن يأخذوا بفتوى ابن عباس رضي الله عنهما ويَقْصُرُوا أعمالَهم على الجبال والأشجار والسفن والطائرات والسيارات والقطارات والمدارس والمساجد والمباني وآيات الله في البحار والجبال والأنهار والأرض والأنفس وفي حدود الضرورة والتعليم. اللهم رُدَّ كيد أعداء الإسلام والمسلمين في نحورهم، وأكفنا فيهم بما شئت وكيف شئت يا ذا الجلال والإكرام. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

الخِطْبَة

الخطبة الأولى **1410/11/22هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فهناك أمور تسبق الزواج قد يخفى على بعض المسلمين حكم الإسلام فيها أو قد يتهاونون فيها ويعيشون بين الإفراط والتفريط بين عادات الكفار والتشبه بهم وبين العادات التي ورثوها عن الآباء والأجداد.

والخِطْبَةُ بكسر الخاء خِطبة الرجل للمرأة لِيَنْكِحَهَا أيْ يتزوجها، وقد شرع الله الخِطْبَةَ قبل الارتباط بعقد الزوجية ، ليتعرف كل من الزوجين على

صاحبه ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [البقرة:٢٣٥].

أما الْخُطْبَةُ ، بِضَمِّ الْخَاءِ فهي: حَمْدُ الله تعالى والثناء عليه والشهادتان ، المعروفة في مقدمة الخطب والمواعظ ،والمسماة بخطبة الحاجة،ثم ذكر الكلام بعدها سواء كان قليلاً أو كثيراً ، ومنها خُطبة الجمعة والعيدين وخُطبة الاستسقاء وخُطبة الحاجة والْخُطبة التي تسبق عقد الزواج عند الخِطْبَةِ التي يتقدم بها الرجل إلى أولياء الْمَخْطُوبَةِ وغير ذلك من أنواع الْخُطَبِ، ويتفاوت المسلمون في هدفهم وغرضهم من الزواج وخاصة في هذه الأيام سواء الرجال أو النساء، مع أن ذلك وغيره قد حُدِّدَ في الإسلام وضُبِطَ بضوابط لو طُبِّقَتْ بعد الرضا والتسليم لَعَمَّ الرخاءُ والأمنُ وصلح المجتمع بإذن الله ، أما بالنسبة للرجل فعند ما يريد اختيار الزوجة فعليه أن يبحث عن ذات الدين والخلق ويظفر بها وإن كانت دميمة أو ليست على درجة من الجمال أو مما يسعى إليه معظم الناس اليوم بالنسبة للمال أو الحسب والنسب أو الجمال ، فكل هذه المطالب سريعة الزوال لأدْنَى وأَتْفَه الأسباب ، وإن كان لا بأس بتلك المطالب مجتمعة أو بأحدها فهي خير إلى خير، ولكن التركيز على غير الدين ذاهب لا محالة وقد تكون له عواقبه ونتائجه الْوَخِيمَة ، أما الدين فهو الدعامة الراسخة الكفيلة بإذن الله بإرساء دعامات الأسرة المسلمة ورسوخ قواعدها وهذا المطلب ثبتت خَيْرِيَّتُهُ وفضلُه في القرآن الكريم وفي الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى : ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة:٢٢١]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**تُنْكَحُ المرأةُ لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك**)). نعم إن هذه الأمور الأربعة هي التي تدفع الرجل إلى الزواج من المرأة وقد تكون مجتمعة فيها، وقد يجتمع فيها أمران أو

ثلاثة أو واحد وقد يكون غير ذلك، والذي نسمعه من سنوات أن الذي يقدم على الزواج من الشباب لا يريد إلا المرأة الحسناء على حد تعبيره أي الجميلة بمعنى أصح ولا يهمه الدين ، وقد يتجه بعضهم إلى الرغبة في المال ، وقد يسعى آخرون إلى الحسب والنسب والجمال ، وهذه الأمور ليست محرمة لكنها أهداف ومطالب قصيرة الأمد والأجل تنتهي وتتوقف في أي لحظة من اللحظات القريبة أو البعيدة، ولكنَّ الدينَ قليلٌ مَنْ يَبْحَثُ عنه مع أن السعادة فيه في الدنيا والآخرة، فالمرأة الصالحة أرض طيبة للأولاد ، والأولاد الصالحون من خير الأعمال الصالحة التي ينقطع عمل ابن آدم منها بعد موته وتبقى بعده يَصِلُهُ ثَوَابُهَا بإذن الله بعد الممات. والمرأة الصالحة إنْ نَظَرْتَ إليها سَرَّتْكَ بكلامها ومنطقها وحسن معاشرتها، وإن لم تكن جميلة فجمال خُلُقِهَا يَغَطِّي النَّقْصَ في جمال خِلْقَتِهَا، وإنِ اجْتَمَعَ الأَمْرَانِ فالحمد لله وذلك خير على خير،وإنْ غِبْتَ عنها حفظتك في مالك وولدك وعرضها، وإن أمرتها أطاعتك، فهي خَيْرُ مَتَاعِ الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم:((**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**))رواه مسلم.

وقد ورد في الأثر:[لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حُسْنُهُنَّ أنْ يُرْدِ يَهُنَّ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الإيمان، ولأَمَةٌ خَرْمَاءُ سوداءُ ذاتُ دِينٍ أفضل].وكما أن الدين مطلوب من المرأة عند البحث عنها من قبل الرجل فكذلك هو مطلوب أن يوجد في الرجل المتقدم للزواج من النساء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :((**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير..**)). وفي رواية[**عريض**]بدل[**كبير**] و[**فزوجوه**] بدل[**فأنكحوه**]، ولننظر إلى دقة اللفظ في الحديث من حيث الدين والخُلُق، فالمعلوم أن الخلق من الدين، والدين يشمل ذلك ، ولكن قد يكون الشخص صاحب دين

وصلاح ولكنْ فيه من الطباع والصفات والأخلاق أمور غير مرغوب فيها لدى المرأة وخاصة التي سوف تعيش معه وتعاشره،مثل:البخل والشح والجبن والغلظة والفظاظة وضرب النساء وغير ذلك من الطباع والأخلاق التي قد لا تحتملها المرأة ولا ترضاها في الزوج الذي تريده، ولذلك جاء في الحديث:((**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**)). ولابد للخاطب إذا كان غير الزوج نفسه أو الوسيط المسئول عن حال المتقدم للمرأة أن يكون أميناً صادقاً واضحاً فيما ينقله عن الرجل الذي يتقدم لخطبة أي امرأة، لأن غالبية من يتم سؤالهم عن حال أي متقدم للزواج وخاصة بعض الناس الذين تأخذهم الحمية لزواج صاحبهم حتى يُوقِعُوا تلك المسكينةَ،فغالبيتهم أقرب إلى الغش والتدليس والكذب وأبعد عن الصدق والأمانة، وخاصة من أقربائه أو زملائه في العمل لأنه يطلب منهم تزكيته وذِكْرَهُ بما ليس فيه من الأخلاق والمعاملة الحسنة حتى يظفر بتلك المرأة، فليتق الله كل مسلم ويعطي ما يعرفه من معلومات حقيقية سواء كانت إيجابية أو سلبية لا ما يظنه أو يكون مبنياً على التخمين سواء في صالح الخاطب أو ضده ، فلا بد أن يكون أميناً صادقاً ناصحاً، ولا حرج عليه فيما يذكره من حقائق عنه للأمانة وليس ذلك من باب الغيبة إلا أن يكون قاصداً للغيبة مُتَنَقِّصاً لأخيه المسلم. جاء في الحديث أن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلتُ: إن أبا الجهم ومعاوية خطباني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أما معاوية فَصُعْلُوكٌ لا مالَ له، وأما أبو الجهم فلا يَضَعُ العصا عن عاتقه**)).متفق عليه.وفي رواية لمسلم:((**وأما أبو الجهم فَضَرَّابٌ للنساء**)).وهو تفسير لرواية:((**لا يضع العصا عن عاتقه**)).وقيل معناه:كثير الأسفار.فعلى المسلم ألاَّ يُزَكِّيَ أحداً إلا بما يعلم من حاله وواقعه فعلاً ، ولا يشهد إلا بما يعرفه حقيقة لا ظناً أو تخميناً ، وإذا لم يخالط الشخص ويتعامل معه في تجارة

أو عمل أو سفر أو غير ذلك فليبتعد عن تزكيته أو مدحه بما يظهر منه، لأنه قد يكون تَصَنُّعاً عند غالب الناس فيما يظهر منهم ، والله أعلم بالحقائق ، فلا يشهد إلا بما يعلم ، فعلى ولي أمر المرأة أن يتقي الله تعالى في حُسْنِ اختيار الزوج الصالح صاحبِ الدين لموليته وألا يجبرها على زوج لا تريده في الوقت نفسه لأنها هي التي سوف تعيش معه ولها حق الرفض أو الموافقة ، لأن بعض الأولياء يرغمون المرأة على الزواج ممن لا تريد، وهذا فيه من المحاذير العظيمة والعواقب الوخيمة ما الله به عليم، فعلى الولي أن يستشير المرأة التي يتولى أمر تزويجها سواء كانت بنتاً أو أختاً أو أُمّاً أو غير ذلك ممن كانت له ولاية عليها. سواء كانت بكراً أم ثيباً على خلاف في البكر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حتى تُسْتَأَمَرَ، ولا تُنْكَحُ البكر حتى تُستأذن**))، قالوا: يا رسول الله كيف إذنها؟ قال:((**أن تسكت**))وفي رواية:((**إذنها صِمَاتُهَا**)).وفي أخرى:((**رضاها صَمْتُهَا**)).رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.ومن الأمور الواجب معرفة الحكم فيها عند الخطبة – حرمة خِطْبة الرجل على خِطْبة أخيه المسلم إذا علم بذلك ، أما إذا لم يعلم فلا حرج عليه لأن الشخص يأتي لخطبة المرأة وهو لا يعلم غالباً هل هي مخطوبة أم لا ؟ وخاصة في المدن، أما في القرى والهِجَرِ فإذا خُطِبَت المرأة فإنه ينتشر الخبر ويعلم بذلك مجتمعها الذي تعيش فيه، أما الخاطب من بعيد فلا يعلم غالباً إلا بالسؤال، لأن في إِقْدَامِ الخاطب الثاني إذا علم ذلك إفساداً على الخاطب الأول وإيقاعاً للعداوة بين الناس وإيغاراً للصدور وإثارة للفتن ، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك في أحاديث صحيحة، منها:حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيع بعضكم على بيع بعض ، ولا يَخْطُبَ الرجلُ على خِطْبَة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له.رواه البخاري

ومسلم وقوله صلى الله عليه وسلم:((**المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يَذَرَ**)).وقال صلى الله عليه وسلم:((**ولا يخطب الرجل على خِطْبَةِ أخيه حتى ينكح أو يترك**)).رواه البخاري ومسلم.فَعُلِمَ من ذلك تحريم خطبة الرجل على خطبة أخيه ، فكيف بمن يتكلم في الخاطب الأول بما ليس فيه ويلصق به من العيوب ما الله به عليم ليفسد هذا الزواج ويظفر هو بتلك الزوجة ويمدح نفسه ويظهر بمظاهر زائفة لا شك أن التحريم أشد وأعظم، وبهذه المناسبة فإن بعض المفسدين لأي أمر من الأمور بينهم وبين الخاطب يسعون لإلصاق التهم به والعيوب وسبّه والتكلم في عرضه، بل البهتان والافتراء عليه لكي يفسدوا ذلك الزواج لمرض في نفوسهم، فهذا للأسف منتشر في مجتمعات المسلمين ، ولا يكاد يصدق أحد وجوده بين المسلمين ، وما ذلك إلا لضعف الإيمان والنفاق نعوذ بالله من ذلك، وقد يفسد بعضهم عند العقد أو الدخول بالمرأة أو قبل أو بعد بأشياء تُبَاعِدُ بين الناس ، وأما عن سَعْيِ الرجل لاختيار الزوج الصالح لموليته فلا حرج في ذلك ولا غَضَاضَةَ بل هو من كمال الاختيار وحسنه، فقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك وفي الأحاديث الصحيحة، فورد في القرآن أن بنت شعيب عليه السلام لَمَّا وصفت له ـ موسى عليه السلام ـ وهي لا تعرفه من قبل، ولكنها وصفته بالقوة والأمانة ، وكذلك أخبر هو عن قصته عندما سأله عن ذلك ـ لهذا فقد عرض عليه شُعيبٌ وخَيَّرَهُ من الزواج بإحدى ابنتيه، وعلم موسى أيضاً عليه الصلاة والسلام من صلاح أبيهما ومن صلاحهما وخاصة من تلك التي جاءت تمشي على استحياء ، والحياء مطلوب من المرأة ، وعرف أيضاً قبل ذلك ابتعاد البنتين بعيداً عن الذين يسقون وعدم اختلاطهما بالرجال وانتظارهما انتهاء أولئك الرجال لِتَرِدَا الماءَ وتَسْقِيَا الماشية ــ فعملهما ذلك

كان له أثر أيضاً في نفس موسى عليه السلام إلى جانب الأسباب الدينية الأخرى ، قال تعالى مخبراً عن ذلك الزواج:((فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾))[القصص:٢٥-٢٧]،وقال تعالى:((وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾))[النور:٣٢].قال تعالى:﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ ﴾[البقرة:٢٢١].وفي الحديث الصحيح ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تَأَيَّمَتْ حفصةُ بنت عمر من خُنَيْس بن حُذَافَةَ السَّهْمِيّ، وكان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قد شهد بدراً، تُوُفِّيَ بالمدينة،قال عمر:فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقلت:إنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حفصةَ بِنْتَ عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبثتُ ليالي ثم لقيني فقال: قد بَدَا لي ألاَّ أتزوج يومي هذا، قال عمر:فلقيت أبا بكر الصديق فقلت:إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فَصَمَتَ أبو بكر فلم يَرْجِعْ إلي شيئاً وكنتُ أَوْجَدَ عليه مني على عثمان . أي أن عمر غضب عليه أكثر من غضبه على عثمان رضي الله عنهم جميعاً . فلبثتُ ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه ، فلقيني أبو بكر فقال:لعلك وَجَدْتَ عليَّ حين عَرَضْتَ عليَّ حفصة فلم أَرْجِعْ إليك شيئاً،قال عمر:نعم، قال أبو بكر:فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أنني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذَكَرَهَا، فلم أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها

رسول الله صلى الله عليه وسلم لَقَبِلْتُهَا.رواه البخاري.والروايات عن السلف الصالح في هذا الباب كثيرة ولكن المقام لا يسمح بذكرها وتكفي الإشارة إلى ذلك لمن أراد الإقتداء والاهتداء فإنه لا حرج في ذلك ولا غضاضة، بل إن البحث عن الرجل الصالح للبنت سواء بالتصريح أو التلميح أو إرسال أحد بأي طريقة للدلالة على إقدام ذلك الرجل على خطبة تلك البنت من وليها فذلك أمر حسن ، وكما أن الرجل يبحث لابنه عن امرأة صالحة فإن للبنت حقاً أيضاً في اختيار الزوج الصالح سواء تقدم هو بنفسه أو يبحث عنه بأي طريقة تحفظ للجميع كرامتهم وتخدم مصالحهم .

عـن الخِـطْـبَة

الـخـطـبـة الـثـانـيـة

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده سبحانه وبحمده وأشكره وأؤمن به وأتوكل عليه وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله .

أما بعد: فإن واقع المسلمين بالنسبة لنظر الخاطب إلى مخطوبته بين الإفراط والتفريط ، كما هو واقعهم في كثير من الأمور أيضاً ، مع أن الخير كله في اتباع منهج الإسلام، ففي بعض البلاد يخلو الشاب بالشابة ويتنقلون من مكان إلى آخر في الجامعات وقاعات الدرس والأسواق والْمُتَنَـزَّهَات والملاهي وغيرها تقليداً منهم وتشبهاً بالكفار وابتعاداً عن روح الإسلام ومعانيه السامية ، وفي بعض البلاد لا يعرف الزوج زوجته إلا ليلة الزواج، يحرِّمُون عليه النظرَ إليها حتى بعد العقد ، وليس ذلك تَحَفُّظاً منهم وتمسكاً بالدين وحِرْصاً على الحجاب،إنما هو التمسك بالعادات والموروثات

الجاهلية ،لأنها قد تكشف على مَنْ لا يحل له النظر إليها من أبناء العم والخال والعشيرة، وقليل من يعمل بالإسلام وتعاليمه ، فالمشروع أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا اتفق هو وأهل الزوجة على الأمورِ الْمَبْدَئِيَّةِ ولم يَبْقَ إلا النظر وعرفوا صِدْقَهُ وإِقْدَامَهُ على الزواج فإن له النظر إليها للأحاديث الواردة المبيحة النظر للمخطوبة ، وذلك بعد الاتفاق على جميع الشروط بينهم والسؤال الذي يريدونه جميعهم وبعد معرفتهم لِمَطَالِبِهِ من أوصاف المرأة إن كانت موجودة في ابنتهم أَوْ غير متوفرة ، لئلا تكونَ البنتُ سِلْعَةً ينظر إليها كل من يتقدم سواء كان صادقاً أو كاذباً ولئلا تحصل أمور أخرى لا تحمد عقباها، وخاصة في نقل الأوصاف بين مرضى النفوس وضعيفي الإيمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**)). وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:((**إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته وإن كانت لا تعلم**)) وقال صلى الله عليه وسلم للمغيرة وقد خطب امرأة:((**انظر إليها فإنه أَحْرَى أنْ يُؤْدَمَ بينكما**)). وقال صلى الله عليه وسلم لرجل أتاه فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار:((**أَنَظَرْتَ إليها ؟**))**قال: لا ، قال** :((**فاذهب وانظر إليها فإن في أَعْيُنِ الأنصار شيئاً**)). قيل: عَمَشٌ ، وقيل:صِغَرٌ ، وقيل: زُرْقَةٌ . فالمشروع أن يرى الخاطب بنفسه مخطوبته لأن الْعِشْرَةَ سوف تكون بينهما مستمرة بإذن الله ، فلا تُبْنَى على غرر ولا غش ولا خداع، وليس كما يفعله بعض الناس من نظر الأم أو إحدى القريبات فَلَسْنَ هن اللائي سوف يُعَاشِرْنَ المرأة أو يَعِشْنَ معها ، ولكل إنسان نظرته وإن كان ذلك أفضل في البداية لوصفها للخاطب ليقدم أو يحجم ثم هو ينظر إليها بعد الاتفاق فيما بينهم وبعد السؤال ، والغريب في أمر الناس اليوم أنهم لا ينكرون على أحد يريد شراء سلعة مهما قل ثمنها وإن كانت مَعِيبَةً عندما لا

تعجبه ويتركها فترى أحدهم يقلب البضاعة من أعلاها إلى أسفلها ليأخذ رغبته وما يريد ، ويُقَلِّب في الأغنام والبهائم ويتجوَّل يَمْنَةً ويسْرةً في السوق ليحصل على طلبه وفي السيارات والمعارض والأراضي والعقارات وقد يبيعها بعد ساعة، فلا أحد ينكر عليه ذلك وهو أمر مباح، ولكن عندما يريد امرأة تشاركه حياته وتكون أرضاً طيبة لأولاده يعيش معها حياة طويلة لا يُمَكَّنُ من ذلك بحكم العادات والتقاليد ، أو يكون على العكس من ذلك حيث يُقَدِّمُ بعضُهم صورةَ المرأةِ ليراها الرجل، وهذا أمر محرم لما له من عواقب سيئة وخطيرة على المرأة خاصة إذا سُلِّمَتِ الصورةُ للخاطب أو أحد أقربائه ، والمرأة لا تتصور في هذا البلد إلى الآن والحمد لله ، وهذا من فضل الله علينا، ولم تُلْجِئْهَا الضرورةُ إلى ذلك ما دامت داخل البلاد إلا في حالات الضرورة المعروفة مع أن دعاة الشر يطالبون بذلك من عشرات السنين ولن يملّوا حتى تتحقق مآربهم مع سعيهم الدَّءُوب وتهاون أهل الخير وتساهلهم في الأمور حتى يتسع الخرق على الراقع وعندها تتفاقم الأمور وتكثر الشرور، فكيف يبيحون تقديم صورة البنت مع حرمة ذلك التصوير ويحرمون المباح والحلال وهو النظر مباشرة إلى المرأة. ومن الأمور المبتدعة التي لم ينزل الله بها من سلطان وقد جاء النهي عنها بالتصريح أو التلميح في القرآن أو السنة أو هما معاً عدة أمور أكتفي بالإشارة إليها لضيق الوقت.**ومنها**: خاتم الخِطبة ـ المسمى دُبْلَةُ الْخُطُوبَةِ ـ خاصة من الذهب ، فالذهب محرم على الرجال سواء في الخِطبة أو غير ذلك من الأحوال ، وكذلك التكاليف الباهظة التي قد يستأجر لها أبو الزوجة أو الزوج قصور الأفراح ليتم العقد بين الزوجين وقد تصل التكاليف إلى عشرات الآلاف من الريالات بل مئات الآلاف ، وهذه التكاليف في العقد من ضمن العقبات والمعوقات التي وقفت سداً وحاجزاً في طريق زواج الشباب وعدم تيسير الزواج وتسهيله ، مع أن العقد يتم

بحضور شاهدين وولي المرأة أو الوكيل والزوج أو وكيله وينعقد بالإيجاب والقبول بعد رضا الطرفين وتسمية المهر حتى ولو لم يُوجَدْ كَأْسٌ من الماء، فضلاً عما يُفْعل في هذا الزمان من مظاهر زائفة وعاداتٍ أوجبها الناس على أنفسهم وليست من الدين في شيء ، ويتم العقد بما سبق توضيحه ولو لم يُوجَدْ عَاقِدٌ للنكاح، لأنَّ المأذونَ الرسْمِيَّ ليس شرطاً في صِحَّةِ عقد النكاح، وإنما هو لأمور تنظيمية رسمية تثبت ذلك العقد رسمياً، . ومع أن الجهةَ المنظِّمةَ منعت ذِكْرَ الشَّرْعِيّ واستبدلتها بالرَّسْمِيِّ عند كتابة اسم المأذون فلم يفهم المقصودَ من ذلك كثيرٌ من المأذونين ، ومنهم من يحمل الدكتوراة في الفقه مع أنه لا يفقه الفرق بينهما. لذلك أقول بأنه لا بُدَّ من المأذون في هذا الزمن نظراً لما يترتب على عدم الإثبات الرسمي من محاذير وعواقب وآثارٍ سيئة، وقد ظهرت النتائج السيئة على عدم التوثيق والإثبات الرسمي حيث ضاعت كثير من حقوق النساء والأولاد خاصة بعد وفاة الزوج أو عند دخولهم المدارس أو حاجتهم لمراجعات حكومية أو السفر والتنقل في الداخل أو الخارج عندها يعلمون قيمة التوثيق الرسمي الذي لا مَنَاصَ عنه ولا بُدَّ منه لحفظ حقوق جميع الأطراف ، وقد ذكرتُ صِحَّةَ العقد بدون مأذونٍ وعاقد رسمي حتى يعلم الناس ذلك ، وليس هذا دعوة مني لمخالفة التعليمات المنظمة لأمور الناس، حَاشَا وَكَلاَّ ، إنما هو لبيان الحكم الشرعيّ الذي يجهله كثير من المسلمين ، أعود لأقول بأنه يوجد نماذج طيبة وقدوة حسنة لا يعملون تلك الأعمال ولا يقدمون عليها ويمقتونها ولكن العادات الدخيلة أو المتأصلة في النفوس والمنتشرة بين الناس تجعلهم لا يقلعون عنها ، مع أن الخير في الابتعاد عنها ، ومن الأمور المحرمة تصوير المرأة والرجل معاً أو مع مجموعة من النساء ودخول العريس على النساء ونظره إليهن ونظرهن إليه من غير المحارم وعمل ما يسمى بالنَّصَّة وغير ذلك من عادات جاهلية

هذا القرن والتي انتشرت في مجتمعات المسلمين دون وعي وتفكير في العواقب . فهل بعد هذا نستيقظ من غفلتنا ونسأل عن أمور ديننا ونتبع منهج نبينا وسلفنا الصالح أم أننا نستمر في الغي ونوجد المبررات والتعليلات الباردة والحجج الواهية ونتشبه بأعداء ديننا ونرضى بالدنية في ديننا ؟.اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وآله.

النكاح والعقبات التي تحول دونه /1

الخطبة الأولى **1407/10/9هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم.

أما بعد:فإن الزواج نعمة عظيمة منّ الله بها على عباده ذكورهم وإناثهم أحله لهم ، بل أمرهم به بعد أن رغبهم فيه،قال تعالى:((**وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾**))[الروم:٢١].وقال تعالى:((**فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾**))[النساء:٣]وقال تعالى:﴿ **وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾[النور:٣٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**يا معشر الشباب من استطاع منكم الْبَاءَةَ فليتزوج فإنه أَغَضُّ للبصر وأَحْصَنُ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء**)). وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الرد على النفر

الثلاثة الذين قال أحدهم:أنا أصلي الليل أبداً وقال الثاني:وأنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً، وقال الثالث:أما أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج أبداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أما والله إني لأخشاكم وأتقاكم لله ، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني**)).

وكما أن النكاح سنة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم فهي سنة المرسلين من قبله ، قال الله عز وجل:﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾[الرعد:٣٨] ففي النكاح فوائد دنيوية وأخروية وأجر عظيم من الله سواء فيما يأتي المسلم أو فيما يخلّف بعده، ففيه امتثال أمر الله ورسوله، وبامتثال أمر الله ورسوله حصول الرحمة والفلاح في الدنيا والآخرة، وفيه اتباع سنن المرسلين ، ومن اتبع سنن المرسلين في الدنيا حشر معهم في الآخرة، وفي النكاح حصول السكن والمودة والأُلفة والرحمة بين الزوجين كما في الآية السابق ذكرها وهي قوله تعالى :﴿ **وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾** ﴾[الروم:٢١]. وصدق الله العظيم الذي جعل في الزواج آية وعلامة واضحة من آياته الكونية، فتجد الشاب والشابة الذكر والأنثى في اضطراب وفي قلق ، كل منهما يبحث عن النصف الآخر ليسكن إليه من هذا الاضطراب والتوتر، وخاصة في مرحلة المراهقة، وما إنْ يَلْتَقِيَ أحدُهما الآخرَ بالزواج الشرعي إلا تَجِد الواحد منهما قد هَدَأَ وسَكَنَ من اضطرابه وخَفَّتْ حِدَّتُه وزال تَوَتُّرُه ووجد كل منهما الأُلفة والمودة والرحمة، فينبغي أن يتنبه لهذا الأمر الإلهي كلُّ مسلم ويَعِيَ ذلك تماماً ويسعى إلى تزويج أولاده ذكورهم وإناثهم بقدر الاستطاعة ويعي الآية القرآنية السابق ذكرها ويفكر كثيراً في آخرها ويتأمل جيداً قول الله تعالى:﴿ **إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم:٢١]. وفي النكاح أيضاً:قضاء الوطر وفرح النفس وسرور القلب ،

وتحصين الفرج وحماية العرض للرجل والمرأة على حدٍ سواء ، لأنه يُعِفُّ نفسَه ويعف زوجتَه ويَغُضُّ كل منهما بصره عن الحرام ويبتعد عن الفتنة ويحصل الأجر على قضاء الشهوة ، كما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:((**وفي بضع أحدكم صدقة ، قال أيأتي أحدنا شهوته ويكون له في ذلك أجر ؟ قال:نعم ، أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قال:نعم: قال:كذلك إن وضعها في الحلال كان له أجر**)). ومن فوائد النكاح المبكر للرجل والمرأة:فما إن يصل أحدهما إلى سن الأربعين إلا ولَدَيْهِمَا ابْنٌ بإذن الله يبلغ من العمر عشرين عاماً يقوم على خدمتهما، ومنها أيضاً: تكثير الأمة ، وبالكثرة تَقْوَى الأمة أمام أعدائها وتُهَاب بين الأمم، وكذلك تحقيق مباهاة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته يوم القيامة حيث قال صلى الله عليه وسلم:((**تزوجوا الودود الولود فإني مُكَاثِرٌ بكم الأمم يوم القيامة**)).وفي النكاح:تكوين الأسرة وتقريب الناس بعضهم لبعض فإن الصهر شقيق النسب، قال تعالى:﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴾[الفرقان:٥٤].وفيه:حصول الأجر والثواب في القيام بحقوق الزوجية والأولاد والإنفاق عليهم ،وكذلك:حفظ وصيانة المجتمع من التدهور الأخلاقي وفساد البيوت والأعراض ، فالنكاح أو ما يسمى بالزواج صلاح للفرد وصلاح للمجتمع في الدين والأخلاق في الحاضر والمستقبل، وهو كذلك درء للمفاسد الناتجة عن تركه وعدم المبالاة به وفيما يحول دونه من عقبات ، وكل شخص لديه معلومات كافية في هذا المجال ولا تخفى على أحد ، وما يحصل من مفاسد وارتكاب للزنا والفواحش والموبقات هو بسبب عدم الزواج في السن المبكر، وخاصة بين الشباب الذين يعيشون في اضطراب واكتئاب نفسي حتى يحصل كل منهم على النصف الآخر لتكمل له السعادة ويجد السكن والمودة والرحمة بمعناها الرحب الواسع، **وهناك عقبات**

تحول دون الزواج ، منها:عزوف كثير من الشباب ذكورهم وإناثهم عن الزواج أي أنهم لا يرغبون فيه في سن المراهقة وما بعدها إلى أن يبلغوا الثلاثين من أعمارهم، أو قد لا يرغب بعضهم فيه للأفكار الدخيلة عليهم بأن الزواج قَيْدٌ وارتباط عائلي وأسري، أو أنه يريد أحدُهما إكْمَالَ دراستِه ولا يرغب أن يُخَلِّفَ أطفالاً في سن مبكرة لأنه لا يستطيع الإنفاق عليهم أو أنهم يُتْعِبُونَهُمَا في التربية والرعاية ، إلى غير ذلك من الحجج الواهية ، وما ذلك إلا للغزو الفكري والعقدي والتقليد الأعمى لأعداء الإسلام والمسلمين واهتزاز العقيدة وضعف الإيمان والقصور في التصور الإسلامي الواضح. إن الزواج لا يمنع من المضي في الدراسة والنجاح فيها والتحصيل العلمي والمعيشي بل هو عَوْنٌ على ذلك خاصة مع الاستطاعة وممن وسع الله عليهم في المعيشة ، الاستطاعة التي حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وردت في الحديث السابق ذكره ، لأن الشاب أو الشابة في سن المراهقة وما بعدها إذا لم يكونا متزوجَيْنِ فإن كل واحد منهما مشغول بالآخر أياً كان وكيف يتصل بعشيقته أو كيف تتصل بعشيقها، وسبب رسوب وفشل كثير من الشباب الذكور والإناث في المراحل الثانوية والجامعية هو ذلك التفكير الذي أشغلهم وربما خرج بهم عن الطريق السوي ، مع أنه لو حصل الزواج الشرعي لخَلا فِكْرُ كُلٍّ منهما ووجدا السعادة والراحة والسكن والأمن والطمأنينة واشتغلا بدراستهما وبأمورهما في جَوٍّ مريح وهادئٍ تَغْمُرُهُ السعادةُ التي يبحثان عنها ، خاصة عندما يجد كُلٌّ منهما شريكَ حياتِه صالحاً عندها يكون كل منهما عوناً للآخر على دراسته وما يَعْرِضُ له في الحياة،وما أكثر الذين تَكَلَّلَتْ زِيجَاتُهُمْ بالتوفيق ولله الحمد والمنة ولم يجدوا العقبات والجبال الشاهقة التي صورها لهم شياطينُ الإنس والجن عن الزواج المبكر، وأما عن الغنى فسوف يغنيهم الله وينجز لهم ما وعدهم إياه ، قال تعالى:﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ

إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[هود:٦]. ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات:٢٢، ٢٣] ثم تأتي الآية التي تُبْعِدُ عن المسلم ذلك التصور المادي الذي دخل إلى ضعيفي التوكل على الله وهو خاص في الزواج والنكاح، قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[النور:٣٢]. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:((**ثلاثة حق على الله عونهم ، الناكح يريد العفاف ، والمكاتب يريد الأداء ، والغازي في سبيل الله**)). وقال أبو بكر رضي الله عنه :[**أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح يُنْجِزْ لكم ما وعدكم من الغنى**]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير المقطع التالي من الآية:[**رغبهم الله تعالى في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى فقال تعالى:**﴿ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾][النور:٣٢]. وهذا مَرْهُونٌ ببساطة الناس وتسهيل أمور الزواج وتكاليفه وليس فيه مطامعٌ وَإِثْقَالُ كاهلِ الزوج بالديون ومِنْ ثَمَّ الحكمُ عليه بالسجن الذي يجب على من أصدره وقضى به عليه أن يعيد النظر فيه حيث لم يتركه يتكسب لعائلته سواء من مرتب شهري معلوم أو من طرق أخرى لاكتساب المعيشة وتسديد الدين بعد الإنْظَارِ والْمُهْلَةِ ، فمن أين لهذا المسكين أنْ يُسَدِّدَ وقد حُرِمَ الموارد المالية وَزُجَّ به بين جدران أربعة كما يُقَال ينتظر إحسان المحسنين إلى عائلته إن هم انتبهوا لذلك وتفقدوا؟وينتظر أيضاً صدقات الناس إن شَمَلَتْهُ ووصلت إليه في رمضان المقبل ، فليتق الله من يُصْدِرِ على الناس مثل هذه الأحكام وينظر برؤية واسعة وعادلة، وأما عن المرأة فقد دخل أكثرَ النساء المتعلمات مَوْجَةٌ من أعداء دين الله بطريقة الاستعمار الفكري يُرِدْنَ أنْ يَخُضْنَ تجربةً قد مَجَّتْهَا وسَئِمَتْهَا نساءُ الغرب ، فتجد العوانسَ اللائي بَلَغْنَ الأربعين سنة وأكثر لم يتزوجن ، ومنهن من

قاربها والموجة الطاغية الآن سائرة في الطريق ، بحجة إكمال الدراسات العليا ، ثم يفوتها الركب، أو بحجة العمل والوظيفة لأن والدها يريد راتبها لتبقى تكدح وتعمل له وتعوله ، أو أنها لا تريد القيود على حَدِّ زعمها وهي تقضي شهوتها كيف تشاء ولا داعي للارتباط الأسري عياذاً بالله من ذلك ،وهناك إحصاءات دقيقة في العالم كله تفيد بأن ما يقارب أكثر من نصف النساء غير متزوجات.

أيها المسلمون:ينبغي التفكير وإعادة النظر وإنعامه وإمعانه في هذه القضية الخطيرة التي غزت مجتمعنا وأن يعمل كل فرد منا على الحلول المناسبة كل بحسبه. وأسوق إليكم قصة ترويها أستاذةٌ جامعية نشرتها إحدى الصحف قبل أربعين سنة تقريباً ونحن مع ذلك لا زلنا نخوض التجارب التي قد مَرَّ بها غيرُنا ولم نستفد منها، وأورد ذلك استشهاداً ليكون الجميع على بصيرة من أمرهم، جاء في الصحيفة: أستاذة جامعية في إنجلترا وقفت عام 1961م أمام مئات من طلبتها وطالباتها تلقي خطبة الوداع بمناسبة انتهاء خدمتها من التدريس ، قالت:ها أنا قد بلغت الستين من عمري وصلت فيها إلى أعلى المراكز ، نجحت وتقدمت في كل سنة من سنوات عمري ، وذكرتْ أشياءَ إلى أن قالت:ها أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات؟ لقد نسيتُ في غمرة انشغالي في التعليم والتدريس والسفر والشهرة أن أفعل ما هو أهمّ من ذلك كله بالنسبة للمرأة ... نسيتُ أن أتزوج وأن أنجب أطفالاً وأن أستقرَّ . إنني لم أتذكر ذلك إلا عندما جئت لأقدم استقالتي ، شعرتُ في هذه اللحظة أنني لم أفعل شيئاً في حياتي ، وأن كل الجهد الذي بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباءً ، وتمضي في كلامها إلى أن تقول:لو كنتُ قد تَزَوَّجْتُ وَكَوَّنْتُ أسرة كبيرة لتركت أثراً أكبر وأحسن في الحياة ، إن وظيفة المرأة الوحيدة هي أن تتزوج وتكوِّن

أسرة، وأي مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له في حياتها هي بالذات، إنني أنصح كل طالبة تسمعني أن تضع هذه المهامَّ أولاً في اعتبارها وبعدها تفكر في العمل والشهرة. انتهى كلامُها. والاستدلال بهذا الكلام للاعتبار والاتعاظ وخاصة من تَخَمَّرَتْ في رؤوسهم فكرة تأخير الزواج أو عدمه البتة لتتضح الرؤيا ولئلا يَخُضْنَ تجربةً قد خَاضَها الغربُ والشرقُ وجَنَوْا الوَيْلاتِ وانحلَّت بسببها الأخلاق وتدهورت المجتمعات، قال تعالى عنهم:﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[الروم:٧]. وإن كانت هذه الظاهرة قد غزت بلاد المسلمين بشكل مُلْفِتٍ للنظر ولم يسلم منها أي بقعة من العالم فإن واجب المسلمين أن يتأمّلوا هذا الواقع ويفكّروا تفكيراً جادّاً ويضعوا الحلول العاجلة لمجتمعاتهم صيانةً لأعراضهم وحمايتِها وإبْعَادِها عن كل ما يُدَنِّسُهَا من حيث الصحة والأخلاق وهدم البيوت وتشتيت الأسر بسبب انحراف تلك الفئات عن منهج الإسلام ودين الفطرة السليمة والأخلاق الحميدة ، ولا يظن أولئك المفسدون المنحرفون أن عامة الناس لا يعلمون ما هم عليه مُكِبُّونَ ، وعما هم عليه مُدْمِنُون من تدمير المجتمع وهَتْكِ أعراضه ، فإذا كان هذا أمرُ العامة من عدم علمهم ومعرفتهم فهناك من الخاصة من يعرف ذلك تماماً ولكنهم يريدون السَّتْرَ على العباد وعدم إشاعة الفاحشة لعلهم يتوبون ويرجعون عن غَيِّهِم وفسادهم، ولو أن لديهم قليلاً من التفكير في العواقب في الدنيا والآخرة لسلكوا الطريق القويم ، والله عز وجل يمهل ولا يهمل ، ولو يؤاخذنا عز وجل بذنوبنا أو بما هو منتشر من الزنا والانحرافات الخطيرة لعجل لنا العقوبة ، ولكنه الرَّؤُوفُ الرحيمُ اللطيفُ بعباده العليمُ بضعفهم وغلبة شهواتهم عليهم وتَسَلُّطِ شياطين الإنس والجن عليهم فتح بابَ التوبة للمذنبين من المسلمين وبابَ الدخول في الإسلام لغير المسلمين، وأمهلهم سبحانه وبحمده ولم يؤاخذهم بذنوبهم أو

بكفرهم وإعراضهم عنه جل وعلا ، قال تعالى:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر:٤٥]. ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الروم:٤١]. وقال تعالى:﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾[الكهف:٥٨]

قال إبراهيم بن ميسرة رحمه الله :قال لي طاووس: لَتَنْكِحَنَّ أو لأقُولَنَّ لك ما قال عمر لأبي الزوائد:ما يمنعك من النكاح إلا عَجْزٌ أو فجور. إن هذه العبارة الجميلة تعطي معاني كثيرة ويقف المتأمل لأحوال عدم الراغبين في الزواج وقفة تدبر وتأمل وتعجب عند هاتين الكلمتين: عجز أو فجور، نعم إنه لا يعدل عن سنة الزواج وهو قادر على تكاليفه إلا مَنْ به عَجْزٌ من الناحية الجنسية أو العجز عن السعي والكسب لمن يعول أو العجز عن التربية والتعليم لمن تَقَدَّمَتْ به السِّنُّ إلى غير ذلك من أنواع العجز ، أو الفجور والانحراف عن الطريق المستقيم لأنَّ الْفَاجِرَ لَمَّا يَرَى مُسَايَرَةَ الفاجرات مثله يشكُّ ولا يَثِقُ في أنه سوف يرتبط بامرأة عفيفة أو يجدها في المجتمع،ولا يرضى مع فجوره أن تكون له امرأة بزواج شرعي وهي فاجرة مثله ، فلذلك يعرض عن الزواج لفجوره وقضائه شهوته من الفاجرات وبالطرق الأخرى ، والعجز والفجور ينطبق على الجنسين الذكور والإناث، وقد انتشر في المجتمعات بسبب تأخر سن الزواج الذي له أسباب عدة ،**منها**:ما ذكرناه ، **ومنها**:ما هو نابع من كثرة التكاليف للوصول إلى الزواج الشرعي المباح، وفي المقابل سهولة الوصول إلى الحرام. فلينتبه الناس من غفلتهم ورَقْدَتِهِمْ ويُفِيقُوا من نُعَاسِهِمْ ونومهم ، فالأمر في غاية الخطورة وإنْ قَلَّلَ من شأنه من لا يعلم ما الناس عليه وما يدور حوله ، أما عدمُ زواجِ قَلِيلٍ من العلماء في

القديم والحديث لانشغالهم بالعلم وإِفَادَةِ الناس والعبادة فعملهم هذا وإن كان مُبَرَّراً بما سلف ولكنه مخالفٌ للقرآن والسنة ولهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليسوا في ذلك بِقُدْوَةٍ وإنما قُدْوتنا وأسوتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يدخلون في تلك العبارة التي أُثِرَتْ عن عمر بل هي لعامة الناس ممن لم تكن حالهم كحال هؤلاء ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب:٢١]. ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣]. وما أجمل السياق القرآني والتعقيب الإلهي بهذه الآية التي جاءت بعد آيات الحجاب والنكاح وقبلها آياتُ أَحْكَامٍ في الحياة الزوجية وهي قول الله تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [النور:٣٤] .

الزواج والعقبات التي تحول دونه /1

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الناس من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن إليها والحمد لله الذي يسر لعباده كل طريق يتمتعون به فيما أباح لهم من الطيبات في المناكح والأقوات واللباس والمساكن لتتم بذلك النعمة ويحصل الابتلاء والاختبار ، فمن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فكفره على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أَدَّخِرُهَا ليومٍ تُجْزَى فيه النفوسُ بما لها وما عليها وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليله وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد: فإن من العقبات والْمُعَوِّقَاتِ والعراقيل الكثيرة التي تحول دون الزواج ومصالحه عَضْلَ النساء أي منع المرأة من الزواج بِكُفْئِهَا، واحتكارَ بعض

الأولياء لبناتهم أو من لهم ولاية تزويجهن ، أولئك الأولياء الذين لا يخافون الله ولا يرعون أماناتهم ولا يرحمون من تحت أيديهم من النساء ، فإذا تقدم للمرأة خاطبٌ كُفْؤٌ مُنِعَتْ منه سواء كانت هذه المرأة بنتاً أو أختاً أو أمّاً أو غيرها ممن هي تحت ولاية هذا الرجل ، وقد يكون المنع من قبل الولي أو لِتَدَخُّلِ بعضُ النساء والسفهاء والحاسدين لهذا الزوج بحجج فاسدة يقتنع بها الولي أو المرأة لئلا يَتِمَّ ذلك الزواجُ كَأَنْ يقولوا هذا كبير في السن ، أو فقير ، أو مُتَدَيِّنٌ مُتَشَدِّدٌ ، إلى غير ذلك مما يقدحون به في هذا الخاطب ، والسبب الحقيقي أنه لا يوافق مزاج أولئك السفهاء ، وعندما يتمّ رَدُّ هذا الْكُفْؤِ بعد التفكير والتقدير وتداول الآراء الفاسدة يقولون الكلمة الأخيرة له:البنت قد خُطِبت ، أو هي مخطوبة ، أو شاورناها فَأَبَتْ ، أو البنت صغيرة، يقولون أقوالاً هي في الحقيقة كذب، فقد يأتي في اليوم الثاني أو بعد ساعات خَاطِبٌ فاسِقٌ أو كثيرُ المالِ أو الذي يدخل مزاج هؤلاء الذين تدخلوا، فتتم الموافقة وتُرْغَمُ البنتُ على الزواج منه وهي لا ترضى به ، فسبحان الله بين عشية وضحاها وخلال ساعات كبرت البنت وأصبحت حق الزواج، بينما كانت مخطوبة عند الرد الكاذب على لأول إذا بالأمر ينكشف بأنها غير مخطوبة أصلاً للثاني إنما هو للتخلص من الأول ، وبينما هي لم تُسْتَشَرْ في الحقيقة على الخاطب الأول إذا هي ترغم على الثاني ، انتكاس في الفطر ، ويوم يتولى السفهاء زِمَامَ أُمور النساء ولا يخافون الله ولا يُحَكِّمُونَ شرعه عندها تضيع المسئولية وتُهْدَرُ المصالِحُ ويفسد الأمر ، إنه يجب على ولي المرأة الرشيد الحازم إذا اقتنع من صلاحية الخاطب ورَضِيَتْهُ المخطوبةُ أنْ يُقْدِمَ على التزويج ولا يدع فرصة للمغرضين والعابثين والمفسدين وليتبع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**)). إن في منع المرأة من التزويج بكفئها

في الدين والخلق لمثل هذه الأقوال الكاذبة معصيةً لله ورسوله وخيانةً للأمانة وجناية الولي على نفسه بمعصية الله ورسوله ، وجناية على المرأة حيث منعها وعضلها من كفئها وفوّت عليها فرصة الزواج الذي هو عين مصلحتها، وأيضاً هو جناية على الخاطب حيث منعه من حق أمر الشارعُ إعطاءَه إياه، فمثل هذا الولي تسقط ولايته على المرأة وتنتقل إلى من هو أصلح منه ولاية عليها من القرابة لدرجة أنه إذا عضلها الجميع فإن السلطان وليها والقاضي يزوجها ، وهذا الولي الذي يتكرر منه العضل يَصِيرُ فاسقاً ناقصَ الإيمان والدين ، لا تُقْبَلُ شهادتُه عند جَمْعٍ من العلماء .

أيها المسلمون: إن أمر الزواج والعقبات التي تحول دونه أمر يهم الجميع ، وهناك عقبة كَؤُودٌ مهمة لم يستطع كثير من الشباب صعودها لصعوبة الوصول إلى الحلال عن طريقها والسير في دروبها ومسالكها وطرقها ووقفت غُصَّةً في حلوقهم وحاجزاً وسداً منيعاً أمام تحقيق فطرتهم حسب منهج دين الإسلام، وسوف تكون مِحْوَرَ الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

بقية عن النكاح ونفقاته / 2

الخطبة الأولى **1407/10/16هـ**

الحمد لله القائل في كتابه المبين:﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[الروم:٢١]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حكم فقدّر، وشرع فيسّر،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حَثَّ على الزواج ورَغَّبَ في تيسيره وتسهيله لما فيه من المصالح الدينية والدنيوية والعواقب الحميدة وقال:((**يسّروا ولا تعسّروا**)) فصلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً .

أما بعد:فلقد كان الحديث في الخطبة السابقة عن النكاح والعقبات التي تحول دونه، ومنها:عزوف كثير من الشباب ذكورهم وإناثهم عن الزواج، وكذلك عضل النساء وعدم تزويجهن بالأَكْفَاءِ في الدين والخلق ، والحديث الآن إن شاء الله عن مُعَوِّقٍ وعَقَبَةٍ كَؤُودٍ عظيمةٍ انتشرت في المجتمع بين الغني والفقير والرفيع والوضيع على حد سواء إلا من رحم الله، وأصبح من الصَّعْبِ التَّخَلِّي عنها إلا ممن وفقه الله ، وهذه العقبة هي نفقات الزواج وتكاليفه ابتداء من المهر ومروراً بوليمة العرس وما يتبعها وانتهاء بتجهيز بيت الزوجية وما يلحقه . فهذه المعوقات والتكاليف ابتدعها الناس وتَمَادَوْا فيها حتى صار الزواج من الأمور الشاقة الثَّقِيلَةِ البالغة حدّاً لا يُطاق لدى كثير من الراغبين فيه لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يصلوا إلى الحلال إلا بديون تشغلهم وتَأْسِرُ ذِمَمَهُمْ لدائنيهم، وعندما تكون هذه حال المجتمع فكيف نَأْمَنُ عدم وقوع الفساد وهتك الأعراض من الجنسين حيث أصبح الطريق إلى الحلال مسدوداً أمامهم وحالت دونه العراقيل والعقبات الشاقة التي لا يستطيعها كثير من الناس ، وعندما تكون الطريق إلى الحرام ودواعيه سهلة وميسورة على النقيض من الحلال فماذا نتوقع؟ وماذا ننتظر؟ إن طرح السؤال والجواب عليه ينبغي أن يفكر كل فرد منا فيه ويتأمل عواقبه وليس بِخَافٍ على أحد ، ولكن التأمل والتفكير وإيجاد الحلول مطلوب من الجميع ، ومن تأمل الواقع وسمع ورأى وعلم عما يدور حوله وتحركت غيرته وخاف على مستقبل أمته وحرص على أَمْنِ مجتمعه وصَوْنِ أعراض أفراده لا يَهْدَأُ له بَالٌ حتى يرجع المسلمون إلى الطريق السَّوِيِّ ويسلكوا نَهْجَ السلف الصالح من أمتهم في هذا المجال وغيره ، ومع هذا فهم على خوف ووجل لأن الفتنة والمصيبة عامة كما قال تعالى﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾ [الأنفال:٢٥]. إن غلاء المهور أصبح ظاهرة ومرضاً اجتماعياً لا يسلم منه إلا

القليل ممن وفقهم الله وسنُّوا سنة حسنة في ذلك في هذا العصر، علموا وعرفوا أنه ليس المقصود بالنكاح المال وإنما المال وسيلة إلى الزواج، وليست المرأة سلعة تُباع وتُشترى أو تُمنع بحسب ما يُبذل فيها من المال ، بل هي أكرم وأرفع من ذلك ، هي أمانة عظيمة وجزء من الأهل ، والمال لا قيمة له ، والمغالاة في المهور ونفقات الزواج لا يُبَالِغُ فيه إلا منْ قَلَّ حَظُّهُ من الفقه ومن تطبيق تعاليم الإسلام في جميع شئون الحياة . والسنة الثابتة في المهور هو تخفيفها وتسهيلها حتى تحل البركة في الزواج والوئام والألفة بين الزوجين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أَعْظَمُ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مَئُونَةً**)). وقد تزوج رجل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم امرأة على تعليمها بعض سور من القرآن وعقد له النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بعد أن قال له:((**التمس ولو خاتماً من حديد**)) فلم يجد شيئاً فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((**هل معك شيء من القرآن ؟**)) قال نعم: سورة كذا وكذا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:((**زوجتكها أو قال: ملكتكها بما معك من القرآن**)). وقال صلى الله عليه وسلم لرجل عندما قال له:يا رسول الله إني تزوجت امرأة على أربع أواقٍ يعني مائة وستين درهماً ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:((**على أربع أواقٍ !! كأنما تَنْحِتُونَ الفضة من عرض هذا الجبل**)) يشير بذلك عليه الصلاة والسلام إلى مغالاة هذا الصحابي في المهر وسوء فعله وصنيعه ذلك. فلو كان ارتفاع المهور والمغالاة فيها مَكْرُمَةً وخيراً في الدنيا أو تقوى عند الله تعالى لكان أولى الناس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تُغَالُوا في صُدُقِ النساء ـ يعني مهورهن ـ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فيا أيها المسلمون: إذا كانت المغالاة في المهور مرضاً منتشراً في المجتمع فإن من المسلمين من هم قدوة حسنة في الخير قد سنوا سنة حسنة وخرجوا عن العادات السيئة المنتشرة بين الناس وسلكوا طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلموا أن الخير كله في اتباع ما جاء به رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإنه لمما يُثْلِجُ الصدر عندما يسمع المسلم أن شخصاً أو أشخاصاً خُطِبَتْ منهم بناتُهم فاشترط كل واحد على الخاطب ألاَّ يدفع مهراً سوى كذا من المال، أي أنه سَمَّى مهراً قليلاً جداً ، وهذا نوع وصنف من الناس الموجودين في المجتمع ، وصنف آخر يدفع الخاطبُ المهرَ ويكون مهراً متوسطاً فيأخذ أبو الزوجة منه ألف ريال أو أقل من ذلك ويردّ الباقي على الخاطب ، ومثل هؤلاء سمعنا عنهم كثيراً ، ورجل ضرب مثلاً رائعاً وذلك بأنه رأى رجلاً صالحاً غير متزوج وسأله عن سبب عدم زواجه، فأخبره بأنه لا يستطيع تكاليف الزواج من مهر وخلافه ، فقال له هل ترغب الزواج إذا زوَّجَكَ أحدٌ ابنتَه ؟ قال الرجل : نعم ولِمَ أمتنع عن ذلك ؟ فقال له هذا القدوة الحسنة أَعِدَّ نفسَك للزواج من ابنتي ، فجهز ابنته بما تحتاجه مثيلاتها وقام بجميع تكاليف الوليمة وإعداد بيت الزوجية ، وتم الزواج السعيد بين الزوجين ، واستغرب الناس هذا الصنيع من هذا الرجل وفي مقدمتهم الزوج الذي لم يَكَدْ يُصَدِّق أن هذا النوع من الناس موجود في المجتمع ، والحقيقة أنه لا يزال المسلمون بخير متى حُرِّكَت فيهم دوافعُ الخير وأقدم أحدهم على فعل الخير مهما كان من عقبات في طريقه ، ولكن هذه الأمثلة هي قلة بالنسبة للملايين الذين هم على نقيض ذلك ، وإن كنا نستبشر خيراً بانتشار الوعي ومعرفة الواقع المؤلم الذي مَرَّ به كثير من الشباب ولا يزال يعانيه كثيرون إلى الآن ، وفي إحدى البلاد المجاورة اتفق أهلها على أن يجعلوا المهر مائة ريال فقط فأقبل الشباب على الزواج ولم يَبْقَ أحد من الشباب

والشابات دون زوج، فحصل أن تزوج شابان صالحان كل منهما بمهر قدره مائة ريال وعُقِدَ لهما في المسجد وصنع كل منهما وليمة مبسطة وميسرة ، وسافر أحدهما مع زوجته إلى المدينة للعمل هناك ، والآخر إلى مدينة أخرى ، فأرسل أحدهما إلى صاحبه رسالة يخبره عن مدى السعادة التي يعيشها مع زوجته بسبب بركة قلة المهر والتكاليف إلى غير ذلك ، وقال إنني لا أرى أحداً أسعد مني على وجه الأرض ، فعندما قرأ صاحبُه الرسالةَ رَدَّ عليه إلى أن ذكر عن السعادة فقال لا ترى أحداً أسعد منك إلا أنا، أي أنه هو الآخر يحس بسعادة غامرة بسبب قلة المهر وتكاليف الزواج، وهذا الواقع يصدقه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه:((**أعظم النكاح بركة أيسره مئونة**)). فكلما قلت التكاليف والديون عن ظهر الزوج حلت البركة وظهر أثرها على الزوجين ، لأن المغالاة في ذلك ينعكس على الحياة الزوجية، فعندما يكون الزوج مُثْقَلاً بالديون يكون أسيراً لدائنيه ويحمل هَمَّ الدين ، وعند أقل شجار مع زوجته يُعَيِّرُها ويَسُبُّها بأنَّ أهلها لم يرحموه في دفع مهرها والطلبات الأخرى ، وعندما يريد أن يُوَسِّعَ عليها في النفقة لا يستطيع ذلك لأن تكاليف الزواج أثقلت كاهله حيث تمر السنوات الطوال وتتعدى عشر سنوات وهو لا يزال يسدد الديون، فهو على كل حال على حساب الزوجة سواءً قَلَّ أو كَثُرَ ، وهي التي سوف تَصْلَى جحيمه وناره عند ارتفاعه أو تحيا حياة كريمة مع قلته، هذا بالنسبة للغالبية العظمى في المجتمع، علماً بأن المهر في الشرع هو للزوجة وليس كما يتصوره ويفعله بعض الناس من تقسيم مهر الزوجة على الأقارب من الرجال وما يسمونه بكسوة النساء وتفريقه بينهن ، حتى أصبحت أي امرأة تُزَوَّجُ تؤخذ عليها ضريبة بهذا الفعل ، وهذا لا يحلّ بل يجب التنبه له، وبعضهم يقوم بتأثيث بيت

الزوجية من المهر المفروض للزوجة وهذا أمر مخالف أيضاً للمشروع في الإسلام، فالمهر أصلاً هو للزوجة تتصرَّف فيه في المباح كيف تشاء.

فيا أيها المسلمون:علينا أن نقابل المغالاة في المهور وغيرها من نفقات الزواج بالقوة والعزيمة الصادقة وحب الخير والتصميم إلى الوصول إلى الغاية المطلوبة ونقضي عليها بالتدريج ونضرب الأمثلة في ذلك ليقتدي بنا غيرنا وليتزوج الشباب والشابات ويحيوا حياة سعيدة بعد تسهيل أسباب الزواج وعدم وضع العراقيل والعقبات في طريقهم، وعلينا أن نبحث لبناتنا عن الأكفاء من الرجال ، لأن صاحب الدين والخلق والرجولة والشهامة يُشْتَرَى بالمال ولا يُنْتَظر منه دفع المال خاصة في هذا الزمن الذي نعيشه، وما بعده أشرّ منه، ولا نشجع المائعين والمنحلين من أشباه الرجال ولا رجال الذين ما إن يتزوج أحدهم حتى يسافر بزوجته إلى بلاد الكفر لِيَخْلَعَا هناك جلباب الحياء ويَكْفُرَ هُوَ ويجحد نعمةَ الله التي أنعم عليه بهذا الزواج، ويهتك عرض هذه المرأة المسكينة ويجردها من كل فضيلة ، وغالب هؤلاء النسوة راضيات بتلك الأفعال وعليه فَهُنَّ مُشْتَرِكَات في الإثم، فعلينا أن نجعل شراء الرجال بأموالنا نصب أعيننا لا أن يشتروا بناتنا ويرموا بهن بعد أشهر قلائل ، وعلينا امتثال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**)).أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:((**وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ**

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾)) [النور:3432].

بقيـة عن النكـاح ونـفقاتـه/ 2

الـخـطـبـة الـثـانـيـة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمده تعالى وأشكره وأؤمن به وأتوكل عليه وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فمن معوقات الزواج الإسراف والتبذير في وليمة الْعُرْسِ ، وهذه سيئة تضاف إلى سيئة المغالاة في المهور والنفقات الأخرى التي تثقل كاهل الزوج وتنفّر الشباب عن الزواج وطلب الحلال ، لأن كل شيء إذا جاوز حده ينقلب إلى ضده لا محالة. وعلينا أن نتساءل من هم المستفيدون من هذه الأموال التي تذهب هدراً وتضاع سدىً وتسدّ طريق المسلمين إلى الزواج الذي هو من ضرورياتهم ومن صلاح دينهم ودنياهم وحصول الأمن والاستقرار؟ومن هم الذين يخسرون هذه الأموال وتقع عليهم المشاكلُ والتَّبِعَاتُ ؟ إن الذين تقع عليهم التبعات وتثقل الديونُ كَوَاهِلَ الأزواج الذين يحيون ويعيشون عيشة الْبُؤْسِ والفقر والتَّعَاسَة نتيجة الإسراف والتبذير،وأما المستفيدون فإنهم أصحاب الدكاكين والمعارض والسلع الأخرى والفنادق وما أشبه ذلك، وقد تذهب كثير من هذه الأموال إلى الخارج للأماكن المستورد منها تلك البضائع والصناعات ، وأما بقية الأقارب ومن حضر الولائمَ فهم

الْمُتَفَرِّجُونَ عن قُرْبٍ وعن بُعْدٍ ولا يهمّهم ما وقع على صاحبهم المتورط في تلك الديون وتلك الزوجة المسكينة التي وقعت عليها المصيبة هي وزوجها.

عباد الله:لقد أُحِيطَتْ نعمةُ الزواج بالإسراف البالغ نهايته في الولائم من أهل الزوجة والزوج مشتركين أو منفردين، حيث يدعون جمعاً كبيراً من الناس يحضر منهم من يحضر ويتخلف من يتخلف، ويحصل فيها من السمعة والرياء والمفاخرة ما الله بها عليم!! ولو وقف على أحدهم فقير لما تصدّق عليه بمائة ريال ولكنه ينفق عشرات الألوف مفاخرة وسمعة ورياء، وبِئْسَ طعام الوليمة يُدْعَى إليها الأغنياءُ ويُتْرَكُ الفقراءُ أو قد يُرَدُّونَ ويُبْعَدُونَ عنها، ولا يعلمون أنهم يُعَرِّضُونَ أنفسَهم لكراهة الله لهم وأنهم أصبحوا إخوان الشياطين وأنهم بذلك عَدَلُوا عن طريق عباد الرحمن الذي هو الطريق الوسط في الإنفاق.قال تعالى:﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[الأعراف:٣١].﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء:٢٦، ٢٧].﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الإسراء:٢٩].﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[الفرقان:٦٧]. إن هذا الإسراف كما أنه محظور شرعاً فهو ممقوت عادةً فإن الناس يلومون من يسرف ويتصرف ذلك التصرف، وينظرون إليه النظرة إلى الساخر الناقص الذي يحاول تغطية وإكمال نقصه بمثل هذه الولائم التي تجاوزت الحد، إن الإسراف سفه في العقول لما فيه من إتلاف المال وإضاعة الوقت وشغل البال وإتعاب الأبدان وامتهان النعمة،حيث نرى ونسمع كثيراً عن هذه النعم المتنوعة من الأطعمة والأشربة واللحوم التي تبقى ولا يأكلها أحد وتلقى في الزبالات والطرق، والمتورع من الناس من يحملها إلى الْبَرِّ ويرمي بها هناك في الفضاء، فهل هذا من الرشد أم هو من السَّفَه؟ وهل هذا

من شكر النعمة؟ وهل تفكر أحد فيما كان عليه الآباء والأجداد ؟ وهل تفكر من لم يَعِشْ ويحيا حياة الفقر هل تفكر وتدبر حال الأمم والشعوب التي يراها أو يسمع أو يقرأ عنها كل يوم في وسائل الإعلام المختلفة؟ وهل أَمِنَّا مَكْرَ الله ؟ وهل لدينا ضمان بدوام هذه النعم مع كفرانها؟ لا والله لئن لم نشكر النعمة لَيَحِلَّ بنا ما حَلَّ بغيرنا من الأمم السابقة والحاضرة ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾[الأحزاب:٦٢].قال تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧].وقال تعالى:((وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾))[النحل:١١٢].وقال سبحانه وبحمده عن سبأ وما كانوا فيه:﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾[سبأ:١٥-١٧]. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأنفال:٥٣].ومما يُثْقِلُ كاهلَ الزوجِ ويُعِيقُ الزواجَ اشتراطُ أهلِ الزوجةِ تأثيثاً معيناً لبيت الزوجة أو غرفة النوم وأحياناً نوع السيارة أو إقامة الحفلة في فندق أو قصر معين أو إحضار المطربين والمطربات وأنواع رقاع الدعوة المسماة بالكروت التي تصل إلى آلاف الريالات وإدخال بعض السفهاء لمن يلتقط صوراً للزوجين وقد يحصل حتى للنساء الحاضرات، وتسجيل أصواتهن في الأشرطة وتداولها وسماعها وانتشارها بين قليلي المروءات، وهذا تدهور وانحدار إلى الهاوية، وهذه الأخيرة أمور منكرة يجب على كل مسلم أن يسعى لإزالتها بما يستطيع،ومتى أدرك كل منا دوره وقام

بالواجب عليه صلح المجتمع بإذن الله ، ومتى تهاونّا فسوف تكون العواقب السيئة التي لا تحمد عقباها. وقد ظهر في الآونة الأخيرة أعظم من ذلك وهو الإرسال المباشر من الهواتف المحمولة إلى هواتف أخرى أو شبكة المعلومات أو الفضائيات إرسال ما يدور في قاعات وصالات الأفراح النسائية من رقص وغناء بالصوت وقد يكون النقل مع الصورة غالباً خاصة لِلْمُرْسِلَةِ التي قَلَّ حياءُها وقامت بهذا الفعل الْمَشِين ، أعود لأقول بأن الذي سبق ذكره قبل هذا التذكير الأخير إنما هو موجز للعقبات والتكاليف الباهظة التي أَسَرَ بها كثير من المسلمين أنفسهم ووضعوا بها الأغلال والقيود في أعناقهم وأيديهم وأرجلهم حتى صاروا لا يستطيعون الفكاك منها بل تزداد أحوال كثير منهم سوءاً يوماً بعد يوم ، فهل يفيق المسلمون من غفلتهم؟ وهل يرجعون إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم ويدركون الحكمة من وراء النكاح؟ وهل يتركون المفاخرة والمظاهر الكاذبة والإسراف في الولائم ويحافظون على النعم؟وهل يكتفون ويرضون بالاقتصاد والاختصار في التكاليف القليلة التي ترجع على الزوجين بالخير والبركة؟ وهل يكتفون بالاقتصار على أقرباء الزوجين ويختصرون في طعام الوليمة؟ هل يقتصدون في أمورهم كلها؟. إنا لنرجوا أن يسلكوا طريق عباد الرحمن في الاقتصاد وعدم الإسراف عموماً وفي الزواج خصوصاً ابتداءً بالْخِطْبَةِ التي هي عقبة أيضاً لدى كثير من الناس ولها خُطْبَة مستقلة نظراً لأهمية ذلك الآن، وما يلحق بالخِطبة من مهر وغيره ومروراً بوليمة العرس وما يتبعها وانتهاءً ببيت الزوجية الذي أنهك قوى كثير من الأزواج من حيث الإعداد والنفقات والذي هو مقر ومكان الخصام أو الوئام،إما أنْ يُؤَسَّسَ على البر والتقوى أو على العكس، وعندها يعرف كل منهما ما كسبت يداه وما قدم في أيام خلت هي البداية للطريق الطويل أو القصير، إما أن يُدْخَلَ السجن أو يعيش سنوات طوالاً أسير الهمّ بالليل

والْمَذَلَّة بالنهار لأصحاب الدَّيْنِ حتى يُوفِيَهُمْ حقوقَهم أو يماطلهم، ويُوجَدُ بَوَادِرُ طيبةٌ في بعض الأماكن نسأل الله أن يتمها بخير ويعم بنفعها مجتمعات المسلمين ، تلك البدايات المتمثلة في الحد من الإسراف والتكاليف الباهظة في الزواج،ومنها الزواج الجماعي لعشرات العرسان في ليلة واحدة ولكنها محصورة في بعض القرى والقبائل وفي المدن أيضاً ، أما الغالبية العظمى فهي على العكس من ذلك، وأما من ناحية المبادرات الخيرية المنتشرة في بعض المدن والتي تُعْنَى بتيسير الزواج فهي بداية الحلول للمشاكل والعقبات التي أشغلت وأَهَمَّتْ معظم الناس، والحلول كثيرة وميسورة في الوقت نفسه لو وَحَّدْنَا الْجُهْدَ والوقتَ والمالَ، وأما إذا بقيت الجهود مبعثرة وتعددت الاتجاهات والمؤسسات فإن خيرها ونفعها محدود ومجالها مقصور على فئات معلومة تبعاً لتصورات القائمين عليها في كل مدينة ومنطقة، وفكرة إنشائها وعملها فكرة طيبة وخَيِّرَةٌ، ولكن تلك المساعدات زهيدة جداً سواء ما كان منها على سبيل القرض أو الهبة التي هي أساساً من الزكاة، تلك الزكاة التي لا بد أن تُدْفَعَ لمن هو غير مستطيع للزواج من ماله لابد أن تؤدّى في الوقت المناسب غير متأخرة لعدة سنوات،وعلى العكس من ذلك وُجِدَ من دُفِعَتْ لهم لانتظارهم أكثر من عشر سنوات ضمن قائمة الانتظار بعد أن تزوج الزوجان وأنجبا أولاداً وصل الأكبر منهم المرحلة المتوسطة ، فهذا غالباً قد أغناه الله بالوظيفة والعمل والكسب خلال السنوات، فاستحقاقه السابق في ذلك الوقت ليس معناه أن يأخذه الآن زكاة مدفوعة في هذه السنة ، وهذا أمر ليس بالْهَيِّنِ، ولا يجوز السكوت عليه لأنه من الزكاة ، أما لو كان قرضاً أو هبة فهذا أمر مختلف تماماً، فليتنبه المسلمون لذلك ويقفوا عند شرع الله وأوامره ونواهيه،وكما أشرت فإن الحلول المتمثلة في صناديق الإقراض العامة البعيدة عن الربا والشبهات المبنية على مصادر التكافل الاجتماعي

لعامة الشباب في جميع أنحاء المملكة هي الحل الأمثل لواقع الناس اليوم، ولعلنا نستعرضها بعد الخطب عن الربا والدَّيْن إن شاء الله تعالى.أما الواجب على شباب المسلمين فهو امتثال أمر الله وأمر رسوله عند عدم الاستطاعة على تكاليف الزواج بالاستعفاف حتى يغنيهم الله من فضله ويجدوا الحلول الطيبة المباركة لهم ولأمثالهم من المسلمين ، ففي الآية الكريمة والحديث الشريف التالي ذكرهما الحل الإلهي والدواء الشافي بإذن الله عز وجل. قال تعالى:﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[النور:٣٣] .وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أَغَضُّ للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاءٌ**)).وِجاء:أي وقاية وحصانة بإذن الله من الوقوع في الحرام. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه الأطهار.

نـكاح الـشِّـغَار

الـخـطـبـة الأولى **1413/2/9هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً.

أما بعد: فلا يزال الحديث موصولاً بسابقه بما أراه مناسباً للوقت وإن كان لا يراه آخرون ، ولكن نظراً لما نقرأ ونسمع من خلال الإذاعة والصحافة ووسائل الإعلام الأخرى ولما يعيشه الناس في مثل هذا الوقت من كل سنة لبنيهم وبناتهم وإخوانهم وأخواتهم وأقاربهم وعشيرتهم من حيث مناسبات

الزواج، ولما لهذا الموضوع من أهمية فيكثر الكلام سنوياً في المجالس صَغُرَتْ أو كَبُرَتْ وعبر الوسائل الإعلامية على اختلافها إما لغرض الإثارة، أو لقصد المعالجة الفعلية لما يفعله كثير من الناس من مخالفات للشريعة الإسلامية، والحق أنه لا يمكن أن يُعَالَجَ هذا الموضوعُ ولا غيرُه إلا وفق كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يزال المجتمع يَصْلَى جحيمَ هذه المخالفات وغيرها حتى يستقيموا على شريعة الإسلام ويطبقوها ويَعُوا المقاصدَ الشرعيةَ ويرضوا ويُسَلِّمُوا تسليماً لجميع أحكام الله تعالى، وفوق ذلك تَصْفُوا نفوسُهم وتطهَّر قلوبُهم من أدنى رَيْبٍ وشَكٍّ في صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان ولا يجدوا أدنى حرج في نفوسهم مما قضى الله ورسوله في أي أمر من الأمور، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]. وقال عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب:٣٦] ولعل من المناسب أن يكون الاستدلال بالآية الأخيرة موافقاً لما نحن بصدده من أمر الزواج حيث نزلت في زواج زينب بنت جحش رضي الله عنها بِزَيْدٍ رضي الله عنه، ومناسب أيضاً لهذه السلسلة الحالية من الخطب، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب في الاستشهاد بأي دليل على أي أمر من أمور الشرع، وكما سبق القول فإن مجتمعات المسلمين لا تزال تَتَنَكَّبُ الطريقَ المستقيمَ ما لم تَسِرْ على هدي الكتاب والسنة في جميع شؤون الحياة، وإن كانت هناك بوادر خير نسمع ونقرأ عنها في بعض البلاد تعالج أمور الزواج التي كثرت المشاكل الزوجية بسببها وأُشْغِلَتِ المحاكمُ بها ، وامتلأت البيوت بالمطلقات والعوانس بسبب المخالفات الشرعية بدءاً من الغش والخداع وعدم الصدق والصراحة ومروراً

بالخِطبة وما بعدها نظراً لما يكذب به الوسيط أو لما يُظْهِرُهُ الطرفان أو طرف دون آخر ، ثم ما إن تمضي أيام قلائل حتى تشتعل نار الفتن في بيوت المسلمين لما كان من الغش والكذب ابتداءً ، ثم لما كان على الزوج من تكاليف أثقلت كاهله بالديون وأصبح أسيراً لِدَائِنِيهِ، وصار ضحيةً بين نَارَيْنِ إما البقاء مع تلك الزوجة التي يعيش معها حياة النَّكَدِ والتَّعَاسَةِ وإما أنْ يُطَلِّقَ ، وبذلك يكون أَسِيرَ الديون ولا زوجة له .

والمخالفات الشرعية كثيرة والعقبات كذلك وسبق الكلام عنها في الخطب السابقة ولكن من المناسب في هذه الأيام الحديث عن مخالفة شرعية كانت منحصرة في بعض مجتمعات المسلمين ، ولا يكاد يعرفُ صورتَها كثيرٌ منهم ولكنها انتشرت بسبب غلاء المهور وارتفاع التكاليف الأخرى في الزواج وبسبب التعقيدات الأخرى الكثيرة ، لذلك هَانَ أمرُها وأصبحت شيئاً عادياً كغيرها من المحرمات التي أَلِفَهَا الناسُ واسْتَسَاغُوهَا بسبب تَبْرِيرِهِمْ حُرْمَتَهَا بأمور تظهر أمام العامة بأنها حلالٌ مَحْضٌ لا شُبْهَةَ فيه مع الحرمة الواضحة، وهذا ينطبق على أمور عدة في مجتمعات المسلمين اليوم خاصة في المعاملات، وأصبح الشَّبَهُ باليهود موجوداً في بعض المسلمين حيث ارتكبوا ما ارتكبت اليهود من المحرمات واستحلُّوا ما حرَّم الله بأدنى الحيل كما ورد بذلك الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم. والمخالفة الشرعية المنتشرة الآن هي:**نِكَاحُ الشِّغَار** الذي كتب فيه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رسالة قيمة مفيدة لطالب الحق وحجة على أهل الباطل ، أذكر بعض ما ورد فيها مع التصرف اليسير المناسب لَلْخُطْبَةِ لبيان الحق وللقيام بواجب النصيحة وإبراء الذمة وتبصير المسلمين بما يعود عليهم بالخير في دينهم ودنياهم ولقيام الحجة. **فنكاح الشغار**: هو أنْ يُزَوِّجَ الرجلُ ابنتَه أو أختَه أو غيرهما ممن له الولايةُ عليها على أنْ يُزَوِّجَهُ الآخَرُ أو يزوج

ابنه أو ابن أخيه ابنته أو أخته أو بنت أخيه أو نحو ذلك ممن له الولاية عليها، وهذا العقد على هذا الوجه فاسدٌ سواء ذُكِرَ فيه مَهْرٌ أَمْ لَمْ يُذْكَرْ فيه المهرُ، وينبغي التنبه لهذا حيث دخل الشر على مجتمعات المسلمين من هذا الباب حيث اتخذوا تَسْمِيَةَ الْمَهْرِ حِيلَةً أو دَفْعَ المهرِ نفسِه أو الزيادة اليسيرة للتفريق بين المهرَيْن ، ولكنهم غفلوا ونسوا وتناسوا النية والقصد عند الطرفين كِلَيْهِمَا أو أحدِهما وهي الْمُبَادَلَةُ التي لولاها لما تم هذا الزواج ، سواء تفاضلت المهور أو تساوت، وهذه النية الباطنة الْمُتَّخَذَةُ حيلة ظاهرة أمام الناس لا تخفى على الله، وبسببها وقعت الفتن والشرور والخصومات والمشاكل بسبب هذه الزيجات الفاسدة التي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وحذر منها، وقد أمرنا الله عز وجل باتباعه والانتهاء عما نهانا عنه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴿٧﴾** ﴾ [الحشر:٧]. وقال تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٦٣﴾** ﴾ [النور:٦٣]. وكما ورد في الآيتين السابقتين في أول الخطبة وفي غيرهما من كتاب الله عز وجل. وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما:أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار.والشغار أن يُزَوِّجَ الرجلُ ابنتَه على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق.وروى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:أن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار.قال: والشغار أن يقول الرجل زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أختي. وقال صلى الله عليه وسلم:((**لا شغار في الإسلام**)). فهذه الأحاديث الصحيحة تدل على تحريم نكاح الشغار وفساده وأنه مخالف لشرع الله ، ولم يُفَرِّقْ فيه بين ما سُمِّيَ فيه مَهْرٌ وما لَمْ يُسَمَّ فيه شيءٌ من المهر إلا ما ورد في حديث ابن عمر من تفسير الشغار بأن يزوج

الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق، فهذا التفسير قد ذكر أهل العلم أنه من كلام نافعٍ الراوي مولى ابن عمر، وليس هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وقد فسره الرسول صلى الله عليه وسلم بما تقدم في حديث أبي هريرة السابق إيضاحه وبيانه. وهو أن يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه الآخر ابنته أو أخته، ولم يقل وليس بينهما صداق، فدل هذا على أن تسمية الصداق أو عدمها لا أثر له في ذلك. وإنما مُقْتَضَى فساد هذا النكاح هو اشتراط المبادلة والاتفاق على ذلك بين الطرفَيْنِ المسئولَيْنِ عن تزويج المرأتين، وغالباً يكون هذا الشرط سِرّيّاً لا يُعْلَنُ عنه ، إنما الْمُعْلَنُ عنه هو رغبة كل طرف تزويج الطرف الآخر بمهر مستقل لكل من الزوجتين برضا الأزواج المراد تزويجهم على حدِّ زعم ولي الزوجتين ، والواقع عدم الرضا منهما أو من إحداهما، وقد يُكتب في عقد كل منهما مبالغ متفاوتة للتضليل والتدليس وليست من الحقيقة في شيء ، وفي ذلك فساد كبير لأنه يفضي على إجبار النساء على نكاح من لا يرغبن فيه إيثاراً لمصلحة الأولياء وتحقيقاً لمصالحهم الشخصية دون النظر في مصلحة النساء، وذلك منكر وظلم للنساء ، وهو أيضاً يُفْضِي إلى حرمان النساء من مهور أمثالهن كما هو الواقع بين الناس المتعاطين لهذا العقد المنكر حيث جعلوه امرأة بامرأة وفرجاً بفرج، وكثيراً ما يفضي هذا العمل إلى النزاع بعد الزواج،وهذا من العقوبات العاجلة لمن خالف الشرع، والواقع الذي عاشه ويعيشه أولئك الأزواج من الرجال والنساء واقع مؤلم وحياة تعيسة ومشاكل لا نهاية لها، وقد أدت إلى سفك دماء وإلى قطيعة أرحام، وإلى بغضاء وشحناء وحقد وعداوات متناهية بسبب الإقدام على نكاح الشغار الذي لم ينتبه ويتفكر ويمعن النظر في الحكمة من تحريمه كثير من المسلمين، ولم يفكروا في العواقب المؤلمة لكثير ممن أقدم عليه، فالحياة الزوجية عقدها يستمر مدى

الحياة يجب التفكير فيها بكل أمانة وإخلاص والإقدام على بصيرة وتغليب مصلحة الزوجين.

روى الإمام أحمد وأبو داوود رحمهما الله تعالى بإسناد صحيح عن عبدالله ابن هرمز أن العباس بن عبد الله بن عباس أنكح عبد الرحمن بن الحكم ابنته وأنكحه عبد الرحمن ابنته وقد كانا جعلا صداقاً ، فكتب أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه إلى أمير المدينة مروان بن الحكم يأمره بالتفريق بينهم، وقال في كتابه:هذا الشغار الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذه الحادثة التي وقعت في عهد أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه توضّح معنى الشغار الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث المتقدمة ، وأن تسمية الصداق لا تُصَحِّحُ هذا النِّكَاح ولا تخرجه عن كونه شغاراً ، لأن العباس بن عبد الله وعبد الرحمن بن الحكم قد سَمَّيَا صَدَاقاً، ولكن لم يلتفت معاوية رضي الله عنه إلى هذه التسمية بل أمر بالتفريق بين كل زوجين منهم، وقال هذا هو الشغار الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعاوية رضي الله عنه أعلم باللغة العربية وبمعاني أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهم جميعاً. وهذا الذي ينبغي التنبه إليه في مسألة الشغار الذي قد يخفى على كثير من المسلمين وضوحُ إِشْكَالِهِ من حيث القصد والنية فيه ومن حيث الحكمة في تحريمه أيضاً والتي هي خافية أيضاً على الغالبية العظمى .

نكاح الشغار

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله .

أما بعد: فمن المسائل المنكرة في النكاح ما يفعله بعض الناس في إجبار ابنته أو أخته أو بنت أخيه أو من له ولاية عليها على الزواج ممن لا ترضى بنكاحه، وذلك منكر ظاهر وظلم للنساء ، لا يجوز للأب ولا لغيره من الأولياء أن يفعله ويقدم عليه لما فيه من الظلم الواضح للنساء ومخالفة السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن تزويج النساء إلا بإذنهن ، ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**لا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حتى تُسْتَأْمَرَ ، ولا تُنكح البكرُ حتى تُستأذن**)). قالوا يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال:((**أن تسكت**)). وفي صحيح مسلم رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**والبكر يستأذنها أبوها، وإذنها: صماتها**)). والأحاديث في هذا المعنى متعددة ، ويُستثنى من هذا تزويجُ الأب فقط لابنته التي لم تبلغ تسع سنين بالكفء إذا رأى المصلحة لها في ذلك بغير إذنها لكونها لا تُدْرِكُ مصالحها إذا كان ذلك فعلاً في مصلحتها، وليس ذلك لأحد ممن له ولاية عليها إلا للأب ، مع أن بعض الآباء ممن لا يقدرون مصالح بناتهم ليس لهم تزويج بناتهم في هذه السن ولا في غيره بغير إذنهن حيث هم داخلون في عموم الأحاديث السابقة ، أما الأَبُ المقدِّرُ والمحْتَرِمُ مصالِحَ بناته فإن له ذلك بدليل تزويج الصديق رضي الله عنه ابنته عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنين ولم يدخل بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلا في التاسعة من عمرها رضي الله عنها وعن والديها.جاء في الصحيحين مما روته بنفسها أي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت ست سنين ، وأُدْخِلَتْ عليه وهي بنت تسع ، ومكثت عنده تسعاً.رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

ومن الأمور والمسائل المنكرة ما يفعله بعض الناس في الحاضرة والبادية من حَجْرِ بنت العم ومنعها من الزواج بغير ابن عمها والتهديد والوعيد بفعل كذا وكذا، وكذلك إجبار بعض الأولياء للنساء على الزواج ممن لا يَرْضَيْنَ به

من القرابة أو من غيرهم ، وكذلك ظلم بعض الناس لبناتهم ومولياتهم حيث يمنعوهن من الزواج ممن يتقدم لهن من الأَكْفَاءِ في الدين ويرغبن هن في الزواج منهم ، يمنعوهن حقهن في ذلك بحجة الطَّبَقِيَّةِ الجاهلية الممقوتة في الإسلام ، وكل ذلك ظلم واضح للنساء يأثم به من يُقْدِمُ عليه ويقوم به ، وبذلك تقع الفتن والمشاكل والشحناء والخصومات وقطيعة الرحم بل قد تصل إلى سفك الدماء وغير ذلك ، فالواجب على المسلم أنْ يخافَ الله تعالى ويَحْذَرَ بَطْشَهُ ونِقْمَتَهُ ، وعليه أن يحذر من الوقوع في ذلك ويحذِّر أقاربَه وغيرهم من المسلمين من عواقب مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وعليهم أن يستأذنوا النساء عند تزويجهن ولا يزوجوهن إلا برضاهن،كما يجب عليهم أن ينظروا في مصالح النساء وليس في مصالحهم، وألاَّ يزوجوهن إلا بالأَكْفَاءِ ديناً وخُلُقاً بعد إذنهن حتى تبرأَ ذِمَمُهُمْ ويسلموا من عواقب ذلك في الدنيا والآخرة ، ومما ينبغي التنبيه إليه في نكاح الشغار هو عن حال ممن لم يقدم عليه أو أقدم ولكن لم يتم الزواج حتى الآن أو وقع فيه ؟ أما من لم يقدم عليه أو أقدم ولكنه في مراحله الأولى قبل الزواج فإن عليه الابتعاد عن ذلك لما سبق ذكره والكلام عنه، وأما من وقع في الشغار وخاصة مع وجود الأولاد منهما أو من أحدهما، فإن عليهم أن يجددوا العقدين إذا رضيت كلتاهما بذلك ، أو إحداهما رضيت والأخرى لَمْ تَرْضَ فإنه يُجَدَّدُ لمن رضيت ، ولا حاجة للمأذون الرسمي أو إثبات ذلك رسمياً بل متى حصل الولي والشاهدان والإيجاب بعد القبول من الزوجين والزوجتين أو رضيت إحدى الزوجتين بزوجها ولم ترض الأخرى وكذلك دُفِعَ المهر فعلاً لكل منهما أو لمن رضيت منهما فمتى حصل ذلك واتفق الجميع على إلغاء الشروط الأولى فمن رضيت فإنها تبقى مع زوجها ، والتي لم ترض وظهر أنها مُكْرَهَةٌ في العقد الأول ولا ترغب الاستمرارَ مع زوجها فلها الانْفِصَالُ عنه حيث أن العقد الأول لاَغٍ وباطل ، ويُجَدَّدُ العقدُ للتي رضيت، أما الأولاد فهم أولاد رشد يُنْسَبُونَ إلى آبائهم لأنهم وُلِدُوا في نكاح

اعتقد صِحَّتَهُ الآباءُ والأولياءُ والشهودُ. وهذه خلاصة فتوى لأحد أعضاء الإفتاء أَيَّدَ ما ورد فيها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله.اللهم صَلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله.

الإسـراف والتـبـذيـر

الخـطـبـة الأولى **1409/3/25هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فإن أصدق الحديث كلام الله ،وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إنَّ أمةَ الإسلامِ أمةَ محمدٍ صلى الله عليه وسلم خيرُ أمة أخرجت للناس ، أمة وسط، شهيدة على الناس ،هذا ما أخبر به ربنا عز وجل عن هذه الأمة المسلمة في وحي يُتْلَى إلى قيام الساعة،كما قال تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران:١١٠]. وكما قال سبحانه:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة:١٤٣].وكما قال سبحانه:((وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾))[الحج:٧٨] .هذه الخيرية والوسطية

في أمة مؤمنة يحمدون الله في السراء والضراء يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، قرآنهم في صدورهم، رهبان بالليل، فرسان بالنهار، يجاهدون في سبيل الله بالأموال والأنفس والنصيحة الخالصة الصادقة بالقلم واللسان لا يخافون لَوْمَةَ لائِمٍ، غايتهم ومقصدهم إخراج الناس من الظلمات إلى النور وتبصير عباد الله بالإسلام على الطريقة الصحيحة الواضحة والعقيدة الصافية النقية، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، تنبعُ خَيْرِيَّةُ هذه الأمة وتتأكد وَسَطِيَّتُهَا في دينها الخاتم الكامل الذي لا يقبل التجزئة ، فهو يشمل جميع مناحي الحياة في العبادات والمعاملات والأخلاق وخلافها، لو استعرضنا خيرية الأمة الإسلامية ووسطيتها في بعض النواحي من خلال إشارات وأدلة من الكتاب والسنة لطال بنا المقام، فكيف لو كان لأمور متعددة من أولها جميعاً، إنه يحتاج إلى سنوات لما نقله الأئمة الأعلام حول الآيات والأحاديث المبينة لذلك في أقصر العبارات وأوجزها وأجملها وأوضحها وأبينها إعجازاً، وما هذا التقديم إلا لمعرفة جزء يسير من خيرية الإسلام والأمة المسلمة ووسطيتها وتوسطها واعتدالها وما ينبغي أن يكون عليه المسلم والمسلمة في هذا الأمر وفي غيره في حياته كلها وتطبيقه لأحكام الإسلام ووضع النقاط على الحروف ليبحث كُلٌّ بنفسه ويقف عند آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، إن نعم الله علينا عظيمة وكثيرة فهي لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى كما قال الله تبارك وتعالى في محكم آيات القرآن الكريم:((**وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**))[إبراهيم:٣٤].وفي الآية الأخرى:﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النحل:١٨]،ولو تدبرنا وتأملنا هاتين الآيتين في سُورَتَيْ إبراهيم والنحل وقد جاءت بعد بيان تسخير الله عز وجل لنا الأشياء في هذا الكون ، ولو

تذكرنا غفلتنا وذهولنا عن معظم ما في هذا الكون الفسيح وعما في أنفسنا وما يحيط بنا وعن مدى تقصيرنا في هذا وفي غيره من أمور عباداتنا وتطبيقنا لإسلامنا لو فعلنا ذلك لسجدنا لله شكراً وذَلَّتْ رقابُنا لعظمة الله وخضعنا وتواضعنا لعباد الله وعرف كلٌّ منا قَدْرَ نفسِه وعمل بطاعة ربه وانتهى عن المعاصي والآثام وعمل بسنة خير الأنام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، عندها تتغير الأحوال إلى الأفضل والأحسن بإذن الله عز وجل، وعندما يكون العكس حيث الذهول والغفلة والإعراض وانتهاك المحرمات وقلة الطاعات فإن التغيير إلى الأسوأ سوف يكون بقدرة الله وإرادته ومشيئته وحسب سُنَنِهِ الكونية التي وردت في القرآن الكريم، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾[الرعد:١١] وقال عز وجل:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[الأنفال:٥٣].وقال تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧]. وقال عز وجل :﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[النحل:٥٣-٥٥].وقال تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل:١١٢]. ولو أوردت الآيات عن سبأ وقارون فقط وقرأتها عليكم لاحتجنا وقتاً يطول على السامعين ، ولا أعتقد أنهم يَمَلُّونَ استماع أو تلاوة كلام رب العالمين بإذن الله تبارك وتعالى.إن مظاهر الإسراف والتبذير والترف والبذخ مع عدم الشكر وكفران النعمة مُنْذِرَةٌ بالخطر ليس على الواقعين فيها فقط بل العقاب ينزل على الجميع،ولو تأملنا

هذه الآيات لوجدناها كأنما أُنْزِلَتِ الآن وهي تُصَوِّرُ واقعنا وتنذر عاقبة أمرنا وتذكرنا بما جَنَيْنَا وما كنا عليه، قال تعالى:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٌ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾))[الأنفال:٢٤-٢٦]. **الإسراف:**مجاوزة الحد أياً كان،وهو يشمل أموراً عدة في حياة البشر من مأكل ومشرب ونوم ويقظة وكلام ومحبة وكراهية وضحك وانفعال وتعامل مع الإنسان والحيوان والطير والنبات والجماد وكذلك العبادات من وضوء وطهارة وصلاة وصدقة وصيام وغيرها، والحديث هنا عن الإسراف في الأموال وسوء التصرف فيها، **وهو نوعان**: **الأول**:إسراف في النفقة والإنفاق وهو التبذيرُ المنهيُّ عنه ومجاوزة الحد حتى في الصدقة، قال تعالى:﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾[الإسراء:٢٦-٢٧].وقال عز وجل:﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾[الأنعام:١٤١].وقال صلى الله عليه وسلم لمن أراد الصدقة عموماً أو الوقف لينتفع به في الدار الآخرة:((**الثلث، والثلث كثير، لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يَتَكَفَّفُونَ الناس**)).**والنوع الثاني**: الإسراف في الاستهلاك في الأكل والشرب وضروريات الحياة ومباحاتها، مع أن الله أباح لعباده الطيبات والحلال من المأكل والمشرب ولكنه نهاهم عن الإسراف وتجاوز الحد لما في ذلك من الضرر عليهم في أبدانهم ودينهم ودنياهم، ولنتأمل الحديثين التاليين حيث أخذ أعداء الإسلام منهما قاعدة لصحة أبدانهم وقد تركها أكثر المسلمين، فالطب مجموع في ثلاث كلمات لا غنى للمرء عن أحدها ولو

خالفها لاعْتَلَّتْ صِحَّتُهُ وقُوَاهُ وربما أَوْدَتْ بحياته، جاء ذلك في الآيات والأحاديث التالية:قال تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف:٣١].وقال عز وجل عن عباد الرحمن الذين عَدَّدَ صفاتِهم:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[الفرقان:٦٧].وقال تعالى:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩] وقال صلى الله عليه وسلم:(**(ما ملأ ابن آدم وِعاءً شراً من بَطْنٍ ، حَسْبُ ابْنِ آدم لُقَيْمَات يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإن كان لابد فاعلاً فَثُلُثٌ لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لِنَفَسِهِ**)) وقال صلى الله عليه وسلم:((**نحن قوم لا نأكلُ حتى نَجُوعَ وإذا أكلنا لا نَشْبَعُ**)).أي لا يُدْخِلُونَ الطعامَ على الطعامِ مع الشبع لما فيه من إفساد الثاني لما قبله ، وإذا أكلوا لا يملأون بطونهم حتى يُتْخِمُوها بالطعام ويصلوا إلى الشَّبَعِ الْمُفْرِطِ .

الإسراف وترشيد الاستهلاك

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:فإن المسلم الحق معتدل متوسط مقتصد في أموره كلها لا إِفْرَاطَ ولا تَفْرِيطَ لا غُلُوَّ ولا مُجَافَاة ، لا إسرافَ ولا تَقْتِيرَ ، لأنه ينطلق في ذلك من تعاليم الإسلام التي تأمره بالاعتدال والتوازن والاقتصاد في جميع الأمور، وتنهاه عن الإسراف والتبذير ومجاوزة الحد حتى ولو كان في الاقتصاد الذي يصل إلى حد التقتير ، ولا ينتظر توجيهات البشر لأنه يفعل هذه الأمور طاعةً لله عز وجل وقُرْبَةً إليه رجاء الثواب من عند الله سبحانه وتعالى وخوفاً

من عقابه ومحبةً له عز وجل. وإذا جاءت الدعوة لأمرٍ ما من ولاة الأمر فإن الأمر لديه عاديٌّ جداً لأنه عاملٌ به مُنَفِّذٌ له ولا يستغربه ولا يستصعبه أبداً ولا يستثقله ، بعكس الجاهل بتعاليم الإسلام أو المسرف الذي لا يحسب لأمر دينه أي حساب،والإسراف يُخْشَى على الجميع منه لأن فتنته وضرره يصل الجميع،كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[الإسراء:١٦].وكما حَذَّرَ سبحانه مِنْ أَنَّ تَرْكَ أَمْرِ الخاصَّةِ الظاهر وعدم النهي عنه سوف يصيب العامة،كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥].أي أنها سوف تصيب العامّة ولا تقتصر على أصحاب المعاصي والمنكرات والآثام، ولنأخذ بعض الأمثلة التي تتردد الدعوة حولها لترشيد الاستهلاك فيها. **ومنها: الماء**، فالمسلم مأمور بالاقتصاد فيه حتى في أمر الطهارة التي منها الوضوء والاغتسال ولو كان أحدنا على شاطئ نَهْرٍ جَارٍ ، وهَدْيُ رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم واضحٌ في هذا وغيره ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصَّاع ويتوضَّأُ بالْمُدِّ ، والصاع:أربعة أمداد،والمد:ملء كَفَّي الإنسان المعتدلِ الخِلْقَةِ . فهل أحد يطبق هذه السنة النبوية أو يقترب منها في هذا الزمان إلا من وفقه الله عز وجل نظراً لوجود المسابح الموجودة في دورات المياه المسماة بالمغاطس والدشوش المتنوعة والمغاسل التي هي أجزاء مساعدة على الإسراف وأيضاً صناديق الطرد المسماة بالسيفونات، ولو استعمل شخص عاقل الأباريق بدل تلك الصناديق أو في الوضوء عند المغسلة ووضوئه عليها والاغتسال في الحمام لئلا يسرف في الماء لَوُصِفَ بالتخلف والجنون ، مع أن القائلين بذلك هم الذين يستحقون ذلك الوصف. وقد مَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أحد الصحابة وهو يتوضأ فقال له:((**لا تسرف في الماء**)) فقال:وهل في الماء

إسراف؟ قال:((**نعم وإن كنت على نهرٍ جارٍ**)). وقال صلى الله عليه وسلم:((**إن للوضوء شيطاناً يُقَالُ له الْوَلْهَان ، فاتقوا وَسْوَاسَ الماء**)).وعندما يرى المسلم إخوانه المسلمين في أماكن الوضوء في المساجد يشاهد من الأمر عَجَباً في إهدار الماء وفتحه من مصادره ومحابسه إلى أعلى الدرجات حتى والشخص يَكُفُّ ثيابَه وملابسَه نجد الماءَ مُهْدَراً نافذاً إلى مجاري الصرف وكأنهم لا يَعُونَ ولا يعلمون شيئاً من سنة رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم حيث يتوضأ أحدهم بأكثر من مائة مرة عن القدر الذي عليه هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحالهم في الاغتسال أعظم وأكثر مع وجود ما يساعدهم على الإسراف مما تحويه دورات المياه، أما الْمُتْرَفُونَ الذين تَحْوِي قصورُهم ومساكنُهم المسابحَ التي تتسع لعشرات الأطنان بل المئات فَحَدِّثْ عنهم ولا حرج، حيث التغيير والتبديل الأسبوعي للماء إن لم يكن اليومي لدى كثير منهم وإهدار الماء الصالح للشرب لأن الجميع لم يتعب فيه ولم يدفع مقابله إلا قيمةً تافهةً ، هذا إنْ دُفِعَتْ ، مع أن الكثير لا يعلم عنها شيئاً ولو أن عامة الناس قاموا بدفع التكلفة الحقيقية للطن الواحد الذي يصل إليهم بمبلغ أربعة ريالات بدلاً من قرشين لشعروا بقيمة الماء مع أنهم يشترون ماء الشرب بما يعادل ألفي ريال للطن الواحد ولا يضيق أحدهم ذرعاً بما يدفعه ولا يَتَبَرَّمُ ، أما زيادة السعر عن القرشين في الطن الواحد للماء الواصل إلى المنازل عبر الأنابيب فهو أمر صعب على النفوس التي لا تقدّر هذه النعمة ، ولو وُضِعَتْ شرائحُ للاستهلاك بدلاً من المعمول به لعرف الناس قيمة الماء ومقدار النعمة الكبرى التي ينعمون بها، سواء صغار المستهلكين أو المترفين، كل يوضع له السعر المناسب للحد من الإسراف ولكي يُسْتَفَادَ من عائد الدخل في عمل مشاريع لآخَرِينَ يُعَانُون من عدم وصول الماء النقي إليهم وانعدامه عنهم ونُضُوبِ الماء العادي لديهم وقِلَّتِهِ

فضلاً عن حُلْمِهِمْ بوجود مثل هذا الماء النقي الذي ينعم به أهل المدن ، فالواجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه ويتقي ربه ، وإذا بدأت المحاسبة تأتي النتائج المثمرة بإذن الله ، وهي تبدأ من هؤلاء الأشخاص ومن الرجال المسئولين في بيوتهم والنساء ومراقبة الخادمات اللائي هن أكبر مصدر لإهدار المياه حيث تفتح إحداهن مصدر المياه(الصنبور) إلى آخر شيء ليغسل ويزيل عن الأواني والأدوات المستعملة في الطبخ والأكل والشرب ما عَلِقَ بها مع أقلّ كُلْفَةٍ عليها في مَدِّ يدها واستعمالها لها ، ثم الترشيد من الأغنياء والكفّ عن العبث بالماء في المسابح وأشجار الزينة ونباتاتها والمسطحات الخضراء والأشجار غير المثمرة والتي لا فائدة من وراء إهدار المياه عليها لا لإِنْسَانٍ ولا لحيوانٍ ولا لطائرٍ، حيث يصرف بعضهم في يومٍ واحدٍ ما تصرفه مئات العوائل في سنوات، ولا أقول هذا مجازفة بل حقيقة واقعة، ومن لديه شك فليسأل المسئولين الأمناء عن توزيع المياه لا العكس من هذا الوصف الذين هم كُثُرٌ في هذه الأيام، فإذا كان الإنسان قدوة فيما يدعو إليه ويفعله استجاب الناس له، والعكس بالعكس، وواجب طالب العلم والخطيب والواعظ والعالم أن يكونوا قدوة فيما يدعون إليه،كما هو الحال في المسئول ممثلاً في شخص بمفرده أو هيئة أو مؤسسة اعتبارية في قمة الهرم وأعلاه كما يقال أو في أسفله ، مثل الدعوة لترشيد استهلاك الماء إذا لم يوضع في الاعتبار ما ذكر سابقاً إلى جانب أمور لا يَحْسُنُ ذِكْرُهَا هنا فإن الأمر سيظل استعطافاً قليل الجدوى والثمرة بعيداً عن الحزم ووضع الأمور في نصابها، كما هو الحال في الكهرباء إذا لم تبدأ البلديات والمواصلات في الاقتصاد في الإضاءة المهدرة التي تستمر إلى بعد إشراق الشمس بساعة أو تضاء قبل المغرب بساعة مع زيادة الكميات المضاءة عن حاجة الطرق

الداخلية والخارجية ، إذا لم تكن الجهة قدوة فيما يشاهده الناس فلن تكون الاستجابة مثمرة ومتوقعة لدى كثير من الناس والحال كما ذُكِرَ.

وواجب المسلم أن يستجيب لأمر الله وأمر رسوله، وهذه الدعوة التي هي من تعاليم الإسلام المأمور بها قبل أن تكون دعوة من ولاة الأمر، وكذلك على المسلم أن يقتصد في الولائم وحفلات الزواج التي تُهْدَرُ فيها كمياتٌ هائلةٌ من الأطعمة واللحوم وأنواع المأكولات والمشروبات ثم ترمى في الزبالات ومع القاذورات، وقليل من يحملها إلى البر ويرميها هناك أو يحملها إلى الجمعيات الخيرية، وكفران النعمة يكون عند من لا يحترمها ويقوم بذلك رياءً وسمعة ومفاخرة مع أن الكثير منهم قاموا باستدانة قيمتها ويقومون بسدادها على سنوات قادمة، وقبل مدة نَشَرَتْ إحدى الصحف صورةً لِصِينِيَّةٍ كبيرةٍ ـ إناء يوضع فيه الطعام ـ عليها قُعُودٌ ـ الصغيرُ من الإبل ـ وعدد من الأغنام تمثل الكرم الحاتمي في إحدى المناطق لشخص كفر نعمة الله عز وجل، مع أنه لو وقف فقير على أحد المسرفين وطلبه عشرة ريالات لما أعطاه، ولو أن كل فرد على أقل تقدير وَفَّرَ ريالاً واحداً من قيمة استهلاك الماء والكهرباء وأنفقها في وجوه الخير ومشاريعه المختلفة لدى الجمعيات الخيرية القائمة بهذا لقدم لنفسه خيراً كثيراً ووجده في يومٍ هو أحوج لحسنة واحدة:﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴿٢٠﴾ ﴾[المزمل:٢٠] ، ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[إبراهيم:٧]. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

شكر النعمة وكفرها

الخطبة الأولى **6 /1405/4هـ ، 1423/4/24هـ**

الحمد لله الذي أنار طريق الرشاد، أحمده سبحانه وأشكره، وهو للطاغين بالمرصاد وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله شفيع الموحدين يوم التناد، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وارض عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:فإن الأشر والبطر مظهر لجحود النعمة وبادرة لسوء المصير، ولقد كان فيما قص الله في كتابه عن قارون وقد آتاه الله من كنوز المال ما قابله بالأشر والبطر كان له سوء العاقبة والمصير. قال تعالى:((**إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ**)).[القصص:76].أي أعطيناه من كنوز المال العظيمة التي مفاتيحها تُثْقِلُ في حَمْلِهَا الجماعةَ والعُصْبَةَ من الناس وذلك لكثرتها. ((**إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾**)).[القصص:76]. أي أن الله لا يحب الأَشِرِينَ الذين أَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ((**وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ**)).[القصص:77]. أي اطلب بما أعطاك الله من الأموال الجنة وبذل الأموال في رضا الله ((**وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا**))[القصص:77]. أي خُذْ من مُتَعِ الدنيا ما أباحه الله لك بِقَدَرٍ((**وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ**)) [القصص:77].أي أحسن إلى عباد الله كما أحسن الله إليك ((**وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ**))[القصص:77]. أي لا تَكُنْ هِمَّتُكَ بما أنت فيه أنْ تُفْسِدَ في الأرض بالمعاصي((**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ**

ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾))[القصص:77].وكل ذلك توجيه من صالحي قومه لِيَرْعَوِيَ وينتهيَ عن غَيِّهِ، ويسلك سبيل السداد والرشاد، وهو أيضاً توجيه للناس جميعاً إلى الأبد، ولا يعني قارون وحده، فكم في أعقاب الزمن من أمثال قارون من تُبْطِرُهُ النعمةُ، ويستعملها في المعصية والإفساد في الأرض والتعالي على الخلق، فيكون خطراً على نفسه وعُرْضَةً لأن يناله من غضب الله ما يُعَكِّر عَيْشَهُ بل قد تُطْوَى صفحتُه إن لم يكن بالخسف الذي حلّ بقارون فبِقَارِعَةٍ تأتي عليه وإذا به صِفْر اليدين، وهذه نتيجة لظلمه وأَشَرِهِ وبَطَرِهِ، وكم من هذه الأَنْمَاط والألوان موجودة الآن. وكانت خاتمة قصة قارون ما ذكره الله في قوله تعالى: ((فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾)).[القصص:81-83].وقصة أخرى وردت في القرآن الكريم تتحدث عن بطر سبأ وكفرهم بالنعمة، وزوالها عنهم وتفرقهم بعد ذلك وتمزقهم كل ممزق، وهم كانوا على عهد الملكة التي جاء نَبَؤُهَا في سورة النمل مع سليمان عليه السلام حيث كانت في ملك عظيم وخير عميم، وقد قص الهدهد خبرها على سليمان كما ورد في القرآن الكريم:((إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ))[النحل23، 24].وقد أعقب ذلك إسلامُ الملكة مع سليمان لله رب العالمين، فقصة سبأ

في الآيات التالية تقع أحداثُها بعد إسلام الملكة لله رب العالمين، وتبدأ القصة بوصف ما كانوا فيه من رزق ورغد ونعيم، وما طُلِبَ إليهم من شكر المنعم عز وجل بقدر ما يُطيقُون. قال الله تعالى:((**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾**)).[سبأ:15].وسبأ اسم لقوم كانوا يسكنون جنوب اليمن وكانوا في أرض مخصبة ما تزال منهم بقية إلى اليوم، وقد ارتقوا في سُلَّمِ الحضارة حتى تحكموا في مياه الأمطار الغزيرة، فأقاموا خَزَّاناً يتألف جانباه من جبلين، وجعلوا على فَمِ الوادي بين الجبلين سداً به عيون تُفتح وتُغلق، وخزّنوا الماء بكميات عظيمة وراء السد، وتحكَّمُوا فيها وَفْقَ حاجتهم فكان لهم من هذا سُورٌ مائيٌّ عظيمٌ، عُرِفَ باسم((سد مأرب))عملوا ذلك مع صعوبة الإمكانات وقلة الموارد والآلات قياساً مع هذا الزمن الذي تَوَفَّرَ فيه ما لم يكن في العصور الأولى، وما يُعمل الآن من سدود ما هو إلا نِتَاجُ تفكير الأقدمين وحدّ علمهم الذي علمهم الله إياه، فأهل هذا العصر مسبوقون في السدود وتخزين المياه خلفها وطريقة تصريفها واستخدامها من آلاف السنين. فلم يأتوا بجديد مع أن الآلات الحديثة والإمكانات الهائلة المتوفرة الآن كان من المفترض استغلالها لتخزين المياه بدلاً من هَدْرِهَا خاصة مياه الأمطار التي تذهب في الصحراء والبحر ولا يستفاد منها كما ينبغي، فما أعجز بني البشر الموجودين الآن! وما أقوى وأصبر الأقدمين! مع الفارق في الإمكانات والموارد واختلافها بين القديم والحديث، وتلك الجِنَانُ عن اليمين وعن الشمال دلالةٌ على الخصب والوفرة والرخاء والمتاع الجميل، وفي تلك النعم

آية تذكّر بالمنعم الوهاب سبحانه ، وقد أُمِرُوا أن يستمتعوا برزق الله شاكرين له نعمه سبحانه وبحمده:((كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ))[سبأ:15]. وذُكِّرُوا بالنعمة . نعمة البلد . وفوقها نعمة الغفران والتجاوز عن السيئات بالرغم من التقصير الواضح في شكر المنعم جل جلاله، وإنها لَمِنَّةٌ عُظْمَى لو استجابوا لذلك تتمثل في حياتهم الدنيا بالنعمة والرخاء، وفي الآخرة بالعفو والغفران، ولكنهم لم يشكروا ولم يذكروا الله فماذا كانت نهاية كفران النعمة ؟ قال تعالى:((فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾)).[سبأ:16]. لما أعرضوا عن شكر الله وعن العمل الصالح والتصرف الحميد فيما أنعم الله عليهم،سلبهم ذلك الرخاء الجميل الذي عاشوا فيه وأرسل السيلَ الجارفَ الْعَرِمَ الذي يحمل الحجارة لشدة تَدَفُّقِهِ، فحطَّم السد وانْسَاحَت المياه وانْسَابَت فَطَغَتْ وأغرقت، ثم لم يَعُدِ الماءُ يُخَزَّن بعد ذلك فجفّت واحترقت وتبدلت تلك الجنان الْفِيحُ صحراءَ تتناثر فيها الأشجار البرية الخشنة. قال تعالى بعد أن ذكر إعراضهم وإرسال السيل العرم في آخر الآية نفسها:((وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾)).[سبأ:16]. والخمط:هو شجر الأراك، أو هو كل شجر ذي شوك، والأثل:شجر يشبه الطرفاء، والسدر: شجر النبق المعروف وهو أجود ما صار لهم ولم يَعُدْ لهم منه إلا القليل. قال تعالى:((ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾)).[سبأ:17].لقد كفروا بنعم الله ولم يشكروها ولكنهم إلى ذلك الوقت لا زالوا في قراهم وبيوتهم حيث ضيق الله عليهم الرزق وبدلهم من

الرفاهية والنعماء خشونة وشدة ، ولكنه لم يمزقهم ولم يغرقهم، وكان العمران ما يزال متصلاً بينهم وبين القرى المباركة، مكة في الجزيرة العربية، وبيت المقدس في الشام، وكانت اليمن عامرة في شمال بلاد سبأ ومتصلة بالقرى المباركة، والطريق بينهما عامر مطروق مسلوك ومأمون، قال تعالى:((**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾**)). [سبأ:18]. وغلبت عليهم الشِّقْوَةُ فلم ينفعهم النذير الأول فدعوا الله على أنفسهم فاسْتُجِيبَت الدعوة دعوة الأشر والبطر. قال تعالى مخبراً عنهم: ((**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾**)).[سبأ:19].

أيها المسلمون: إن القرآن مليء بالعبر والعظات لمن يريد الاعتبار والرجوع إلى الله، والآيات كثيرة في هذا المعنى، فعلينا أن نرجع إلى الله ونفيق من غفلتنا ونتذكر نعم الله علينا ونشكره سبحانه وتعالى على نعمه، فبالشكر تدوم النعم، ويجب عند قراءتنا لهذه الآيات وغيرها أن نعتبرَ ونقرَّ ونعترفَ بنعم المنعم سبحانه علينا وعلى الخلق أجمعين، لا نعترف بها لأحد غير الله، سواء بقول الإنسان إنها بقدرته ومعرفته وعمله وتصرفه الحكيم أو بإرجاعها لأحد من الخلق، فالبشر كلهم جميعاً لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، وإنما هم أسباب ومظهر من مظاهر المنع أو العطاء ضعفاء فقراء إلى الله، ونسمع ونقرأ عن بعض الأشخاص الذين تصدر منهم العباراتُ الشِّرْكِيَّةُ أو الجُحُودِيَّةُ لنعم الله عز وجل ويرجعون عبارات الثناء والمدح والشكر إلى المخلوقين وينسبون ويسندون ذلك إلى البشر ويَتَفَوَّهُونَ بالعبارات والألفاظ التي يندى

لها الجبين وتصدر من متعلمين مثقفين على حد زعمهم هُمْ، حتى في بلد التوحيد حيث يرجعون ذلك إلى فضل فُلان وحكمة عَلاَّن ولولاه لما حصل ما نحن فيه، ولا يرجعونها إلى الواحد الديان رب السماوات والأرض ولا يُنَزِّهُونَ ألسنتهم عما يقدح في عقيدتهم فهم يعظمون المخلوقين وينسبون الأسباب والنعم إليهم مع أنهم عباد فقراء إلى الله مهما أُوتُوا ومهما رزقهم الله، فعلى المسلمين أن ينسبوا النعم إلى الله عز وجل لأنه هو المنعم المتفضل بها سبحانه على عباده، وعليهم أن يقدروا الله حق قدره ويعلموا أن البشر إنما هم أسباب ومظهر من مظاهر المنع أو العطاء فقراء إلى الله كما قال تعالى:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾))[فاطر:15]. وقال تعالى:((وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ)).[الزمر:67].وعليهم أن ينسبوا النعم إليه سبحانه كما قال تعالى: ((وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾)).[النحل:53-56].وقال تعالى:((وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾)).[إبراهيم:34].وقال عز وجل:((إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾)).[الذاريات:58].وقال سبحانه وبحمده:((وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾)). [الذاريات22، 23].وقال تعالى:((لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾)).[الشورى:12].وقال عز وجل:((قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ

وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾))[سبأ:39].والآيات في هذا كثيرة. فيجب علينا أن نشكر الله على نعمه بالاعتقاد بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح وليس ذكراً وشكراً باللسان فقط، ولكن لابد من التطبيق العملي لهذا الشكر الذي يجْرِي على اللسان، ولا يكون ذلك إلا إذا كان نابعاً من القلب، فعند ذلك نُجَازى من الله بالزيادة في النعم، وإن لم نفعل فعقاب الله شديد، قال تعالى:((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾)).[إبراهيم:7].

شكر النعم وكفرانها

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:فإن من كفران النعم الذي هو حاصل بيننا في هذه الأيام هو ما يفعله بعض الناس في حفلات الزواج من ولائم وغيرها وفي المناسبات

الأخرى أيضاً، وذلك شيء يندى له الجبين وهو كفران للنعمة وتعريضها للزوال حين تُرْمَى بقايا الموائد كما هي في النفايات بالسيارات أو في العربات مع وجود المحتاجين الذين يبيتون جياعاً لا أحد يعلم عنهم، تلك الولائم التي يُدعى إليها الأغنياء ولا يحضرها الفقراء بل قد يُطْرَدُون لو حضروا أو قاربوا الأبواب، تلك الولائم التي يصدق عليها الحديث:((**شر الوليمة التي يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء**)).كما ورد في الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم، وإنها لأعمال لا ترضي الله، وتصرفات مؤلمة ومحزنة لكل مؤمن غيور على دينه، تلك الولائم التي يحصل فيها الإسراف والتبذير والمظاهر الزائفة والمفاخرة الكاذبة التي يتحمل معها كثير ممن عملها الديون التي يسدِّدونها على مَرِّ السنين حباً في الرياء والسمعة والمفاخرة والأشر والبطر، وإِنَّ وَعْدَ اللهِ وَوَعِيدَهُ لَحَاصِلٌ، فمن شكر فسوف يجزيه بالزيادة ومن كفر النعمة فسوف يجد العذاب إنْ عاجلاً أو آجلاً، ومن مظاهر الأشر والبطر وكفران النعمة أيضاً ما يقوم به بعض الآباء من إعطاء أبنائهم سيارات فخمة ومراكب فارهة بعشرات الآلاف من الريالات، يعطونهم ذلك ليستعملوها في معصية الله، وأول معصية هي تركهم للصلوات، وإلا فأين الشباب طوال أيام الأسبوع والمساجد منهم خالية، وقد لا ترى بعضاً منهم إلا أيام الاختبارات حيث يأتون إلى المساجد، فأين هم بعدها ؟ يعقب تَرْكَ الصلوات إِهْدَارُ الأموال المُنْفَقة في هذه السيارات وإتلافها في الحوادث وإزهاق أرواح الأبرياء بالدَّعْسِ أو التكسير وما يحصل في الحوادث المؤلمة، وكذلك تضييع الأوقات والساعات الطويلة في اللهو والعبث.

أيها الآباء:إن أولادنا ذكوراً وإناثاً أمانة في أعناقنا وخاصة الأبناء سوف نسأل عنهم يوم القيامة وعن الأموال التي دفعناها لهم وفِيمَ استعملوها، ولا يعتقد أو يظن أحد أنه ناجٍ من هذه الأسئلة وهذه الأمانة فَلْيُعِدَّ الجوابَ من الآن وليحاسب نفسه ويرجع إلى ربه. قال تعالى:((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ**))[التحريم:6].وقال جل وعلا:((**وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا**)).[النساء:5].وقال عليه الصلاة والسلام:((**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع . وذكر منها . عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه**)).فلنتق الله ولنتناصح فيما بيننا ونحمد الله ونشكره على نعمه ولنتذكر قول الله تعالى:((**وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾**)). [الأنفال:25].ولنعتبر بالدول المجاورة وغيرها من دول العالم والتي كانت تعيش في رغد من العيش وما هي عليه الآن، ولنتذكر دائماً أننا نتقلب في نعم الله العظيمة والتي لم تتوفر في أي قطر من أقطار هذه الأرض بهذه الكميات الرهيبة والانفتاح العجيب حيث تَفْرِضُ كثيرٌ من الدول قيوداً على منتجات بعض الدول الأخرى حفاظاً على اقتصادها وتأتينا نحن من جميع الأقطار والدول بهذه الكميات الهائلة والجودة التي قد لا تكون في البلد المنتج ولا يأكله أهلها بل نتمتع به نحن ومن يعيش في هذه البلاد المباركة، وهذه نعمة عظيمة ومِنَّةٌ كُبرى على ساكني الحرمين الشريفين وما جاورهما في هذه البلاد الطيبة حيث تحققت دعوة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.كما ورد في القرآن الكريم:((**رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ**

أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾))[إبراهيم:37].ولنشكر الله في كل حين ونقابل النعم بالشكر للمنعم سبحانه، الشكر الحقيقي المتمثل في القول والفعل والاعتقاد،والابتعاد عن الجحود وكفران النعم،والعمل بالطاعات وكل ما يقرب إلى رب الأرض والسماوات لئلا تتبدل الأحوال الطيبة بما يُضَادُّها، وتلك هي سنة الله في الأولين والآخرين، قال تعالى: ((وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾))[النحل:112]. اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله.

الحث على الصدق والنهي عن الكذب

الخطبة الأولى 1405/12/21هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق وبعثه بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً فبلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلّم.

أما بعد: فإنَّ حَيْرَةَ البشرِ وشِقْوَتَهُمْ ترجع إلى ذهولهم عن أصل واضح في دينهم وحياتهم ألا وهو الصدق ويرجع أيضاً إلى تسلّط أكاذيب وأوهام على أنفسهم وأفكارهم أبعدتهم عن الصراط المستقيم والنهج القويم وشَرَدَتْ بهم عن الحقائق التي لا بدّ من التزامها،قال الله تعالى:((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾**))[التوبة:119]،ومن هنا كان الاستمساك بالصدق في كل شأن، وتَحَرِّيه في كل قضية دعامةً ركينةً في خُلُقِ المؤمن وصبغةً ثابتةً في سلوكه، وكذلك كان بناء المجتمع في الإسلام قائماً على محاربة الظنون ونَبْذِ الإشاعات واطِّرَاحِ الرِّيَبِ.والحقائق الراسخة وحدها هي التي يجب أن تظهر وتغلب، وأن تعتمد في إقرار العلاقات المختلفة. قال الله تعالى:((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ**))[الحجرات:12]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**)). متفق عليه،وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:((**دع ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ فإن الصدقَ طُمَأْنِينَةٌ والكذبَ رِيبَةٌ**)).رواه الترمذي والنسائي. وقد ورد في القرآن عن جَرْيِ أَقْوَامٍ وراء الظنون التي ملأت عقولهم وأفسدت حاضرهم ومستقبلهم بالأكاذيب.قال تعالى:((**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾**)).[النجم:23]، وقال عز وجل:((**وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾**)). [النجم:28]،لذا نجد الإسلام يحترم الحق والصدق أشد الاحترام ويبغض الكذابين ويشدِّدُ النَّكِيرَ عليهم.عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت:ما كان من خلقٍ أبغض

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب، ولقد كان الرجل يكذب عنده الكِذْبَةَ فما يزال في نفسه حتى يعلم أنه قد أحدث فيها توبة.رواه أحمد رحمه الله. ولا غَرْوَ فلقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتلاقون على الفضائل ويتعارفون بها،وكان صدق الحديث ودقة الأداء وضبط الكلام من معالمهم وصفاتهم. فأين نحن منهم في هذا الزمان الذي كثر فيه الكذب وأصبح سِمَةً بارزةً لكثير من المسلمين بل أصبح دعوةً يتَّصِفُون بها ويدعون إليها علناً، وبذلك يقول لسانُ حالهم إنّ الإسلام غير صالح للعمل به في هذا الزمان وفي هذه المجتمعات، لأن الصدق في نظرهم غير مستساغٍ، والكذبَ هو الذي يُصْلِح أعمال الناس.ودعوتهم هذه حَرْبٌ على الإسلام وأهله ومُحَادَّةٌ لله ورسوله، حيث يدعو الله ورسوله إلى الصدق، وهم يدعون إلى الكذب، فإنا لله وإنا إليه راجعون وهو حسبنا ونعم الوكيل.

إن الكذب وإخلاف الوعد، والتدليس والافتراء والبهتان خاصة مع الخصم، والخيانة وعدم تأدية الأمانة،كل ذلك من علامات النفاق ، وما اجتمعت في مسلم إلا كان منافقاً خالصاً،كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أربعٌ منْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها،إذا ائْتُمِنَ خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**)).رواه البخاري ومسلم.وفي الرواية الأخرى التي رواها أيضاً الإمامان الجليلان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى:((**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائْتُمِنَ خَانَ**)).إن الكذب رذيلة مَحْضَةٌ تُنْبِئُ عن تَغَلْغُلِ الفساد في نفس صاحبها وعن سلوك يُنَشِّئُ الشَّرَّ

تنشئَةً ويدفع إلى الإثم دفعاً. إن الطباع التي تتأثر بالجبن أو البخل غير الطبائع التي تُقبل على الموت في نَزَقٍ وتبعثر المال بغير حساب، وقد تكون هناك أعذار لمن يشعرون بوساوس المرض أو الخوف عندما يقفون في ميادين التضحية والفداء في سبيل الله والإنفاق من الأموال المكْتَنَزَةِ، ولكنه لا عذر أبداً لمن يتَّخِذُون الكذبَ خُلُقاً ويعيشون به على خديعة الناس والتحايل عليهم بشتى الطرق الشيطانية معتقدين بأن في ذلك الخير مع أنه يحمل الشر والهلكة لو كانوا يعقلون، فيجب على المسلم أن يلتزم الصدق وإن رأى فيه الهلكة فإن في مضمونه النجاة بإذن الله عز وجل،قال رسول الله صلى اله عليه وسلم:((**يُطْبَعُ المؤمنُ على الخلال كلِّها إلا الخيانةَ والكذبَ**)).أخرجه الإمام أحمد رحمه الله. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكون المؤمن جباناً ؟ قال:((**نعم**)) قيل له:أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال:((**نعم**)) قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: ((**لا**)).رواه الإمام مالك رحمه الله. وَكُلَّمَا اتَّسَعَ نِطَاقُ الضرر إثْرَ كذبة يشيعها أَفَّاكٌ جَرِيءٌ كان الوِزْرُ عند الله أعظمَ. فالأشخاص الذين ينشرون في المجتمع خبراً باطلاً ويعطون الناس صوراً مقلوبة وبعيدة عن الحقيقة، وأهل الحقد الدفين الذين يتعمّدون سَوْقَ التُّهَمِ إلى الْكُبَرَاءِ من الرجال والنساء لِيُشَوِّهُوا سُمْعَتَهُمْ ويضعوا من مكانتهم حتى يَسْتَصْغِرَهُمْ الناسُ ولكي يأخذوا عنهم صورة قبيحة غير التي يعلمون عنهم، إن أولئك الذين يُقْدِمُونَ على هذه الأفعال يرتكبون جرائمَ أَشَقَّ على أصحابها وأَسْوَأَ عاقبة وسوف يجدون عاقبة ذلك وجزاءَه ولهم الْوَيْلُ والعذاب الأليم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**رأيت الليلة رجلين أتياني قالا**

لي: **الذي رأيته يُشَقّ شِدْقُهُ فكذَّابٌ. يكذب الكذبة فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصْنَع به هكذا إلى يوم القيامة**)).أخرجه البخاري رحمه الله ، هذا عذابه في القبر في الحياة البرزخية إلى أن تقوم الساعة فكان الجزاء من جنس العمل . وفي الحديث الآخر وعيد شديد لأصناف ثلاثة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم**[قال أبومعاوية:ولا ينظر إليهم] **ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**)).أخرجه مسلم رحمه الله.

والكذب في دين الله من أقبح المنكرات، وأَوَّلُ ذلك نِسْبَةُ شيء إلى الله أو إلى رسوله، يقول الشخص:قال الله، قال رسوله، وهو في ذلك كاذب. وهذا الضرب من الافتراء فاحش في حقيقته، وخيم في عاقبته، ومع ذلك نجد بعض المسلمين لا يتورع من الوقوع فيه، يقول: قال الله: مع أن ذلك ليس في القرآن الكريم، ويقول:قال رسول الله وليس ذلك بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أشبه ذلك من الفتوى والقول على الله وعلى رسوله بغير علم،قال تعالى:((**وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦**)).[النحل:116]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**)).أخرجه البخاري ومسلم، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: ((**يكون في آخر الزمان دجّالون كذّابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم**)).أخرجه الترمذي والحاكم، وفي رواية الإمام

مسلم رحمه الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**يكون في آخر أمتي أُنَاسٌ دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ! فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم**)).والإسلام يُوصِي أن تُغْرَسَ فضيلةُ الصدقِ في نفوس الأطفال حتى يشبُّوا عليها وقد أَلِفُوها في أقوالهم وأحوالهم كلِّها، ولننظر إلى حال بعض المسلمين اليوم كيف يُرْغِمُ الشخصُ أولادَهُ بنين وبنات على الكذب وتَعَلُّمِهِ منذ الصغر، فمثلاً لو طَرَقَ أحدٌ عليه البابَ أو دَقَّ جرس الهاتف قال للابن أو البنت:قل أبي غير موجود. مع أنه موجود وهو الذي لقَّنه الكذب، ثم يطلب من أولاده أنْ يَصْدُقُوا ولا يكذبوا، فإذا هو عوَّدَهم الكذبَ من حيث يشعر أو لا يشعر؟ هل يستجيبون لطلبه أنْ يَصْدُقُوا مع عدم التعامل بالكذب؟ الجواب:لا،لن يستجيبوا لندائه وطلبه بأن يكون الصدقُ سَجِيَّةً لهم وعلامةً واضحةً في حياتهم،وإنِ استجابوا وصدقوا مرة فسوف يقولون الكذب مرات ومرات نظراً لما طُبِعُوا عليه وتعوَّدُوا.

وكذلك الحال يُرغُم أولادُنا جميعاً على الكذب سواءٌ من عوَّدهم الصدق أو ممن لم يعوِّدهم، وذلك من خلال الاستماع إلى المسلسلات أو قراءة القصص الكاذبة، أو الخيالية البعيدة عن الواقع أو سَرْد القصص الواهية باسم التخيلات التي تثري فكر الطفل على حدّ زعمهم والتي لا تَمُتُّ إلى الإسلام بصلة بل هي مفسدة ودعوة للكذب، نسأل الله العافية والسلامة كما نسأله سبحانه ألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

عن عبدالله بن عامر قال:دعتني أمي يوماً ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا. فقالت: تَعَالَ أُعْطِك، فقال لها رسول الله صلى الله عليه

وسلم:((**ما أردتِ أن تُعْطِيَهُ ؟**)) قالت:أردت أن أعطيه تمراً. فقال لها:((**أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة**)).رواه أبو داوود رحمه الله.وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**من قال لصبي: تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة**)).رواه أحمد رحمه الله.

فلننظر كيف يعلّم الرسولُ صلى الله عليه وسلم الأمهاتِ والآباءَ أن ينشِّئُوا أولادهم تنشئة يحترمون فيه الصدق ويتنزهون عن الكذب، ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وعدّها من التوافه الهيّنة- كما يظنها بعض المسلمين- لو تجاوز عنها لخشي أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنباً صغيراً- وهو عند الله عظيم.

وقد وصلت العناية والصرامة في الإسلام في تحرّي الحق وقول الصدق حتى تناولت الشئون المنزلية الصغيرة، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: يا رسول الله: إنْ قالت إحدانا لشيء تشتهيه.لا أشتهيه يُعُّد ذلك كذباً؟ قال:((**إن الكذب يكتب كذباً حتى تُكتبَ الكُذَيْبَةُ كُذيبة**)).رواه مسلم رحمه الله.

الحث على الصدق والنهي عن الكذب

الخطبة الثانية

الحمد لله أمر بالصدق ووعد الصادقين بالخير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله.

أما بعد: فمن الذين يعرّضُون أنفسهم للكذب وهم أكثر الناس اليوم كذباً هم التُّجَّارُ، الصغير منهم والكبير إلا من رحمه الله فقد يكذب أحدهم في بيان سلعته وعرض ثمنها ويغش في عرضها بأن يجعل الجزء الظاهر للمشتري أحسن وأفضل بكثير مما عليه بقية السلعة، وقد يكون القدر الكبير منها غير صالح ويوهم المشتري وقد يُلْحِقُ ذلك ويُتْبِعُهُ بالأيمان الكاذبة في صلاح تلك السلعة.ومن المشترين أناس يُقبلون على الباعة وهم قَلِيلُو الخبرة سَرِيعُو التصديق لما يُقال لهم يعتقدون بأن الناس سواسية في الصدق، فمن الإيمان ألا تُسْتَغَلَّ سَذَاجَتَهُمْ في كسبٍ مضاعف أو تغطية عيب في البضاعة المعروضة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**الْبَيِّعَانِ بالخيار ما لم يتفرّقا، فإن صدقا وبيَّنا بُورِكَ لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا مُحِقَتْ بركة بيعهما**)).رواه البخاري ومسلم، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:((**كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك مصدّق وأنت له كاذب**)).رواه البخاري، ومن الملعونين في الحديث الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنفق سلعته بالحلف الكاذب ،عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**))، قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، فقال أبو ذَرٍّ: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال:((**المسبل إزاره، والمنّان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**)).مسلم.

وعن رفاعة رضي الله عنه أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون، فقال:((**يا معشر التجار**))! فاستجابوا لرسول الله صلى

الله عليه وسلم ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال:((**إن التجار يُبْعَثُونَ يوم القيامة فُجَّاراً، إلا منِ اتقى وبَرَّ وصدق**)).رواه الترمذي واللفظ له، والحاكم والطبراني وغيرهم.

والحيف في الشهادة من أشنع الكذب، فيجب على المسلم أن يقول الحقّ ويقوم بالشهادة الصادقة التي تُقِرُّ الحقَّ ولو على أقرب الناس وأحبّهم إليه، لا تميل به قرابة ولا عصبية، ولا تزيغه رغبة أو رهبة من أحد، ويجب عليه أن يؤديها ولا يكتمها، فإن كتمها فهو آثم قلبه.

وعموماً فإن على جميع المسلمين من أرباب الحرف والصناعات والوظائف في شتى صورها الكتابية منها أو التعليمية والتربوية أو القضائية وغيرها وعلى كل من وَلِيَ من أمر المجتمع شيئاً أو كان في بيته راعياً، إنَّ على الجميع أنْ يلتزموا الصدق في حياتهم ويجتنبوا الكذب لأنَّ سعادة الفرد والمجتمع بأسره في التزام الصدق واجتناب الكذب، وقد يندفع الشخص إلى الكذب حين يعتذر عن خطأٍ وقع منه ويحاول التَّمَلُّصَ من عواقبه متخلصاً من الموقف ظَانّاً أن في ذلك مَنْجَاةً له، وهذا غباءٌ وهَوَانٌ وفَرَارٌ من الشر إلى مثله أو أشدّ، والواجب أن يعترف بِغَلَطِهِ ويقول الصدق، فلعلّ صدقه في ذكر الواقع وأَلَمَهُ عما بَدَرَ منه يمسحان هَفْوَتَهُ وزَلَّتَهُ، وعليه أنْ يَتَشَجَّعَ في قَوْلِ الحق ويَتَحَرَّجَ من لَوْثَاتِ الكذب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**تحرّوا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه، فإن فيه النجاة**)).رواه ابن أبي الدنيا.وإنَّ الصدق في الأقوال يصل بصاحبه إلى الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال. وإنَّ حِرْصَ المسلم على التزام الصدق فيما يتكلم به يجعل ضياء

الحق يسطع على قلبه وعلى فكره، قال الله عز وجل:((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾)) [الأحزاب70، 71]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البرّ، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**)).رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

تابع حول الصدق

الخطبة الأولى 1405/12/28هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:فاستكمالاً للخطبة السابقة حول وجوب التزام الصدق وعواقبه الحميدة وتحريم الكذب ووجوب الابتعاد عنه لأنه من الصفات الذميمة للمنافقين أورد حديث كعب بن مالك رضي الله عنه الذي أُنْزِلَ فيه وفي صَاحِبَيْهِ قرآنٌ يُتلى إلى يوم القيامة.

عن عبدالله بن كعب بن مالك أن عبيدالله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب رضي الله عنه من بنيه حين عَمِيَ قال: سمعت كعب بن مالك رضي

الله عنه يحدث بحديثه حين تَخَلَّفَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك. قال كعب:لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قطّ إلا في غزوة تبوك، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يُعَاتِبْ أحداً تخلف عنه، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عِيرَ قريش. حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بَدْرُ أَذْكَرَ في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنه في تلك الغزوة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قطّ حتى جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد. واَستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، واستقبل عدواً كثيراً. فَجَلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم. فأخبرهم بوجههم الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ(يريد بذلك الديوان). قال كعب: فَقَلَّ رجل يريد أن يتغيب يظنّ أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال. فأنا إليها أَصْعَر. فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه. وطفقت أغدو لكي أتجهز معه فأرجع ولم أقْضِ شيئاً، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجدُّ. فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، ثم غدوت

فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل يتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، فهممت أن أرتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يُقَدَّر ذلك لي، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مَغْمُوصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عَذَرَ الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوكاً فقال، وهو جالس في القوم بتبوك:((**ما فعل كعب بن مالك؟**)) قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله! حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ.فقال له معاذ بن جبل:بئس ما قلت:واللهِ يا رسولَ اللهِ ما علمنا عليه إلا خيراً. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيّضاً يزول به السراب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ**)). فإذا هو أبوخيثمة الأنصاري. وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون. فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضرني بَثِّي، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بِمَ أخرج من سخطه غداً؟ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً، زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لَنْ أَنْجُوَ منه بشيء أبداً. فأجمعت صدقه، وصبَّح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً. وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخَلَّفُون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً. فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووَكَلَ سرائرَهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلّمتُ تبسّم تَبَسُّمَ

المِغْضَبِ، ثم قال:((**تعال**)). فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي:((**ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ!**)) قال: قلت يا رسول الله! إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيت جدلاً. ولكني والله! لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عُقْبَى الله! والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أما هذا فقد صدق. فَقُمْ حتى يقضي الله فيك**)). فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله! ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا، لقد عجزت في ألاَّ تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه بما اعتذر به إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك. قال: فَوَاللهِ ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُكَذِّبَ نفسي، قال:ثم قلت لهم:هل لقي هذا معي من أحدٍ؟. قالوا:نعم. لقيه معك رجلان. قالا مثل ما قلت. فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت: من هما؟ قالوا:مرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوة. قال:فمضيت حين ذكروهما لي. قال:ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه. قال:فاجْتَنَبَنَا الناسُ وقال: تغيّروا لنا حتى تَنَكَّرَتْ لي في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي،

فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم. فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد. وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلّم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرّك شفتيه بردّ السلام، أم لا؟. ثم أصلي قريباً منه وأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي وإذا التفتُّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي وأحب الناس إلي. فسلمت عليه، فو الله ما رد علي السلام. فقلت له: يا أباقتادة! أنشدك بالله هل تعلمنّ أني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت. فعدتُ فناشدته، فسكت، فَعُدْتُ فناشدته. فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار. فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نَبَطِيٌّ من نَبَطِ أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: مَنْ يَدُلُّ على كعب بن مالك؟ قال: فطفق الناس يشيرون له إلي. حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسان. وكنت كاتباً. فقرأته فإذا فيه، أما بعد: فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مَضْيَعَةٍ. فَالْحَقْ بنا نُوَاسِكَ. قال:فقلت حين قرأتها:وهذه أيضاً من البلاء فتيمَّمْتُ بها التنور فسجّرته بها. حتى إذا مضت أربعون من الخمسين، واستلبث الوحي، إذا رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا. بل اعتزلها فلا تقربنّها. قال:فأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك. قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك

فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له:يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟.قال:((**لا. ولكن لا يقربنك**)).فقالت: إنه،والله! ما به حركة إلى شيء. ووالله!ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. قال:فقال لي بعض أهلي:لو استأذنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟ قال: فقلت:لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يدريني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. قال:فلبثت بذلك عشر ليال. فكَمُل لنا خمسون ليلة من حين نُهِيَ عن كلامنا. قال:ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا. فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته:يا كعب بن مالك! أبشر. قال:فخررت ساجداً وعرفت أنه قد جاء فرج.قال:فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر. فذهب الناس يبشروننا. فذهب قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ. وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم قِبَلِي، وأوفى الجبل. فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني. نزعت له ثوبيَّ فكسوتهما إياه ببشارته. والله! ما أملك غيرهما يومئذ. واستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أتأمم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهنئونني بالتوبة ويقولون:لِتَهْنِكَ توبةُ

اللهِ عليك. حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس. فقام طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنأني. والله! ما قام رجل من المهاجرين غيره. قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب:فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور قال:((**أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك**)).قال:فقلت:أمن عندك يا رسول الله! أم من عند الله؟ فقال:((**لا. بل من عند الله**)). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه كأن وجهه قطعة قمر. قال:وكنا نعرف ذلك. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**أمسك بعض مالك فهو خير لك**)). قال:فقلت:فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. قال:وقلت: يا رسول الله! إنما أنجاني الله بالصدق. وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت. قال:فو الله! ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به. والله ما تعمّدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي. قال:فأنزل الله عز وجل:((**لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ**

أَنفُسُهُمْ)).[التوبة117، 118]، حتى بلغ:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾)).[التوبة :119]. قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألاَّ أكُونَ كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا. إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شَرَّ ما قال لأحد، قال الله:((سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾)). [التوبة:95، 96]، قال كعب:كنا خُلِّفْنَا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِلَ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله عز وجل:((وعلى الثلاثة الذين خلفوا)) وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا، تَخَلُّفَنَا عن الغزو. وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمّن حلف له واعتذر إليه فقبل منه)).رواه البخاري ومسلم واللفظ له، وقد وردت بعض الكلمات بألفاظ أخرى حسب الرواية فليتنبه المسلم لهذا كما هي الحال في الروايات الصحيحة الأخرى في الأحاديث الكثيرة.

تابع حول الصدق

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:فلقد سمعنا هذا الحديث العظيم الذي يحمل في ثناياه الكثير من الدروس والعبر والعظات وتوبة الله على أولئك النفر الثلاثة بعد أن صدقوا.وعندما صدقوا في عدم وجود عذر لهم عن تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في غزوة تبوك وتوبة الله عز وجل عليهم بعد عقابهم بالهجر وعدم الكلام معهم خمسين ليلة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع صدقهم وندمهم على فعلهم وعلى ما نزل عليهم من العقاب وامتثالهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقهم في ذلك وخاصة في العشر الأخيرة بعد مضي أربعين ليلة عندما أُمروا باعتزال نسائهم لاختبار صدقهم وعزمهم على التوبة الصادقة، وبعدها جاء الفرج من رب العزة والجلال وأَنْزَلَ فيهم قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة كما أمر المؤمنين بتقواه عز وجل وأن يكونوا مع الصادقين بعد موقف الصدق لأولئك النفر الثلاثة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اعترفوا أيضاً بذنوبهم وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وتاب الله عليهم، مع البيان الواضح لموقف المنافقين الكاذبين المخادعين وفضحهم في سورة التوبة المسماة بالفاضحة

والتي كشفت أكثر صفات المنافقين وفضحت مواقفهم المخزية ليبتعد المؤمنون الصادقون عن تلك الخصال الذميمة الملازمة للمنافقين ولمن سار على نهجهم في كل زمان ومكان لأن الصفات واحدة وإن اختلف الأشخاص وتعاقب الزمان واختلف المكان، قال تعالى:((لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾)).[التوبة:117-119]. اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد وآله وارْضَ عن الصحابة أجمعين.

الغيبة /1

الخـطـبـة الأولى **1405/10/25هـ ، 1412/7/6هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونؤمن به ونتوكل عليه ونثني عليه الخير كله، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا رب لنا سواه ولا نعبد إلا إياه ونشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حق جهاده ، اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: فقد قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن

يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات:١٢]. إن الغيبة آفة خطيرة من آفات اللسان ، وإن أشد ما يشمئز وينفر منه طبع الإنسان أن يأكل لحم إنسان ميت ، وأشد من ذلك نُفْرَةً وأكثر منه فَظَاعَةً أن يكون ذلك الإنسان الميت أخاه .

فالله تعالى مثَّل الغيبة وما يتناوله المغتاب من أخيه المسلم بهذا المثل الْمُسْتَقْذَرِ الذي تنفر منه الطباع البشرية لينفر الناس منها، وتستقر في نفوسهم بشاعتُها فيحفظوا ألسنتَهم عن الوقوع في أعراض المسلمين ، لأن للمسلم حقوقاً وواجبات ، والغيبة ذِكْرُ المسلم أخاه بما يكره صفة أو خصلة موجودة فيه سواء كان في حضوره أم في غَيْبَتِهِ عن ذلك المجلس ، وسواء كان ذلك القول في خَلْقِهِ أمْ في خُلُقِهِ ، وإن لم يكن ذلك القول والوصف فيه فإنه يُعَدُّ بُهْتَاناً ولذلك هو أعظم من الغيبة ، والبهتان هو من صفات اليهود لأنهم قوم بُهْت ــ ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الغيبة لأصحابه بقوله:((**أتدرون ما الغيبة ؟**)) قالوا:الله ورسوله أعلم ، قال:((**ذكرك أخاك بما يكره**)) قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ، قال:((**إن كان فيه ما تقول فقد اغْتَبْتَهُ ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بَهَتَّهُ**)). رواه مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي. إن في هذا الحديث بياناً شافياً لمعنى الآية الكريمة وتفسير الغيبة بما يشفي ويكفي لمن أراد حفظ لسانه عن أعراض المسلمين ، ومتى حفظ المسلم يَدَهُ ولِسَانَهُ وفَرْجَهُ فقد ضمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال:قلت يا رسول الله، أيُّ المسلمين أفضل؟قال:((**من سلم المسلمون من لسانه ويده**)).رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. وفي الحديث الصحيح الآخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**)).رواه البخاري والترمذي. والغيبة قد تكون في جسم الإنسان وقد

تكون في نسبه أو مهنته أو في خُلُقه أو في مظهره وثيابه أو في أموره الدنيوية أو الدينية، وأمثلة ذلك عموماً بأن يقال في الشخص ما يكره أن يوصف به كأعمى أو أعور أو أعرج أو أحول أو طويل أو قصير، عبد، أو أصله عبد، جَزَّار ، بخيل ، جبان ، سريع الغضب، مُتَهَوِّر، كثير الكلام، واسع البطن، دمه ثقيل ، سَيِّئُ الْخُلُقِ ، قذر المنظر، فهذه وغيرها من الأوصاف التي تعتبر من باب الغيبة إن كانت موافقة للحقيقة والواقع فالقول بها حرام، والقائل بها مغتاب آكِلٌ لَحْم أخيه المسلم عَاصٍ لربه. وإذا لم يكن هذا الكلام وما شابهه غير مطابق للواقع فإنه يعتبر كذباً وبهتاناً وافتراء وهو أعظم من الغيبة. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم:حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كذا وكذا . تعني أنها قصيرة . فقال:((**لقد قُلْتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لَمَزَجَتْهُ**)).رواه أبو داوود واللفظ له,والترمذي وقال:حديث صحيح, ومعنى مزجته:أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمُه أو ريحه لشدة نَتَنِهَا وقُبْحِهَا. وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة التي يجب على المسلم تجنبها وتَطْهِير لسانه منها ومن النميمة والبهتان والافتراء والكذب لأنه سوف يحاسب على ما يتكلم به ويجده مكتوباً في صحيفته يوم الجزاء والحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .وفي نهاية الحديث الذي رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن أشياء وأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم عنها إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ألا أخبرك بِمِلاَكِ ذلك كُلِّهِ ؟**)) قلت بلى يا رسول الله: قال:((**كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه**)) قلت يانبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال:((**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم . أو قال على مناخرهم . إلا حصائدُ ألسنتِهم**)).رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة,وقال الترمذي حديث

حسن صحيح.فطوبى لمن اشتغل بعيوب نفسه وقام بإصلاحها، فما من إنسان بعد الرسل إلا وفيه عيوب قد تكون أكبر من عيوب غيره وأكثر خطورة. فعلى المغتاب أن يحاسب نفسه ويسألها هل أصلحها ونَزَّهَهَا عن كل عيب وإثم ونقص في الدين حتى لم يبق عليه إلا عيوب الناس وأحوالهم وتتبع عوراتهم؟ إن المغتاب يرى العيب في غيره وإن صَغُرَ ولا يراه في نفسه وإن كان كبيراً. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تؤذوا المؤمنين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم هتك الله ستره، ومن يتبع عورته يفضحه ولو في جوف بيته**)).رواه أبو داوود،والطبراني وقال:رجاله ثقات. والمغتاب يخسر حسناته من حيث لا يشعر ويعطيها رغماً عن أنفه إلى من يغتابه ، وهي تعتبر في الوقت نفسه للطرف الآخر ربحاً حيث يَجِدُ جَزَاءَهَا يوم القيامة حسناتٍ تُثَقِّلُ ميزانَه، أو سيئاتٍ تُطْرَحُ عنه جاءته من حيث لا يدري ، وهذه عاقبة من يغتاب المسلمين ويتطاول في أعراضهم وينهشها أو يظلمهم أو يأكل حقوقهم, عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**أتدرون من المفلس؟**)) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال:((**المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا،وضرب هذا، وسفك دم هذا ، فيُعْطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبل أن يُقْضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فَطُرِحَتْ عليه، ثم طرح في النار**)).رواه مسلم والترمذي وغيرهما.وأيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله**)).رواه مسلم والترمذي.ومما قاله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع:((**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟**)).رواه

البخاري ومسلم وغيرهما.وفي الحديث الآخر:((**الربا سبعون حوباً وأيسرها كنكاح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم**)).رواه ابن أبي الدنيا, وقال صلى الله عليه وسلم:((**إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق**)).رواه أبوداوود.ولما جاء الأسلميُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد تطهيره من جريمة الزنا ،ثُمَّ رُجِمَ حتى مات ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من الأنصار يقول أحدهما لصاحبه:انظر إلى هذا الذي سَتَرَ الله عليه فلم يدع نفسه حتى رُجِمَ رَجْمَ الكلب.قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم،ثم سار ساعة فَمَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ شَائِلٍ بِرِجْلِهِ، فقال:((**أين فلان وفلان ؟**)) فقالا:نحن ذا يا رسول الله،فقال لهما:((**كُلا من جيفة هذا الحمار**)) فقالا: غفر الله لك يا رسول الله،من يأكل من هذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ما نِلْتُمَا من عِرْضِ هذا الرجل آنفاً أشد من أَكْلِ هذه الجيفة، فوالذي نفسي بيده إنه الآن في أنهار الجنة [ينغمس فيها]**)).رواه ابن حبان في صحيحه.وعن أنس رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل ؟ قال:هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم**)).رواه أحمد وأبو داوود.وعلى المغتاب أن يتوب إلى الله ويستغفره ويطلب من أخيه المسلم أن يعفو عنه إن كان قد بلغته الغيبة، وإن لم تبلغه فليستغفر له ويدع الله له ويثني عليه بقدر ما أساء له لدى الأشخاص الذين كانوا يسمعون لغيبته وتكلم عندهم ولا يخبر صاحبه حتى لا يُوغِرَ صَدْرَ أخيه عليه. وأما واجب السامع للمغتاب أنْ يَذُبَّ ويَرُدَّ عن عرض أخيه بالغيب ولا يسترسل مع المغتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من ذب عن عرض أخيه بالْغَيْبَةِ كان حقاً على الله أن يعتقه من النار**)).رواه أحمد بإسند حسن،وابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهم.وقال صلى

الله عليه وسلم:((**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**)).رواه الترمذي وقال:حديث حسن، وابن أبي الدنيا. وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:((**من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة**)). صحيح الجامع .

عن الغيبة /1

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، أحمده تعالى وأشكره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما بعد:فإن الغيبة أصبحت من الأمراض المنتشرة بين المسلمين ولا يسلم منها إلا من رحمه الله تعالى ، فالرجل والمرأة والجاهل وطالب العلم والصغير والكبير والرفيع والوضيع في ذلك سواء ، وهناك دوافع تدفع الشخص حتى يغتاب أخاه المسلم فمنها :

1- الْغَيْرَةُ في أمر من الأمور الدنيوية أو الدينية وهي منتشرة بين الرجال والنساء ، وبين النساء أكثر وخاصة الجارات أو ما يسمى بالضرائر .

2- الْحَسَدُ الذي يأكل قلب المغتاب فيريد أن يُحَطِّمَ مكانةَ أخيه عند الناس أو يريد أن يحتل مكانه في أي عمل ديني أو دنيوي من تجارة أو صناعة أو وظيفة أو أي حرفة أخرى.

3- التَّنْقِيصُ والتَّهْوِينُ من شأن الشخصيات المحترمة في أعين الناس من أجل أن يبرر المغتاب معائبَه وقبائحَه . 4- وقد تكون موافقة الجلساء ومجاملة الأصدقاء ومساعدتهم في الكلام وحب التملق والنفاق هي الدافع للغيبة أو الكراهية الخفية في نفس المغتاب ، فكل ما كان من هذا القبيل فهو حرام وهو من باب الغيبة المحرمة.وقد ذكر العلماء أسباباً تبيح الغيبة

ومنها:1- التَّظَلُّم :بأن يذكر للوالي أو القاضي أو من يستطيع رفع الظلم عنه مثلاً يذكر ظلم أخيه له أو خيانته أو أكله للرشوة. قال تعالى:﴿ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾[النساء:١٤٨] .
2- الاستعانة على تغيير المنكر بذكره لمن يغيره بقصد رد العاصي إلى الصواب ، فإن لم يكن قصده التوصل إلى إزالة المنكر كان ذلك حراماً.
3- الاستفتاء وذكر الحال للمفتي طلباً للفتوى ويذكر الحال الحاصل ، والأحوط والأفضل في ذلك ألاَّ يذكر اسم الشخص، بل يقول:ما تقول في رجل أو شخص أو زوج كان من أمره كذا وكذا ؟ يُعَرِّضُ بِاسْمِهِ ولا يُصَرِّحُ به . 4- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم:ومن ذلك جرح المجروحين من الرواة للأحاديث النبوية وكذلك الشهود، ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو إسناد عمل له أو غير ذلك ، ويجب على الْمُشَاوَرِ ألاَّ يُخْفِي الحال بل يذكر ذلك بِنِيَّةِ النصيحة. 5- المجاهر بفسقه:مثل المجاهر بشرب الخمر أو أخذ الرشوة أو المجاهر بالبدعة وغير ذلك من الأمور الدينية. 6- التعريف بالشخص باللقب إذا كان لا يُعْرَفُ إلا به ولا يكون ذلك على سبيل التنقص والاحتقار ، مثل الأعمش أو الأعرج أو الأصم أو الأعمى ، أو الطويل ، أو القصير... الخ . فإن عُرِّف بغير هذه الأوصاف والألقاب كان ذلك هو الأولى والأحسن والأقرب إلى الألفة والمودة بين المسلمين عندما ينادي أحدهم أخاه المسلم بأحب الأسماء إليه.اللهمَّ صَلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ على عبدك ورسولك محمد وآله.

تـابـع لـلـغـيـبـة / 2

الـخـطـبـة الأولى **1412/7/13هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:فلا يزال الحديث موصولاً بسابقه حيث كانت الخطبة السابقة عن الغيبة والكلام في أعراض المسلمين عموماً، وتبين لنا حرمة أكل لحوم المسلمين ودليل ذلك من الكتاب والسنة، واتضح التحريم إلا في حالات مستثناة ومنها:التَّظَلُّمُ عند من يُعْتَقَدُ أنَّ عنده الإنصافَ والحكمَ بالعدلِ، أو الاستعانةُ على تغيير المنكر، أو تحذيرُ المسلمين من شر مبتدع أو غيره ، أو النصيحةُ لمن يُسْتَشَارُ من أجل المصاهرة أو المشاركة في أي عمل ،أو الاستفتاءُ ، أو عن المجاهرِ بفسقه وفجوره، أو التعريفُ بشخص باللقب الذي لا يعرف إلا به وما شابه ذلك من الكلام في أي مسلم أو مسلمة بما هو واقع حقيقة ، وما عدا ذلك فإنه حرام لا يجوز لمسلم أن يغتاب ويذكر أخاه المسلم بما يكره ، أما على سبيل المدح والثناء عليه فليس بغيبة إذا كان الذي ذكره عنه حقاً فإنما يُثَاب عليه الشخص ولا يأثم به. وقد يفهم بعض المسلمين من كلمة الْعِرْضِ واستطالة الشخص فيه بالكلام إنما هو على محارم الرجل من النساء أي أنه يتكلم في شرف زوجته أو ابنته أو أخته أو أمه أو غَيْرِهِنَّ ، وكلمة العرض الواردة في الحديث تشمل ذلك كله ،وأهمها:الكلام في الشخص نفسه بما يكرهه ولا يرضاه سواء كان حاضراً أو غائباً عن ذلك المجلس ، فالكلام عن الشخص بأي شكل من الأشكال هو

انتهاك لعرضه، وذلك محرم بنصوص كثيرة من الكتاب والسنة سواء كان ذلك عن طريق الغيبة أو النميمة أو البهتان أو الكذب أو الوقيعة به بأي طريق من طرق الظلم والتعدي عليه.عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله**)).رواه مسلم والترمذي.

والغيبة آفة خطيرة ومرض منتشر بين جميع المسلمين لا يكاد يسلم منه أحد إلا من رحمه الله وتداركه برحمته وعفوه وتوفيقه وهدايته ، وقليل جداً من يسلم من الغيبة ، وقليل من يتكلم بالحق في أعراض المسلمين ناهيك عن البهتان والظلم وقول الزور المنتشر بكثرة.

والحقيقة أن التساهل بأمر هذه الكبيرة من الكبائر وعدم إنكارها بين الخاصة والعامة جعلتها أمراً مستساغاً لا غبار عليه حسب العرف إلا بين قلة من المسلمين رجالاً ونساءً ، وكثير من المسلمين والمسلمات يحجزون نفوسهم ويملكون زمامها عن الوقوع في كثير من الأمور المحرمة فتجدهم يبتعدون عن الشرك وعن الزنا والربا والسحر وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام والنميمة والبهتان وشهادة الزور وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك مما هو معلوم تحريمه ولكنهم مع ذلك لا يستطيعون الابتعاد عن الغيبة التي هي كبيرة من كبائر الذنوب قد تكون كلمةٌ واحدةٌ منها مَازِجَةً ومُغَيِّرَةً لماءِ البحرِ لو مُزِجَتْ معه وبه كما ورد بذلك الخبر عن سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم حينما قالت عائشة عن صفية رضي الله عنهما كلمةَ ذَمٍّ تريد بها القصر في القامة . حَسْبُكَ من صفية كذا وكذا . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**لقد قُلْتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لَمَزَجَتْهُ**)).رواه أبو داوود والترمذي والبيهقي.

ولو تأملنا الآية القرآنية الكريمة التي وردت في سورة الحجرات لكفت وكانت من أبلغ ما يزجرنا ويردعنا عن انتهاك أعراض بعضنا بعضاً والكلام بما نَكْرَهُ ، فهل يستسيغ إنسان مسلم أن يأكل لحم إنسان أياً كان ؟ فكيف يستسيغه لو كان ذلك اللحم لحم أخيه ، وكيف لو كان الأخ ميتاً ؟ إن ذلك كله لا يستسيغه مسلم مهما كانت جَسَارَتُهُ وقُوَّتُهُ على أكل الحرام وإِشْرَافِهِ على الموت المحقق الذي يَسُدُّ به جُوعَهُ وَرَمَقَهُ لئلا يُلْقِيَ بنفسه في التهلكة. إذاً كيف يرتكب مثل ذلك وأكثر بالغيبة الرجل المتورع عن الفواحش والظلم والمنكرات تسمع لسانه يَفْرِي فَرْياً في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي بما يقول، بل قد يقذفه لسانه ويكُبُّه على وجهه في نار جهنم جَرَّاء البهتان والكذب والقذف للناس.

إن نعمة الكلام مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ وأَعْظَمِهَا مِنَّةً على البشر ، يجب على كل مسلم أن يسخرها في الخير وفيما يقربه إلى الله تعالى وإلى جنات النعيم، ويبعدها عما يسخط الله عز وجل وعما يبعده عن النار وذلك بحفظ اللسان تلك الجارحة التي قد ترفعه إلى الدرجات العلا من الجنة أو تهوي به في النار أبعد مما بين السماء والأرض.

وقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حديثاً هو للأمة الإسلامية جميعها يجب عليهم العمل به عندما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال:((**كُفَّ عليك هذا**)) قال معاذ:قلت يا رسول الله:وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال:((**ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم. أو قال:على مناخرهم. إلا حصائد ألسنتهم**)).رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.إذا كان الكلام حقيقة في أي شخص مسلم ولكنه يكره ذلك الكلام والقول فإنه يعتبر غيبة سواء كان حاضراً أو غائباً عن ذلك المجلس وتلك المجموعة التي تكلمت فيه بما يكره، وعليه يكون

ذلك الكلام حراماً لا مِرْيَةَ فيه ، فإذا كان الأمر كذلك في جميع المسلمين الذكر والأنثى، الحر والعبد، الأبيض والأسود على حد سواء، فإذا كانت الغيبة بهذا الشكل حراماً فإنها تشتد حرمتها وقد يزداد الإثم فيها في طبقات معينة في مجتمع المسلمين وخاصة إذا رافق وصاحب تلك الغيبةَ مقاصدُ سيئةٌ من حسد أو نميمة أو بهتان أو قذف أو كذب أو إيقاع فتنة أو تحريش بين اثنين أو فئات في المجتمع أو تخطيط أو تدبير لإفساد أمور المجتمع المسلم بما هو أَسْوَأُ مما هم عليه أو وِشَايَة لولاة الأمر أو غيرهم لحسد أو حقد أوغِلّ أو وُصُولٍ لأغراض شخصية وهَوَىً في النفس ، إذا صاحب الغيبة أي أمر مما ذكر أو غيرها من الأمور المحرمة كان الإثم أشد، والحرمة أكثر، والعقوبة من الله أعظم ، هذا في حق العام والخاص، ولكن في حَقِّ أُنَاسٍ تكون أشد مثل الوقوع في أعراض العلماء وأكل لحومهم الذين هم ورثة الأنبياء ، فإذا استباح كُلُّ شخصٍ صَغُرَ أوكَبُرَ طالبُ علمٍ أو جاهلٌ رجلٌ أو امرأةٌ إذا استباحوا أعراضَ علمائهم من المسلمين فإنهم بذلك يشككون أنفسهم وغيرهم فيما يحملونه من علم ورثوه من رسولهم محمد صلى الله عليه وسلم، فَأَيُّ عَالِمٍ خَالَفَتْ فتواه الكتاب والسنة لسنا بملزمين بالأخذ والعمل بها متى كُنَّا أَهْلاً للاجتهاد، ولكن يجب علينا ألاَّ نستبيح أعراضهم وننهش لحومهم من أجل فتوى مخالفة للحق قد يرى أحدهم أن الحق معه، مع أنه يثاب على ذلك وله أجر في اجتهاده إذا أخطأ ، أما إن كان الاجتهاد موافقاً للحق فله أجران. فيجب على طلبة العلم أن يعرفوا قدر أنفسهم أولاً ويحاسبوها على الصغيرة والكبيرة قبل أن يُحَاسَبُوا، ويتقوا الله في أنفسهم ولا يوردوها موارد الهلاك سواء في حق الخاص أو العام من المسلمين.

كما أن على عامة الناس أن يتقوا الله تعالى ويمسكوا حدودهم بعدم التعدي والظلم لعباد الله من المسلمين على اختلاف طبقاتهم وخاصة العلماء وطلبة

العلم في المحاكم والهيئات والمساجد والمدارس وغيرها، وعليهم أن يحترموا أولئك، وكذلك ولاة الأمر من القمة إلى القاعدة على الجميع أن يحترموهم ويتكاتفوا معهم على الخير وعلى ما فيه صلاح البلاد والعباد الذي يكون به صلاح المسلمين وصالح الإسلام وبه يسعد المجتمع بإذن الله تعالى ، وعلى الجميع بذل النصيحة بقدر الاستطاعة وبالطرق الحكيمة مع مصاحبة الإخلاص البعيد عن كل شائبة تشوبه ويحبط معه العمل.﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦].

تابع للغيبة / 2

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم والقائل عز وجل وقوله الحق: ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[الإسراء:١٣، ١٤] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله،اللهم صل وسلم وبارك على عبدك رسولك محمد وعلى آله وصحبه.

أما بعد:فالمجالس التي يجتمع فيها الناس لا تخلو من الغيبة التي هي مدار الحديث سواء كانت المجالس خاصة بالرجال أو النساء وفي أي مكان ويكثر فيها اللغو، وقد لا تخلو كثير منها من قول الزور والبهتان والإفك، فمعنى الغيبة:أن تذكر الشخص بما فيه حقيقة ولكنه يكره ذلك، أما البُهْتَانُ:أن تقول وتذكر عنه ما ليس فيه فبهذا قد جمع المغتاب بين الكذب والغيبة،وأما الإفك:أن تنقل ما بلغك عن الشخص ، وهذا أشد إثماً خاصةً عندما يكون الخبر غير صحيح أو يكون قذفاً بالفواحش أو الاتهام بكبائر الذنوب، وقد

تمتد وتسري الغيبة في مجالس الذِكْر بين الذين يجتمعون لطلب العلم،وقد تكون في بعض مجالس الناس الذين يريدون التسلية والضحك والترفيه على حَدِّ زعمهم حيث يتعمدون الإتيان بشخص معروف بالْهَذَرِ والكلام في أعراض الناس من أجل أن يُضْحِكَ الجالسين ويُضْفِي عليهم السعادة والسرور كما يَدَّعُون ، ويهزأ ويسخر بالعلماء وطلبة العلم والقضاة ، وخاصة الأئمة والمؤذنين ، وأيضاً من يستطيع أن يصل إليه لسانه في ذلك المجلس، وما علموا أنهم مشاركون له برضاهم وسكوتهم وإقرارهم له في الغيبة ونهش أعراض المسلمين والبهتان والكذب والفحش الذي يتلفظ به فهم مشاركون له في الحقيقة لعدم إنكارهم عليه. وأخص بالذكر المجالس سواء كبرت أو صغرت والتي يتكلم فيها الناس في العلماء وطلبة العلم تجد النهش في أعراضهم وإلصاق التهم بهم بأن فيهم وفيهم إلى آخر ما يقولون، ولا يكاد يخلو مجلس من المجالس متى تطرق إليه أي ضعيف نفس. وفي الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربنا عز وجل أنه قال:((**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**)) فمن يستطيع محاربة الله عز وجل ، وقد ورد لفظ الحرب من الله ورسوله فيمن يأكل الربا وفيمن يعادي ولياً من أولياء الله جل وعلا الذين وصفهم سبحانه وتعالى بقوله:﴿ **أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣** ﴾[يونس: ٦٢، ٦٣].

إنَّ على المسلم أنْ يَرُدَّ عن عرض أخيه المسلم خاصة عندما يذكره المغتاب يريد أنْ يَعِيبَهُ ويَحُطَّ من قدره ويهينَهُ أمام الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**من رَدَّ عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**)). رواه الترمذي وقال:حديث حسن.وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام:((**من ذَبَّ عن عِرْضِ أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار**)).رواه أحمد

والطبراني وابن أبي الدنيا.وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((**من ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنَفَادِ ما قال فيه**)).رواه الطبراني بإسناد جيد.فعلينا جميعاً أن نجتنب هذه الكبيرة وغيرها من كبائر الذنوب التي تفقدنا كثيراً من حسناتنا بل قد نخسر حسناتنا كلها بانتهاكنا لأعراض المسلمين ، فالسعيد من حاسب نفسه وعرف قدرها وأمسك لسانه عن الوقوع في أعراض الناس والوقيعة بهم، والشقي من أورد نفسه المهالك وترك للسانه العنان للاستطالة في أعراض الناس ، وقد يخسر حسنات مثل الجبال يأتي بها يوم القيامة لما قام به في الحياة الدنيا من الفرائض والسنن والمستحبات مثل الصلاة والصيام والحج والصدقة والذكر ولكنها تذهب أدراج الرياح لا يستفيد منها، بل قد يكون أكثر خسارة حيث توضع عليه سيئات أُخَرُ إذا لم يَقْضِ ما عليه للناس من شتم وسب وغيبة وبهتان وسفك وظلم وتَعَدٍّ بأي نوع من الأنواع ، فعلى كل مسلم أن يستقلل أو يستكثر من انتهاك أعراض المسلمين فسوف يحاسب على ذلك ويجده في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا كانت أمام عينيه، وعلى المسلم أن يتذكر الآيات والأحاديث الكثيرة الواردة في هذا الشأن ليقف عند حدود الله ولا يتعداها. ومنها قوله تعالى:﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف:٤٩]. وقوله عز وجل:﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾[الإسراء:١٣، ١٤]. وقوله عز وجل:﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾[القيامة:١٤، ١٥].وقوله تبارك وتعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[المدثر:٣٨]. وقوله سبحانه:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ

مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[ق:١٦-١٨]. وقوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران:٣٠]. وقوله تعالى:﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[الأنعام:١٦٠]. ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء:٣٦].والآيات والأحاديث كثيرة لا يتسع المقام لذكرها ولكن السعيد من انتفع بالذكرى،قال تعالى:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٥].وقال عز وجل:﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى:٩-١٣]. وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾.وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله.

الإصلاح بين النَّاس

الخطبة الأولى **1412/5/2هـ ، 1424/6/3هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

أما بعد:فإن أعمال المسلم وأقواله ومعتقده الصحيح من العبادة الحقة المأمور بها في القرآن الكريم وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن العبادة الإصلاح بمعناه الواسع الذي له سبل وطرق كثيرة، وليس محصوراً فيما تعارف عليه الناس بأنه الإصلاح بين مُتَخَاصِمَيْنِ أو مُتَخَاصِمِينَ قَلُّوا أو كَثُرُوا، فالإصلاح له سبل كثيرة، ومطلوب من المسلم أو المسلمة المساهمة بما يستطيع ويقدر عليه من ذلك، فالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإماطة الأذى عن الطريق والكلمة الطيبة والعمل الصالح أياً كان نوعه فيما يعود بالنفع على أفراد المجتمع أو الحيوانات أو الطيور أو غيرها وتعليم العلم النافع والإصلاح بين الناس كل ذلك وغيره من الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله وينال عليها الأجر من المولى عز وجل إذا صاحبها الإخلاص والصواب، وهي من الإصلاح حقيقة ومن عمل المصلحين المخلصين الذين يهمّهم شأنُ أمّتهم ومجتمعهم ومن يعيشون معهم على هذه الأرض سواء كانوا في عصرهم أو يأتون ويلحقون بهم فيما بعد، ذلك شأن المصلحين الساعين بالخير الذين يسعد بهم مجتمعهم مع سعادتهم هم أنفسهم بإذن الله عز وجل.

إن الهلاك لا ينزل بقوم فيهم المصلحون، المصلح غير الصالح، فشتّان بين الصالح في نفسه الذي لا يتعدى نفعه إلى غيره وبين المصلح الذي هو صالح في نفسه ساعٍ للإصلاح في المجتمع فهو مصلح كما ذكر الله عز وجل عن المجرمين المفسدين في الأرض وعن المصلحين أيضاً فالله لا يهلك قرية كان أهلها مصلحين.قال تعالى:((**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ**

عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾)).[هود116، 117].فلنتنبه لقول الله تعالى (مصلحون) فلم يقل وأهلها صالحون، فالمصلح أَعَمُّ وأشمل وأنفع من الصالح في نفسه، لأن المصلح يسعى ويعمل جاهداً لإصلاح الناس وصلاحهم حتى تستقيم الأمور كما أمر الله عز وجل بأن يدعو إلى الله جل جلاله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويهمه أمر المسلمين بعامة، وقد ذكر الله عز وجل من أوصاف المنافقين وأهل الزيغ والفساد بأنهم مفسدون في الأرض مع ادعائهم الإصلاح وهم على النقيض من ذلك، قال تعالى:((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾)).[البقرة:11، 12]، وقال عَزَّ شأنُه:((وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾)).[البقرة:204-206]، وعلى العكس من هذا الصنف ذكر الله عز وجل بعد هذه الآيات المتعددة عن هذا النوع بعدها مباشرة ذكر في آية واحدة المصلحين الذين يبيعون أنفسهم يبتغون ما عند الله جل وعلا،قال تعالى:((وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾)).[البقرة:207]، فمن الناس من يكون مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر،ومنهم من يكون مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير، وشتّان بين الفريقين وسيجازي الله كلاً بعمله ويوفيه حسابه،وهو

يعلم سبحانه المفسدين من المصلحين.قال تعالى:((**وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ**))[البقرة:220].والذي يتمسك بالكتاب والسنة ويؤدي ما أوجب الله عليه ويقوم بها قولاً وعملاً واعتقاداً يُسَمَّى مصلحاً ولن يَضِيعَ أجرُه عند الله وسوف يجزيه الله أحسن الجزاء.قال تعالى:((**وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ**))[الأعراف:170]. وموضوع الخطبة جزء من الإصلاح بمفهومه الشامل لمعنى الإصلاح الذي سبق الإيجاز عنه، فالموضوع هو الإصلاح بين الناس عموماً وأخص المسلمين المتعادين المتقاطعين سواء كانوا أفراداً أو أسراً أو جماعات أو قبائل أو دولاً وحكومات صغرت أم كبرت، وذلك هو المأمور به في الكتاب والسنة في آيات وأحاديث كثيرة.قال تعالى:((**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ**))[الأنفال:1]، وقال تعالى:((**إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ**)).[الحجرات:10]، وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**كل سُلاَمَى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، ودَلُّ الطريق صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة، ويكفي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**)).فالشاهد من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم:((**تعدل بين الاثنين صدقة**))حين قال بأن على كل مفصل في جسم كل إنسان صدقة في كل يوم تطلع فيه الشمس وذلك شكراً لله عز وجل على نعمه

التي لا تعدّ ولا تحصى، فجعل الله طرق الخير متعددة وكثيرة من أجل كسب الحسنات بالأعمال الصالحة التي تُنال بها الدرجات الرفيعة. فتلك من الأشياء التي ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم من الصدقات التي يزكي بها الإنسان عن مفاصله وعظامه وجسمه كله، ويحمد بها ربّه لأداء كل عضو من أعضائه وظيفته،ذلك هو الإصلاح بين الاثنين والحكم بالعدل لا بالجور والظلم، وكان البدء به في أول الصدقات والحسنات وعمل الخيرات لأهميته.عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟**)) قالوا: بلى يا رسول الله،قال:((**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هو الحالقة**)).وفي رواية: ((**إن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**)).نعم إنها تحلق الدين وتذهب به لأن العناد والخصومة قد تؤدي إلى الكفر، وهذا أمر مشاهد وواقع في مجتمعات المسلمين عندما يذهب لُبُّ الخصمِ ولا يردعه إيمانُه فهو يُجَانِبُ الحق والعدل والإنصاف ولا يقول كلمة الحق في الغضب والرضا بل يتكلم في خصمه بما يسوغ له من إلحاق التُّهم به والكذب عليه والبهتان وقول الزور والفحش والبذاءة وسَلاَطَة اللسان ونَشْر قَالَة السُّوء بين الناس كذباً وزوراً، وتحريض العامة عليه والتحرش بالمسلم واستفزازه لتدعيم باطله، ليخرج ذلك الباطلُ أمام الناس لابساً ثوب الحق، ومن جَهْل أو تجاهل الظالم لنفسه وغيره استطالته في عرض أخيه المسلم وتدبير المكائد ونَصْب شِبَاك الباطل في الخفاء وما يُبَيِّتُهُ ويُضْمِرُهُ هو وأهل الباطل الذين يدفعونه إلى الشر دفعاً ليكون هو المنتصر وليظهر أمام الناس

بأنه صاحب الحق ولو أدى ذلك إلى ارتكاب ما حرم الله، كل ذلك الذي جعله يقدم على هذه الأفعال الْمَشِينَةِ لَمَّا غاب عنه الخوفُ من الله ومن أليم عقابه، وما علم أنه وأعوانه الخاسرون في الدنيا والآخرة وأن الله لهم بالمرصاد، هذا شأن من يبيّت سوءاً ويضمر عداوة ويحمل بين جنبيه قلباً أسودَ مِرْبَادّاً لاختلال إيمانه وضعف عقيدته وقلة حظه من الفقه في دينه، وهذه العلامة والصفة عَدَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من علامات النفاق حين عدّد صفات المنافق وقال:((**وإذا خاصم فجر**))،مع أنه ارتكب كل صفات النفاق التي عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث وهي:((**إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، وإذا خاصم فجر**)).أما المؤمن الحق فهو على العكس من ذلك لا يحمل الْغِلَّ والْحِقْدَ والبغضاء لسلامة صدره من ذلك، قلبه أبيض ناصع لا يَبِيتُ وفي قلبه على مسلم شيءٌ مما يجده الأعداء محترقاً متغلغلاً في سويداء قلوبهم. لا يَطِيشُ به عَقْلُهُ ولا يخرج عن العدل وقول الحق قَدْرَ أَنْمُلَةٍ، مُنْصِفٌ فيما يقول ويُدْلِي به سواء كان الخصم غائباً أو حاضراً يخشى الله في سره وعلنه، لا يهمه أمر البشر، لأن إيمانه وخوفه من الله يردعه عن الوقوع فيما حرم الله، فهو ينتصب للدفاع عن نفسه ودفع الظلم عنه بالكلمة الصادقة والقول الحق العدل السديد، وقد يرتكب الطرفان الباطلَ حيث يصف كل منهم الطرف الآخر بما ليس فيه، وذلك هو واقع كثير من المسلمين اليوم عندما ابتعدوا عن الكتاب والسنة وتحكيمهما في حياتهم في كل صغيرة وكبيرة، فلعدم الإنصاف بين المتخاصمين وظلمهم لبعضهم ولعدم تَدَخُّلِ المصلحين بينهم

امتلأت المحاكم والإدارات ذات العلاقة بالخصومات والدعاوى الكيدية، وفَشَا الظلم وانتشر،وساعدهم على ذلك المماطلةُ وعدمُ معرفة الحق ودراسته ومعرفة الحق من الباطل، أو الوقوف بجانب الباطل من قبل ضعاف النفوس،وتَدَخُّلُ جهات للفصل في الخصومات ليس لها علاقة شرعية حيث تعددت الاختصاصات وتباينت، والمعروف في الإسلام والواجب الذي يجب أن يكون التحاكم إليه هو الكتاب والسنة.ولنتدبر هذه الآية الكريمة التي تُنَالُ بها الدرجات الرفيعة بالحصول على الأجر العظيم الذي وعد الله به في نهاية الآية ولنتأمل فيها وفي غيرها ونعمل بالإصلاح بين الناس متى بلغتنا الخصومة والاختلاف، ومن لم يكن كذلك فالواجب عليه ألا يوسّع الخرق على الراقع ولا يسعى بالوشاية والإفساد بين الناس، بل يقل خيراً أو يصمت ويكفي الناسَ شرَّه وإفسادَه، وهذا أقل الواجب في حقه في هذه الحالات، مع أن بعض المفسدين يسعون بالوشاية والوقيعة بين الناس والتحريش بينهم ولا يستريحون ولا يهدأ لهم بال إلا على هذا الحال وأمثاله فهم مثل الطفيليات والميكروبات والجراثيم والصراصير التي لا تعيش ولا تتكاثر إلا في محلات وأماكن العفن والقذارة والأوساخ والفساد، فكيف حالهم إذا وقعت الخصومة؟ إنها حَالٌ مُخْزِيَةٌ يندى لها جبين كل مسلم غيور على دينه وأمته من الاشتغال بالفتن والإحَنِ بعضهم مع بعض. قال تعالى:((**لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**)).[النساء :114]، أي لا خير في كثير مما يُسِرُّهُ القومُ ويتناجون به في الخفاء إلا إذا تناجوا في صدقة يعطونها سِرّاً أو

أَمْرٍ بطاعة الله عموماً أو إصلاحٍ بين المتخاصمين في الدماء والأموال والأعراض وكل ما يقع فيه التداعي بين الناس،((**وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾**)).أي من فعل هذه الخصال الطيبة بعدما أمر بها الناس فجمع بين الأمر بالخير وفعله مخلصاً لله في ذلك فله الأجر العظيم عند الله تعالى. وفي هذه الآية ترغيب عظيم في الإصلاح بين الناس وكذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتفق عليه حين ذم الكذب والكذابين وَعَدَّ ذلك من صفات المنافقين ولكنه رَخَّصَ فيه إذا كان لا يمكن التوصل إلى الإصلاح بين المتخاصمين إلا عن طريقه أو أنه سوف تفسد العلاقة الزوجية إذا لم يكن إلا الكذب وسيلة لذلك لأنه ينمي به الخير بين المتخاصمين.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً**)).متفق عليه، ينمي خيراً:أي يبلّغ وينقل خبراً فيه خير وإصلاح بين الناس.

ومن أنواع الإصلاح:الإصلاح بين الزوجين المختلفين، لأن الإصلاح بين الزوجين تُبْنَى عليه البيوت وتترابط به الأسر التي هي أسس المجتمعات البشرية، وفساد ما بين الزوجين يترتب عليه فساد البيوت وتفكُّك الأسر وتشتُّتها.قال تعالى:((**وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾**)).[النساء:128]، وقال تعالى في نهاية الآية التي تلي هذه الآية:((**وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٢٩﴾**)).[النساء:129]،ففي أي خصومة بين الزوجين ينبغي ألا تخرج المرأة من

بيت زوجها لئلا يدخل شياطين الإنس والجن ويفسدون العلاقة بين الزوجين بإلقاء العداوة بينهما بما يزينونه من الباطل من القول لكل منهما لكي يفرقوا بينهما، والإفساد بين الزوجين أو المتخاصمين هو شأن شياطين الإنس والجن في كل زمان ومكان وذلك بالإيحاء بزخرف القول غروراً. وقد أمر الله جل جلاله بالإصلاح بين الزوجين إذا اتسعت الشقة والخلاف بينهما سواء قام بذلك أقرباؤهما أو الحاكم ومن يقوم مقامه من القضاة وغيرهم من اللجان الإصلاحية الرسمية أو الخيرية،قال تعالى:((**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾**)).[النساء:35].ولا يجوز للمرأة أن تخرج من بيت الزوجية ولا أن يُخرجها زوجها عندما يطلقها الطلقة الأولى أو الثانية لئلا تتسع الشقة والخلاف بينهما،ولئلا يجد المغرضون والمفسدون مدخلاً لإفساد العلاقة الزوجية بينهما،ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً يحبانه ويرتاحان له بدخولهما وخروجهما ولقائهما ببعض خلال العدة فيرجع إليها ويراجعها،قال تعالى:((**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾**))[الطلاق:1].هذا الخلاف والشقاق إذا كان في الطلاق فما بالنا في غيره من الأمور الأخرى التي لا يخلو منها بيت من البيوت، وهذا أمر يغفل عنه كثير من المسلمين فيقع الشقاق والخلافات والخصومات وهذا ما يسعى إليه الشيطان وجنوده كل ليلة وهو على عرشه في البحر حيث ينتشرون

للفتنة بين الناس ويكون أقربهم وأحبهم إليه من سعى بالتحريش بين المرء وزوجه حتى يقع الطلاق والفراق بين الزوجين، والشيطان قد أَيِسَ أن يعبده المسلمون في جزيرة العرب التي تبقى على التوحيد بإذن الله إلى قيام الساعة ولكنه رضي بالتحريش فيما بينهم وبما يَحْقِرُونَ من الأمور المنكرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم**)).سلسلة الأحاديث الصحيحة. وفيها أيضاً برواية أخرى صحيحة:((**إن الشيطان قد أيس أن يُعبد بأرضكم هذه ولكن رضي بما تحقرون**)).

الإصلاح بين الناس

الخطبة الثانية

الحمد لله يؤتي المصلحين أجراً عظيماً نعمة منه وفضلاً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله.

أما بعد:فمن أنواع الإصلاح بين الناس الإصلاح بين الطوائف المقتتلة من المسلمين صغرت أم كبرت في داخل الدولة الواحدة أو على مستوى الدول، واجب المسلمين السعي للإصلاح بين المتقاتلين من أجل القضاء على أسباب الفتنة بالعدل الذي يعطي كل ذي حق حقه لكي يَسْتَتِبَّ الأمنُ وتُحْقَنَ الدماءُ ويؤخذ على يد المعتدي ويكف عن الظلم والتعدي على غيره فيما بعد، ويتم إنصاف المعْتَدى عليه، ولئلا تضعف شوكة المسلمين أمام

أعدائهم وعندها يتربصون بهم الدوائر،قال تعالى:((**وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠**)).[الحجرات:9، 10]، ووردت أحاديث عدة حول الأخذ على يد الظالم ونصرة المظلوم والإصلاح بين المتخاصمين، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث المعروف:((**ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم**)).رواه أبو داوود والترمذي، إن مجتمعات المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى رجال مصلحين في شتى المجالات وللإصلاح في الخصومات خاصة يحتسبون أجرهم على الله،رغم أنهم مأمورون بذلك في القرآن الكريم والسنة المطهرة حين تبلغهم الخصومات والمنازعات والمشاجرات والخلافات التي مُلِئَتْ بها المحاكم الداخلية والدولية سواءٌ كانت تلك المحاكم شرعية أو غير شرعية، يدخلون في ذلك لاحتوائها منذ البداية والقضاء عليها وليعيش أفراد المجتمع الواحد أو المجتمعات المتعددة في حالة من السعادة والطمأنينة التي يُغْبَطُون عليها بين الأمم، وكان هذا فعل السلف الصالح إلى عهد قريب ونحن جميعاً نعرفه، وبوادر العودة إلى ذلك وتَبَنِّي فكرة الإصلاح وإنشاء اللجان الخاصة بذلك بدأت ولله الحمد والمنة عسى أن تَعُمَّ وتنتشر في مجتمعات المسلمين ويجني ثمارَها القريبُ والبعيدُ بإذن الله تعالى. ومع سرورنا بوجود لجان الإصلاح ولكن واقعها إلى الآن في بعض المدن والمحافظات لا

يتعدى المظاهر وحب البروز والظهور في الصحف ووسائل الإعلام، ولذلك كانت الدعاية للمظهر أكثر من المخبر، ففي صحيفة ظَهَرَ اسْمُ ذلك المسئول عن مكتب إصلاح ذات البين في مدينة من المدن بأنه أحد الأعضاء في تلك اللجنة، ثم جاء الاعتذار له بعد أيام بأنه هو الرئيس،علماً بأنه يعلم عن مشاكل في حَيِّه الذي يسكن فيه ولا يحرِّك ساكناً ولا يعرف أصلاً طرق الإصلاح ووسائله لأن اختياره لم يكن مبنياً على الشرع المطهر بل على العلاقات الشخصية لإظهار المسئولين في الصحافة المحلية لأنه مسئول عن مكتبٍ لصحيفةٍ معينةٍ، وإذا كان هذا يُعذر لعدم علمه وفقهه فإن الأسوأ منه ذلك الذي يلقي محاضرة يجتمع لها الناس بعنوان الإصلاح وأثره في المجتمع ثم يبلغه خلاف ومشاكل بين متخاصمين من جيرانه ولا يأبه بذلك ولا يكترث بما حصل مع علمه بوصولها للجهات المختصة وإشغال الإدارات ذات العلاقة بالدعاوى والشكاوى الكيدية فذلك ينطبق عليه قول الله عز وجل:((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣))[الصف:2، 3]. وهناك صنف آخر يظهر على أحدهم الصلاح ويظن المسلم بأنه يحب الإصلاح ولكنه يبقى في دائرة الصالحين وليس في دائرة المصلحين بمعناها الشمولي ، فعندما يعرض عليهم شخصٌ الإصلاحَ بين متخاصمين لا يزيد أحدهم على قوله: الله يصلح الشأن، الله يهديهم، ليش ما يصطلحون باللهجة العامية، أي لماذا لا يصطلحون باللغة العربية؟ مع علمه بأنهم لو كانوا سيصطلحون من عند أنفسهم لما وصلت مشكلتهم إلى ذلك الحد الذي أشغل الإدارات

الحكومية، وقد يُخفي هذا الصنف في قرارة أنفسهم وسويداء قلوبهم تَشَفِّيهم للطرفين أو لأحدهما وحبّهم لاسْتِعَارِ النار واشتعالها بينهما، هذا إذا وقفوا عند هذا الحد بل قد يسعون لإيقاد نار الفتنة ولو من بعيد بكلمات قليلة جداً ولكنها تعمل عملاً مفسداً عظيماً، فهذه الأصناف محرومة من الأجر الموعود به بل تتحمل الإثم حيث لم تسلك سبيل المصلحين بل تزيد عليه أيضاً إثم ما يتغلغل في قلوبها مما تَمَّتِ الإشارةُ إليه. وواقع المسلمين إلى الآن مُحْزِنٌ ومُخْجِلٌ ويؤسف له ولو عرف من يريد الدخولَ في الإسلام واقعَ التعامل بين المسلمين في هذا الزمان في كثير من البلاد لما دخل في الإسلام ولابْتَعَدَ عنه نتيجة العداوة والبغضاء والمكر والخداع والمراوغة والنفاق والإفساد المنتشر بين المسلمين، إن واجب المسلمين عدم التخاذل والتكاسل والتخلي عن الإصلاح مع قدرتهم على ذلك، وقد ضُمِنَتْ حقوقُهم حتى لو بلغ الأمر بالمصلحين أن تحملوا مبالغ من المال قلّت أو كثرت في سبيل الإصلاح بين المتخاصمين ولو أنهم أغنياء، فأموالهم وحقوقهم محفوظة ولا يَغْرَمُونَ فلساً واحداً منها، بل جعل الله عز وجل الغارمين المتحملين لتلك الحمالات من ضمن الأصناف الثمانية الذين تحلُّ لهم الزكاة ويجب دفعها لهم ولو كانوا أغنياء. قال تعالى:((۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠)).[التوبة:60]، فمكان الشاهد قوله تعالى:((والغارمين)). وتحل المسألة المنهي عنها إذا غرم الشخص وتحمل مالاً من أجل الإصلاح بين الناس وبذلك ورد الخبر عن سيد البشر محمد صلى

الله عليه وسلم حينما قال للصحابي الجليل حكيم بن حزام وهو توجيه له وللأمة المسلمة عامة ومكان الشاهد في قوله صلى الله عليه وسلم هو:((**لا تحل المسألة إلا لأحد ثلاثة نفر**)) . وذكر منهم . ((**ورجل تحمل حمالة**)) فإنه يحل له ذلك حتى يصل إليه المبلغُ الذي تحمله وكان غارماً له. ثم يكف عن المسألة ولا يحل له فيما فوق ذلك من المال.فما على المصلحين بين الناس على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الدول إلا أن يُحْسِنُوا النية والقصدَ للإصلاح واحتساب الثواب والأجر من عند الله جل جلاله، ويحكموا بالعدل ولا يَحِيفُوا كما قال الله عز وجل:((**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾**)).[النساء:58]،وكما ورد في نهاية الآية المرغبة في الإصلاح قال تعالى:((**وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾**)).[النساء:114]. وعلى المصلحين أن يحتسبوا أجرهم على الله لا يريدون بذلك رياءً ولا سمعةً ولا ثناءً ومدحاً من الناس ويَسْعَوْا بين المتخاصمين قَلُّوا أو كَثُرُوا بالأخبار السَّارَّةِ ينقلوها ويحملوها إليها للجمع بين الأطراف المتخاصمة حتى لو استدعى الأمرُ الكذبَ الذي ورد السماح والترخيص فيه في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمع الشمل والتفاف المسلمين حول بعضهم بعضاً.وقبل ذلك كله يعرف المصلحون أسباب أي مشكلة أو فتنة أو قطيعة ليقتلعوها من جذورها،ويتعرفون أيضاً على الأسباب والدواعي والدوافع من كل طرف على حدة ويناقشون فيما أشكل عليهم فهمُه أو تَنَاقُضُهُ وكأنَّهم مُحَقِّقُون رسميون ويَدْرُسُون نفسياتِ الطرفين

ومُرَادَهم،ويجتهدون في ذلك ويفرّغون أنفسهم ساعات وأياماً وليالي بل قد تصل إلى الشهور، ويصلحون بينهم صُلْحَ العقلاء وكبار السن وليس كالصلح بين الأطفال وصغار السن والمراهقين. إن أي مصلح كائناً من كان ينبغي له أن يعرف طرق الإصلاح ويسعى بكل رَوِيَّةٍ وإخلاصٍ يقول الحق ويصدع به ويحذِّر من العواقب الوخيمة عند الاستمرار على الباطل وما ينتج عنها لا يحابي ولا يجامل ولا يداهن، إخلاصُ النيةِ والقصدِ دَيْدَنُهُ، وهدفه ابتغاء مرضاة الله، ولن يحوز على الأجر العظيم الموعود به من رب العالمين إلا بالإتيان بالشروط السابقة مع التفرغ الصادق في الوقت، وليس كما يفعله بعض المصلحين من وقوفه في أي قضية خمس دقائق ويقول أنا ورائي أعمال وأشغال إن اصطلحوا وإن رفضوا فما خسرت شيئاً، بل عليه أن يفرّغ عقله وقلبه وفكره للاستماع والإنصات والمناقشة والتعرف على القضية بكاملها ومعرفة الحق من الباطل وعدم التشاغل بما يصرف ذهن المصلح خاصة عند سماع كلام أحد الطرفين أو كليهما ثم الحكم الموافق للكتاب والسنة وليس الموافق للهوى والعصبيات والعادات الجاهلية لأن حكم المصلح قد يكون مُلْزِماً خاصة فيما بين الزوجين إذا نَدَبَهُ القاضي للإصلاح بينهما. ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث حكمين للإصلاح بين الزوجين ولم يصطلحا أنه يَعْلُو الْحَكَمَيْنِ بالدُّرَّةِ، لفهمه رضي الله عنه من إرجاع الضمير في إرادة الإصلاح إلى المصلحيْن والحكميْن وليس للزوجيْن،وهذا مفهوم واضح للفرق بين إِصْلاحاً واصْطِلاحاً وتَصَالُحاً مع احتمال الْمَعْنَيَيْنِ،ولكنه الحرص منه رضي الله عنه في الإصلاح بين

الناس، كما قال عز وجل:((**إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا**)).[النساء:35]. ومما يندى له الجبين حال بعض المصلحين أمام الناس المفسدين في الخفاء وهو الفرح بتلك الخصومات والمنازعات حيث يوقد أحدُهم نارَ الفتنة ويسعى للتحريش بين المتنازعين ويُحَرِّضُ على النزاع والشقاق ويُلَقِّنُ كل طرف ما يتَّخِذُهُ من الباطل والحيل الشيطانية ضد الطرف الآخر زاعماً الإشفاق والمحبة والإخلاص، فذلك من حزب الشيطان وجنده الخاسرين،وقد يكون ذلك طبعه وخلقه عند عدم وجود النية الصالحة، وقد يكون قصده حسناً وقلبه صافياً ولكنه لا يعرف ما يُقَرِّبُ فهو يسعى بما يُبَاعِدُ فلا يَصْلُحُ للإصلاح كُلُّ أحد، ولا يُوَفَّقُ له كل من سعى وتظاهر بالإصلاح فقد يسيء ويباعد من يريد الإحسان والتوفيق بين المتخاصمين بأسلوبه البعيد عن الطرق الشرعية والحكمة المرعية والحالة النفسية، والأسوأ من ذلك الذين يسعون للتحريش والإفساد لإيجاد المشاكل بين الناس أو التحريض وإيقاد نار الفتنة وصَبِّ الزيت على النار كما يُقال قديماً،وحديثاً صَبّ البنزين على النار، والتمتع بمناظر الصراع والفتن في المجتمع، وقد يفعل أحدهم فعلته الخبيثة بقول أو فعل ويلصقها بفلان من الناس أي أنه يقتل القتيل ويمشي في جنازته، وهذا أمر ملموس وواقع في المجتمعات المعاصرة، ولكن الواجب التَّنَبُّهُ لأولئك المفسدين، ثم على من نُقل إليه عن أخيه المسلم أو أُلْصِقَ به تُهْمَةٌ للإيقاع بينهما أن يتثبت ويصل إلى حقيقة الأمر بدلاً من الظنون والشكوك التي سعى بها بل عملها المفسدُ بنفسه للإيقاع بين الجارَيْن أو المتحابَّيْنِ المتوادَّيْنِ وإن كانا بعيدَيْنِ في

السكن، فهذه الأعمال الشنيعة الشيطانية منتشرة في المجتمعات، فيجب أَخْذُ الحَيْطة والحذر من هذه الجراثيم القاتلة في المجتمع.ويكون الخلاص منها صعباً إذا تُرِكَتْ فسوف يَسْتَفْحِلُ أمرُها ويَعْظُمُ شَرُّها.قال تعالى:((**إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾**)).[فاطر:6]، وقال عز وجل:((**وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾**)).[الإسراء:53]، ولو أن كل قرية أو مَحَلَّةٍ أو حَيٍّ من الأحياء في مجتمعات المسلمين عَيَّنُوا مجموعة من أهل الصلاح والخير يقومون بحل الخلافات والنزاعات في بدايتها وأول مراحلها وعندما تظهر أيضاً على الساحة وفي أي مرحلة من مراحلها الأولى أو الأخيرة، لو يقومون بذلك لانتهت كثير من القضايا والمشاكل التي ملأت كل إدارة ذات علاقة أو بقيت في صدور أصحابها تغلي بها نفوسهم وقلوبهم. وذلك بعد توفيق الله عز وجل للمجتمع مع أن هذه الدعوة التي دعا إليها أهل الخير منذ عشرات السنين بَدَتْ بَوَادِرُهَا في بعض المدن والأحياء ولله الحمد وعسى أن تعم مجتمعات المسلمين بإذن الله عز وجل وتوفيقه. وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد وآله ورضي الله عن الصحابة أجمعين.